كتاب البرهان في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الناصر لدين الله أبي الفتح الديلمي سلام الله عليه
توفي في القرن الخامس الهجري

تحقيق

هادي بن حسن بن هادي الحمزي

منشورات
مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية
اليمن

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م

تم الصف والإخراج
بمكتبة أهل البيت(ع)
اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين:

[ديباجة الكتاب]

الحمد لله الذي ذلت الأشياء لعظمته ، وأذعنت غُلْبُ الرقاب لقدرته، وحارت الأفهام[1] في عظيم ملكوته، وتحيرت الفِكَرُ في بديع صنعته وحكمته، الذي تعالى بقدمه عن صفات المحدثات، وجل بأزليته عن مشابهة المصنوعات ، إذ المخلوقات كلها منتهية إليه ، ولا يجوز الانتهاء بمعنى من المعاني عليه؛ بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا اصطنع ظهيراً على ملكه[2] ولا عضدا.

(1)- نخ (هـ) : الأوهام .
(2)- نخ (هـ) : على فعله .

وصلى الله على من بعثه بالرحمة والهدى والحنيفية الأولى، فأمر بالحق ونطق بالصدق محمد وآله الطاهرين وأن الله -سبحانه وعز عن كل شأن شأنه- لما أظهرنا من الصفوة الطيبة ، والعترة المرضية، وهدانا بفضله ، ومن علينا بطوله ؛ حين جعلنا حفاظ كتابه وأحكامه ، وخزان حلاله وحرامه ، والمستحفظين على أسراره وغوامضه ، والقائمين بنشر مسنوناته وفرائضه ، والعالمين بطرق الصواب مما اختلف فيه المختلفون ، والمبينين للصحيح الذي يقول فيه المتقولون.

رأينا بعد استخارة الله عزّ وجل تفسير الغامض من كتاب الله عز وجل الخفي الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وترك الظاهر الجلي إذ يعلم تفسير ذلك بمجرد التلاوة ولا يحتاج إلى كثير من الإيضاح والإبانة، وقد عمل الناس في التفاسير الأعمال ، وبلغوا إلى كل غاية ومنال، غير أن من فسر كله أو بعضه فسره على رأيه ومذهبه.

وقد جمعنا في كتابنا هذا من تفسير كلام الله عز وجل وبيان مسلكه على المذهب الصحيح والدين الصريح مذهب آل الرسول في الفروع والأصول ما هو[1] موافق للحق مقارب ومباعد للباطل مجانب، وربما احتملت الآية أقاويل وكلها سائغة على المذهب النقي، والسبيل الرضي، فذكرناها وربما احتملت وجهاً أو وجهين فأوردناهما على ما شرطنا ولم نُخِلْ بشيء مما يحتاج من أحكام القرآن والسنة ، والتأويل والتنزيل ، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والقصص والجدال والأمثال، وإن لم نستوف ذلك غاية الاستيفاء، رهبة التطويل وخشية ضياع الفائدة عند تطاويل الكلام، ففيه ما يغني الناظر المتدبر ، والمتأمل المتفكر، ولا نعلم أن أحداً جمع ما

[1]- نخ (ح) : وهو .

جمعناه ولخص ما لخصناه من الأئمة عليهم السلام وإن كان لكل منهم فضل ودرجة ، وعلم وسابقة ، وشرح واستقصاء، لكنا بنعم الله علينا نتحدث وبجزيل منحه ومننه نشكر حيث هدانا إلى الصراط المستقيم، وألهمنا معرفة الصحيح من السقيم، وأبان لنا طريق الهدى، ولم يدخلنا في الضلالة والعمى، ولم يجعلنا من الضالين المضلين، والغاوين المغوين، والخائضين المخوضين، بصرنا بها فهمنا، وأيدنا بها علمنا، وأرشدنا بها ألهمنا، لم نأخذ بالآراء، ولم نتبع طريقة الأهوى؛ بل أخذنا أخبار خلف أخيار عن سلف أطهار إلى النبي المختار عن الملَك[1] النازل بالإعذار والإنذار من الملك العزيز الجبار.

روينا عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الحديث فدخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه وآله السلام– فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؛ فقال: (أوَقد فعلوها؟) قلت: نعم. قال: (أما أني قد سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم يقول: ((ألا إنها ستكون فتنة)) فقلت: (فما المخرج منها يا رسول الله؟) قال: ((كتاب الله عز وجل فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا يزيغ به إلى الهوى ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة التردد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا(١)يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} [الجن]، من قال به صدق، ومن

[1]ـ وهو جبريل –عَلَيْه السَّلام– تمت هامش نخ (هـ) .

عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى الصراط المستقيم؛ خذها إليك يا أعور).

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((ليكثر علي الكذابة فما حدثتم به عني فأعرضوه على كتاب الله عز وجل فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه)) وقد روي في بعض وصايا السلف أنه قال: اتخذ كتاب الله إماماً وارض به حكماً وقاضياً هو الذي استخلف رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– مع الطاهرين من عترته شفيع مطاع وشاهد لا يتهم فيه خبر ما قبلكم وخبر ما فيكم وذكر ما قبلكم وذكر ما معكم.

وروينا عن أمير المؤمنين عَلَيْه السَّلام أنه قال وقد أهوى بيده نحو المشرق وهذه الفتن قد أظلت كأنها قطع الليل المظلم كلما مضى منها رسل بدا رسل ويل للعرب من شر قد اقترب إلا من فزع إلى كتاب الله عز وجل وعترة رسوله[١] صَلَّى الله عَلَيْه وآله فعمل بمحكم الكتاب وآمن بمتشابهه يصبح الرجل مؤمناً[٢] ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يموت فيها قلبه كما يموت فيها بدنه، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل.

وروينا عن أمير المؤمنين علي عَلَيْه السَّلام أنه قال: (ما أنزل الله في القرآن آية إلا أحب أن يعلم العباد منها ما يعنى بها)، وقال عَلَيْه السَّلام: (ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجل يعجز عنه).

وروينا عن بعض الصالحين أنه قال: ثلاثة لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إلي من أن أكون أحدهم،

---

[١]- نخ (هـ) : وعترة رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– .

[٢]- نخ (هـ) : يصبح الرجل مؤمناً فيها ويمسي...

قوم استَحْلوا أحاديث لها زينة وبهجة وسيموا القرآن وقوم أطاعوا المخلوق في معصية الخالق والخوارج ونرجوا بعون الله أن يكون لأمة جدنا اهتداء[١] ورجوع إلى الحق واتباع لما أمروا باتباعه من أئمة الهدى الذين لا يدخلون أحداً من[٢] باب ردى، ولا يبيعون الأحكام باليسير التافه من الحطام، بل هم ثقات أمناء وعدول خلفاء ، ومصابيح لكل من اهتدى بهم وأضواء لم يتعلموا للنفاسة ولم يدعو الخلق إلى طاعة الله عز وجل للتكثر بهم والرياسة دعوهم لينفعوهم وطلبوهم ليهدوهم وأرادوهم ليفيدوهم فمن تعلق بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى ومن استخف بأمرهم تردى، هم الذين درجوا من مركز[٣] الوحي والتنزيل وخرجوا من صميم المعرفة والتأويل، وهم شهداء الله على خلقه العدول الذي لا يدانيهم التغيير والتحويل والحمد لله على ما خصنا به من الأكرومة وأخرجنا من خير الأرومة، وحكم لنا على الخلق بالزعامة، ورآنا أهلاً للخلافة والإمامة، وأمدنا بتأييده حتى سلكنا طريق الصواب، وتجنبنا طرائق[٤] الشك والارتياب وذكرنا لأمة جدنا من علم الكتاب على الاستقامة والصواب ما لها به المخلص إن أرادته وفيه الفوز إن أممته وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو خير الناصرين.

[ذكر أسماء الله سبحانه وتعالى لكتابه]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين كما هو أهله ومستحقه وصلواته على رسوله نبي الرحمة محمد وآله وسلم.

---

[١]- نخ (هـ) : انتباه ورجوع .

[٢]- نخ (هـ) : لا يدخلون أحداً في باب ردى .

[٣]- نخ (هـ) : وكور .

[٤]- نخ (هـ) : مواقف الشك والارتياب .

أول ما نبتدي به ذكر ما سمى الله سبحانه كتابه وجعل له أربعة أسماء أولها: القرآن لقوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ} [يوسف:٣].

والثاني: الفرقان قال عز من قائل: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان:١].

والثالث: الكتاب كقوله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الكهف:١].

والرابع: الذكر وهو قوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف:٤٤].

[ذكر معنى القرآن]

فأما القرآن: فيحتمل معنيين أحدهما: التبيين كقوله تبارك وتعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ(١٨)} [القيامة]، والثاني معناه: الجمع والضم لأنه مجموع ويقال: ما قرأت الناقة نسلاً قط؛ أي لم تضم رحمها على ولد، قال عمرو بن كلثوم:

تريك وقد دخلت على خلاءٍ وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل أدماءَ بكر هجان اللون[1] لم تقرأ جنينا

أي لم تضم رحمها على ولد، ومن هذا سمي القرء قرءاً لأنه اجتماع الدم في الرحم.

---

[1]- نخ (ح) : النوق.

[ذكر معنى الفرقان]

وأما الفرقان: فلأنه يفرق به بين[1] الحق والباطل.

[ذكر معنى الكتاب]

وأما الكتاب: فهو مصدر من قوله: كتبت كتاباً والكتاب هو خط الكُتَّاب[2] حروف المعجم مجتمعة ومفرقة وسمي كتاباً وإن كان مكتوباً كما قال الشاعر:

تامل رجعة مني وفيها   كتاب مثل ما لصق الغراء

والكتابة مأخوذة من الجمع يقال: كتبت السقاء بالخرز إذا جمعته، قال الشاعر:

لا تأمنن فزارياً مررت به[3]   على قلوصك واكتبها بأسيار

أي اجمعها وضمها.

[ذكر معنى الذكر]

وأما الذكر: فيحتمل تأويلين أحدهما أنه ذكر ذكَّر الله به سبحانه خلقه وبيّن حدوده فيه وأحكامه وفرائضه. والثاني: أنه شرف لمن آمن به وصدقه كقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف:٤٤] أي شرف لك ولقومك.

[ذكر معنى التوراة]

وأما التوراة: فهي مشتقة من ورى الزند يري إذا خرج ناره وضياؤه

---

[1]- نخ (هـ) : ما بين .
[2]- نخ (هـ) : هو خط الكاتب .
[3]- نخ : خلوت به .

فسميت بذلك لما فيه من ضياء الدين والشريعة.

[ذكر معنى الزبور]

وأما الزبور: فمشتق من قولك: زبر الكتاب بيده[1] إذا كتبه ومنه قول الشاعر:

عرفت الديار كخط الدوي يزبره الكاتب الحميري

[ذكر معنى الإنجيل]

وأما الإنجيل فهو مأخوذ من قولك: نجلت الشيء إذا أخرجته ويسمى ولد الرجل نجلاً ؛ لأنه هو الذي استخرجهم قال الشاعر :

إنجد أزمان والداه به إذ نجلا فنعم ما نجلا

روينا عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس)) وإنما سميت هذه السبع طوالاً لطولها على سائر القرآن.

[ذكر معنى المئين]

وأما المئون فهي ما كان من سور القرآن عدد آيها مائة آية أو يزيد عليها شيئاً أو ينقص منها شيئاً.

[ذكر معنى المثاني]

وأما المثاني: ففيه ثلاثة أقاويل أحدها: أنها السور التي ثنى الله –

---

(1)- نخ (هـ) : يزبره .

سبحانه- فيها القصص والأمثال والفرائض والحدود، وقيل: إنها فاتحة الكتاب.

[ذكر معنى المفصل]

وأما المفصل: فإنما سمي مفصلاً لكثرة الفصول بين سوره.

[بيان اللغة في كلمة سورة]

وأما سورة القرآن ففيها لغتان مهموزة وغير مهموزة، فأمّا التي بغير همز فهي المنزلة من منازل الارتفاع ومنه سمي (سور المدينة) لارتفاعه على ما يحويه ومنه قول الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

يعني منزلة من منازل الشرف وسميت سورة لارتفاعها وعلو قدرها.

وأما السؤرة بالهمز: فهي القطعة من القرآن كأنها قطعت من سواه وألقيت، وسؤر كل شيء بقيته والسؤر الذي يبقى في الإناء بعد الأكل، وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إذا أكلتم فاسأروا)) يعني فأبقوا فضلة، ومن ذلك: قول الأعشى يصف امرأة فارقته فأبقت في قلبه وجداً عليها:

فبانت وقد أسأرت في الفؤاد صداعاً على نأيها مستطيرا

وقال الأعشى أيضاً:

نأت[1] وقد أسأرت في النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

---

(1)- نخ (هـ) : بانت .

وأما الآية: ففيها تأويلان أحدهما أنها إنما سميت آية لأنها يعرف بها تمام ما قبلها لأن الآية العلامة لقوله تعالى: {أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا} [المائدة:١١٤]، أي علامة لإجابة دعائنا، وقال الشاعر:

ألكني إليها عمرك الله يا فتى ... بآية ما جاءت إلينا تهاديا

والثاني: هي القصة والرسالة كما قال كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آية ... أيقظان قال القول أو قال ذو حلم

فيكون معناها الرسالة كما ذكرنا. روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((نزل القرآن على سبعة أحرف والمراء في القرآن كفر – ثلاث مرات- فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم فردوه إلى عالمه)).

وأما تفسير قوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((سبعة أحرف)) فإنما هي أمر ونهي وترغيب وترهيب وجدال وقصص وأمثال.

[ذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم]

فأما إعجاز القرآن فقد اختلف فيه الناس على ثمانية أوجه؛ أحدها: أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة مثل قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} [البقرة:١٧٩]، فجمع في[1] كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير.

والثاني: أن وجه إعجازه هو البيان والفصاحة كالذي حكاه بعض أهل

---

[1]- نخ (ح) : بين.

العلم أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر:٩٤]، فسجد فقال: سجدت لفصاحة الكلام.

وسمع آخر رجلاً يقرأ: {فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا} [يوسف:٨٠]، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وحدثنا بعض أهل العلم بإسناد له رفعه إلى عالم من علماء اللغة أنه رأى في بعض طوافه بالبادية جارية خماسية فصيحة فأعجبته فصاحتها وبراعتها فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؛ فقالت له: أوَيعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧)} [القصص]، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

والثالث: أن وجه إعجازه هو الوصف الذي نُقِضت به العادة حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجزوالهرج ولا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نظمهم ونثرهم.

والرابع: أن قارئه لا يكل وسامعه لا يمل ولا يزيده على كثرة تلاوته إلا حلاوة في النفس وميلاً إلى القلوب. وغيره من الكلام وإن كان مُسْتَحْلَى النظم مستحسن النثر يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردد.

والخامس: أن وجه إعجازه هو ما فيه من الأخبار مما علموه أو لم يعلموه فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه في[1] قصة أهل الكهف وموسى والخضر وذي القرنين وقصص الأنبياء مع أممهم.

---

(١) ـ نخ (هـ) : كالذي حكى من قصة ..إلخ.

والسادس: أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٩٤)} [البقرة]، ثم قال: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٩٥)} [البقرة]، وقوله لقريش: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا} [البقرة:٢٤]، فقطع بأنهم لا يفعلون.

والسابع: أن وجه إعجازه هو كونه جامعاً لعلوم لم تعرفها العرب ولا تتعاطى عليها فيها الكلام ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد ولا يشتمل عليها كتاب قال عز من قائل: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام:٨٣]، وقال: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل:٨٩]، وقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم، هو الحق ليس بالهزل، من طلب الهدى من غيره ضل)).

والثامن: الصرفة، وهو أن الله سبحانه صرف همم معارضيه مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم تحرجهم أنفة التحدي وصبروا على نقيصة العجز فلم يعارضوه وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطاله وبذل نفوسهم في قتاله؛ فصار بذلك معجزاً لخروجه عن العادة كخروج المعجزات.

[تفسير سورة فاتحة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

[ذكر أسماء فاتحة الكتاب وبيان سبب التسمية]

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه- : سورة فاتحة الكتاب مكية وقد قيل إنها مدنية .

لها ثلاثة أسماء: فاتحة الكتاب، وأم الكتاب، والسبع المثاني؛ روينا عن أبينا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني)).

فأما تسميتها بفاتحة الكتاب فلأنه يستفتح بإثباتها خطاً وبتلاوتها لفظاً.

وأما تسميتها أم القرآن: فلتقدمها على سائر القرآن وتأخير ما سواها تبعاً لها وصارت أماً لأنها أمّته أي تقدمته وكذلك قيل لراية الحرب أُمّ لتقدمها واتباع الجيش لها، قال الشاعر:

على رأسه أمّ لنا نهتدي بها ... جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

وقيل لما مضى على الإنسان من سني عمره أم لتقدمها قال الشاعر:

إذا كانت الخمسون أمك لم يكن ... لدائك إلا أن تموت طبيب

وأما تسمية مكة بأم القرى ففيه قولان أحدهما[1]: أنها سميت بذلك

---

[1]- لم يذكر الإمام -عَلَيْه السَّلام- في تسمية مكة بأم القرى إلا قولاً واحداً مع أنه قد ذكر أن هناك قولان فيمكن أن يكون الثاني ما ذكر في الكشاف في تفسير سورة الأنعام الآية (٩٢) وهو قوله : وسميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجّهم =

لأن الأرض دحيت منها وعنها حدثت فصارت أماً لها لحدوثها عنها كحدوث الولد عن الأم، وقيل للمجرة أم النجوم، وللدنيا أم ذفر لأنها أصل كل بلاء وفتن.

وأما تسميتها بالسبع المثاني؛ أما السبع فلأنها سبع آيات؛ وأما المثاني فلأنها تثنى في كل صلاة فرض وتطوع.

[ذكر أقوال الناس في البسملة]

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١)}: أجمع الناس على أن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في سورة النمل بعض آية وإنما اختلفوا في إثباتها آية من فاتحة الكتاب ومن كل سورة في القرآن؛ فذهب قوم[1] إلى أنها آية في الفاتحة وليست منها، وكذلك حكمها في سائر القرآن. وذهب آخرون[2] إلى أنها ليست من القرآن.

وعندنا وعند علماء العترة الطاهرة أنها آية من فاتحة الكتاب ومن كل سورة أثبتت فيها وأن تاركها تارك لآية من كتاب الله عز وجل.

[الدليل على أن البسملة آية من فاتحة الكتاب ومن أول كل سورة أثبتت فيها]

والدليل على صحة ما ذهبنا إليه: ما ثبت عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من قراءته لها مع ما كان يقرأ من السور فلولا أنها من القرآن لما

ولأنها أعظم القرى شأناً . انتهى المراد.

(١)ـ هم ابن المسيب ومحمد بن كعب ورواية عن الشافعي . تمت غاية سؤل . تمت من هامش نخ (أ).

(٢)ـ وهم بعض السلف من الصحابة وقراء المدينة والبصرة والشام وفقهائها وأبو حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي . تمت ح . أساس . تمت من هامش نخ (ح) .

جاز لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن يدخل في كلام الله عز وجل[١] ما ليس منه كما لا يجوز أن يخلط به كلام سواه ولا بيتاً من الشعر فلما كان الأمر على هذا وجب أن تكون آية من السور.

والثاني: إجماع الأمة على اختلافها في إثباتها في كل سورة إلا سورة براءة وإجماعهم حجة وليس تثبت في القرآن ما ليس منه على ما ذكرنا.

وأما من قال إنها آية وليست بآية من فاتحة الكتاب فالدليل عليه إجماع كل من قرأ القرآن أنها سبع آيات ولا تكون سبعاً إلا بعد عد (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

وأما {بِسْمِ}: فيجوز أن تكون صلة زائدة وإنما هو الله الرحمن الرحيم والمستشهد بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فذكر اسم السلام زيادة وإنما أراد ثم السلام عليكما أو[٢] أن تكون (بسم) أصل مقصود وفي دخول الباء عليه قولان أحدهما أنها دخلت على معنى الأمر. والثاني أنها دخلت على معنى الخبر.

فأما معنى الأمر فتقديره: ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم. وأما الثاني: فعلى الإخبار بدأت بسم الله الرحمن الرحيم. وحذفت ألف الوصل بباء الألصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال ولم تحذف من قوله: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)} [العلق]، لقلة استعماله.

والاسم: كلمة تدل على المسمى دلالة إشارة.

---

[١]- نخ : القرآن .

[٢]- نخ (هـ) : أو يجوز أن تكون بسم ..إلخ.

سورة الفاتحة

والصفة: كلمة تدل على الموصوف دلالة إفادة فإن جعلت الصفة اسماً دلت على الأمرين[1] على الإشارة والإفادة وفي اشتقاق الاسم وجهان أحدهما أنه مشتق من السمو وهو الرفعة لأن الاسم يسمو بصاحبه والآخر من السمة وهو العلامة فيرفعه من غيره.

وأما قوله: {اللَّهِ} فهو أخص أسمائه لأنه لم يتسمَّ به غيره وفيه تأويلان؛ أحدهما: أنه اسم عَلَم للذات والآخر: أنه اسم مشتق من صفة وأسماء الصفات تكون تابعة لأسماء الذات فلم يكن به سن أن يختص باسم ذات يكون علماً لتكون أسماء الصفات والنعوت تبعاً له واشتقاقه من (أله) فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام، وفُخّم للتعظيم.

وفي اشتقاقه قولان: أحدهما: أنه من الوله؛ لأن العباد يألهون إليه أي يفزعون إليه في أمورهم فقيل للمألوه إليه: إله؛ كما قيل للمؤتم به: إمام.

والثاني: مشتق من الألوهية وهي العبادة من قولهم فلان يتأله أي يتعبد؛ قال رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المبدة   لما رأينني خلق المموه

سبحن واسترجعن من تأله

وقد قيل إن بعض العلماء من آل الرسول -عَلَيْهم السَّلام- قرأ: {وَيَذَرَكَ وإلهتك} [الأعراف:١٢٧]، أي عبادتك.

وهل استحق هذا الاسم لذاته أو هو مشتق من فعل العبادة فعلى هذا [لم

---

[1]- نخ (ح): أمرين .

يكن][1] صفة لازمة لذاته لحدوث عبادته بعد خلق خلقه ومن قال بهذا منع أن يكون إلهاً لم يزل.

والقول الثاني : أنه مشتق من استحقاق العبادة فعلى هذا يكون صفة لازمة لذاته لأنه لم يزل مستحقاً للعبادة فلم يزل إلهاً وهذا أصح القولين لأنه لو كان مشتقاً من فعل العبادة لا من استحقاقها لكان عيسى إلهاً والأصنام آلهة لأن الناس قد عبدوها[2] فصار قولنا على هذا من صفات الذات وهو الأصح[3] وعلى القول الأول من صفات الفعل.

وأما {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فاشتقاقه من الرحمة وهي[4] النعمة على المحتاج قال الله تعالى[5]: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)} [الأنبياء]، أي نعمة عليهم، وإنما سميت النعمة رحمة لحدوثها عنها. والرحمن: أشد مبالغة من الرحيم لأن الرحمن يتعدى لفظه ومعناه، والرحيم يتعدى معناه ولا يتعدى لفظه، وكذلك تسمى قوم بالرحيم ولم يتسم أحد بالرحمن فكانت الجاهلية تسمي الله تعالى به قال الشنفري:

ألا ضربت تلك الفتاة هجنها ألا ضرب الرحمن ربي يمينها

وقيل: إن الرحمن ذو الرحمة، والرحيم الراحم.

قوله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)}: أما الحمد فهو الثناء على الرجل بجميل صفاته وأفعاله، والشكر الثناء عليه بإحسانه وإنعامه،

---

[1]ـ هناك كلمة في نخ (هـ) لم تبن، وقد ألغيت في نخ (ح) ولم يبن الكلام بعدها إلا بهذه الزيادة والتغيير لأنه كان في النسخة هكذا فعلى هذا صوابه يكون صفة لازمة ..إلخ.

[2]ـ نخ (ح) : لأنهم قد عبدوها.

[3]- نخ (هـ) : وهو أصح.

[4]- نخ (ح) : وهو .

[5]- نخ (هـ) : قال الله تبارك وتعالى .

سورة الفاتحة

وكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً فهذا فرق ما بين الحمد والشكر، ولذلك جاز أن يحمد الله نفسه ولم يجز أن يشكرها.

فأما الفرق بين الحمد والمدح فقد يكون على فعل وغير فعل، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً، ولهذا جاز أن يمدح الله على صفة بأنه عالم قادر، ولم يجز أن نحمده به لأن العلم والقدرة من صفات ذاته لا من صفات فعله، ويجوز أن يمدح ويحمد بأنه خالق رازق لأن الخلق والرزق من صفات فعله لا من صفات ذاته. ورفع الحمد على الابتداء وخبره لله، وقد يحتمل النصب على المصدر فيقال (الحمدَ لله).

وأما قوله تعالى: {رَبِّ} فيحتمل أربعة أوجه؛ أحدها: أنه مشتق من المِلْكِ كما يقال: رب الدار أي مالكها.

والثاني: مشتق من السيد لأن السيد يسمى رباً قال الله عز وجل: {أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} [يوسف:٤١]، أي سيده.

والثالث: أنه المدبر ومنه: {وَالرَّبَّانِيُّونَ} [المائدة:٤٤]، أي العلماء وسموا بذلك لقيامهم بتدبير الناس، وقيل: ربة البيت لأنها تدبره.

والقول الرابع: أنه مشتق من التربية، ومنه قوله تعالى: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ} [النساء:٢٣]، وسميت بذلك الربيبة لتربية الزوج لها؛ فإن جعل معنى رب بأنه سيد ومالك كان[1] من صفات الذات وإن جعل من التدبير للخلق والتربية كان من صفات الفعل.

ومتى أدخلت الألف واللام عليه اختص اللهُ سبحانه به دون عباده، وإن حذفا [منه][2] صار مشتركاً بين الله تعالى وبين عباده. وإنما كسر[1] (رب)

[1] نخ (ح) : فهو من صفات ..إلخ.

[2] زيادة من نخ (هـ) .

لأنه وصف الله والوصف يتبع الموصوف.

وأما {الْعَالَمِينَ} فهو جمع عالم لا واحد له من لفظه مثل: رهط، وقوم، ونفر، وأهل كل زمان عالم، قال العجاج:

فخندف في هامة هذا العالَم

واختلف في العالم على ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أن العالم عبارة عمن يعقل من الملائكة والإنس والجن وهو قول جيد. والثاني: أن العالم الدنيا وما فيها. والثالث: أن العالم كل ما خلقه الله سبحانه في الدنيا والآخرة، وهذا قول جيد.

وفي اشتقاقه وجهان؛ أحدهما: أنه مشتق من العلم وهذا تأويل من جعل العالم عبارة عمن يعقل. والثاني: أنه مشتق من العلامة لأنه دلالة على خالقه وهذا تأويل من جعل العالم اسماً لكل مخلوق.

قوله عز وجل: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)}: أما الذي روينا عن عاصم عن عبدالرحمن السلمي عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-: مالك، وفي اشتقاقه وجهان؛ أحدهما: أن اشتقاقها من قولهم: ملكت العجين إذا عجنته بشدة، والثاني: أن اشتقاقها من القدرة قال الشاعر:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

والفرق بين المالك والملك من وجهين أحدهما: أن المالكَ من كان خاص المِلْك، والمِلكَ من كان عام المِلْك. والثاني: أن المالك من اختص

---

[1]- نخ (ح): وإن كسرت رب لأنه ..إلخ.

بنفوذ الإمرة، وفي أيهما أبلغ ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أن الملك أبلغ في المدح من المالك؛ لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك. والثاني: أن مالك أبلغ من ملك في المدح لأنه قد يكون على من لا يملك كما يقال: ملك العرب وملك الروم وإن لم يكن يملكهم ولا يقال: مالك، وهو مالك إلا وصح ملكه. والثالث: أن مالك أبلغ في مدح الخلق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك، والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك وإذا كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً وإن وصف الله سبحانه بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته وإن وصف بأنه مالك كان من صفات فعله.

قوله عز وجل: {يَوْمِ الدِّينِ}: ففي الدين تأويلان أحدهما: [أنه][1] الجزاء، والثاني: الحساب، وفي أصل الدين في اللغة قولان أحدهما: أنه العادة ومنه قول المثقف العبدي:

تقول وقد ذرأت لها وضيني ... أهذا دينه أبداً وديني

أي من عادته وعادتي.

والثاني: أن أصل الدين الطاعة ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

لئن حللت نحو في بني أسد ... في دين عمرو وحالت دوننا فدك

أي في طاعة عمرو، وهذا اليوم هو عبارة عن ضياء يستديم إلى أن يحاسب الله عباده فيستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

وفي اختصاصه بملك يوم الدين تأويلان أحدهما: أنه ملك يوم ليس فيه

---

[1]- زيادة من نخ (هـ) .

ملك سواه فكان أعظم من ملك الدنيا، والثاني: أنه لما قال: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} يريد به ملك الدنيا قال بعده: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} يريد به ملك الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة.

قوله عز وجل: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)}: أما قوله عز وجل {إِيَّاكَ} كناية عن اسم الله تعالى مضاف إلى الكاف وهذا قول جيد، والثاني[1] أنها كلمة واحدة كنى بها عن اسم الله تعالى وليس فيها إضافة لأن المضمر لا يضاف. وقوله {نَعْبُدُ} فيه ثلاثة تأويلات أحدها: أن العبادة الخضوع فلا يستحقها إلا المنعم بأصول[2] النعم كالحياة والقدرة والسمع والبصر، والثاني: أن العبادة الطاعة، والثالث: أنها التقرب بالطاعة والأولى أظهرها لأن النصارى عبدت عيسى -عَلَيْه السَّلام- ولم تطعه والنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- مطاع وليس بمعبود بالطاعة.

قوله عز وجل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}..إلى آخرها، أما قوله: اهدنا، فمعناه أرشدنا ودلنا. وأما الصراط ففيه تأويلان أحدهما: أنه السبيل المستقيم، ومنه قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

والثاني: أنه الطريق الواضح ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ} [الأعراف:٨٦]، وقال الشاعر:

تصد عن نهج الصراط القاصد

---

[1]- نخ (ح): وأما الثاني.
[2]- نخ (هـ): بأعظم.

سورة الفاتحة

وهو مشتق من مسترط الطعام وهو ممره في الحلق. وفي الدعاء بهذا ثلاثة تأويلات أحدها: أنهم طلبوا استدامة الهداية وإن كانوا قد هُدُوا. والثاني: يجوز أن يكون استزادة على هدايتهم. والثالث: أنهم دعوا بها إخلاصاً لله فيه[1] ورجاء لثواب الدعاء والطلبه.

والصراط المستقيم هو كتاب الله سبحانه ورسوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ووصيه ومن تبعهما من ذريتهما سفينة النجاة والفوز من المهواة.

وأما قوله: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ(٧)}: فقد روي عن عدي بن حاتم، عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: سألت عن المغضوب عليهم؛ فقال -عَلَيْه السَّلام-: ((هم اليهود)) ولا الضالين؟ قال: ((هم النصارى)) والغضب من الله سبحانه الانتقام لأن أصل الغضب الغلظة وهذه صفة لا تجوز على الله سبحانه، والضلال ضد الهدى.

---

[1]- نخ (هـ): إخلاصاً للرغبة ورجاء ..إلخ.

[تفسير سورة البقرة]

سورة البقرة مدنية إلا آية واحدة .

بسم الله الرحمن الرحيم: وهي قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} [البقرة:٢٨١]، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع.

قوله عز وجل: {الم(١)}: الذي يعول عليه في هذا الباب مع كثرة ما تكلم فيه الناس أنه هجاء أعلم الله تعالى به العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف كلامهم هذه التي منها بني كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم.

قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ}: المعني بالخطاب في هذا الموضع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أي ذلك الذي ذكرته في التوراة والإنجيل هو الذي أنزلته عليك يا محمد، ويحتمل أن يكون الخطاب لليهود والنصارى أي أن ذلك الكتاب الذي وعدتكم به هو هذا الذي أنزلته على محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقد استعمل (ذلك) في الإشارة إلى غائب كما قال رؤبة:

أقول له والرمح باطن متنه　　　تأمل حقاً إنني أنا ذلكا

قوله تعالى: {لَا رَيْبَ فِيهِ}: أي لا شك كما قال عبدالله بن الزبعرى:

ليس في الحق يا أميمة ريب　　　إنما الريب ما يقول الجهول

ويجوز أن يكون الريب بمعنى التهمة كقول[1] جميل:

بثينة قالت يا جميل أربتنا　　　فقلت كلانا يا بثين مريب

---

[1]ـ نخ (هـ): كما قال .

سورة البقرة

قوله تعالى: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(٢)}: يعني به هدى من الضلالة ، والمتقون هم الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم، وفي أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين واثنتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة في نعت المنافقين . وفي المتقين وجه آخر: وهو أنهم الذين يخشون عقوبة الله سبحانه ويرجون رحمته.

وقوله عز وجل: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}: أصل الإيمان من الأمان وإنما سمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه بالطاعة من عقاب الله تعالى، وحقيقة الإيمان عندنا : هو العقد بالجَنَان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

وأما تفسير الغيب فهو تصديقهم لما غاب عنهم بما وعد الله سبحانه أهل طاعته من الدرجات وأوعد أهل معصيته من الدركات، وكالبعث والنشور والوقوف والحساب وسائر أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}: فيه تأويلان أحدهما: أداؤها بفروضها. والثاني: إقامة أركانها من الركوع والسجود والقراءة، وإنما سمي فعل الصلاة إقامة لها وهي من تمام[1] الشيء يقال: قام فلان بالأمر إذا أتمه ويجوز أن يقال: إقامة لها لما فيها من القيام كما يقال: قد قامت الصلاة.

قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣)}: أصل الإنفاق الإخراج ومنه قوله: نفقت الدابة إذا خرج روحها وسمي النافقا لجحر اليربوع لخروجها منه ومنه سمي المنافق لأنه يخرج من الدين ويظهر خلاف ما يبطن فالوجه أنها محكمة إذا أريد بها نفقة الرجل على عياله وأهله وماله، وإن حملت على

---

[1]- نخ (ح): وهي من يقوم الشيء . ونخ (هـ): وهي من تقويم الشيء . والكلمة التي أثبتها وجدتها في نخ (هـ) تحت علامة الظن وهي الموافقة للكلام والله أعلم.

الإنفاق في وجوه المبار والمصالح كانت منسوخة بآية الزكاة[١].

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤)}: أما قوله: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يعني القرآن، {وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} معناه التوراة والإنجيل مدحهم الله تعالى على تصديقهم بكتب الأنبياء -عليهم السلام- بخلاف ما فعلت اليهود والنصارى حيث آمنت بالبعض وكفرت بالبعض.

وقوله: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} يعني بالدار الآخرة ويجوز بالنشأة الآخرة، وفي تسميتها بالدار الآخرة لأنها متأخرة عن الدنيا والدار الأولى.

قوله: {يُوقِنُونَ} أي يعلمون فسمى العلم يقيناً.

وقوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ}: أي على بيان ورشد.

وقوله: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥)} والمفلحون هم الفائزون السعداء، ومنه قول لبيد:

لو أن حياً مدركاً لفلاح ... أدركه ملاعب الرماح

وهم الذين قطع لهم بالخير لأن الفلاح في كلام العرب القطع وقيل للأكّار فلاّح لأنه يشق الأرض وقد قال الشاعر:

لقد علمت يا ابن أم ضحضح ... أن الحديد بالحديد يفلح

والمراد بهذه الآية المؤمنون بالغيب من العرب والمؤمنون بما أنزل على محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وعلى من قبله من الأنبياء من غير العرب.

قوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

[١]ـ الأولى أنها مجملة تبينها آية الزكاة . تمت من هامش نخ (هـ).

سورة البقرة

تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٦)}: وأصل الكفر عند العرب التغطية ومنه قوله تعالى: {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد:٢٠]، يعني الزراع لتغطيتهم البذر في الأرض، قال لبيد:

في ليلة كفر النجومَ غمامُها

أي غطاها، فسمي [به][1] الكافر بالله لتغطيته نعم الله بجحوده. وأما الشرك فهو في حكم الكفر وأصله من الإشراك في العبادة والآية في عامة المشركين من أهل الكتاب وغيرهم.

قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٧)}: الختم الطبع وفي هذا الموضع معناه معنى الحكم، وقيل: إن الختم هو السمة والعلامة تعرف الملائكة بها الكافرين، وهذا إخبار من الله عز وجل عن كفرهم وإعراضهم عن سماع ما دُعوا إليه من الحق تشبيهاً بمن قد انسد سمعه وختم على قلبه فلا يدخل خير من الله تعالى لقلوبهم وهو حكم منه تعالى على قلوبهم أنها لا تعي الذكر ولا تقبل الحق وعلى أسماعهم بأنها لا تصغي إليه والغشاوة تعاميهم عن الحق كالذي يغشى الناظر من قتام أو ظلام أو غيره، وسمي القلب قلباً لتقلبه بالخواطر، قال الشاعر:

ما سمي القلب إلا من تقلبه ... والرأي يصرف والإنسان أطوار

قوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا

---

[1]- زيادة من نخ (هـ).

أَنْفُسَهُمْ}: يعني المنافقين يخادعون رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والمؤمنين بأن يظهروا من الإيمان خلاف ما يبطنون له من الكفر لأن أصل الخديعة الإخفاء ومنه مخدع البيت الذي يخفى[1] منه وجعل خداعهم لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- خداعاً له لأنه دعاهم برسالته وما يخادعون إلا أنفسهم ورجوع وباله عليهم.

{وَمَا يَشْعُرُونَ(٩)}: [يعني][2] وما يفطنون ومنه سمي الشاعر لفطنته لما لا يفطن غيره ومنه قولهم: ليت شعري.

قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}: أي شك ونفاق وغم ومنه قول الشاعر:

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى صدورهم تغلي علي مراضها

وأصل المرض الضعف يقال مرّض في قوله أي ضعفه وإنما غمهم بظهور النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله- على أعدائه، {فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} أي بما ينزله على رسوله من الفرائض والحدود والأحكام، {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(١٠)} يعني مؤلماً.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} والفساد في هذا الموضع فعل ما نهى الله عز وجل عنه وتضييع ما أمر بحفظه والإعراض عن مبالاة الكفار[3] والفساد هو العدول عن الاستقامة وهذه الآية نزلت في المنافقين. {قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١١)} وذلك أنهم ظنوا أن في مبالاة الكفار صلاحاً لهم وليس كما ظنوا لأن الكفار لو ظفروا بهم لم يبقوا

---

(١)- نخ (هـ): الذي يُخفى فيه .
(٢)- زيادة من نخ (هـ).
(٣)- نخ (ح): الفساق .

سورة البقرة

عليهم فلذلك قال: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(١٢)}.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ} والناس هم أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، والسفهاء جمع سفيه وأصل السفه الخفة مأخوذ من قولهم: ثوب سفيه إذا كان خفيف النسج فسمى خفة الحلم سفهاً قال السموءل:

نخاف أن يسفه أحلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} فيه قولان أحدهما أنهم رؤساء اليهود، والثاني رؤساؤهم في الكفر الذين يأمرونهم بالتكذيب برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وفي قوله: {إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} أي مع شياطينهم كما قال: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [آل عمران:٥٢]، أي مع الله، ويقال: خلوت إلى فلان إذا جعلته غايتك في حاجتك.

وأما الشيطان ففي اشتقاقه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه (فيعال) من شطن أي بَعُد ومنه قولهم: نوى شطون أي بعيدة، وشطنت داره أي بعدت وسمي شيطاناً لبعده من الخير وإما لبعد مذهبه في الشر فعلى هذا النون فيه أصلية.

والقول الثاني: إنه مشتق من شاط يشيط إذا هلك كما قال الشاعر:

وقد يشيط على أرماحنا البطل

أي يهلك فهذا تكون النون زائدة. والقول الثالث: أنه (فعلان) من الشيط وهو الاحتراق كأنه سمي بما تؤول إليه حاله وقالوا: إنا معكم على

ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة إنما نحن مستهزئون أي ساخرون بما نظهره من التصديق والموافقة.

قوله عز وجل: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} معناه يجازيهم على استهزائهم فسمي الجزاء على اسم المجازى عليه كما قال: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤]، وليس الجزاء اعتداء.

قوله تعالى: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٥)} فيه تأويلان أحدهما: يملي لهم. والثاني: يزيدهم يقال: مددت وأمددت، وقيل: مددت فيما كان من الشر وأمددت فيما كان من الخير، وقيل: مددت فيما كان زيادته منه، وأمددت فيما كان زيادته من غيره كقوله: أمددت الجيش بمدد، وأمد الجرح لأن المدة من غيره، و{فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الطغيان مجاوزة القدر[1] يقال: طغى الماء إذا تجاوز قدره قال الله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ(١١)} [الحاقة]. {يَعْمَهُونَ} فيه ثلاثة أوجه أحدها: يترددون ومنه قول الشاعر:

حيران يعمه في ضلالته ... متردداً لشرائع الظلم

والثاني: معناه يتحيرون قال رؤبة بن العجاج:

ومهمه أطرافه في مهمه ... أعيى الهدى بالجاهلين العمه

والثالث: يعمهون عن رشدهم قال الأعشى:

أراني قد عمهت وشاب رأسي ... وهذا الشيب شين للكبير

---

(١)- نخ (ج): مجاوزة المقدار.

سورة البقرة

قوله عز وجل: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى} أي استحبوا الكفر على الإيمان فعبر عنه بالشراء لأن الشراء يكون فيما يستحبه مشتريه فإما أن يكون على شراء المعاوضة فلا لأن المنافقين لم يكونوا قد آمنوا فيبيعوا إيمانهم.

{فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(١٦)}: إلى التجارة التي اهتدى إليها المؤمنون وقيل إن التاجر قد لا يربح وقد يكون على هدى في تجارته نفى الله تعالى عنهم الأمرين جميعاً من الربح والاهتداء مبالغة في ذمهم.

قوله عز وجل: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} المثل بالتحريك مستعمل في الأمثال المضروبة والمثل –بسكون الثاء– مستعمل في الشيء المماثل لغيره. قوله: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} والمراد به أوقد فدخلت السين زائدة ويجوز أن يكون المراد به استوقد من غيره والنار مشتقة من النور، {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} يقال: ضاءت في نفسها وأضاءت ما حولها، قال الشاعر:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقوله: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} فيه وجهان أحدهما: نور المستوقد لأنه في معنى الجمع، والثاني: بنور المنافقين لأن المثل مضروب فيهم وذهاب نورهم يكون في الآخرة وذلك سمة لهم يعرفون بها، وقوله: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(١٧)} أي لم يأتهم بعد نفاقهم وجحودهم بضياء

يبصرون به ويجوز أنه لم يخرجهم منه كما يقال تركهم[1] في الدار إذا لم يخرجهم منها، وكان ما حصلوا فيه من الظلمة بعد الضياء أسوأ حالاً لأن من طفيت عنه النار حتى صار في ظلمة فهو أقل بصراً ممن لم يزل في الظلمة وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين وفيما كانوا فيه من الضياء بالإسلام وحصلوا فيه من الظلمة بالنفاق.

قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(١٨)} وهو جمع أصم وأبكم وأعمى، وأصل الصمم الانسداد يقال: قناة صماء إذا كانت غير مجوفة، وصممت القارورة إذا سددت رأسها فالأصم من انسدت خروق مسامعه.

وأما البكم ففيه أربعة أقاويل أحدها أنه آفة في اللسان لا يتمكن معها أن يعتمد به على مواضع الحروف. والثاني: وهو أن يولد أخرس. والثالث: أنه المسلوب الفؤاد. والرابع: هو من جمع بين سلب الفؤاد وآفة[2] في اللسان، معنى قوله صم عن استماع الحق بكم عن التكلم وإن لم تكن لهم هذه الآفات كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع

قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} أما الصيب فهو المطر وقد قيل هو السحاب وهو من صاب يصوب كما قال الشاعر:

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن دبيب
فلا تعدلن بيني وبين معمر سقيت غوادي المزن حين تصوب

---

(١)- نخ (هـ): كما يقال تركه في الدار إذا لم يخرجه منها .

(٢)ـ نخ (هـ): والآفة في اللسان .

سورة البقرة

وقوله: {فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ} قيل إن الرعد هو اختناق الريح تحت السماء، والثاني: أنه صوت اصطكاك أجزاء الهواء، والثالث: أنه صوت ملك يسوق السحاب كسوق الراعي للغنم. والبرق: هو ضرب ذلك الملك للسحاب بمخراق من النور، هذا رويناه عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-. والثاني: أنه ما ينقدح من اصطكاك أجرام الهواء من النار.

والصواعق هي جمع صاعقة وهو الشديد من صوت الرعد تقع معه قطعة من النار لتحرق ما أتت عليه وهذا مثل وذلك أن الله سبحانه شبه القرآن بالماء النازل من السماء وما فيه من الظلمات بما فيه من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من البيان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد في الآجل والدعاء إلى الجهاد في العاجل.

قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} يكاد : يقارب . ويخطف : يسلب بسرعة، {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} وهذا مثل ضربه الله للمنافقين وفيه تأويلان أحدهما: كلما أضاء لهم الحق تبعوه وإذا أظلم عليهم بالهوى تركوه. والثاني: كلما أصابوا في الإسلام خيراً اتبعوه وإن لم يصيبوا رفضوه وقعدوا عن الجهاد، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} والمراد بالسمع الأسماع وإن كان اللفظ للواحد كما قال: كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص ؛ أراد بطونكم.

[فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا][1] وفي الأنداد ثلاثة تأويلات أحدها: أنها

---

[1]- زيادة ليبين الكلام ؛ تمت.

الأكفاء، والثاني: الأشباه، والثالث: الأضداد، {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٢)} أن لا ند ولا ضد ويحتمل وأنتم تعلمون أن الله خلقهم[١] ويحتمل أن يكون العلم هاهنا بمعنى العقل أي وأنتم تعقلون.

وقوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا} يعني القرآن {عَلَى عَبْدِنَا} محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والعبد مأخوذ من التعبد وهو التذلل ويقال: طريق معبد أي مذلل قال طرفة:

فوق مورد معبد

أي مذلل.

قوله: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} أي من مثل [هذا][٢] القرآن ويجوز أن يكون من مثل محمد لأن محمداً بشر مثلكم. {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} أي أعوانكم، ويحتمل وجهاً ثانياً وهو أن المراد وادعوا آلهتكم لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم ويجوز: وادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بما تقولون.

قوله: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} والوقود بفتح الواو الحطب والوقود بضم الواو الموقد والحجارة من كبريت أسود وفيه تأويلان أحدهما: أن الحجارة والناس وقود للنار يعذبون بهما، والثاني: أن الحجارة وقود للناس والناس يعذبون بها وكلا القولين جيد وفيها مبالغة في العذاب[٣].

وقوله: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(٢٤)} وهي نار واحدة للكافرين وغيرهم من مستحقي العذاب وإنما يتفاضل عقابهم بقدر معاصيهم، وقيل: إن هذه

---

(١)- نخ (هـ): أن الله خلقكم .

(٢)- زيادة من نخ (ج).

(٣)- نخ (ج): وفيها مبالغة للعذاب .

سورة البقرة

النار الموصوفة للكافرين، ولغيرهم من العصاة نار أخرى.

قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} بشّر من البشارة وهو أول خبر يرد عليك ساراً وقد قيل فيما يغم أيضاً، والأول أصح وأظهر لكثرة استعماله واشتقاقه من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها عن أول خبر والجنات جمع جنة وهي البستان وسميت بذلك لأنها تستر بشجرها وقيل: الجنة البستان الذي فيه النخل وإن لم يكن فيه شجر غيره فإن كان فيه كرم فهو فردوس وإن لم يكن فيه شجر غيره. قوله تعالى: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أي [أن][1] أنهار الجنة تجري من غير أخدود.

قوله تعالى: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ} معنى ذلك أن الذي رزقناه من ثمار الجنة يحتمل أن يكون على ما ذكروا من ثمار الجنة كلما جنيت استخلف مكانها آخر يشبه ما جني أولاً حتى إذا رأوها قدروا أنها [هي][2] التي جنوها أولاً.

قوله: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} أي كله خياراً يشبه بعضه بعضاً في الجودة وليست كثمار الدنيا التي فيها الردي والخيار، والثاني: أنه يجوز أن يكون أراد أنها مثل ثمار الدنيا في اللون وإن اختلفت في الطعم، ويحتمل أن يكون مثل ثمار الدنيا في الطعم واللون. وقوله: {وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} يعني في الأبدان والأخلاق والأفعال فلا يحضن ولا يلدن ولا يذهبن إلى غائط وغيره.

قوله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا

---

[1]ـ زيادة من نخ (هـ).

[2]ـ زيادة من نخ (هـ).

فَوْقَهَا} أصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح وأما تفسيره في الآية فيجوز أن يكون بمعنى يترك ولا يخشى ولا يمتنع والبعوضة من صغار البق سميت بذلك لأنها كبعض البق وأصغرها وفي قوله: {مَا بَعُوضَةً} تأويلان أحدهما أن تكون بمعنى الذي، والثاني أن تكون (ما) زائدة كما قال النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

قوله: {فَمَا فَوْقَهَا} في الكبر ويحتمل أن يكون فما فوقها أي فما دونها في الصغر لأن الغرض المطلوب هو الصغر وفي هذا المثل وجهان أحدهما: أن هذا مثل ضربه الله لأهل الدنيا لأن البعوضة إذا كانت جائعة عاشت وإذا شبعت هلكت فكذلك أهل الدنيا إذا امتلوا رباً أخذهم الله سبحانه عند ذلك. والثاني: لما ذكر الذباب والعنكبوت وضربهما مثلاً قال أهل النفاق والضلالة ما بال الذباب والعنكبوت يذكران.

قوله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} أي يضل بالتكذيب بأمثاله كثيراً ويهدي بالتصديق بها كثيراً، ويحتمل أن يكون امتحنهم بأمثاله فضل بها قوم فجعلها ضلالاً[1] لهم واهتدى آخرون فجعلها هداية لهم.

قوله عز وجل: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} أما النقض فهو ضد الإبرام والعهد فيه تأويلان أحدهما الوصية والثاني الموثق . والميثاق ما وقع به التوثق والعهد هو وصية الله تعالى إلى خلقه وأمره إياهم بطاعته ونهيه إياهم عن معصيته.

قوله: {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} الذي أمر الله بوصله هو

(١)- نخ (هـ): إضلالاً.

سورة البقرة

رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقطعوه بالتكذيب والعصيان ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون المراد به الرحم والقرابة ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون عاماً في جميع ما أمر الله بوصله.

قوله {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} وفي وجه فسادهم في الأرض تأويلان أحدهما قطعهم للطريق وإخافتهم السبيل والثاني دعواهم الناس إلى الكفر، قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٢٧)} أصل الخسار النقصان ومنه قول جرير:

إن سليطاً في الخسار إنه ... أولاد قوم خلفوا إنه

عنى بالخسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم، ويحتمل أن يكون الخسار بمعنى الهلاك فيكون التقدير فأولئك هم الهالكون، وكلما نسبه الله سبحانه من الخسار إلى المسلمين فإنما أراد به الذنب وكلما نسبه إلى غيرهم فإنما أراد به الكفر.

قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} أي كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم فأحياكم أي أخرجكم من بطون أمهاتكم ويحتمل أن يكون: كنتم خاملي الذكر دارسي الأثر فأحياكم بالظهور والذكر ثم يميتكم عند انقضاء[1] آجالكم ثم يحييكم يوم القيامة واستشهد لهذا التأويل بقول الشاعر:

فأحييت من ذكري وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذكر أبين[2] من بعض

[1] ـ نخ (هـ): عند تقضي .
[2] ـ نخ (هـ): أنبه .

قوله: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ} أي استوى أمره وصنعه الذي صنع به الأشياء {إِلَى السَّمَاءِ} وخلقها، ويحتمل أن يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء والعلو والرفعة كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} في (إذ) وجهان أحدهما: صلة زائدة وتقديره: وقال ربك للملائكة، ومثله قول الأسود بن يعفر:

فإذا وذلك لا نهاة لذكره   والدهر يعقب صالحاً بفساد

والثاني: كلمة مقصودة وليست بزائدة وفي الآية تأويلان أحدهما: أنه لما ذكر خلقه ونعمته عليهم أذكرهم ما أنعم به على أبيهم آدم -عَلَيْه السَّلام- بقوله: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} والثاني: وهو أن يكون التقدير وابتداء خلقهم إذ قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة وكان هذا من المحذوف الذي دل عليه الكلام مثل قول الشاعر:

فإن المنية من يخشها   فسوف يصادفها أينما

يريد أينما ذهب. وأما الملائكة فهو جمع ملك واشتقاقه من المالكة وهي الرسالة قال الشاعر:

الكني إليها وخير الرسول   أعلمهم بنواحي الخبر

الألوك أيضاً الرسالة كما قال لبيد:

سورة البقرة

وغلام أرسله أمه بألوك فبذلنا ما سأل

والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الحيوان إلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون[1] ولا ينكحون ولا ينسلون وهم رسل الله لا يعصونه في صغير ولا كبير ولهم أجسام لطيفة لا يرون إلا إذا قوى الله أبصارنا على رؤيتهم.

وقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} اختلف في معنى جاعل على وجهين أحدهما: بمعنى خالق، والثاني: بمعنى فاعل، والجعل حقيقة نقل الشيء إلى صفته والإحداث إيجاد الشيء بعد العدم، والأرض قيل إنها مكة، وقيل: إن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله وسَلَّم- قال: ((دحيت الأرض من مكة)) ولذلك سميت أم القرى.

وأما الخليفة فهو القائم مقام غيره لقولهم: خلف فلان فلاناً، والخلَف بتحريك اللام من الصالحين وخلْف بتسكين اللام من الطالحين، وفي التنزيل: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} [الأعراف:١٦٩]، وفي الحديث: ((ينقل هذا العلم من كل خلَف عدوله)) وفي خلافة آدم في الأرض أن الله سبحانه استخلف آدم في أرضه وتخلفه ذريته بعده إذا مضى قرن جاء قرن إلى أن تقوم الساعة.

قوله تعالى: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} وهذا جواب من الملائكة وفيه تأويلان أحدهما أنه استفهام منهم لما قال الله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، والثاني: إيجاب وإن كان فيه ألف استفهام كما قال جرير:

---

[1]- نخ : ولا يشتهون .

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فعلى هذا في جوابهم قولان أحدهما أنهم قالوا ظناً وتوهماً لأنهم رأوا[1] أن الله سبحانه إن خلق خلقاً سواهم أفسدوا وأنهم ليسوا يكونون مثلهم في العصمة والتوفيق فأنكر الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠)}. والثاني: أنهم قالوه يقيناً لأن الله قد [كان][2] أخبرهم أنه يجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء وفي جوابهم بهذا أرادوا بقولهم استعظاماً لفعلهم أي كيف تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم قال: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠)} والسفك صب الدم خاصة دون غيره من الماء والمائع والسفح مثله إلا أنه يستعمل في كل مائع على وجه التضييع ولهذا سمي الزنا سفاحاً لتضييع مائه فيه.

قوله تعالى: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} التسبيح في كلامهم هو التنزيه من السوء على جهة التعظيم ومنه قول الأعشى:

أقول لما جاءني فُجْره سبحان من علقمة الفاجر

أي براءة من علقمة، والتسبيح لفظة مختص بالله لا يجوز إطلاقه على غيره من المخلوقين وفي قوله: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ} قولان أحدهما: نصلي لك كقوله تعالى: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣)} [الصافات]، أي من المصلين. والثاني: أن يكون هو التسبيح واستشهد

[1]- نخ (ج): رأوا أن خلق الله سبحانه وتعالى خلقاً سواهم أفسدوا .
[2]- زيادة من نخ (هـ).

سورة البقرة

بقول جرير:

قبح الإله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا إهلالا

وأما قوله: {وَنُقَدِّسُ لَكَ} فأصل التقديس التطهير ومنه قوله: {الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} [المائدة:٢١]، أي المطهرة؛ إنا ننزهك عن صفات لا تجوز عليك.

قوله تعالى: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠)} فيه وجهان أحدهما: أن المراد به علم الصالحين من ذرية آدم. والثاني: ما أضمره إبليس من الامتناع بسجود آدم والخروج من طاعة الله بذلك.

قوله تعالى: {وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} في تسميته بآدم قولان أحدهما: أنه سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وأديمها وجهها الظاهر. والثاني: أنه مشتق من الأُدْمة وهو اللون، أي علمه جميع الأسماء ومعانيها، والأسماء دلائل عليها.

قوله تعالى: {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} إذ لا فائدة في علم الأسماء بلا معاني فتكون المعاني هي المقصودة والأسماء المراد بها المتسمون وذلك أن الله صورهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم قبل خلقهم فقال: {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣١)} ومعنى قوله انبئوني أخبروني مأخوذ من الإنباء وفي الإنباء قولان أظهرهما الإخبار والنبأ الخبر والمنبئ المخبر والثاني أن الإنباء الإعلام وإنما يستعمل في الإخبار مجازاً.

قوله: {بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ} أي الأسماء التي علمها آدم، وقوله: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣١)} فيما زعمتم أن خلفائي يفسدون في الأرض وفيه وجه آخر وهو إن كنتم صادقين أني إن استخلفت فيها غيركم عصاني وإن

استخلفتكم سبحتموني وقدستموني، ويحتمل وجهاً ثالثاً في قوله إن كنتم صادقين فيما وقع في نفوسكم أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منه، ويجوز أن يكون بمعنى (إذ) فيكون إذ كنتم صادقين.

قوله تعالى: {أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٣٢)} هو العالم من غير تعليم وفي الحكيم[١] وجهان أحدهما: المحكم لأفعاله. والثاني: أنه المانع من الفساد ومنه سُميت حكمة الفَرَس لأنها تمنع من الجري وقال جرير:

أبني حنيفة أحكموا أسفاهكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

قوله تعالى: {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣)} ما تبدون هو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؛ وما كنتم تكتمون أن الله تعالى لا يخلق خلقاً إلا كانوا أكرم عليه منه.

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} وفي أمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بالسجود له تكرمة له وإجلالاً له، والثاني جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم [له][٢] وأصل السجود الخضوع والتطامن، قال الشاعر:

تجمع يظل الرق[٣] في حجراته ترى الاكم فيها سجداً للحوافر

وسمي سجود الصلاة سجوداً لما فيه من الخضوع فسجد الملائكة لآدم طاعة لله سبحانه وامتثالاً لأمره إلا إبليس أبى واستكبر فأما إبليس فلم

---

[١]ـ نخ (هـ): الحكمة .

[٢]- زيادة من نخ (هـ).

[٣]- نخ (هـ): بجمع يظل البلق في حجراته .

سورة البقرة

يكن من الملائكة وإنما هذا[1] الاستثناء منقطع ومثله كقوله تبارك وتعالى: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} [النساء:١٥٧]، واتباع الظن ليس من العلم بشيء.

واشتقاق إبليس من الإبلاس ومنه اليأس من الخير ومنه قوله: {فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(٤٤)} [الأنعام]، أي آيسون من الخير، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً ... قال نعم أعرفه وأبلسا

قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} أن الله سبحانه خلق حواء من بقية طينة آدم -عَلَيْه السَّلام- فأما تسميتها حواء ففيه قولان أحدهما: سميت بذلك لأنها خلقت من حي. والثاني: أنها إنما سميت لأنها أم كل حي، وقيل إن آدم -عَلَيْه السَّلام- لما دخل الجنة استوحش فخلق الله حواء ليسكن إليها. والجنة كانت في الأرض أعدها الله سبحانه لهما.

قوله عز وجل: {وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا} والرغد العيش الهنيء ومنه قول امرئ القيس:

بينما المرء تراه ناعماً ... ومن الأحداث في عيش رغد

وقيل إنه الواسع، وقيل إنه الحلال.

قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} قيل إن الشجرة التي نهيا عنها كانت البر وقد ورد في الخبر أنها كانت التين وقيل إنها كانت الكرم.

قوله تعالى: {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٥)} أي من المعتدين في أكل ما لم

---

[1] ـ نخ (ح) : وإنما كان هذا .

يبح لكما، ويحتمل أن يكون قوله من الظالمين لأنفسكما[1] في أكل المحظور، وأما معصية آدم فلم تكن عندنا من الكبائر وإنما كانت منه سهواً ونسياناً لقوله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ} [طه:١١٥]، وذلك لأن الأنبياء يلزمهم من التيقظ والتحرز ما لا يلزم غيرهم لعلو منازلهم وجلالة أخطارهم وإذا تشاغلوا من تذكر النهي تضييعاً وإغفالاً صاروا بذلك عاصين وقيل إنما أكلها على وجه التأويل وإهمال الدليل فصار بذلك عاصياً، لقوله تعالى: {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف:٢٢]، أي الذي صرفهما إليه من إضاعة الدليل، ووجه تأويله أنه حمل النهي على غير جهة التحريم، والثاني: أنه تأول على عين الشجرة دون جنسها وأنه إذا أكل من غيرها من الجنس لم يعص، والثالث: ما قال سبحانه وتعالى في قول إبليس: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(٢٠)} [الأعراف].

قوله تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} وقد روي (فأزالهما) وكلا القولين جيد أي نحاهما مما كانا فيه من الرغد ومعنى أزلهما استزلهما من الزلل وهو الخطأ، وأما الشيطان الذي ذكره الله سبحانه فلم يخلص إليهما ولم يباشرهما بالكلام وإنما أوقع الشهوة والوسوسة في قلوبهما من غير معاينة ولا مشاهدة لقوله: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} [الأعراف:٢٠].

قوله عز وجل: {اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} والهبوط بضم الهاء النزول، وبفتحها موضع النزول، وقيل: الهبوط الخروج من البلد، وقيل: الدخول فيه، وهو من الأضداد والخطاب توجه إلى آدم وحواء وكان بلفظ

---

(1)- نخ (ح): لأنفسهما .

سورة البقرة

الجمع وذلك في كلامهم لأن العرب تعبر عن الواحد والاثنين بعبارة الجمع وذلك في كلامهم موجود.

وأما لفظ العدو فيستعمل في الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والعداوة أصلها المجاوزة يقال: عداني هذا الأمر أي جاوزني، وقوله: {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} أي معاداة الشهوة والوسوسة.

قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} أي مواضع[1] قيامكم لقوله سبحانه: {جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا} [النمل:٦١]. {وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٣٦)}: والمتاع كلما استمتع به من المتاع ومنه سميت متعة الحج ومنه قوله تعالى: {وَمَتِّعُوهُنَّ} [البقرة:٢٣٦]: أي ادفعوا إليهن ما ينتفعن به، قال الشاعر:

وكل غضارة لك من حبيب ... لهى بك أو لهوت به متاع

والحين الوقت البعيد وحينئذ تبعيد والمراد به إلى حين ويحتمل أن يكون أجلاً[2] ضربه الله سبحانه لهم.

قوله تعالى: {فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} أما الكلمات فمأخوذ من التأثير في النفس بما يدل عليه من المعاني وأما الكلمات التي تلقى بها ربه فالذي صح عندنا قوله: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣)} [الأعراف]،وقيل إنه قال: (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين).

قوله تعالى: {فَتَابَ عَلَيْهِ} أي قَبِل توبته والتوبة الرجوع فهي من العبد

---

[1]- نخ (هـ): موضع مقامكم.

[2]- نخ (هـ): ويحتمل أن يكون إلى أجل ضربه الله سبحانه لهم.

رجوعه من الذنب بالندم والإقلاع وهي من الله تعالى على عبده رجوعه إلى ما كان من المغفرة.

فإن قيل: فلم قال: {فَتَابَ عَلَيْهِ} ولم يقل: فتاب عليهما لأن الذنب كان من آدم وحواء؟

ففيه جوابان أحدهما: أنه لما ذكر آدم وحده بقوله: {فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ} ذكر بعد قبول توبته ولم يذكر توبة حواء وإن كانت مقبولة التوبة لأنه لم يتقدم ذكرها. والثاني: أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما كما قال: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة:١١]، وكما قال: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} [التوبة:٦٢].

قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧)} أي كثير القبول للتوبة ولم يخرج الله آدم من الجنة وأهبط إلى الأرض عقوبة؛ لأمرين أحدهما: أن ذنبه كان صغيراً وإنما أهبطه تأديباً وتعظيماً[1] للمحنة.

قوله عز وجل: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} أما إسرائيل فهو يعقوب ومعنى إسر عبد، ومعنى ايل هو الله كما يقال: ميكائيل أي خاصة الله وجبرائيل كميل[2]، والذكر اسم مشترك فالذكر بالقلب ضد النسيان، والذكر باللسان ضد الإنصات، والذكر الشرف وقد مضى تفسيره ومعناه لا تغفلوا عن نعمتي التي أنعمت بها عليكم ولا تناسوها.

وفي النعمة التي أنعمها عليهم قولان أحدهما: خصوص نعمه التي أنعم

---

(١)- نخ : وتغليظاً .

(٢)- قال في هامش نخ (أ): هكذا في الأم .

سورة البقرة

بها على خلقه كما قال: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم:٣٤]، والثاني: وهو قول جيد أنه تعالى ذكرهم النعمة التي أنعم بها على آبائهم إذ نجاهم من آل فرعون وجعل منهم الأنبياء وأنزل عليهم الكتب وفجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى والنعم على الآباء نعم على الأبناء لأنهم يشرفون بشرف آبائهم.

وقوله: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} يحتمل وجهين أحدهما: أوفوا بعهدي الذي أخذت عليكم والعهد هو الميثاق وأن تؤمنوا وتصدقوا رسلي أوف بما وعدتكم إياه [من الجنة][1].

والثاني : أوفوا بما أمرتكم به أوف بما وعدتكم إياه .

قوله عز وجل: {وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ} يعني من القرآن على محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} يعني التوراة يعني مصدقاً بما في التوراة أنها من عند الله ويجوز أن يكون [معناه][2] مصدقاً لما في التوراة من ذكر القرآن وبعث[3] محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- نبياً.

قوله عز وجل: {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} أي بالقرآن، ويجوز: ولا تكونوا أول كافر بما في التوراة من ذكر محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله: {وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} أي علموا الناس بغير طمع تبغونه أو تطلبونه ويحتمل: ولا تأخذوا على تغييره وتبديله ثمناً[4]، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون معناه ولا تأخذوا على كتم ما فيه من ذكر محمد -

---

[1]- زيادة من نخ (هـ).

[2]- زيادة من نخ (هـ).

[3]- نخ (هـ): وبعثة .

[4]- نخ : بدلاً .

صَلَّى الله عَلَيْه وعلى آله وسَلَّم-.

قوله عز وجل: {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} يعني لا تخلطوا الحق بالباطل ومنه قوله: {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ(٩)} [الأنعام]، أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون، ومنه قول الحجاج:

لما عبثن الحق بالتجني ... عبثن واستبدلن زيداً مني

قوله: {الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} أي الصدق بالكذب، واليهودية والنصرانية بالإسلام.

قوله: {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} يعني نعت محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ومعرفة نبوته، {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٤٢)} أنه في الكتب التي بأيديكم.

قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أصل الصلاة في اللغة الدعاء، قال الشاعر:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً ... يا ربِّ جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... يوماً فإن لجنب الحي مضطجعا

أي مثل الذي دعوت وقد صارت في الشرع عبارة عن أفعال وإن لم يكن فيه دعاء فالاسم الشرعي[١] ليس فيه معنى اللغة. [وآتوا الزكاة][٢] وأما الزكاة ففي تسمية صدقة الأموال بها قولان أحدهما: أنه من تثمير المال وزيادته ومنه قولهم: زكى الزرع أي زاد، وزكى الفرد أي صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار شفعاً قال الراجز:

---

[١]- نخ (هـ): فالاسم شرعي.

[٢]- زيادة لتبيين الكلام.

سورة البقرة

فلا خسًّا عديده ولا زكى كما شرار البقل أطراف الشقا

الشقا شوك البهما والبهما الشوك الممدود مثل السلا يقال خسا الوتر وزكى الشفع، والقول الثاني: أنه مأخوذ من التطهير لقوله تعالى: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زاكيةً} [الكهف:٧٤]، يعني طاهرة من الذنوب أي أنها تطهر مالكها من مآثم المنع.

قوله تعالى: {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣)} يحتمل وجهين أحدهما المراد به الصلاة يقال: فرغت من ركوعي أي من صلاتي. والثاني: أراد الركوع الذي من الصلاة لأنه لم يكن من صلاة أحد من أهل الكتاب وأصل الركوع في اللغة قولان أحدهما: التطامن والانحناء كما قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلما قمت أركع

والثاني: أنه مأخوذ من المذلة والخضوع قال الشاعر:

لا تذل الكريم علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} فيه ثلاثة أقاويل أحدها: أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يعصونه والبر هاهنا الطاعة كما قال الشاعر:

لا هم إن آل بكر دونكا يبرك الناس ويفجروكا

أي يطيعونك. والثاني: أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يعصونه بالتمسك بكتابهم وهم يجحدونه بكتمان ما فيه من نبوة النبي صَلَّى

الله عَلَيْه وآله وسَلَّم. والثالث: أنهم كانوا يأمرون بالصدقة وهم يظنون بها.

قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} فأما الصبر فهو حبس النفس عما تنازع إليه ومنه: صبر صاحب المصيبة وهو أن يحبس نفسه عن الجزع ومنه سمي الصوم صبراً لأنه يحبس نفسه عن الطعام والشراب، وسمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك فيمن أمسك رجلاً حتى جاء آخر فقتله فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك وفي الصبر المأمور به قولان أحدهما: أنه الصبر على ما أمر به من الطاعة والكف عن المعصية. والثاني: الصيام وكان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إذا أحزبه أمر استعان بالصيام والصلاة، وروي أنه -عَلَيْه السَّلام- رأى سلمان مضطجعاً على وجهه فقال له: ((يا سلمان (أبينكم تدور)[1] قم فصل فإن الصلاة شفاء)).

وأما قوله: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ(٤٥)} أي إنها ثقيلة إلا على المؤمنين والمراد الصلاة وتحتمل وجهاً آخر وهو أن المراد به الصوم والصلاة وإن عادت الكناية إلى الصلاة لأنها أقرب مذكور كقول الشاعر:

فمن يك أمسى في المدينة رحله وإني وقيام بها لغريب

والخشوع في اللغة التواضع نظير الخضوع وقيل: إن الخضوع في البدن والخشوع في البصر والصوت لقوله: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا(١٠٨)} [طه]،وقوله: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} [القلم:٤٣]، وهذا أوضح.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} لإشفاقهم من المعاصي التي كانت منهم، والثاني: أن يكون الظن بمعنى العلم واليقين وكأنه قال:

---

[1]- المعروف أشكن دردم بالفارسية ومعناه : أبطنك يؤلمك . تمت.

سورة البقرة

الذين يتيقنون أنهم ملاقوا ربهم وذلك مثل قوله: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)} [الحاقة]، أي علمت وأيقنت كما قال أبو داود:

رُبَّ هم فرجته بغريم وغيوب كشفتها بظنون

وقال آخر:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

{وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(٤٦)} فيه تأويلان أحدهما إلى الموت، والثاني إلى الحياة بالنشأة بعد الموت.

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} أي لا تغني كما يقال: البقرة تجزي عن سبعة أي تغني، ويحتمل وجهاً آخر وهو معناه لا تقضي يقال: جزى الله فلاناً عني خيراً أي قضاه، {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ} أي لا شفاعة لأحد في إسقاط العقاب وتخفيف العذاب وهذا دليل على من جوز إسقاطه، وقوله: {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} والعدل بفتح العين الفدية وبكسرها المثل.

قوله: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ} يعني قومه ومن يؤول إليه أمره في نسب أو صحبة قيل إن اسم فرعون ذلك الملك بعينه وقيل اسم كل ملك من ملوك العمالقة مثل قيصر الروم وكسرى الفرس وأن اسم فرعون موسى الوليد بن مصعب.

قوله تعالى: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} أي يولونكم وقد قيل يجشمونكم الأعمال الشاقة.

قوله تعالى: {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} هو استفعال من الحياة لأنهم كانوا

يذبحون الذكور ويستبقون الإناث والنساء اسم ينطلق على الصغار والكبار وقيل: بل ينطلق على الكبار دون الصغار وإنما كان استبقاء النساء من سوء العذاب لأنهم يستبقونهم للاسترقاق والخدمة والبذلة والمهنة فصار ذلك سوء العذاب لا الاستبقاء.

{وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ(٤٩)} فيه تأويلان ؛ أحدهما: أنه فيما كانوا يفعلون بهم من سوء العذاب من ذبح الأبناء واستحياء النساء شدة وجهداً عظيماً .

والثاني : في إنجائهم من آل فرعون الذين كانوا يفعلون ذلك بهم نعمة من ربهم عظيمة؛ وأصل البلاء الاختبار بالخير والشر وقد يكون الاختبار بالشر كما يكون بالخير كما قال عز وجل: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥]، غير أن الأكثر في الشر أن يقال: بلوته أبلوه بلا، وفي الخير ابتليته بلاء ومن ذلك قول زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين المعنيين.

قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ} فيه تأويلان أحدهما فصلنا لأن الفرق يفصل بين شيئين فرق البحر اثني عشر طريقاً وكان عدتهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعد فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وذلك قوله: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)} [الشعراء].

والثاني: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ} أي ميزنا وأصل الفرق التمييز بين الشيئين والفرقة من الناس الطائفة المتميزة من غيرهم وسمي البحر بحراً

سورة البقرة

لسعته وانبساطه ومنه يقال تبحر في العلم إذا اتسع والبحيرة الناقة تشق أذنها شقاً واسعاً. {فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ} وقد كان غرق معهم لأنه علم دخوله فيهم، {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(٥٠)} إلى فرق البحر حتى سلكوا فيه وانطباقه على آل فرعون.

قوله تعالى: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} أما موسى فاسم يجمع بين كلمتين وهو ماء وشجر و(مو) هو الماء، و(سا) هو الشجر وإنما سمي بذلك لأن أمه خافت عليه فجعلته في التابوت وألقته في اليم كما أوحي إليها ألقاه بين أشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدنه فسمي باسم المكان، وأما نسبه فهو: موسى بن عمران بن فاهت بن لاوي بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله.

قوله عز وجل: {أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} قال له بنو إسرائيل أليس قد وعدتنا أن تأتينا بكتاب من الله عز وجل فوعده الله أربعين ليلة ووعد بها بني إسرائيل، وقيل الأيام الموعودة هي القعدة وعشر من ذي الحجة ثم اقتصر على الليالي فصارت الأيام لها تبعاً لأن أقل الشهور الليالي.

قوله تعالى: {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ} يعني اتخذتموه إلهاً من بعد خروج موسى إلى الميقات واستخلف عليهم هارون وسبب ذلك أن السامري كان من قوم يعبدون البقر فكان حب ذلك في نفسه بعد إظهار الإسلام حتى فصل موسى إلى ربه وخلف هارون في بني إسرائيل فقال لهم هارون: قد تحملتم أوزاراً من زينة القوم يعني أمتعة وحلياً من زينة القوم فتطهروا منها فإنها نجس وأوقدوا ناراً فأمرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا فأقبل السامري إلى النار ورمى فيها القبضة التي قبضها من أثر الرسول فحسبوه قد رمى بالحلي فلما فرغ الناس من رمي ما كان صاغ من حليهم

عجلاً جسداً له خوار، وذلك أنه سوى فيه مخاريق تدخل فيه الريح فسمع له خوار ثم إنهم عكفوا على العجل يعبدونه فقال لهم هارون من قبل: {يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي(٩٠)قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى(٩١)} [طه].

قوله تعالى: {وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ} أما (إذ) فاسم للوقت الماضي وإذا اسم للوقت المستقبل، والكتاب هو التوراة والفرقان وذكره باسمين، ويحتمل أن يكون الفرقان الفرق بين الحق والباطل فيكون ذلك نعتاً للتوراة، وقيل: الفرقان هو انفراق البحر لبني إسرائيل حتى يعبروا فيه.

قوله تعالى: {فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ} يعني فارجعوا إلى طاعة ربكم الباري الخالق والبرية الخلق وهي فعيلة بمعنى مفعولة غير أنها لا تهمز .

قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} فيه ثلاثة تأويلات أحدها: فليقتل بعضكم بعضاً، والثاني: فاستسلموا للقتل والاستسلام للقتل يقال له القتل هو إماتة الحركة يقال: قتلت الخل إذا مزجته بالماء لتذهب حدتها وحركتها، قال الشاعر:

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها وحب بها مقتولة لم تقتل

وإنما جعل القتل توبة لهم لأن من كف عن الإنكار لعبادة العجل إنما كف مخافة القتل والقتال فجعل توبتهم إيجاب نفس ما أشفقوا منه، وورد في الخبر أن الذين كانوا قد عبدوا العجل احتبوا وجلسوا والذين لم يعبدوا قاموا ولحقتهم ظلمة فضل بعضهم يقتل بعضاً حتى انجلت عن سبعين ألف قتيل في ساعة من نهار وكانوا ينادون في تلك الحال: رحم الله عبداً

سورة البقرة

صبر حتى يبلغ الله رضاه؛ فحزن موسى وبنوا إسرائيل لذلك فأوحى الله عز وجل إلى موسى: لا يحزنك ما رأيت أما من قتل فأحياء عندي يرزقون فأما من بقي فقد قبلت توبته.

قوله تعالى: {حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} والجهرة الظهور ومنه الجهر بالقراءة إنما هو إظهارها والمجاهرة بالمعاصي المظاهرة بها، {..فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ..} يعني الموت وما نزل بكم {..وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(٥٥)}.

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٥٦)} يعني الذين أخذتهم الصاعقة بعثهم الله من بعد موتهم السبعون الذين اختارهم موسى لميقاته ويسمعوا مناجاة بعد أن تاب عن من عبد العجل {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ} أي أحييناكم لتستكملوا حالكم.

قوله تعالى: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ..} وهو كلما غمى السماء فغطاها من سحاب أو قتام وكل مغطى فهو مغموم ومنه غم الهلال إذا غطاه غيم والغمام الذي ظلله الله تعالى عليهم هو السحاب ويحتمل أن يكون مثل الغمام الذي ذكره الله سبحانه لنبيه الذي أتت به الملائكة وهو قوله: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} [البقرة:٢١٠]، فكان ذلك يوم بدر.

قوله تعالى: {..وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى..} ما كان يسقط لهم على الشجر مثل العسل فكانوا يمزجونه بالماء ويشربونه بعد مزجه، والسلوى طائر يقال له السماني ليس من كبار الطير ولا من صغارها كانت تحشره إليهم الريح الجنوب وقيل كان الرجل يأخذ منهم من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فيفسد عليهم إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد.

قوله تعالىٰ: {..كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..} فيه ثلاثة تأويلات أحدها: المشتهيات اللذيذات والثاني الحلال الطيبات والثالث المباحات.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ..} قيل إنها بيت المقدس وقيل إنها قرية بيت المقدس.

قوله تعالىٰ: {..وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا..} فيه قولان أحدهما: أنه الباب الثامن وهو باب حطة، والثاني: أنه باب القرية، وقوله: {سُجَّدًا} خاضعين متواضعين والسجود الانحناء تعظيماً لمن سجد له وخضوعاً.

قوله تعالىٰ: {..وَقُولُوا حِطَّةٌ..} حط عنا ذنوبنا وخطايانا وهو شبه الاستغفار والتوبة.

قوله تعالىٰ: {..نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ..} أي نرحمكم بسترها فلا نفضحكم بالعقوبة عليها والخطا العدول عن القسط يقال خطأ الشيء خطأً إذا أصابه ولم يرده وأخطأ يخطئ إذا أراده ولم يصبه وأصل المغفرة التغطية ويقال لبيضة الحديد مغفر لأنها تغطي الرأس وتجنّه.

قوله تعالىٰ: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ..} يعني أنهم بدلوا ما أمروا به من قول أو فعل فأمروا أن يدخلوا الباب سجداً فدخلوا يزحفون علىٰ أستاههم وأن يقولوا حطة فقالوا: حنطة بمعنىٰ شعير مستهزئين بذلك، {..فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ..} وفي الرجز ثلاثة أقاويل أحدها: أنه العذاب. الثاني: أنه الغضب والانتقام. والثالث: الطاعون بعثه الله عليهم فأهلكهم كلهم وبقّىٰ الأنبياء.

قوله: {وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ..} الاستسقاء طلب السقي والعرب تقول: سقيته وأسقيته قيل إنهما لغتان ومعناهما واحد وقيل: سقيته أعطيته ماء يشربه وأسقيته دللته عليه.

{..فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا..}

سورة البقرة

الانفجار الانبجاس والانشقاق أضيق منه لأنه يكون انبجاساً ثم يصير انفجاراً والعين متشابهة فالعين من الماء بمنزلة العين من الإنسان لخروج الماء منه كخروج الدمع من العين التي للحيوان فأمر موسى عند استسقائه أن يضرب بعصاه حجراً مربعاً طورياً من جبل الطور فانفجرت اثنتا عشرة عيناً من كل جانب ثلاثة أعين. {..قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ..} يعني أن لكل سبط منهم عيناً قد عرفها لا يشربون من غيرها وإذا ارتحلوا انقطع ماؤها وحمل في الغرارة.

قوله تعالى: {..وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٦٠)} ومنه قول رؤبة:

عاث فينا مستخص عابث

قوله: {..وَفُومِهَا..} في الفوم ثلاثة أقاويل أحدها: البر ويستشهد عليه قال أحيحة:

قد كننا عنا الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم

والثاني: أنه الخبز يقال: فوموا لنا الطعام أي اخبزوه. والثالث: أنه الثوم بالثاء والعرب تبدل من الثاء الفاء فتقول: جدف، في معنى جدث ومفل في معنى مثل.

قوله: {..اهْبِطُوا مِصْرًا..} قرئ بالتنوين وبترك التنوين ؛ فمن ترك التنوين فقد أراد مصر المعروف ومن نون فقد أراد به مصراً من الأمصار وفي اشتقاق مصر قولان أحدهما: أنه مشتق من القطع لانقطاعه بالعمر، والثاني: أنه مشتق من الفصل بين الشيئين قال علي بن زيد:

وجاعل الشمس[1] مصرا بين النهار وبين الليل قد فصلا

وقيل إن البيت لأمية بن أبي الصلت لا خفاء به.

قوله تعالىٰ: {..وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ..} أي الذل والصغار وقيل: فرض الجزية عليهم {..وَالْمَسْكَنَةُ..} الفقر والفاقة، {..وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ..} أي نزلوا منزلة غضب الله، وروي أن رجلاً جاء إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم برجل فقال: هذا قاتل أخي فهو بواء به أي إنه مقتول به فينزل منزلته ومنه قول الشاعر:

أبأنا به قتلا وما في دمائهم وفاء وهن الساقيات الحوائم

وقيل معناه التسوية أي استواء في العقاب، والغضب من الله سبحانه الانتقام روىٰ عبادة بن الصامت قال : ختل الله الأنفال إلىٰ نبيه -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فيقسمها بينهم علىٰ بواء ، أي استواء. وقيل: باءوا رجعوا إما بخير وإما بشر.

قوله تعالىٰ: {..وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وإنما جاز أن يخلي الله سبحانه وتعالىٰ بين الكفار وبين الأنبياء لينال الأنبياء الدرجات الرفيعة والمنازل العلية بالقتل ما لا ينالون بغيره وليس ذلك بخذلان لهم كما يفعل بالمؤمنين من أهل طاعته وقد قيل إنه ما أمر نبي بالحرب إلا ونصر ولم يقتلوا وإنما يخلي بين الكفار وبين من لا يؤمر بالقتال من الأنبياء والأنبياء جمع نبي وقد قيل النبأ، قال العباس بن مرداس في النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

---

[1]ـ نخ : البيت .

سورة البقرة

يا خير من أنباءَ إنك مرسل ... بالخير[1] خير هدى الإله هداكا

وفي اشتقاقه ثلاثة أقاويل أحدها أنه مأخوذ من النبأ وهو الخبر لأنه نبأ عن الله عز وجل ومنه قوله تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ(٣٦)} [النجم]، والثاني: أن أصل النبأ الطريق قال القطامي:

لما وردت نبياً واستبنت نبا ... مستحقراً كخطوط الرمل منسحل

سمي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نبياً لأنه الطريق إليه. والثالث: أنه من النبوّة وهي الرفعة لأن منازل الأنبياء أرفع وأشرف.

قوله تعالى: {..إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني صدقوا بمحمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَالَّذِينَ هَادُوا} وهم اليهود واشتقاق الكلمة هاد يهود هوداً وهيادة أنابوا ورجعوا قال زهير:

سوى مربع لم يأت فيه صحافه ... ولا رهقاً من عابد متهود

أي تابت فسميت يهود لتهودهم من عبادة العجل وقيل إنهم سموا بقولهم: إنا هدنا إليك. {وَالنَّصَارَىٰ} جمع وواحده نصران بإسقاط الياء وهذا قول سيبويه وقال الخليل: نصري، وفي تسميتهم بذلك ثلاثة أقاويل أحدها: أنهم سموا بذلك لقرية تسمى ناصرة كان ينزلها عيسى -عَلَيْه السَّلام- فنسب إليها، وقيل عيسى الناصري ثم نسب أصحابه إليها فقيل الناصري. والثاني سموا بذلك لنصرة بعضهم لبعض قال الشاعر:

---

[1]ـ نخ: بالحق.

لما رأيت نمطاً أنصارا شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لهم من النصار جارا

والثالث: أنهم سموا بذلك لقوله: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [آل عمران:٥٢].

{وَالصَّابِئِينَ} جمع واحده صابي وقد يهمز ولا يهمز واشتقاقه على ثلاثة أقاويل أحدها: أنه مأخوذ من الطلوع صبا ناب البعير إذا طلع. والثاني: الصابي الخارج من الشيء إلى الشيء كأنه خارج من اليهودية والنصرانية. والثالث: أنه مأخوذ من صبا إلى الشيء يصبو إليه إذا مال إليه، والصابئون قيل إنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحومهب الجنوب حال منتصف النهار يزعمون أنهم على دين نوح.

قوله تعالى: {مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} قيل إن هذه الآية محكمة وذلك أنها نزلت في سلمان الفارسي -رحمه الله- وأصحابه الذين تنصر على دينهم وهم يبشرونه بمبعث رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأنهم إن لحقوه آمنوا به، وقيل إنها منسوخة بقوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:٨٥].

فإن قيل: ولم قال: {وَعَمِلَ صَالِحًا} على التوحيد ثم قال: {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} على الجمع؟ قيل: لأن لفظة (من) تحتمل الواحد والجمع فجاز لذلك، قال الشاعر:

ألما بسلمى عنكما إذ عرضتما وقولا لها عوجا على من يخلفوا

سورة البقرة

قوله تعالى: {..وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} وفي الطور ثلاثة أقاويل أحدها: أنه الجبل الذي كلم الله موسى -عَلَيْه السَّلام- عليه. والثاني: الطور كلما أثبت من الجبال دون ما لم يثبت، والثالث: أن الطور اسم لكل جبل قال الشاعر:

دانا جناحيه من الطور فمر يقضي البازي إذا البازي كسر

قيل: إن الجبل رفع فوقهم وقيل لتؤمنن أو ليقعن عليكم فآمنوا. {خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي بجد واجتهاد والثاني بطاعة الله ويحتمل وجهاً ثالثاً أي العمل بما فيه.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ} وفي اعتدائهم في السبت قولان أحدهما: أنه لما حرم عليهم اصطياد الحيتان يوم السبت كانوا يصطادونها فيه. والثاني: كانوا يحبسونها يوم السبت ويصطادونها يوم الأحد فهذا اعتداؤهم والسبت القطع، وإنما سمي اليوم به لأن اليهود يقطعون أعمالهم فيه وقيل سمي سبتاً لأنه قطع فيه خلق كل شيء، وقيل: إن السبت الهدوء والسكون في راحة ودعة، وقيل للنائم مسبوت لأن اليهود يستريحون فيه قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(٩)} [النبأ].

وقوله: {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(٦٥)} فمسخوا قردة لأجل اعتدائهم في السبت ولم يعش من مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب.

قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا} يجوز أن تكون الهاء راجعة إلى العقوبة وفيه وجه ثان وهو أن ترجع إلى القرية وهي إيلة، ويجوز وجه ثالث وهو أن تعود إلى الممسوخين، والنكال فيه ثلاثة أوجه أحدها:

العقوبة. والثاني: فهو الفعل الذي إذا رآه غيره نكل أن يفعل مثله. والثالث: أن النكال الاشتهار بالفضيحة.

قوله تعالىٰ: {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا} من القرىٰ، ويحتمل أن يكون من القوم الذين لم يمسخوا فتكون لهم عبرة بها يعتبرون.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} السنة في البقرة الذبح بكتاب الله ويجوز فيه النحر لقرب المنحر من المذبح وأنه لا تعذيب فيه، ولما روي أن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نحر عن نسائه البقر، والسنة في الإبل النحر ولا يجوز سواه، وفي الغنم الذبح لا يجوز سواه؛ لأن العدول عن هذا لا يكون إلا لقصد التعذيب لأن البعير لو ذبح لطال خروج روحه ولتعذب بذلك والشاة مع القدرة عليها يسيرة المؤنة إذا عدل عن الذبح إلىٰ النحر وإنما يكون ذلك قصداً لتغييره مخالفة السنة ومن قصد مخالفة السنة والتلعب لم تؤكل ذبيحته، وكان السبب في أمر موسىٰ لقومه بذلك أن رجلاً في بني إسرائيل كان غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه فاستبطأ موته فقتله سراً وألقاه في موضع بعض الأسباط وادعىٰ قتله علىٰ أحدهم واختصموا إلىٰ موسىٰ -عَلَيْه السَّلام- فقال من عنده علم ذلك فقالوا: إنك نبي الله وأنت أعلم منا فقال: إن الله عز وجل يأمركم أن تذبحوا بقرة، ولما سمعوا ذلك منه وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا } والهزوء اللعب والسخرية قال الراجز:

قد هزئت مني أمطيله قالت أراه معدماً لا شيء له

{قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٦٧)} لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد إلىٰ الهزؤ جهل فاستعاذ منه موسىٰ لأنه صفة

سورة البقرة

تنتفي من الأنبياء وإنما أمروا والله أعلم بذبح البقرة دون غيرها لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته ومحبته، والبقرة اسم الأنثى والثور للذكر مثل ناقة وجمل ورجل وامرأة، واسم البقرة مأخوذ من الشق يقال: بقر بطنه إذا شقه، وسميت بقرة لأنها تحرث الأرض وتشقه.

قوله تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} روينا عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((والذي نفس محمد بيده لو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم)). {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ} وفي الفارض تأويلان أحدهما: أنها التي قد ولدت بطوناً فاتسع بذلك جوفها. والثاني: أراد به القديم قال الشاعر:

يا رب ذي ظغن علي فارض   له قرءٌ كقرء الحائض

فالفارض أراد به القديم. والبكر: الصغيرة التي لم تحمل والبكر من إناث البهائم وبني آدم ما لم يفتحلها الفحول فأما البَكر بالفتح فهو الفتى من الإبل.

قوله تعالى: {عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ} والعوان النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين {بَيْنَ ذَلِكَ} أي بين الصغيرة والكبيرة وهي أقوى ما يكون وأحسنه.

قوله تعالى: {..قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا} أي ترى الصفرة المعروفة وقيل إن الصفراء بمعنى السوداء واستشهد بقول الشاعر:

تلك خيلى منه وتلك ركابي   هن صفر ألوانهن كالزبيب

والفاقع الصافي وليس يوصف السواد بذلك وإنما يقال أسود حالك وأحمر قاني وأصفر فاقع وأخضر يقق وأبيض ناقي.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إنما أمروا بأدنى بقرة ولكنهم شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم وأيم الله لو أنهم لم يستثنوا لم يثبت عليهم أجر الأبد)) يعني أنهم لو لم يقولوا: {وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ(٧٠)} لم يهتدوا إليها أبداً.

قوله تعالى: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ} يعني لم يذلها العمل، {تُثِيرُ الْأَرْضَ} فالإثارة تفريق الشيء أي ليست مما يثير الأرض للزرع ولا يسقى بها الزرع[1]، {..مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا} وفي ذلك تأويلان أحدهما: مسلمة من العيوب. والثاني: ليس فيها لون يخالف لونها من سواد وبياض وأصله من وشي الثوب وهو تحسين عيوبه بألوان مختلفة ومنه قيل للساعي بالرجل إلى السلطان واشي لأنه يحس كذبه عنده حتى يقبلوه منه.

{قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ(٧١)} قيل: كادوا لا يفعلون لغلاء ثمنها لأنهم شروها بملء مسكها ذهباً من مال المقتول وقيل : وما كادوا يفعلون خوفاً من الفضيلحة على أنفسهم في معرفة القاتل.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا} يعني ما كان من قتل الإسرائيلي الذي قتله ابن أخيه طلباً لميراثه فادعى قتله على بعض الأسباط أي فتدافعتم فيها واختلفتم ومنه قول العجاج:

أدركتها قدام كل مدرة بالدفع عنى درأ كل عنجه

---

[1]- نخ : الحرث .

سورة البقرة

{وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢)} أي مظهر ما تسترون من القتل، {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا} أي ببعض آرابها وقيل إن البعض كان الفخذ وقيل كان البضعة التي بين الكتفين.

قوله تعالىٰ: {كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ} أي أنه لما ضربه ببعض البقرة وأحياه الله تعالىٰ فقال: قتلني ابن أخي ثم قبض قال بنوا أخيه والله ما قتلناه وكذبوا بالحق بعد معاينته وحُرموا ميراثه وهذا أصل في منع القاتل من الميراث وهو مما وافق أحكامه أحكام القرآن ولم ينسخ.

وأما أمر صاحب البقرة فقد ورد في الخبر فتىً من بني إسرائيل كان باراً بوالديه وكان يقوم ثلث الليل يصلي ويقف[1] عند رأس والدته فيذكرها التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد ويقول: يا أماه إن كنت ضعفت عن قيام الليل فكبري الله وسبحيه وهلليه وكان ذلك عملها الدهر كله فإذا أصبح أتىٰ الجبل واحتطب علىٰ ظهره وأتىٰ به السوق فيبيعه بما شاء الله أن يبيعه فيتصدق بثلثه ويبقي لعبادته ثلثاه يعطي أمه ثلثه فكانت أمه تأكل النصف وكان ذلك عملها الدهر؛ فلما طال عليهما قالت: يا بني اعلم أني قد ورثت من أبيك بقرة وختمت عنقها وتركتها في البقر علىٰ اسم إله إبراهيم وإسماعيل وموسىٰ فإذا أتيتها دعوتها بهذه الأسماء فإنها تتبعك وقالت: إن علامتها ليست بهرمة ولا فتية غير أنها بينهما وهي صفراء فاقع لونها تسر الناظرين إذا نظرت إلىٰ جلدها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وليست بالذلول ولا صدية تثير الأرض ولا تسقي الحرث

---

[1]- نخ : يجلس .

مسلمة لا شية فيها ولونها واحد فإذا أتيتها فخذ بعنقها فإنها لا تتخلف عنك بإذن إله إسرائيل؛ فانطلق الفتى وحفظ وصية أمه وسار في البرية يومين أو ثلاثة حتى إذا كان صبيحة ذلك اليوم انصرف وصاح بها فتبعته فقدم بها على أمه فأخبرها بخبرها فقالت: يا بني إنك تحطب على ظهرك وقد جهدك الأمر بما تعانيه بالليل والنهار فاشخص وبع هذه البقرة وخذ ثمنها وتقوى به ورفه نفسك، قال الفتى: بكم أبيعها؟ قالت: بعها بثلاثة دنانير برضى مني؛ فانطلق الفتى إلى السوق فقد قيل إن الله تعالى بعث ملكاً من الملائكة ليري خلقه قدرته ويبدي لنبيه معجزته على صورة بشر فقال للفتى: بكم تبيع هذه البقرة أيها الفتى؟ قال: أبيعها بثلاثة دنانير على رضى من والدتي؛ قال: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك؛ فقال: لو أعطيتني زنتها لم أبعها حتى أستأمرها؛ فرجع الملك إلى موسى فأخبره بالخبر فعمدوا إلى بقرة الفتى فاشتروها منه على أن يملوا جلدها دنانير ثم ذبحوها ثم ضربوا الغلام ببعضها فقام يخبرهم بقتله.

قوله عز وجل: {..ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} هذا الخطاب عام في اللفظ خاص في المعنى وذلك أنه توجه إلى ابن أخي المقتول الذي أنكر المعجزة بعدما رآها ودفع البرهان الذي بينه الله تعالى من انتفاء المقتول ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون الخطاب لبني إسرائيل حين أنكروا بعدما رأوا من آيات الله سبحانه.

قوله تعالى: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} يعني القلوب التي قست، وأما (أو) في هذا الموضع ففيه خمسة أقاويل أحدها: أنه إبهام على المخاطبين وإن كان الله عالماً بذلك كما قال أبو الأسود الديلي:

أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة أو عليا

فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطى إن كان غيا

سورة البقرة

فلا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في حبهم ولكن أبهم على من خاطبه وقيل لأبي الأسود: أشككت في قولك؟ فقال: كلا، واستشهد بقول الله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢٤)} [سبأ]، وقال: أوَكان شاكاً من أخبر بهذا؟

والثاني: بمعنى الواو، ومثله قول جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

والثالث: (أو) بمعنى (بل) وتقديره: بل قست قلوبكم كما قال الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(١٤٧)} [الصافات]، بمعنى بل يزيدون.

والرابع: أن معناه الإباحة وتقديره فإن شبهتموها بالحجارة كانت مثلها، وإن شبهتموها بما هو أشد منها كانت مثلها.

قوله تعالى: {..وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} قيل إنه الجبل الذي سأل الله عليه موسى الرؤية فصار دكاً وفيه وجه آخر وهو أن من عظم أمر الله سبحانه يرى كأنه هابط خاشع كما قال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

قوله تعالى: {..وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} الذين يحرفونه علماء اليهود ويجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم، والثاني: هم القوم الذين اختارهم موسى من قومه وسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرفوا القول في إخبارهم لقومهم.

قوله تعالى: {..وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي ذكركم به ويجوز وجه ثان وهو أتحدثونهم بها في التوراة من نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ} أي ليجعلوا ذلك حجة عليكم، وفيه وجه ثالث وهو أنه أراد به يهود بني قريظة حين شبههم النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بأنهم أخوة القردة وأرسل إليهم أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- فقالوا: من حدثك بهذا والفتح عند العرب القضاء والحكم ومنه قول الشاعر:

ألا أبلغ بني عصم رسولا بأني عن فتاحتكم غني

ويقال الحاكم الفتاح ومنه قوله: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(٨٩)} [الأعراف].

قوله تعالى: {..وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ} فيه قولان أحدهما: أن الأمي الذي كان لا يكتب ولا يقرأ، والثاني: أن الأميين كانوا قوماً لم يصدقوا رسولاً أرسله الله إليهم ولا كتاباً أنزله عليهم وكتبوا كتاباً بأيديهم وقالوا لجهال قومهم هذا من عند الله وفي تسمية الذي لا يكتب بالأمي قولان أحدهما: أنه مأخوذ من الأمة أي هو على أصل ما عليه الأمة من أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب، والثاني: أنه مأخوذ من الأم وفي أخذه من الأم تأويلان أحدهما أنه على ما ولدته أمه، والثاني: أن الكتابة منسوبة إلى الرجال دون النساء فلما لم يكتب سمي أمياً ونسب إلى أمه لجهله بالكتابة دون أبيه.

وقوله: {لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ} أي إنهم يتمنون على الله ما

سورة البقرة

ليس لهم وقد ورد في اللغة[1] أن الأماني التلاوة كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج:٥٢]، وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن وهو من الاستثناء المنقطع كقوله تعالى: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} [النساء:١٥٧]، قال النابغة:

حلفت يميناً غير ذي ثبوته ... ولا علم إلا حسن ظن بصاحبي

قوله تعالى: {..فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} الويل كلمة تستعمل في معنى التقبيح كقوله: {وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(١٨)} [الأنبياء]، وقيل: إن الويل الحزن، ومعنى قوله: {يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} أي يغيرون ما في الكتاب من نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وبعثه.

وفي قوله: {بِأَيْدِيهِمْ} تأويلان أحدهما: تحقيق الإضافة إليهم وإن كانت الكتابة لا تكون إلا باليد كقوله تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، والثاني: معنى قوله بأيديهم أي من تلقاء أنفسهم، {..لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} أي ليأخذوا به عرض الدنيا لأنه قليل المدة كما قال تعالى: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ} [النساء:٧٧]، لأنه حرام.

قوله تعالى: {..وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} والفرق بين المس واللمس أن مع اللمس إحساساً وليس مع المس وقوله: {مَعْدُودَةً} لأنهم ذكروا أن النار لا تمسهم إلا في المدة التي عبدوا فيها العجل وهي

---

[1]- نخ : الخبر .

أربعون يوماً وقيل إنهم قالوا إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ولا يعذبون على كل ألف سنة إلا يوماً.

قوله تعالى: {..بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} أما بلى فجواب النفي، وأما نعم فجواب الإيجاب، ومثله إذا قال الرجل لصاحبه: مالك علي شيء؛ فقال الآخر: نعم كان ذلك تصديقاً أنه لا شيء له، ولو قال: بلى كان رداً لقوله وتقديره بلى لك عليه.

والسيئة: فيها قولان أحدهما: الشرك بالله تعالى، والثاني: الذنوب التي وعد الله عليها النار بقوله: {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} أي مات عليها ولم يتب منها.

قوله تعالى: {..وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ} أما النفس فمأخوذ من النفس وهي الجلالة فنفس الإنسان أنفس ما فيه وأما الدار فهي المنزلة التي بها أبنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقيل إن كل موضع حله قوم فهو دار لهم وإن لم يكن لهم فيه أبنية فإن قيل: كيف يسفك الإنسان دمه ويخرج نفسه من داره؟ ففيه قولان أحدهما يعني لا بقتل بعضهم بعضاً ولا يخرجه من دياره، والثاني: أنه القصاص الذي يقتص منه ممن قتلوه.

قوله تعالى: {..تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} أي تعاونون، والإثم هو الفعل الذي يستحق عليه الذم، وفي العدوان قولان أحدهما: أنه مجاوزة الحق، والثاني أنه الإفراط في الظلم.

قوله: {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ} وقرئ أسرى، والفرق بينهما أن أسرى جمع أسير، والأسارى[1] جمع أسير أيضاً الذي في وثاق، والأسرى

[1]ـ اعلم أن ..

سورة البقرة

الذين في اليد وإن لم يكونوا في وثاق.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} يعني التوراة، {وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ} والتقفية الاتباع يقال استقفيته إذا جئته من غير جهة وسميت قافية العشر قافية لأنها خالفة، {وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} أراد بها الحجج ويحتمل وجهين آخرين أحدهما: الإنجيل وما فيه، والثاني: خلقه من الطين كهيئة الطير وكإحيائه الموتى وإبرائه الأسقام.

قوله تعالى: {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} أي بجبريل -عَلَيْه السَّلام- وإنما سمي روحاً لغلبة الروحانية على جسمه وكذلك سائر الملائكة وإنما خص بذلك تشريفاً، ويجوز وجه ثاني وهو أنه سمي روحاً لانتفاع الناس به كانتفاع الأبدان بالأرواح وذلك لما يأتي به من البيان عن الله عز وجل، ومعنى القدس المطهر كأنه دل به على التطهير من الذنوب، وقيل القدس التزكية.

قوله تعالى: {..وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} في تغطية وأوعية لا تفقه والثاني أوعية للعلم. {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} واللعن الطرد والإبعاد ومنه قول الشماخ:

ذعرت به القطا ونأيت عنه ... مكان الذيب كالرجل اللعين

وجه الكلام مكان الذيب اللعين كالرجل وفي قوله: {فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ(٨٨)} معناه فقليلاً منهم من يؤمن لأن من آمن من أهل الشرك أكثر ممن آمن من أهل الكتاب ومعنى ما هاهنا الصلة كما قال مهلهل:

لو بأبانين جاء يخطبها ... رُمِّل ما أنف خاطب بدم

قوله تعالىٰ: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} يعني القرآن، {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ} أي لما معهم من التوراة والإنجيل وأنهما من عند الله، {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني يستنصرون قيل إن يهود كانت تستنصر برسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- قبل مبعثه فلما بعثه الله كفروا به فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: اتقوا الله يا معاشر يهود وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث فقال سلام بن مشكم: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكره لكم فأنزل الله قوله تعالىٰ: {..بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} أي باعوا {أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا} أي حسداً، والبغي شبه الطلب وقوله: {..فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} الأول الذي استحقوه بكفرهم بمحمد -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- والثاني يحتمل أن يكون بما تقدم من قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة.

قوله تعالىٰ: {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ(٩٠)} والعذاب المهين هو الذي لا تمحيص فيه للذنوب لأن قطع يد السارق وحد الزاني فيه تمحيص لذنوب المذنبين.

قوله تعالىٰ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} يعني القرآن، {قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا} يعني التوراة، {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} أي بعده {وَهُوَ الْحَقُّ} يعني القرآن {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ} يعني التوراة؛ لأن كتب الله تصدق بعضها بعضاً، {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ} معناه قل فلم قتلتم ومثله: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ} [البقرة:١٠٢]، أي ما تلت، وقال الشاعر:

وإني لآتيكم بشكري ما مضى … من الأمر واستيجاب ما كان في غد

يعني ما يكون في غد وقيل معناه قل فلم ترضون بقتل أنبياء الله إن كنتم مؤمنين.

قوله تعالىٰ: {..خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي بجد واجتهاد {وَاسْمَعُوا} فيه تأويلان أحدهما: واعملوا بما سمعتم والثاني : فاقبلوا ما سمعتم كما قيل: سمع الله لمن حمده قال الراجز:

السمع والطاعة والتسليم خير وأعفى لبني تميم

{قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك ويحتمل وجه آخر وهو أنهم لم يقولوه ولكن فعلوا ما دل عليه فقام الفعل منهم مقام القول كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

{وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} يقال أُشرب قلبه كذا وكذا قال زهير:

فصحوت عنها بعد حب داخل والحب يشربه فؤادك داء

قوله تعالىٰ: {..قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ} أي الذين آمنوا برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ويحتمل أن يكون المراد به جمع الناس، وقيل {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٩٤)} لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة لما يصير إليه من نعيم الجنة ويزول عنه من أذى الدنيا، وروي أن

رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال: ((لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار)).

ثم قال: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} تحقيقاً لكذبهم وفي تركهم للتمني قولان أحدهما: أنهم تركوه لأنهم لو تمنوه لماتوا كما قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، والثاني: صرفهم الله تعالى عن التمني ليكون ذلك حجة وآية لنبيه -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

ثم قال: {..وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} يعني اليهود، {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} يعني المجوس لأن المجوس هم الذين {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} واليهود أحرص منهم على الحياة، {وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ} أي بمباعده من العذاب {أَنْ يُعَمَّرَ} لأنه لو عمره ما تمنى لما نفعه طول العمر على معاصيه.

قوله عز وجل: {..قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} وسبب نزول هذه الآية أن ابن صوريا وجلة من يهود فدك لما قدم النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم على المدينة سألوه فقالوا: يا محمد كيف نومك فقد خبرنا عن النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال: ((تنام عيناي ولا ينام قلبي)) قالوا: صدقت يا محمد؛ فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه من شبه أخواله شيء أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال: ((أيهما علا ماءه كان الشبه له)) قالوا: صدقت يا محمد فأخبرنا عن ربك ما هو؟ فأنزل الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١)اللَّهُ الصَّمَدُ(٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)} [الإخلاص]، قال ابن صوريا خصلة إن كنت قلتها آمنت بك واتبعتك: أي ملك يأتيك بها يقول الله عز وجل؟ قال: ((جبريل)) قال: ذلك عدو لنا ينزل بالقتال والحرب والشدة وميكائيل ينزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك

سورة البقرة

وصدقناك فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، وقد قيل: إن جبريل معناه عبدالله، وميكائيل عبيد الله.

فإن قيل: فما معنىٰ قوله: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الآية ففيه جوابان أحدهما: أنهما خصا بالذكر تشريفاً وتمييزاً، والثاني: أنهما خصا بالذكر لأن اليهود قالوا: جبريل عدونا وميكائيل ولينا فإن الله سبحانه أبان بذلك أن ولي أحدهما ولي الآخر وعدو أحدهما عدو الآخر ثم عدوهما عدو الله.

قوله عز وجل: {..وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ} وسبب نزول هذه أن نفراً تواصوا بعد موت سليمان علىٰ دفن السحر تحت كرسيه ثم قالوا لعامة قومهم وجهالهم إن هذا السحر الذي كان سليمان يسحر به الريح والإنس وقالوا كان ساحراً ولم يكن نبيئاً فأنزل الله هذه الآية براءة لنبيه –صلىٰ الله عليه– وتكفيراً لمن نسبه إلىٰ السحر وعلم الناس السحر.

قوله تعالىٰ: {..وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} معنىٰ (ما) في هذا الموضع النفي ولم ينزل {عَلَىٰ الْمَلَكَيْنِ} قراءتين إحداهما بكسر اللام والثانية بفتح اللام فأما من كسر اللام فإنه أراد من ملوك بابل وعلوجها، وأما بفتح اللام فهو تثنية الملائكة ومعناه أن اليهود زعموا أن الله سبحانه أنزل السحر علىٰ الملائكة ليبلغ سليمان ذلك وقالوا: الذي نزل عليهما جبريل وميكائيل فأكذبهم الله عز وجل، وفي الكلام تقديم وتأخير وهو: ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وهما رجلان ببابل.

فأما السحر فهو أن الساحر لا يقدر على قلب الأعيان كما ذهب إليه جماعة من الحشوية بأن يجعل الإنسان بهيمة والبهيمة إنساناً وحقيقة السحر عندنا أنه خدع ومَغَارٌّ يفعلها الساحر فيخيل إلى الرائي أنه بخلاف ما هو به كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء وكذلك السفينة السائرة سيراً حثيثاً يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه ولو كان في وسع الساحر أن يقلب الأعيان لما كان بين الباطل والحق فرق ولا فضل ولجاز أن تكون سائر الأجسام مما سحرته السحرة فقلب أعيانها وقد وصف الله سحرة فرعون بقوله: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦)} [طه]، والساحر ربما قتل بسحره لأنه قد يوسوس به ويخيل والتخييل بدؤ الوسوسة والوسوسة بدؤ المرض والمرض بدؤ التلف ، وأرض بابل هي الكوفة وإنما سميت بابل لأن منها تبلبلت الألسنة.

قوله: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} وكان قد أخذ الله عليهما أنهما لا يعلمان أحداً حتى يقولا آنفاً: فلا تكفر إنما نحن فتنة أي امتحان واختبار، {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} والمراد بقوله منهما أي من هاروت وماروت، {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} فيه تأويلان أحدهما: إلا بأمر الله، والثاني: بعلم الله، {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} أي يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا، {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ} يعني السحر الذي يفرق به بين المرء وزوجه {مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} يعني نصيب، ويحتمل أن يكون الخلاق بمعنى الدين.

قوله: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(١٠٢)} أي باعوها به من السحر والكفر في تعليمه وفعله ويجوز أن يكون ذلك من

سورة البقرة

إضافتهم السحر إلى سليمان وتخريصهم عليه الكذب.

قوله: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا} معناه لا تقولوا خلافاً ويحتمل وجهاً ثانياً وهو معناه ارعنا سمعك أي اسمع منا ونسمع منك وإنما نهى الله سبحانه المؤمنين من هذه الكلمة لأن اليهود كانوا يقولونها لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم على وجه الاستهزاء والسب كما قالوا: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} [النساء:٤٦]، فنهى المسلمين عن ذلك وقيل إنها كانت كلمة ذم يقولها الأنصار في الجاهلية فنهى الله سبحانه المسلمين عنها.

قوله: {وَقُولُوا انْظُرْنَا} فيه ثلاثة أقوال[1] أحدها: أفهمنا وبين لنا، والثاني: بفتح الهمزة فيقولوا: أنظرنا أي أمهلنا، والثالث: أي أقبل علينا وانظر إلينا.

قوله تعالى: {..مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} وقرئ (ننسأها) فمن قرأ ننسها فالمراد به أي نتركها، ومن قال ننسأها بالهمز فالمراد به نؤخرها يقال نسأت النسأ إذا أخرته والنسخ هو الرفع وتقدير الآية ما نرفع من حكم آية نأت بخير منها أو مثلها أو ننسها أي نتركها ولا ننسخها.

فإن قيل: وما معنى قوله: {بِخَيْرٍ مِنْهَا} وكلام الله واحد جل قائله؟

فالجواب: أن معنى خير منها أي أنفع منها لأن الناسخ لا يخلو من وجهين إما أن يكون أثقل في الحكم فيكون أيسر في العمل أو يكون أثقل في العمل فيكون أكثر للثواب.

قوله تعالى: {..أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فإن

---

(١)- نخ: تأويلات.

قيل: وكان النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- غير عالم بأن الله على كل شيء قدير وأن الله له ملك السماوات والأرض؟ قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة أحدها قوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ} بمعنى أما علمت، والثاني أنه جرى مجرى التقدير لا مجرى الاستفهام كما قال عز وجل: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة:١١٦]، خرج مخرج التقدير لا مخرج الاستفهام، والثالث: أن هذا خطاب للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والمراد به أمته ألا ترى أنه قال بعد ذلك: {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ(١٠٧)}.

قوله سبحانه: {..وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا} وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهم فقالوا: نحن أهدى منكم سبيلاً فقال لهم عمار: كيف نقض العهد عندكم قالوا: شديد؛ فقال: إني قد عاهدت الله سبحانه أني لا أكفر بمحمد أبداً ولا أتبع ديناً غير دينه، فقالت اليهود: أما عمار فقد صبا وضل فكيف أنت يا حذيفة؟ فقال حذيفة: الله ربي ومحمد نبيي والقرآن إمامي أطيع ربي وأقتدي برسولي وأعمل بكتاب ربي، فقالوا له وإله موسى لقد أشربت قلوبكما حب محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- فأنزل الله هذه الآية من بعدما تبين لليهود أن محمداً صادق {..فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} عن اليهود وهذه الآية منسوخة بآية السيف، {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} أي ما أذن به من السبي والقتل في بني قريظة والجلاء والنفي في بني النضير.

قوله تعالى: {..وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} المساجد جمع مسجد والمسجد هو موضع العبادة لقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((جعلت لي الأرض مسجداً)) أي موضع عبادة، وهذه الآية نزلت في كفار قريش حين منعوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم عن

سورة البقرة

المسجد الحرام عام الحديبية.

{وَسَعَى فِي خَرَابِهَا} بالمنع من ذكر الله فيها، {أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ} من قتل الحربي وأخذ الجزية من الذمي، {وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١٤)} وإنما عظم الله سبحانه عذابهم لعظم ذنوبهم.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} هذا محكم، والمنسوخ {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} وسبب نزول ذلك أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كان يستقبل بصلاته بيت المقدس بعد هجرته سبعة عشر شهراً حتى قالت اليهود إن محمداً وأصحابه ما دروا أين قبلتهم حتى هديناهم فأمر الله سبحانه نبيه باستقبال الكعبة فتكلمت اليهود فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية.

وفي الآية وجه ثاني: وهو أن هذه الآية نزلت قبل فرض القبلة وأباح لهم الصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب.

وفيها وجه ثالث: وهو أنها نزلت في صلاة التطوع للسائر حيث توجه والخائف حيث تمكن من مشرق أو مغرب، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((لما نزلت هذه الآية أن تصلي أينما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعاً)) وكان -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعاً يومئ برأسه نحو المدينة وهذا الوجه أقوى الوجوه عندنا وأثبته لدينا.

وفيها وجه رابع وهي أنها نزلت فيمن خفيت عليهم القبلة فصلوا إلى جهات مختلفة وفي ذلك ما روى عبدالله بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في ليلة مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل

الرجل يأخذ الأحجار ويبني مسجداً يصلي فيه فلما أصبحنا إذ نحن قد صلينا إلى غير قبلتنا فقلنا يا رسول الله صلينا هذه الليلة إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

وفيها وجه خامس، وهو أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال لأصحابه: ((إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه)) قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} [آل عمران:١٩٩]، وكان لا يصلي إلى القبلة فنزل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}.

وفيها وجه سادس: وهو أن الله سبحانه لما قال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:٦٠]، قالوا: إلى أين؟ فنزل قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} أي الله سبحانه، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن:٢٧]، أي يبقى ربك. ثَمَّ إشارة إلى مكان.

وفيها وجه سابع: وهو أنكم حيث ما كنتم من مشرق أو مغرب فلكم جهة من الكعبة.

قوله تعالى: {..وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} فيها قولان أحدهما: المراد بها النصارى حين قالت المسيح ابن الله، والثاني: أراد به مشركو العرب حين قالوا الملائكة بنات الله سبحانه، {بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ} تنزيهاً له عما نسبوا إليه من الولد ويغني {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي خالقها {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ(١١٦)} أي مطيعون والقنوت في اللغة القيام ومنه القنوت في الصلاة لأنه الدعاء من القيام.

قوله عز وجل: {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي منشئها على غير حذا

سورة البقرة

ولا مثال فكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبتدع ولذلك يسمى من خالف في الدين مبتدع لأنه يحدث ما لم يسبق إليه، {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا} أي أحكمه وفصله ومنه سمي الحاكم قاضياً لفصله الأمور ويقال للميت قضى نحبه أي فرغ أمره من الدنيا قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما   داود من صنع السوابغ تبع

وقال آخر:

قضيت أموراً ثم عادت تعدها   بوائق في أكمامها لم تفتق[1]

قوله تعالى: {..كُنْ فَيَكُونُ(١١٧)} في حال عدمه أم في حال وجوده فتلك حال لا يؤمر فيها بالوجود والحدوث لأنه موجود حادث قيل عن هذا أجوبة ثلاثة أحدها: خبر عن الله عز وجل في نفوذ أوامره في خلقه الموجود كما أمر بني إسرائيل أن يكونوا قردة خاسئين ولا يكون هذا وارد في إيجاد المعدومات.

والثاني: أن الله سبحانه عالم بما هو كائن قبل كونه وكانت الأشياء التي لم تكن وهي كائنة لعلمه بها مشابهة الأشياء التي هي موجودة فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من العدم إلى الوجود لتصور[2] جميعها ولعلمه بها.

والثالث: أنه خبر عن كل ما يحدثه الله ويوجده عام وأنه إذا أراد خلق

---

[1]- نخ : توثق .

[2]ـ أي لغير الله سبحانه أو عبر بالتصور عن العلم ويكون قوله –عَلَيْه السَّلام– ولعلمه عطف تفسير هذا هو الذي يحسن أن يحمل عليه الكلام . تمت من هامش نخ (أ).

شيء وتكوينه كان من غير أن يكون هناك قول وإنما هو فعل فعبر عنه بالقول كما قال الشاعر:

قد قالت الأنساع للبطن الحقي قدما أفاضت كالعتيق المختفي

ولا قول هناك وإنما أراد الظهر قد لحق بالبطن وكما قال الآخر:

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقال له قع

قوله عز وجل: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ} تحتمل الآية ثلاثة تأويلات أحدها أن يكون المراد به النصارى. والثاني: أن يكون المراد به اليهود. والثالث: أن يكون المراد به كفار قريش. وقوله: {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} كما قال الأشهب بن رميلة:

تعدون عقر الناب أفضل مجدكم بني ظوطراً لولا الكمي المقنعا

يعني هلا تعدون الكمي المقنعا. {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ} يعني اليهود.

قوله تعالى: {..إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} يعني محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أرسله بدين الحق بشيراً بالجنة لمن أطاع ونذيراً بالنار لمن عصى، {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ(١١٩)} أي لا تؤاخذ بأعمالهم ولا بكفرهم بعد البشرى والإنذار وقرئ (ولا تَسْل) بفتح التاء وجزم اللام.

قوله تعالى: {..الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} فيه قولان أحدهما: أنهم المؤمنون الذين آمنوا برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم. والثاني: أنهم علماء اليهود يعني يعرفون نعته وصفته في التوراة.

سورة البقرة

قوله تعالىٰ: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} أي يقرأونه حق قراءته وفيه وجه ثان: وهو أنهم يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} أي يقرون بمحمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأن من قرأ أحد الكتابين وجد فيه وجوب اتباعه.

قوله تعالىٰ: {..وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} وفيه محذوف والتقدير: واذكر إبراهيم إذ ابتلي يعني اختبر بالسريانية أب رحيم والذي ابتلى به من الكلمات فأتمهن وصبر عليهن ست خلال: الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان؛ فسماه الله تعالىٰ وافياً بقوله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى(٣٧)} [النجم]، وقيل: الكلمات قوله لابنه إسماعيل: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات:١٠٢].

{قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} أي مقصوداً متبوعاً ومنه سمي إمام المصلين لاتباعهم له، {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} فيه وجهان أحدهما: أنه طلب الإمامة لذريته وسأل الله تعالىٰ ذلك. والثاني: قال ذلك استخباراً هل يكونون أهل طاعة فيستحقون الإمامة ويصيرون أئمة {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(١٢٤)} فقطع الظالم لا وراثة له في الإمامة والعهد هنا النبوة والإمامة بعدها فكل من ظلم فقد حرم نفسه من استحقاقها.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا} يعني مجتمعاً يجتمع الناس فيه للحج والعمرة، ويجوز أن يكون بمعنى مرجعاً من قولهم قد ثابت إليه العلة أي رجعت.

ثم قال: {وَأَمْنًا} فيه تأويلان أحدهما: لأمن سكانه من مغازي العرب كقوله: {وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ(٤)} [قريش]، والثاني: لأمن الجناة فيه من إقامة الحدود عليهم حتى يخرجوا منه.

{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} أمر بالصلاة عند مقامه وقرئ (واتخَذوا) بفتح الخاء على معنى الخبر والمقام هو الحجر الذي فيه مقامه في المسجد الحرام، وفي قوله: مصلى، مدعى يدعى فيه ويجوز أن يكون مصلى يصلى عنده.

{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} أي أمرناهما ويحتمل أوحينا إليهما، {أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ} فيه ثلاثة تأويلات أحدها من الأصنام، والثاني: من الكفار، والثالث من الأنجاس.

فإن قيل إنه لم يكن على عهد إبراهيم قبل بناء البيت بيت يطهر ففيه وجهان أحدهما معناه وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابنيا بيتاً مطهراً والثاني أن طهرا مكان البيت.

والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون هم المعتكفون، {وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(١٢٥)} أي أهل الصلاة وقد مضى تفسير الركوع والسجود في اللغة بما فيه كفاية والحمد لله.

قوله تعالى: {..رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا} يعني مكة {وَارْزُقْ أَهْلَهُ} يعني الذين آمنوا ليجتمع لهم الأمن والخصب فيكونوا في رغد من العيش وكان هذا السؤال لمن آمن به وصدقه.

قوله تعالى: {..وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ} ومكة لم تزل حرماً من الجبارين المسلطين ومن الخسوف والزلازل وإنما سأل إبراهيم ربه أن يجعله آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات.

وروي أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما افتتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من هذيل فقام رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم خطيباً فقال: ((يا أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض

سورة البقرة

فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً أو أن يعضد بها شجر وإنها لا تحل لأحد من بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ألا وهي قد رجعت على حالها بالأمس؛ ليبلغ الشاهد الغائب، فمن قال: رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- قد قتل بها، فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك)).

وكذلك المدينة حرمها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعدما كانت حلالاً فقال: ((إن إبراهيم كان عبدالله وخليله وإني عبدالله ورسوله وإن إبراهيم حرّم مكة وأنا حرّمت المدينة ما بين لابتيها عضاهها وصيدها لا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يعضد فيها شجر إلا لبعير)).

قوله عز وجل: {..وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} وهما أول من بناه وكانا يصليان قبل بنائه إلى جهته وهما أول من حج البيت، والقواعد: جمع قاعدة وهي كالأساس.

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} والتقدير يقولان ربنا تقبل منا ، كما قال: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ(٢٣)سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الرعد]، أي يقولون: سلام عليكم.

قوله تعالى: {..وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} على التثنية وقرئ (مسلمِين) على الجمع، {وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} قابلة لأوامرك منتهية عن زواجرك ومن أهل بيت محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- المطيع منهم البر التقي، {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا} أي عرفنا المناسك أي المعالم وقيل المناسك جمع منسك وهي الذبائح والنسيكة الذبيحة وقيل النسك العبادة والناسك العابد.

قوله تعالى: {..رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ} يعني هذه الأمة .

رسولاً يعني محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وسأل نفر من الصحابة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقالوا: خبرنا عن نفسك فقال: ((أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى)) .

{يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ} تتلو عليهم آبائك أي يقرأ عليهم حجتك ويحتمل وجهاً ثانياً وهو معناه يبين دينك .

{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} والكتاب القرآن والحكمة العلم بالدين والفقه {وَيُزَكِّيهِمْ} يطهرهم من الشرك وعبادة الأوثان.

قوله تعالى: {..وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} أي فعل بها من السفه ما صار به سفيهاً وقيل سفه بكسر الفاء متعدية وبضم الفاء لازم ، {وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا} أي اخترناه ولفظه مشتق من الصفوة أي اخترناه في الدنيا للرسالة {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ(١٣٠)} في إنجائها من الهلكة.

قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ} الهاء كناية ترجع إلى الملة لتقدم قوله: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} ووصى أبلغ من أوصى لأن أوصى يجوز أن يقول مرة واحدة ووصى لا يكون إلا مكرراً والمعنى أن إبراهيم وصى بنيه ثم وصى بعدها يعقوب بنيه فقالا جميعاً: {يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١٣٢)}.

فإن قيل: كيف ينهون عن الموت والموت ليس من فعلهم؟

قيل: في هذا سعة اللغة لأن النهي توجه إلى مفارقة الإسلام ومعناه الزموا الإسلام ولا تفارقوه إلى الموت.

قوله سبحانه: {..وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى} قالت اليهود للمسلمين كونوا هوداً، وقالت النصارى لهم كونوا نصارى وقد مضى تفسير اليهود والنصارى من قبل، {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} وتقديره بل نتبع

ملة إبراهيم، وفي الكلام محذوف والملة الدين مأخوذ من الإملال أي ما يملون من كتبهم، وأما الحنيف فهو المخلص ويحتمل أن يكون المتبع وفي أصل الحنيفية في اللغة وجهان أحدهما: أن إبراهيم حنف إلى دين الله أي مال إليه فسمي حنيفاً والأحنف هو الذي تميل إحدى رجليه إلى الأخرى. والثاني : أن وجهه للاستقامة فسمي دين إبراهيم الحنيفية باستقامتها، وقيل ذلك نظير كما قيل للديغ سليم.

قوله تعالى: {..فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا} فإن قيل: فهل للإيمان مثل؟ قيل له: التقدير فإن آمنوا بمثل إيمانكم وصدقوا مثل تصديقكم فقد اهتدوا، {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ} أي في عداوة ومشقة وأصل الشقاق البعد من قولهم قد أخذ فلان في شق وفلان في شق آخر إذا تباعدوا وقيل لمن فارق الجماعة قد شق العصا.

قوله تعالى: {..صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} أي دين الله وسبب ذلك أن النصارى كانوا يصبغون أولاداً لهم في مآلهم ويقولون: هذا تطهير لهم كالجنابة فرد الله ذلك عليهم بأن قال صبغة الله أي صبغة الإسلام أحسن، ويحتمل أن تكون الصبغة بمعنى الخلقة وإنما سمي الدين صبغة لظهوره على صاحبه كظهور الصبغ على الثوب.

قوله عز وجل: {..أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ} وهم اثنا عشر سبطاً ولد يعقوب والسبط الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد والسبط في اللغة الشجر الذي يرجع بعضه إلى بعض.

{كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} يعني اليهود تزعم أن هؤلاء على ما كانوا هوداً والنصارى تزعم أنهم كانوا نصارى فرد الله

عليهم ذلك ثم قال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} هم اليهود كتموا ما في التوراة من صفة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ونبوته {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(١٤٠)}.

قوله تعالىٰ: {..سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} والسفهاء جمع سفيه والسفيه الخفيف الحلم من قولك: ثوب سفيه إذا كان رقيق النسج، ورمح سفيه إذا أسرع نفوذه والمراد بالسفهاء اليهود ويحتمل أن يكون كفار قريش ويحتمل أن يكون المنافقين.

{مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} وهي بيت المقدس حين كان يستقبلها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بمكة وبعد هجرته إلى المدينة سبعة عشر شهراً ثم نسخت قبلة جهة بيت المقدس باستقبال قبلة الكعبة وكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في صلاة الظهر بالمدينة وقد صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس فانصرف بوجهه إلى الكعبة وقال البراء بن عازب: كنا في صلاة العصر بقبا فمر رجل على أهل المسجد بقبا وهم ركوع في الثانية فقال: أشهد لقد صليت مع رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– قبل مكة قد أزواهم قبل مكة قد أزواهم قبل البيت ، وقبلة كل شيء ما قابل به وجهه، واستقبال رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– بيت المقدس لم يكن إلا بأمر من الله سبحانه ووحيه لقوله: {..وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ}.

فأما الحكمة في اختيار الله عز وجل بيت المقدس قبلة لنبيه لمعنى وذلك أن العرب كانت غير آلفة لبيت المقدس وكانت تحج البيت الحرام فأراد الله سبحانه امتحانهم في النقل عما ألفوه والتحويل بما عهدوه وأتى رفاعة بن قيس وكعب بن الأشرف والربيع وكنانة ابني أبي الحقيق قالوا لرسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله–: ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك

على ملة إبراهيم ودينه ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك؛ فأنزل الله سبحانه {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٤٢)}.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} والوسط فيه ثلاثة تأويلات أحدها: أنهم الخيار كما يقال فلان واسط الحسب إذا كان رفيعه، ومنه قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

والثاني: أن الوسط من التوسط في الأمور لأن المسلمين توسطوا فيه فلا هم أهلُ غلوٍّ فيه كالنصارى الذين غلوا بالترهب وما قالوا في عيسى، ولا هم أهل تقصير فيه كاليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءه وكذبوا على ربهم.

والثالث: أن المراد بالوسط العدل لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان وقد روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} أي لتشهدوا على أهل الكتاب بتبليغ الرسول -عَلَيْه السَّلام- رسالة ربه، ويحتمل وجه آخر وهو أن تكون الشهادة بمعنى الاحتجاج أي لتكونوا محتجين على الأمم كلها فعبر عن الاحتجاج بالشهادة، {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} بأنه قد بلغ رسالة ربه ويكون الرسول عليهم شهيداً أي محتجاً.

{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} فإن قيل: فكيف جعل تحويل القبلة طريقاً إلى علمه ؟
والجواب : أن التقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لمن يتبع الرسول فيعلم اتباعه فأوقع الفعل على العلم والمراد به المعلوم من يتبع الرسول يعني بما أمرته في استقبال الكعبة، {مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ} أي ممن يرتد عن دينه لأن المرتد ينقلب عما كان عليه لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم ونافق قوم، وقالت اليهود إن محمداً قد علم أنا على هدىً سيتابعنا، {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} أي وإن كانت التولية كبيرة إلا على الذين هدى الله والتحويل عَظُمَ على المنافقين والكافرين، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أي صلاتكم إلى بيت المقدس فسميت الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وإخلاص وفعل وقول.
وسبب ذلك أن المسلمين لما حولوا عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة قالوا لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: كيف بمن مات من إخواننا؟ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} أي صلاتكم إلى بيت المقدس.
فإن قيل: إنما سألوا عن صلاة غيرهم فأجابهم لحال صلاتهم؟ قيل: إن القوم أشفقوا أن تكون صلاتهم محبطة التي كانت إلى بيت المقدس لمن مات ولمن بقي فأجابهم بما دل على الأمرين على أنه قد روي أنهم قالوا: كيف نصنع بصلاتنا إلى بيت المقدس فأنزل الله سبحانه ذلك، {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٤٣)} فالرأفة أشد من الرحمة وقيل الرأفة أكثر من الرحمة.
قوله عز وجل: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} هذه الآية مقدمة في النزول على قوله: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} [البقرة:١٤٢]، وفي قوله: تقلب وجهك نحو السماء أي تقلب عينيك في النظر إلى السماء، {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} يعني الكعبة كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه

وآله- يرضاها ويختارها ويسأل الله أن يحول إليها وفي سبب اختياره لها قولان أحدهما: مخالفة اليهود حيث قالوا: تتبع قبلتنا وتخالفنا في ديننا. والثاني: أنه اختارها لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} كما قال الهذلي:

إن العشير بها داء يخامرها فشطر بها العينين محسور

أي نحوها والشطر من الأضداد شطر إلى كذا أي أقبل إليه وشطر عن كذا أي بعد منه أعرض عنه، وشطر الشيء نفسه وشطره نصفه وقوله: {الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني به الكعبة لأنها فيه يعبر عنها به والبيت كله قبلة.

ثم قال: {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} جرى الأمر الثاني مجرى التأكيد للأمر الأول لأن عمومه يقتضيه لكن أزال بالتأكيد أحكام التخصيص ثم جعل الأمر الأول مواجهاً به النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والثاني مواجهاً به جميع الناس فكلا الأمرين عام في النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وجميع أمته لكن غاير بين الأمرين ليمنع من تغيير الأمر والمأمور به وليكون كل واحد منهما جارياً على عمومه.

ثم قال: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني اليهود والنصارى {لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} يعني تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

قوله تعالى: {..وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} يعني استقبال الكعبة {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} أي بيت المقدس بعد أن حولت قبلته إلى الكعبة، {وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} يعني اليهود لا تتبع قبلة النصارى ولا النصارى تتبع قبلة اليهود فهم فيها

يختلفون وإن كانوا على عداوة النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- متفقين، {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} يعني في تحويلها عن بيت المقدس إلى الكعبة {إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(١٤٥)} وليس يجوز أن يفعل النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ما يصير به ظالماً وفي هذا الخطاب وجهان أحدهما: أن المراد به الأمة وإن كان الخطاب له لجواز الظلم عليهم، والثاني: إنما أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة بيان حكمه لو كانت.

قوله تعالى: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} يعني اليهود والنصارى أوتوا التوراة والإنجيل، {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} فيه قولان أحدهما يعرفون أن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة حق ، والثاني : يعرفون الرسول وصفته كما يعرفون أبناءهم، {وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ} عنى بالفريق علماءهم وخواصهم.

[قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} أي لكل أهل دين وجهة أي قبلة والضمير في قوله {هُوَ مُوَلِّيهَا} يعود على الكل، وقيل يعود على اسم الله تعالى يعني أنه أمر بالتوجه إليها، موليها: أي مستقبلها وموليٍ وجهه إليها. {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} بادروا وسارعوا والخيرات الطاعات، {أَيْنَ مَا تَكُونُوا} خطاب للجميع كأنه وعد للمؤمنين ووعد للكافرين أنهم إينما كانوا يأت بهم الله يوم القيامة للجزاء، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٤٨)} يعني قادر على جمعكم وعلى كل شيء.

قوله تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} مضى تفسيره.

{وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} قيل القبلة المأمور بها ويحتمل أنه الثابت الذي لا يزول بنسخ ولهذا يوصف الله سبحانه بأنه حق أي ثابت لا يزول.

إن قيل: لم كررت هذه الآية؟ قلنا: فيه أقوال منها: أنه مقدم لما يأتي بعده

سورة البقرة

ويتصل به كقولك زيد عالم زيد كريم. وقيل: بين في الأول حال الحضر وفي الثاني حال السفر.

قوله تعالى: {..لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} قال ابن عباس وغيره وغيره: الناس أهل الكتاب، وقيل على العموم {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا} يعني ظلموكم بالمقاتلة وقلة الإستماع وهم مشركو مكة لأن الظالم ليس له حجة وإنما يورد ما يظنه حجة وهي داحضة {فَلَا تَخْشَوْهُمْ} في التمسك والانصراف إلى الكعبة، {وَاخْشَوْنِي} بتركها فإني أكفيكم أمرهم، {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} عطف على قوله {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} فبين تعالى أنه حول القبلة لهذين الغرضين.

قوله تعالى: {..إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} أي من مناسكه {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ} أي لا حرج عليه {..وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا} قيل: فزاد في الطواف حول البيت بعد الواجب.

{..وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ(١٦٢)} أي لا يؤخرون بالتعذيب بل عذابهم حاضر.

قوله تعالى: {..وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا} أي أشباهاً وهي الآلهة من الأوثان يعبدونها، {..وَلَوْ ترى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي لو ترى يا محمد أي تنظر عند عذابهم كيف يتخاذلون لعجبت وقيل: لو تعلم. {..أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ} فيه حذف أي يعلمون ذلك.

قوله: {..وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي أعماله.

قوله تعالى: {..وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} اختلف في الضمير في قوله (لهم) على ثلاثة أقوال فقيل: يعود على من في قوله: (من يتخذ من دون الله أندادا) وهم مشركو العرب وقد سبق ذكرهم، وقيل: يعود على

الناس في قوله: (يا أيها الناس) فعدل عن المخاطبة إلى المغايبة للتصرف في الكلام كقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ} [يونس:٢٢]، وقيل: يعود على الكفار من اليهود وغيرهم وقد جرى ذكرهم وكل ذلك محتمل والقائل النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

ويدل على أن الضمير عائد إلى اليهود ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم دعا اليهود إلى الإسلام فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم منا فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش، وهو يدل على القول الأول.

{..مَا أَلْفَيْنَا} أي صادفنا ووجدنا.

قوله تعالى: {..وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(١٧١)} عن عطاء أنها نزلت في اليهود والمعنى أنهم لما لم يجيبوا وركنوا إلى التقليد لآبائهم ضرب لهم تعالى مثلاً فقال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا} قيل صفتهم وقيل شبههم، {كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ} بصوت لا يسمع من البهائم، {إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} يعني صياحاً من دون معرفة معناه.

ثم وصفهم بما جرى مجرى التوبيخ فقال تعالى: {صُمٌّ} يعني عن استماع الحجة، {بُكْمٌ} عن التكلم بالحق، {عُمْيٌ} عن الإبصار لها ذكره ابن عباس، وهذا على التشبيه يعني لما لم يسمعوا الحق ولم يتكلم ولم يبصر الأدلة صار بمنزلة من لا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم كقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

قوله تعالى: {..إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا

سورة البقرة

أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} أي ذبح لغير الله تعالى، وقيل: ما لم يذكر اسم الله عليه، {فَمَنِ اضْطُرَّ} قيل: ضرورة مجاعة عند الأكثر وقيل ضرورة إكراه عن مجاهد والأول الوجه.

قوله تعالى: {..إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} هذه الآية نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وكعب بن الأشد وغيرهم وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مأكلهم فغيروا صفته لهم وكتموا ما في التوراة.

وقوله: {أُولَئِكَ} الذين كتموا ذلك {مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ} يعني أن أكلهم في الدنيا وإن كان طيباً فعاقبته النار فوصف بذلك كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [النساء:١٠].

قوله تعالى: {..لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} هذه الآية نزلت لما كثر الخوض في تحويل القبلة وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله تعالى إلا التوجه للصلاة.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} ومعنى كتب أي فرض.

قوله تعالى: {..وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٧٩)} والمعنى لكم أيها المخاطبون في القصاص حياة في إيجابه حياة لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع، ويقال: وكيف يكون فيه الحياة ولمن تكون؟

قلنا: إذا تصور القصاص وارتدع ففيه بقاء من يهم بالقتل ومن يهمَّ به ومن يتعصب لهما لأن الفتنة تعظم بالقتل.

قوله تعالىٰ: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ(١٨٠)} قيل: نزلت لما كانوا يوصون الأبعد طلباً للفخر ويعدلون عن الأقربين فأوجب الله تعالىٰ في صدر الإسلام الوصية لهؤلاء منعاً له عما اعتادوه وقيل: كان الخيار للموصي في ماله فأمر أن لا يتعدىٰ بوصية هؤلاء فيصل إليهم بتمليكه ولذلك لما نزلت آية المواريث قال صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إن الله أعطىٰ كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث)).

قوله تعالىٰ: {..فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٨٢)} فقول : فمن خاف يحتمل إذا أوصىٰ واستقرت الوصية ومات الموصي وخاف العدول عن الحق في إمضائه أصلحه فيزول الخطأ ، الجنف الميل في الأمور والعدول عن الاستواء قال ابن عباس والجنف إذا زاد علىٰ الثلث وقيل أن يعدل في الوصية عن الطريق المشروع وهو الوجه، {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ} قيل المصلح هو الوصي وقيل الولاة وقيل المتوسط وقيل الشاهد بينهم، والإصلاح أن يرد الأمر إلىٰ حقه فلا إثم عليه بل هو محسن يستحق الأجر، {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يعني إذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فبأن يكون كذلك ولا ذنب عليه أولىٰ.

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} هذه الآية نزلت علىٰ الرسول صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما قدم المدينة ففرض عليهم صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ ذلك ونزل صيام شهر رمضان.

سورة البقرة

وقوله: {..وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مساكين} يعني إذا أفطروا وهو منسوخ وقيل إنها نزلت في الشيخ الهم فلا نسخ.

قوله تعالى: {..شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ} بين سبحانه وقت الصوم ووجوبه والرخصة فيه والقرآن أنزل في ليلة القدر منه إلى سماء الدنيا ثم أنزل على النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم متفرقاً وقيل: ابتدأ إنزاله ليلة القدر من شهر رمضان، وقيل: كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة ما كان يحتاج إليه في تلك السنة والأول الوجه لما يعلمه الله من المصلحة.

ومعنى شهد: شاهد الشهر، {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ} قيل: أراد التكبير ليلة الفطر ويوم الفطر ذكره ابن عباس وجماعة وقيل هو التعظيم له شكراً لقوله تعالى: {عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٨٥)} الله على نعمه والشكر باللسان والجنان.

قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} المعنى قريب بالعلم لأنه تعالى لا يوصف بمكان {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١١)} [الشورى].

قوله تعالى: {..أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} الرفث قال ابن عباس: الجماع، وقوله: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} شبهت باللباس قيل من حيث تحصنها بنفسه كما يحصن لباسه فيراها أهلاً لملاقاته وقيل لأنه يسكن إليها ويستتر بها عن الأمور التي تنفر النفس عنه كما يستتر بلباسه عن كشف ما ينفر الطبع عن كشفه.

{عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} تظلمون أنفسكم وقيل تخونون في الجماع لأنه الذي سبق ذكره وبتأخر ذكره ولا بد أن يكون من

بعضهم والمعنى جامعتم على وجه محظور.

قوله تعالى: {..وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} نزلت في أناس من الصحابة كانوا يعكفون في المسجد فإذا عرضت لأحدهم حاجة إلى أهله خرج وجامعها ثم اغتسل وعاد إلى المسجد فنهوا عن ذلك.

قوله تعالى: {..وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} المعنى لا تأكلوا أموال بعضكم بعضاً بالظلم والعدوان، {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} أي لا تلقوا بها إلى القضاة بأن يدفع إلى الحاكم رشوة ليحكم له ويذهب بمال أخيه حراماً.

قوله تعالى: {..يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ} يعني لم خلقت على الرواية الصحيحة عن التابعين {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها ولكن من ظهورها فنهوا ن ذلك][1].

قوله تعالى: {..وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} هذه الآية من آيات السيف مما رفعت أحكام المهادنة والمسالمة والإعراض عن المشركين، {وَلَا تَعْتَدُوا} والاعتداء هو قتل النسوان والصبيان ومن لا يقدر على القتال كالشيخ الفاني وأصحاب الصوامع من الرهبان.

قوله تعالى: {..وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} أي حيث ظفرتم بهم، {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} يعني من مكة، {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} عنى بالفتنة الكفر لأنه يؤدي إلى الهلاك كما يؤدي إلى الفتنة.

وقوله: {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ}

---

[1]- ما بين المعكوفين زيادة قال في هامش نخ (أ): هذه الورقتان زيادة من السيد يحيى بن الحسين كما ذكر في الحامية فيحقق ويبحث لنسخة صحيحة إن شاء الله أ.هـ.

سورة البقرة

هذه الآية منسوخة بقوله: {حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [البقرة:١٩٣].

قوله تعالى: {..الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست فصده المشركون عن البيت فصالحهم على أن يقضي في عامه القابل في سنة سبع فرجع وتحلل فلما كان سنة سبع أخلت له قريش مكة فدخلها في شهر القعدة في الشهر الذي صدوهم فيه وقضى عمرته.

قوله: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ} يعني ذي القعدة لأنه من الأشهر الحرم الذي صدوكم فيه عن العمرة الذي اعتمرتم فيه وإنما سمي ذا القعدة لقعود العرب فيه عن القتال وقد قيل إن قوماً قالوا لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: أنهيت عن قتالنا في الأشهر الحرم؟ فقال: ((نعم)) فأرادوا يقاتلونه فأنزل الله تعالى هذه الآية {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ} أي من استحل قتالكم في الشهر الحرام فاستحلوا قتاله فيه.

قوله تعالى: {..وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني الجهاد، {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} والباء زائدة وتفسير الآية تهلكة الإنسان نفسه ويقدم بها في الهلكة من غير نكاية في العدو.

قوله تعالى: {..وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} وإتمامها على ما روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن تأتي بهما من دويرة أهلك وليس وجوب العمرة عندنا كوجوب الحج لأن الحج وجوبه على الفور والعمرة وجوبها على التراخي.

ثم قال: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} والإحصار عندنا يكون بالمرض والعدو وما استيسر من الهدي: من الشاة إلى البدنة، وقوله: {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} ومحل الهدي الحرم.

ثم قال: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} وتقدير الكلام فحلق ففدية من صيام، الصيام ثلاثة أيام، وأما الصدقة فإطعام ستة مساكين والنسك فشاة أقلها. ثم قال: {..فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ} والتمتع كالذي يقدم الحرم فلا يحل منها حتى يحرم بالحج.

قوله تعالى: {..فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} الذي روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنها بعد الإحرام وقبل النحر ويجوز لمن فاته في ذلك الزمان أن يصوم أيام التشريق، {وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ} إلى أهاليكم وأمصاركم.

وقوله: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} أن تكون على التأكيد، {ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وحاضري المسجد الحرام هم أهل الحرم.

قوله تعالى: {..الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} يعني شوال وذا القعدة وعشر ليال مضين من ذي الحجة إلى طلوع الفجر يوم النحر، {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} والرفث الجماع والفسوق جمع فسق وهو المعاصي بها، والجدال هو أن يجادل الرجل صاحبه حتى يغضبه.

قوله تعالى: {..وَتَزَوَّدُوا} أي بالأعمال الصالحة، {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}.

قوله تعالى: {..لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} روي أن ذا المجاز وعطاطا كانا متجران للناس في الجاهلية فلما جاء الإسلام تركوا ذلك حتى نزل قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ}.

سورة البقرة

{فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ} والإفاضة الدفع من الاجتماع بإفاضة الماء عن الامتلاء، وقيل إن عرفات واحد وإن كان بلفظ الجمع، وإنما يسمى بذلك لعلو الناس على جباله، والعرب تسمي ما علا عَرَفة ومنه عرف الديك، وقيل إن إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- لما وصله عرف ما كان قد تقدم له من الصفة.

{فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} والمشعر المعلم وإنما سمي بذلك لأن الدعاء عنده من معالم الحج وحد المشعر ما بين جبلي المزدلفة من حد مفاض مأزمي عرفة إلى محسر وليس مأزما عرفة من المشعر.

قوله تعالى: {..ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} أي سائر العرب ويجوز أن يكون المراد بالناس إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- ونزل {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} هذه الآية نزلت في قريش وذلك أنهم ما كانوا يخرجون من الحرم ويقولون نحن الخمس ويقفون في حجهم بمزدلفة وسائر العرب كانت تقف بعرفات وهو موقف إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- وقد يعبر بالواحد بالناس الكثير كما قال الله عز وجل: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} [آل عمران:١٧٣]، الناس الذين قالوا هو نعيم بن مسعود الأشجعي. {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} أي لذنوبكم.

قوله تعالى: {..فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ} أي متعبداتكم من المناسك وسائر ما أمر بفعله في الحج.

قوله تعالى: {كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} معناه أنهم كانوا إذا فرغوا من حجهم جلسوا في منى حلقاً وكانوا يذكرون مناقب آبائهم ويفتخرون بها فنهوا عن ذلك وأمروا بذكر الله عز وجل والدعاء إليه، وقيل: إن الواحد منهم كان يقول: اللهم إن أبي كان كبير الجفنة عظيم الفئة

كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته فلا يذكر غير أبيه.

قوله تعالى: {وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} والحسنة تحتمل معاني منها العافية ومنها نعم الدنيا ونعم الآخرة، ومنها العلم والعبادة.

قوله تعالى: {..وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ} هي أيام منى، {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} يعني تعجل النفرً الأول في أيام منى ومن تعجل فلا إثم عليه في تعجيله ومن تأخر فلا إثم عليه في تأخره.

وأما الذكر المأمور به فهو التكبير في أعقاب الصلاة والذي صح عندنا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- في التكبير أنه من بعد صلاة الصبح يوم عرفة إلى بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق.

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي في حب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ} يقول اللهم علي به وضميره بخلافه وقوله: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤)} أي شديد الخصومة ويجوز أن يكون الخصام جمع خصم ، ويجوز أن يكون مصدر المخاصمة وهو ألد أي ذو جدل، وقد روى ابن أبي مليكة يرفعه إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال ((أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم)) وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق.

{وَإِذَا تَوَلَّى} أي انصرف {سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا} أي بالظلم والكفر {وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ} أي بالسبي والقتل {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(٢٠٥)} أي الفساد وأهله.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} أي دعته العزة إلى الإثم.

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ} يبتع

سورة البقرة

نفسه كما قال {وَشَرَوْهُ} [يوسف:٢٠]، أي باعوه والعمل الذي باع به نفسه هو الجهاد، وقال أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- هذه الآية نزلت في كل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} أي في الإسلام {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي آثاره {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٠٨)} أي بعداوته.

قوله تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} أي إن ضللتم وعصيتم بعد حجج الله تعالى وظهورها على يدي رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٠٩)} عزيز في نفسه حكيم في فعله.

قوله تعالى : {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ} أن تأتيهم بظلل من الغمام.

قوله تعالى: {..سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ} ليس هذا على السؤال على سبيل الاستخبار وإنما هو على سبيل التوبيخ والآيات: فلق البحر، والظلل من الغمام، وغير ذلك، {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ} ونعمة الله العلم برسوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} الذي زينها هم الذين أغووهم من الجن والإنس {وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} لأنهم يوهمونهم أنهم على حق فهذه سخريتهم لضعفاء المسلمين وهؤلاء الذين يفعلون ذلك وهم مشركو العرب وكفار قريش {وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي فوق الذين[1] كفروا، {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٢١٢)} وقد قال عطاء (حساباً) فالجواب أن الذي بغير حساب هو التفضل وأن الذي هو بالحساب الجزاء.

قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} يعني عشرة قرون بعد آدم -عَلَيْه السَّلام- من ولده كانوا على الحق ثم اختلفوا {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ}.

{مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} يعني الحجج والدلائل {بَغْيًا بَيْنَهُمْ} مصدر بغى فلان على فلان أي اعتدى عليه {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} أي لما اختلف فيه أهل الكتاب بينهم فكفر بعضهم بكتاب بعض هدى الله أمة أبينا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إلى التصديق بجميع الكتب والرسل.

قوله تعالى: {..يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} وسبب ذلك أن أصحاب النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- سألوه عن أموالهم أين يضعوها فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} أما الكره بضم الكاف فهو إدخال المشقة على النفس وغير إكراه أحد والكَره إدخال المشقة مع الإكراه وهو بالنصب، وكتب: فرض والقتال فرض على كل مكلف لا يسع أحد من أهل القبلة التخلف عن إمام إذا قام لمقاتلة أعداء الله.

وقوله تعالى: {وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} أي مكروه لكم لأنه مما تنفر عنه الطباع ويشق على النفوس {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} يعني في

---

[1]- نخ: الكفار.

سورة البقرة

الدنيا بالظفر والغنيمة وفي الآخرة بالأجر والمثوبة، {وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} أي بالمتاركة والمسالمة والظهور عليكم في الدنيا والغلبة وفي الآخرة بنقصان أجوركم فهذا معنى {وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ}.

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} وسبب ذلك أن عبدالله بن جحش خرج بأمر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في سبعة نفر من أصحابه وهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وسهل بن أبي البيضاء وخالد بن المكثر وسعد بن أبي وقاص وواقد بن عبدالله وعبدالله بن جحش وكان أميرهم فتأخر عن الوقعة عتبة وسعد ليطلبا بعيراً لهما ضل فلقيوا عير ابن الحضرمي فرماه واقد بن عبدالله بسهم فقتله وأستؤسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان وغنمت العير وكان في آخر ليلة في جمادى الآخرة وأول ليلة من رجب فعيرت قريش رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بذلك وقدم عبدالله بن جحش فلامه النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ووقع السؤال من المشركين ليعيروا بذلك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ويستحلوا قتاله فيه فأخبر الله عز وجل أن الصد عن سبيل الله وإخراج أهل الحرم منه والفتنة أشد من القتال في الشهر الحرام وتحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة:٣٦]، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه غزا هوازن بحنين وثقيفاً بالطائف وأرسل أبا العاص إلى أوطاس لحرب من بها من المشركين في بعض من الأشهر الحرم وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} أي يرجع لقوله: {فَارْتَدَّا

عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا(٦٤)} [الكهف]. {فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أي بطلت وأصل الحبوط الفساد، وقيل في الأعمال حبطت لفسادها.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا} سبب نزولها أن قوماً من المسلمين قالوا في عبدالله بن جحش ومن معه أنهم أصابوا في سفرهم وزراً فليس لهم فيه أجر فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} أي بالله ورسوله، وهاجروا من دورهم ومساكنهم التي كانت بين المشركين خرجوا من سلطانهم إلىٰ سلطان الإسلام {وَجَاهَدُوا} أي قاتلوا وأصل المجاهدة من جهد فلاناً الأمر إذا كربه وشق عليه، وأما {سَبِيلِ اللَّهِ} فطريقه وطريقه دينه.

فإن قيل: كيف قال: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} ورحمة الله مستحقة؛ فالجواب عن ذلك: أنهم راجون رحمة الله فأقام الفعل المستقبل مقام الماضي، ويحتمل أن يكون ذلك علىٰ سبيل التواضع والخشوع كما يقول الأنبياء وصالح العباد: اغفر لنا، وإن كانوا يعلمون أنه قد غفر لهم.

قوله تعالىٰ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} أي يسألك أصحابك يا محمد، وهذه أول آية نزلت فيها والخمر: كل شراب خامر العقل فستره وغطاه وهو من قولهم: خمّرت الإناء، إذا غطيته، ويقال هو في خمار الناس وغمارهم يراد أنه دخل بينهم فاستتر بهم ومن ذلك: خمار المرأة لأنه يسترها ومنه قيل: فلان يمشي خمراً أي مستخفياً قال العجاج:

في لامع العقبان لا تأتي الخمر

أي لا تأتي مستخفياً لكن ظاهراً بجيوش ورايات .

وأما الميسر فهو القمار وهو من قول القائل: يسر هذا الشيء يسراً وميسراً

سورة البقرة

ثم قال للضارب بالقداح المقامر ياسر قال الشاعر:

فبت كأنني يسر عنين   بقلب بعد اختلع القداحا

والإثم الكبير الذي هو في الخمر إنما هو ما يزول من عقل شاربها حتى تذهب منه معرفة الله عز وجل ويستوي عنده الحسن والقبيح هذا مع ما ينال غيره من الأذى والإثم في القمار أنه يأخذ ما ليس له ويظلم وما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن الصلاة كما ذكر الله عز وجل في كتابه: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ} [المائدة:٩١].

ومنافع الخمر ما كانوا يأخذون من أثمانها، ومنافع الميسر من أخذ الأموال من غير كد {وَإِثْمُهُمَا} بعد ما حرمهما الله عز وجل أكبر وأعظم من نفعهما.

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} والعفو ما كان يفضل من الأموال بعدما كان الرجل يأخذ قوت سنة وكفايته فما فضل عن ذلك تصدق به حتى نسخته آية الزكاة.

وروينا عن آبائنا، عن زيد بن علي -عليهم السلام- أنه قال: لما نزلت هذه الآية في الخمر والميسر شرب بعد ذلك رجل يقال له أبو القموص فجعل ينوح على قتلى بدر وجعل يقول:

تحيا بسلامة أم بكره   وهلك بغدر... من سلام

ذرينى أصطبح بكراً فإني   رأيت الموت نفث عن هشام

وكائن بالطوى طوى بدر من الفتيان والحلل الكرام[1]

قال: فبلغ ذلك رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فجاء فزعاً يجر رداءه من الغضب حتى انتهى إليه فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله والله لا أطعمها أبداً قال الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة:٩٠]..إلى قوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(٩١)} [المائدة].

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ} قيل لما نزل قوله في بني إسرائيل: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام:١٥٢]، ونزلت في سورة النساء: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا(١٠)} تحرج المسلمون أن يخلطوا طعامهم بطعام من يكون عليه من الأيتام وكانوا يعزلون طعامهم عن طعامهم وشرابهم عن شرابهم فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأنزل الله: {وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ} يعني في الطعام والشراب والمساكنة وركوب الدابة واستخدام الخادم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ} أي حين تخالطونهم أتريدون أن توفروا عليهم أو تنقصوا عنهم {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ} أي شدد عليكم {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٢٠)} عزيز في سلطانه وقدرته على الإعنات، حكيم فيما يصنع من تدبيره وتركه الإعنات.

---

[1]- نخ :

وكأني بالطوى طوى بدر من الشيزى يأكل بسنام

سورة البقرة

قوله تعالىٰ: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ} هذه الآية محكمة عندنا وليس للمسلم أن يتزوج المشركة من أهل الكتاب أو من غيره، وقد روي أن طلحة بن عبيدالله نكح يهودية ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية فغضب عمر بن الخطاب لذلك وكان النكاح في ولايته حتى هم أن يسطو عليهما فقالا نحن نطلق يا أبا حفص فلا تغضب فقال: لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكن انتزعوهن منكم صغرة وقمأة.

قوله تعالىٰ: {وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ} المراد: ولنكاح أمة مؤمنة خير من مشركة من أهل الكتاب وإن شرف نسبها وعظم أصلها وهذه الآية نزلت في شأن عبدالله بن رواحة كانت له أمة فحطت عليه حرة مشركة ذات شرف وجمال فلم يقبلها وأعتق أمته وتزوجها فطعن عليه ناس فأنزل الله تعالىٰ هذا فيه قوله: {وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا} ولذلك لا يجوز نكاح المشرك.

قوله تعالىٰ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًىٰ} والسائل عن ذلك الثابت بن الدحداح الأنصاري وكانت العرب في صدر الإسلام من المسلمين يجتنبون مساكنة الحيض ومواكلتهن ومشاربتهن فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية.

والأذىٰ: كل ما يتأذىٰ به من نتن رائحته وقذره ونجاسته {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} ومعنىٰ الاعتزال في هذا الموضع إتيانهن في فروجهن {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ} وهو بالتخفيف وضم الهاء وقرئ بتشديد الطاء وفتح الهاء؛ فمن قرأ بالتخفيف فالمراد به يطهرن من حيضهن، ومن قرأ بالتشديد فهو أصح القراءتين والمراد به يغتسلن من حيضهن لأنه لا يجوز إتيان المرأة الحائض {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} أي اغتسلن {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

أَمَرَكُمُ اللَّهُ} أي من قبل طهرهن لا من قبل حيضهن {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ} من صحة توبته من الذنوب {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢)} بالماء.

قوله تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} والحرث مزدرع الولد وهو القبل فأتوه كيف شئتم ومن حيث شئتم لا يجوز سوى الفرج مُقْبِلَة كانت أو مُدْبِرَة.

قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا} والعرضة العلة يعتل بها الرجل في بره وهو أن يمتنع من الخير والإصلاح بين الناس ويقول: علي يمين أن لا يفعل ذلك {أَنْ تَبَرُّوا} في أيمانكم ويحتمل أن تبروا أرحامكم وتصلحوا بين الناس وهو الإصلاح المعروف.

قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} أما اللغو في كلام العرب فهو كل كلام كان مذموماً وفضلاً لا معنى فيه مهجوراً يقال: لغا في قوله إذا هجر وقال قبيحاً ومثله قوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} [القصص:٥٥]، واللغو الذي لا يؤاخذ الله به هو أن يحلف الرجل على أمر ماض أنه كذا فيبدوا له أنه بخلافه أو يحلف على أمر ماض وهو يعلم أنه كاذب فهذا يجب فيه التوبة أو يحسبه القلب أن يعقد يمينه على أمر مستقبل أن يفعل ولا يفعل فيحنث فيه فعند ذلك تجب عليه الكفارة.

قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ} أي يقسمون والألية القسم قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزار   وأحببت الألية مقسمينا

وفي الكلام حذف وتقديره للذين يؤلون أن يعتزلوا من النساء فترك أن يعتزلوا بما دل عليه الخطاب وظاهر الكلام، واليمين هو بالله عز وجل وهو

سورة البقرة

أن يحلف على وجه الإضرار أن لا يجامعها فإن حلف على غير وجه الإضرار فليس بمولٍ.

ثم قال: {فَإِنْ فَاءُوا} أي رجعوا، والفيء الرجوع من حال إلى حال كقوله: {حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات:٩]، أي ترجع ومنه قول الشاعر:

ففاءت ولم تقض الذي أقبلت له ومن حاجة الإنسان ما ليس قاضيا

والفيء الرجوع إليها وذلك أن المولي إذا انقضى أربعة أشهر يقفه الإمام ويقال له: فيء فإن فاء ورجع وإلا فرق بينه وبين زوجته ويلزم المولي بعد الأربعة الأشهر الكفارة إذا رجع وقوله: {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢٢٦)} غفور للإثم لا للكفارة.

قوله تعالى: {وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٢٧)} أي من بعد أن تمضي الأربعة الأشهر ولم يرجع وهو الطلاق فإن الله سميع لطلاقه عليم بنيته.

قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} وأراد بالمطلقات المخليات ويقال: شاة طالق إذا كانت ترعى بغير راع طلقت بضم الطاء من الطلق وهو ما يأخذ المرأة عند الولادة؛ ثم قال: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} والقروء هي الحيض قال الشاعر:

يا رب ذي ضغن علي فارض له قرؤ كقرؤ الحائض

وأصله من الجمع يقال: قرى الطعام في شدقه وقرء الماء في الحوض أي جمعه، ويقال: ما قرأت المرأة نسلاً قط أي لم يجمع رحمها على ولد، وسمي

القرء بذلك لاجتماع الدم في الرحم.

ثم قال: {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} يعني من الحمل وإنما توجيه الوعيد إلى من كتم ذلك لأمرين أحدهما: لما يستحقه الخروج من الرجعة والآخر لإلحاق نسب الولد بغيره كما يعمل أهل الجاهلية.

ثم قال: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ} أي برجعهن، وهذا في الطلاق الرجعي دون البائن إن أرادا إصلاح ما بينهما من الطلاق ثم قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} أي من جنس المحبة والعشرة بالجميل والمعروف على أزواجهن {مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ} من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لأزواجهن وترك الأزواج المضارة لهن؛ ثم قال: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} أي منزلة فيما خصهم الله عز وجل به من الجهاد والميراث.

قوله تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} فيه بيان لعدة الطلاق وتفسيره بالثلاث وأنه يتملك الرجعة بالاثنتين ولا يملكها بالثالثة وذلك بيان لسنة الطلاق وأن يوقع في كل قرء طلقة، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه جاءه رجل فقال: الطلاق مرتان فأين الثالثة قال: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} والإحسان هو تأدية حقها وكف الأذى عنها.

قوله تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} والخوف هنا بمعنى الظن كما قال الشاعر:

وما خفت يا سلاّم أنك عاتبي

يعني ما ظننت. والذي يخافا أن لا يقيما حدود الله هو أن يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق وأن لا تطيع له أمراً ولا تبر له يميناً وتبدي الكراهة له من نفسها ويضارها الزوج على فعلها فلا يقيم كل واحد ما أوجب الله عز

وجل له على صاحبه.

ثم قال: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} نفسها من الصداق وحده من غير زيادة.

قوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} يعني المطلقة الثالثة لا تحل للزوج المطلق حتى تنكح زوجاً غيره ثم نكاح الثاني يحللها الأول بعد دخول الثاني بها ويذوق عسيلتها وتذوق عسيلته للخبر.

قوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} معنى قوله {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} أي قاربن انقضاء عدتهن كما يقول المسافر قد بلغت بلد كذا إذا قاربه {فَأَمْسِكُوهُنَّ} هو المراجعة قبل انقضاء العدة {أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} هو تركها حتى تنقضي العدة {وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا} وهو أن يراجع كلما طلق حتى تطول عدتها إضراراً بها، {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} يعني في قصد الإضرار وإن صحت الرجعة والطلاق {وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} روينا عن أمير المؤمنين علي –عَلَيْه السَّلام– أنه قال: كان الناس على عهد رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– يطلق الرجل منهم أو يعتق فيقال له ما صنعت فيقول: كنت لاغياً فقال رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله–: ((من طلق لاغياً أو أعتق لاغياً فقد جاز عليه)) وفيه نزلت: {وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} ز

قوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ، معنى قوله: فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} الأجل هاهنا انقضاء العدة بخلاف بلوغه في الآية قبلها لأنه لا يجوز لها أن تنكح غيره قبل انقضاء عدتها فدل اختلاف الكلامين على اختلاف البلوغين.

ثم قال: {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ} والعضل المنع ومنه قيل: داء عضال إذا

امتنع من أن يتداوى وكذلك: فلان عضلة أي داهية وقال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

فنهى الله سبحانه وتعالى أولياء المرأة عن عضلها ومنعها النكاح لمن رضيته من أكفائها وقوله: {إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ} أي إذا تراضى الزوجان بالمهر وفي الآية بيان أنه لا يصح النكاح إلا بولي لورود الأمر إلى الأولياء بترك العضل وهذه الآية نزلت في معقل بن يسار وقد زوج أخته رجلاً فطلقها ثم تراضيا بعد العدة أن يتزوجها فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ} والحول السنة وهو مأخوذ من قولهم: حال الشيء إذا انقلب لانقلابه عن الوقت الأول ومنه استحال الكلام لانقلابه عن الصواب، وإنما قال: حولين كاملين لأن العرب تقول: أقام فلان بمكان كذا حولين أي حولاً وبعض آخر، وأقام يومين أي يوماً وبعض آخر.

قال تعالى : {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} أي تعجل في يوم وبعض آخر .

وهذا حكم في رضاع الولد إذا اختلف والداه في إرضاعه أي يرضع حولين كاملين ثم قال: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} والمولود له الأب عليه في ولده لمن يرضعه الكسوة والنفقة وقوله: {بِالْمَعْرُوفِ} أي على قدر اليسار والإعسار ثم قال: {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا} أي لا تمتنع من إرضاعه إضراراً بالأب {وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} أي الأب لا يضار بولده أي لا ينتزع الولد من أمه ضراراً بها {وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ} أي على وارث الولد يعني أولياءه وعصبته

سورة البقرة

مثل ما كان على أبيه من القيام وطلب صلاحه والإنفاق عليه بالمعروف وتأديبه والأولياء في ذلك يقومون مقام الآباء.

ثم قال: {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} والفصال الفطام وسمي فصالاً لانفصال الصبي عن ثدي أمه، وقولهم: فاصل فلان فلاناً إذا فارقه بعد خلطة والتشاور استخراج الرأي بالمشورة، وزمان الانفصال قبل الحولين فإن رضي الأبوين بذلك جاز وإن رضي أحدهما لم يجز.

ثم قال: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ} فحذف اللام اكتفاء بدلالة الكلام وهذا عند امتناع الأم من إرضاع ولدها فلا جناح عليه أن يسترضع له ظئراً غيرها {إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ} أي إذا سلمتم أيها الآباء إلى الأمهات أجور ما أرضعن قبل الامتناع منهن، ويحتمل أن يكون المعنى إذا سلمتم الأولاد بمشورة أمهاتهم إلى المسترضعة علمتم أجرها بالمعروف.

قوله عز وجل: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} يعني بالتربص زمان العدة في المتوفى عنها زوجها، ومعنى زيادة العشر على أربعة أشهر هذا ما روينا أن الله عز وجل ينفخ الروح في الجنين في هذه العشر ثم ذكر العشر بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت لأن أول الشهر طلوع الهلال ودخول الليل فكان تغليب الأوائل على التوالي أولى والإحداد فهو واجب وهو الامتناع من الزينة والرحيل والتطيب والنقلة.

قوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} فإن قيل: فما المعنى في رفع الجناح على الرجال إذا

بلغ النساء أجلهن؟ فالجواب: أن الخطاب توجه إلى الرجال فيما يلزم النساء من أحكام العدة فإذا بلغن أجلهن ارتفع الجناح عن الرجال في الإنكار عليهن وأخذهن بأحكام عدتهن ثم قوله {فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ} من التطيب والتزين، ويحتمل أن يكون المعنى: ولا جناح على الرجال في نكاحهن بعد انقضاء عدتهن، وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البقرة:٢٤٠].

فإن قيل: فهي متقدمة والناسخ حكمه أن يكون متأخراً. قيل: هو في التنزيل متأخر وفي التلاوة متقدم.

فإن قيل: فلم قدم في التلاوة مع تأخره في التنزيل؟ قيل: لسبق القارئ إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتى إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزى.

قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} أما التعريض فهو الإشارة بالكلام إلى ما ليس فيه ذكر فالخِطبة بكسر الخاء هو طلب النكاح، والخُطبة بالضم فهو تأليف كلام يتضمن وعظاً وإبلاغاً، والتعريض المباح في العدة أن يقول: رُبّ رجل يرغب إليك ولعل الله يسوق إليك خيراً.

ثم قال: {أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ} أي أسررتموه من عقد النكاح، ثم قال: {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} أي لا تأخذوا عهودهن ومواثيقهن على أن لا ينكحن غيركم.

ثم قال: {إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا} وهو التعريض الذي ذكرناه، ثم قال: {وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ} وفي الكلام حذف وتقديره ولا تعزموا عقد [عقدة] النكاح يعني التصريح بالخطبة ؛ ثم قال: {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} يعني انقضاء العدة وتقدير الكلام حتى يبلغ فرض

سورة البقرة

الكتاب أجله.

قوله عز وجل: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ} وقد قرئ: ما لم تماسوهن {أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً} ومعنى بل تفرضوا لهن فريضة والفريضة الصداق وسمي فريضة لأنه أوجبه لها ويقال: فرض فلان لفلان كذا أي أوجب له.

وقوله: {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ} يعني أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على حسب أحوالكم في الغنى والإقتار فأما قدر المتعة فعلى ما ذكرنا وليس لها قدر معلوم بل تكون على سعة حسب سعة الأحوال وضيقها والأحسن أن تكون مثل نصف الصداق.

ثم قال: {مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ(٢٣٦)} فعلم وجوبها عليه بهذه الآية وهي لكل مطلقة لم يدخل بها زوجها.

قوله تعالى: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ} وهو أولى الطلاقين لمن كان كارهاً قبل الدخول كما روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إن الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات)) يعني الفراق بعد الذوق.

ثم قال: {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} يعني صداقاً {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} لكم تسترجعونه منهن ويحتمل فنصف ما فرضتم لهن ليس عليكم غيره لهن {إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ} يعني به عفو الزوجة ليكون عفوها أدعى إلى خطبتها ويرغب الأزواج فيها به قال: {أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ} والذي بيده عقدة النكاح هو الزوج كذلك رويناه عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه-.

قوله تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} وهذا خطاب للزوج

والزوجة وذلك أقرب لاتقاء كل واحد منهما ظلم صاحبه.

قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} وإنما خص الوسطى بالذكر وإن دخلت في جملة الصلوات لاختصاصها بالفضل، وقد روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: هي صلاة العصر ، وروي عنه -عَلَيْه السَّلام- أنه لم يصل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- العصر يوم الخندق إلا بعد غروب الشمس فقال: ((ما لهم ملأ الله قلوبهم وقبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس))، وروينا أنها صلاة الظهر وكلتا الروايتين جائز شائع.

ثم قال: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ(٢٣٨)} أي داعيين طائعين لأن أصل القنوت الدعاء.

قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا} الرجال جمع راجل والركبان جمع راكب مثل قائم وقيام، يعني فإن خفتم من عدوكم فصلوا على أرجلكم وركابكم وقوفاً ومشاة إلى قبلة وغير قبلة مؤتماً أو غير مؤتم على حسب قدرته فإن كان الخوف في السفر والفرض ركعتان مما نقص منه وإن كان في الحضر فالصلاة تامة وليس على من صلى على الوجه الذي ذكرنا الإعادة مع خروج الوقت فإن بقي الوقت استحبت الإعادة؛ ثم قال: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ(٢٣٩)} أي إذا أمنتم فصلوا الصلاة على شروطها وأحيانها كما علمكم.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ}..الآية، أما الوصية فقد كانت بدل الميراث ثم نسخت بآية المواريث، وأما الحول فقد كانت عدة المتوفى عنها زوجها ثم نسخت بأربعة أشهر وعشرا على ما تقدم.

قوله تعالى: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} وهذه الآية نزلت على سبب وهي أن الله عز وجل لما قال: {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى

سورة البقرة

الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ(٢٣٦)} وقال رجل : إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل فقال الله عز وجل: {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ(٢٤١)} خص المتقين وإن كان عاماً تشريفاً لهم.

قوله تعالى: {..أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} يعني ألم تعلم {وَهُمْ أُلُوفٌ} في العدد والائتلاف والألوف فما زاد على عشرة آلاف، قيل : إنهم كانوا أربعين ألفاً ثم قال : {حَذَرَ الْمَوْتِ} أي فروا من الجهاد {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا} والقول هنا بمعنى الفعل أي فأماتهم الله كما يقال قالت السماء فعلت بيدي أي مطرت وفعلت بيدي ولأن القول مقدمة الفعل فعبر عنه به {ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} الله، وكان ذلك معجزة لنبي من أنبيائه.

قوله تعالى: {..مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} القرض هنا الجهاد، وكذلك سائر أبواب البر، قال الشاعر:

وإذا جوزيت قرضاً فاجره ... إنما يجزي الفتى ليس الجمل

وقد جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية فقالت: إن الله يستقرض منا فنحن أغنياء وهو فقير فأنزل الله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران:١٨١].

قوله تعالى: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} أي عدداً لا يعلمه إلا الله تعالى لكثرته {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ} أي يقبض الصدقات ويبسط الجزاء.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ} الملأ الجماعة من الأشراف والنبي الذي سألوه داود -عَلَيْه السَّلام- {ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} لأن الجبابرة في وقته

استذلوهم وهضموهم فسألوا لقتالهم.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ} قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه- إنما أنكروا أن يكون ملكاً عليهم لأنه لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة بل كان من أخمل سبط من بني إسرائيل.

{قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} يعني زيادة في العلم وعظماً في الجسم {وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٤٧)} والتقدير واسع الفضل فأسقط الفضل اكتفاء باللفظ ويجوز أن يكون واسع بمعنى يوسع نعمه على خلقه.

قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} أي علامة ملكه وقدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم أي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها وتثبتون لها {وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ} والبقية فهي العلم والتوراة وقيل عصا موسى ورصاص الألواح وكل ذلك جائز وكانت الملائكة التي حملته بين السماء والأرض.

قوله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ} هو جمع جند والأجناد القليل وقيل إنهم كانوا مائتين ألف مقاتل {قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ} وهو بين الأردن وفلسطين من أرض بيت المقدس، والسبب الذي ابتلوا به شكايتهم قلة الماء وخوف العطش {فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي} أي من أهل ولايتي {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} وقرئ (غَرفة) بنصب الغين وغُرفة بضمها فمن ضمها فإنما المراد به المشروب ومن نصب فإنما أراد الفعل {فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ} قال

الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: كل من استكثر من ذلك الماء ازداد عطشاً وكان المؤمنون عدد أهل بدر ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً وجاوز معهم عدة من الكافرين غير أنهم انجزلوا وقالوا: {لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ} أي يستيقنون كما قال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

و{مُلَاقُو اللَّهِ} أي ملاقو ثوابه ورحمته {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(٢٤٩)} والفئة الفرقة، بإذن الله: أي بنصر الله؛ لأن الله عز وجل إذا أذن في القتال نصر، والله مع الصابرين: أي بالمعونة والنصر.

قوله تعالى: {فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ} وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن جالوت خرج يطلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر فوقع بين عينيه وخرج من قفاه ثم أصاب جماعة كثيرة من عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم.

قوله تعالى: {وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ} يعني داود أراد بالملك السلطان وبالحكمة النبوة {وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} هو صنعة الدروع والتقدير في السرد {وَلَوْلَا دفاع اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: إن الله عز وجل يدفع عن البر بالفاجر.

قوله تعالى: {...اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} مخرج الكلام نفي وحقيقته إثبات إله واحد وهو الله {الْحَيُّ} وإنما سمى نفسه حياً لصرفه الأمور في مصارفها

وتقديره الأشياء مقاديرها فهو في التقدير حي لا بحياة، و{الْقَيُّومُ}: هو القائم بأمر خلقه ويحتمل أن يكون القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها ويجوز أن يكون بمعنى العالم بالشيء كما يقال فلان يقوم بهذا الأمر ويقوم بهذا العلم أي بعلمه.

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} والسنة النعاس والنعاس ما كان في العين من أجل القلب فهو النوم قال عدي بن الرقاع:

وسْنَان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي الدنيا {وَمَا خَلْفَهُمْ} أي الآخرة {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ} أي من معلومه {إِلَّا بِمَا شَاءَ} أن يطلعهم عليه ويعلمهم إياه {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} والكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة التي فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز:

حتى إذا ما اختارها تكرساً

أي تعلماً.

ومنه قيل لعلماء الأرض كراسي كما يقال لهم أوتاد، قال الشاعر:

تحفهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب

أي علماء بحوادث الأمور.

وقال: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} أي لا يثقله حفظهما الكناية عائدة إلى السماوات والأرض {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ(٢٥٥)} بالاقتدار والسلطان ويجوز أن يكون العلي عن الأشباه والأمثال.

قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يجوز أن تكون خاصة في أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية لأنهم إذا بذلوها لا يكرهون عليه، والثاني: أن الآية منسوخة بالسيف و{..الطَّاغُوتِ} من طغى على الله عز وجل واستكبر

سورة البقرة

وهو المارد أيضاً من شياطين الإنس والجن {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أي الإيمان {لَا انْفِصَامَ لَهَا} أي لا انقطاع.

قوله عز وجل: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا} أي من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى فإن قيل: فكيف يخرجونهم وهم لم يدخلوا فيه؟ فالجواب: أن الآية في المرتدين والكفار الذين لم يؤمنوا.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} هو النمرود بن كنعان أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية {أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} والذي آتاه الله الملك هو إبراهيم {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل فعارض اللفظ بمثله، قال إبراهيم: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}.

فإن قيل: فلم ينصر حجته الأولى ولكن عدل عنها وهذا يكون تضعيف الحجة؛ فعن هذا جوابان أحدهما: أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلى نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة.

والجواب الثاني: أنه لما كان في تلك الحجة إشعار فيه واستظهار عليه قال: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} فالجواب: أن الله سبحانه وتعالى خذله بالصد عن هذه الشبهة ، والثاني : أنه علم بما رأى معه من الآيات أن يفعل فيزداد فضيحة {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ} أي انقطع وتحير.

قوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} والذي مر على القرية هو عزير

والقرية هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر، {وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا} أي خالية خراب يقال خوت الدار إذا خلت من أهلها والخوى الجوع لخلو البطن من الطعام، والعروش: الأبنية والعرش البناء.

{قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي يعمرها بعد خرابها {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ} أي مكثت {قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} لأن الله سبحانه أماته في أول النهار وأحياه بعد مائة عام {فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ} أي لم يتغير من الأيسن ويجوز لم يتسنه أي لم تأت عليه السنون فيصير ذلك متغيراً.

فإن قيل: كيف علم أنه مات مائة عام لم يتغير فيه طعامه؟ قيل: إنه رجع إلى الآثار والأخبار فعلم بها مدة موته لأنه شاهد أولاد أولاده شيوخاً، وقد كان ترك آباءهم مرداً.

وقوله: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ ننشرها} بالراء غير معجمة ومعناه نحييها والنشور الحياة بعد الموت مأخوذ من نشر الثوب لأن الميت كالمطوي لأنه مقبوض عن التصرف بالموت فإذا حي قيل نشر وانتشر، وقرئ {نُنْشِزُهَا} بالزاي المعجمة أي نرفع بعضها على بعض وأصل النشوز الارتفاع ومنه النشز للموضع المرتفع من الأرض، ونشوز المرأة ارتفاعها عن طاعة الزوج، والذي قال له {كَمْ لَبِثْتَ} الملك.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ} وإنما سأل ذلك -عَلَيْه السَّلام- ليحصل علم عيان بعدما حصل له علم استدلال لأن هذا كان بعد منازعة نمرود في الأخبار ولهذا قال الله تعالى: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} أي يزداد يقيناً إلى يقين ولا يجوز ليطمئن قلبي بالعلم بعد الشك لأن الشك في ذلك كفر وذلك لا يجوز على الأنبياء وليست الألف في قوله: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} ألف استفهام وإنما هي

ألف التقرير والإيجاب كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

{قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ} قيل هن: الديك والطاووس والحمام والغراب {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ} قرئ بكسر الصاد وضمها ومعناه فقطعهن وإليك من صلة خذ، ومن قال صرهن بمعنى اضممهن جعل إليك من صلة فصرهن.

{ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا} أي على كل جبل من الجبال والجزء من كل شيء بعضه سواء انقسم على صحة أو على غير صحة والسهم هو المنقسم على صحة.

قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي للجهاد {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} ضعف في غير الجهاد الحسنة بعشرة أمثالها.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٦١)} واسع لا يضيق عن الزيادة عليه لمن يستحقها.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى} المن في ذلك أن تقول: قد أحسنت إليك ونعشتك، والأذى أن يقول: أنت أبداً فقير ومن أبلاني بك مما يؤذي به قلب المعطى {لَهُمْ أَجْرُهُمْ} يعني ما استحقوه فيها وعدهم به على نفقتهم {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} من أهوال الآخرة.

قوله تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ} يعني قولاً حسناً بدل المن والأذى {وَمَغْفِرَةٌ} يعني العفو عن السائل وأذاه، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله

عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((المنّان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم)).

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} المراد إبطال الفضل والثواب {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} الذي يقصد بنفقته الرياء غير مثاب لأنه لم يقصد وجه الله فيستحق الثواب.

ثم قال: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ} والصفوان جمع صفوانة وهي الحجر الأملس {فَأَصَابَهُ وَابِلٌ} وهو المطر العظيم الشديد القطر الواقع {فَتَرَكَهُ صَلْدًا} والصلد من الحجارة ما صلب ومن الأرض ما لم ينبت تشبيهاً بالحجر الذي لا ينبت {لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا} يعني مما أنفقوا فعبر بالنفقة عن الكسب لأنهم قصدوا بها الكسب فضرب هذا مثلاً للمَنِّ في إبطال ثوابه ولصاحب المن والأذى في إبطال فضله.

قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} بقوة اليقين والبصيرة في الدين وهو معنى الكلام ويحتمل أن يكون المعنى توطيناً لأنفسهم على الثواب على طاعة ربهم {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} وهو الموضع المرتفع من الأرض فـ{أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} خص الربوة لأن نبتها أحسن قال الشاعر:

يا روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

والأكل بالضم الطعام لأنه من شأنه أن يؤكل، ومعنى ضعفين أي مثلين لأن ضعف الشيء مثله زائد عليه وضعفاه مثلاه زائد عليه.

قوله تعالى: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} وهو البستان {مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} لأنهما من أنفس ما يكون {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

وأنفسها ما كان ماؤها جارياً {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} قد يئس من سعي الشاب في كسبه وكان أضعف عملاً وأعظم حسرة {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ} لأنه على الضعفاء أحنا وإشفاقه عليهم أكثر {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} والإعصار ريح تهب من الأرض إلى السماء كالعمود قال الشاعر:

إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

وإنما قيل لها إعصار لأنها تلتف كالتفاف الثوب المعصور وإنما هذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لكم أي في النفقة ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها وقد يكون أيضاً مثلاً للذي يختم عملاً بفساد.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} يعني الذهب والفضة كذا روينا عن أمير المؤمنين {وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} يعني من الزرع والثمار، وهذه من الزكاة المفروضة {وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ} والتيمم التعمد يقال: أممت إذا قصدت إمامة ويممته إذا تعمدته من أي جهة كان، والخبيث الردي من كل شيء، والسبب فيه أنهم كانوا يأتون بالخشن فيدخلونه في تمر الصدقة فنزلت هذه الآية {وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} إلا تتساهلوا ويحتمل ولستم بآخذيه إلا وكس فكيف تعطونه في الصدقة.

قوله تعالى: {..يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ} والحكمة العلم والفقه في الدين والإصابة في الرأي.

قوله تعالى: {..إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ} هذه الآية نزلت في صدقات التطوع وإخفاؤها جائز ليكون أبعد من الريا وأما المفروضات فليس يجوز إخفاؤها.

قوله تعالىٰ: {وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ} فـ(من) هاهنا زائدة وتقديره ونكفر عنكم سيئاتكم.

قوله تعالىٰ: {..لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني فقراء المهاجرين الذين منعوا أنفسهم[1] عن التضرب في المعاش خوف عدو الكفار {لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ} أي تصرفاً وتجارة {يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ} من التقنع والعفة القناعة {تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ} السيما العلامة وكذلك السمة والمراد بها الخشوع {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} أي إلحاحاً ولا كانوا يسألون غير إلحاف لأنهم كانوا أغنياء من التعفف وتقدير الكلام لا يسألون فيكون سؤالهم إلحاحاً.

قوله تعالىٰ: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- كانت معه أربعة دراهم فأنفقها علىٰ هذا الوجه.

قوله تعالىٰ: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} يعني يأخذونه فعبّر عن الأخذ بالأكل لأن الأخذ إنما يراد بالأكل والربا: هو الزيادة من قولك ربا السويق إذا زاد وهي الزيادة علىٰ الدين لمكان الأجل {لَا يَقُومُونَ} أي يوم القيامة أي لا يقومون من قبورهم {إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} يعني من الجنون وليس للشيطان فعل فيه وإنما هو من فعل الله عز وجل يحدثه من غلبة السوداء فيصرعه فينسب إلىٰ الشيطان مجازاً تشبيهاً بما يفعله من أعوانه الذي يصرعه به {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} عنىٰ بهذا القول ثقيفاً لأنهم كانوا من أكثر العرب رباً فلما نهوا عنه قالوا كيف ننهىٰ عن الربا وهو مثل البيع فحكىٰ الله عنهم ثم أبطل ما ذكروه من

(١)- نخ: نفوسهم.

سورة البقرة

التشبيه بالبيع فقال: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ} أي لا يعود إلى مثله ويرد ما أخذ.

قوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا} يعني ينقصه شيئاً بعد شيء مأخوذ من محاق الشهر لنقصان الهلال فيه.

قوله تعالى: {وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} أي وينمي الأموال بإخراج الصدقات.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨)} هذه الآية نزلت في العباس ونفر معه كانت لهم بقية من الربا {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أي من كان مؤمناً فهذا حكمه.

قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} يعني ترك ما بقي من الربا {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ} وتقرأ: فآذنوا بالمد: أعلموا غيركم، من قرأ بالقصر فإن معناه اعلموا {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ} أي ما دفعتم إليه {لَا تَظْلِمُونَ} بأن تأخذوا الزيادة على رؤوس أموالكم {وَلَا تُظْلَمُونَ(٢٧٩)} بأن تمنعوا رؤوس أموالكم.

قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} ويقرأ: فإن كان ذا عسرة، وكلا الوجهين جائز في العربية {فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} والإنظار بالدين واجب في الربا كان أو في غيره عند الإعسار إلى ميسرة مفعلة من اليسر {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ} أي على المعسر خير لكم إن تصدقتم عليه بالدين من أن تنظروه.

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} يعني إلى جزاء الله وملكه {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} أي جزاء ما كسبت من الأعمال {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٢٨١)} في محاسبتهم على أعمالهم فهم لا ينقصون ما يستحقون من الثواب ولا يزدادون على ما يستحقون من العقاب، روينا

عن أمير المؤمنين أن هذه آخر آية نزلت على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ} أي تعاملتم، وفي قوله: {فَاكْتُبُوهُ} أمر على الندب {وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ} وأمر الكاتب بذلك ندب {وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ} أي على الكاتب ويقر به عند الشاهد {وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا} أي لا ينقص منه شيئاً {فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا} والسفيه المبذر لماله الفاسد في دينه ويدخل في الآية الصبي والمجنون والضعيف وهو العاجز عن الإملاء إما لعي أو خرس أو غيره، {أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ} أي العي والأخرس {فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ} أي ولي من عليه الحق {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ} وهذا أيضاً أمر على الندب {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ} يعني فإن لم تكن البينة رجلين فرجل وامرأتان، {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} وهم المسلمون العدول {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} أي تذكرها إذا نسيت.

قوله تعالى: {وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا} أي لتحمل الشهادة وأدائها عند الحاكم وهذا فرض على الكفاية {وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ} أي لا تملوا وليس المراد بالصغر التافه الحقير الذي يخرج عن العرف المعهود {ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} أي أعدل يقال أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٤٢)} [المائدة]، وقسط إذا جار قال الله تعالى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(١٥)} [الجن].

{وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ} يعني أي أصح لها مأخوذ من الاستقامة {وَأَدْنَى

سورة البقرة

أَلَّا تَرْتَابُوا} بمن عليه الحق أن ينكر ولا بالشاهد أن يضل {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا} وهذه على الإباحة ولو كتب جاز، {وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ} وهذا الأمر على الندب {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} ومضارتهما هو أن يكتب الكاتب ما لم يملى عليه ويشهد الشاهد ما لم يشهد فيه {وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ} والفسوق المعصية والكذب.

قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ} والرهان جمع رهن كثمار وثمر وليس السفر شرطاً في جواز الرهن لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قد رهن درعه عند أبي شحمة اليهودي وهو بالمدينة حاضر ولا عدم الكاتب والشاهد شرط لأنه زيادة وثيقة.

قوله تعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} أي بغير كاتب ولا شاهد ولا رهن {فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ} وأداء الحق وترك الفصل به {وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ} أي مكتسب الإثم بكتمان الشهادة.

قوله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} أي أن الله سبحانه وتعالى مالك السماوات والأرض ومدبرهما {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} قيل: لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على من كان بحضرة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقالوا: إن نؤاخذ بما نحدث به نفوسنا هلكنا إذاً فأنزل الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} وهذه نسخت حكم ما قبلها.

قوله تعالى: {ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ..إلى قوله: وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ -وقرئ وكتابه- وَرُسُلِهِ} فمن قرأ : وكتبه ، أراد

جمع ما أنزل الله معلى أنبيائه ، ومن قرأ : وكتابه ، عنى به القرآن .

{لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} أي لا نؤمن ببعض دون بعض كما عملت اليهود والنصارى {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي سمعنا قوله وأطعنا أمره {غُفْرَانَكَ رَبَّنَا} أي نسألك غفرانك فلذلك جاء به منصوباً {وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٢٨٥)} أي إلى جزائك.

قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا} يحتمل أن يكون بمعنى تركنا أمرك ويحتمل أن يكون تناسينا والنسيان بمعنى الترك كقولك: نسوا الله فنسيهم {أَوْ أَخْطَأْنَا} أي ما فعلوه من المعاصي والشبهات وقد فرق أهل اللسان بين أخطأ وخطأ يقال أخطأ ويحتمل أن يكون على جهة الإثم وغير الإثم وخطأ أن لا يكون إلا على جهة الإثم {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} والإصر الثقل والذين من قبلنا هم بنو إسرائيل كانت العبادات عليهم شاقة صعبة لأنهم كلفوا قتل أنفسهم والخروج من أوطانهم {وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٢٨٦)} أي الجاحدين لنعمتك المنكرين لفضلك.

تم تفسير سورة البقرة

سورة آل عمران مائتا آية وهي مدنية

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: الم(١)اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(٢)} قد مضى تفسير ذلك فيما تقدم ونزلت هذه الآية إلى نيف وثلاثين[1] من السورة في وفد نجران من النصارى لما جاءوا يحاجون النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أي قبله من كتاب ورسول وإنما قيل لما قبله بين يديه لأنه ظاهر له كظهوره لما بين يديه أي يخبر بصدق الأنبياء فيما أتوا به خلاف من يؤمن ببعض ويكفر ببعض.

قوله تعالى: {..هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} أي القرآن {مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} فأما المحكم فهو كلما أحكم الله بيان حلاله وحرامه فلم تشتبه معانيه والمتشابه ما أشبهت معانيه ويجوز أن يكون المحكم ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهاً وإنما جعله الله سبحانه محكماً ومتشابهاً استدعاء للنظر من غير إنكار على الخبر.

وأما قوله: {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ} فمعناه أصل الكتاب أراد الآي التي فيها الفرائض والحدود والأحكام، {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ} أي ميل عن الحق وشك {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} وذلك أن وفد نجران سألوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن عيسى فقالوا: هل هو روح الله؟ قال: ((بلى)) قالوا: هل هو كلمة الله؟ قال: ((بلى)) فأنزل الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} والفتنة

---

[1]- نخ: وثمانين آية.

في هذا المكان الشرك واللبس التي حاج بها وفد نجران رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} من علماء آل الرسول -صلوات الله عليهم- لأنهم العالمون العاملون.

قوله تعالىٰ: {..كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ} أي كعادة آل فرعون في التكذيب بما أنزل الله تعالىٰ وعدولهم عن الحق.

قوله تعالىٰ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ} وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بشر أصحابه بالظفر علىٰ قريش قبل بدر بسنة فحقق الله قوله وصدق رسوله وأنجز وعده بقتل من قتل منهم وقيل نزلت في يهود بني قينقاع لما هلكت قريش يوم بدر فدعاهم النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- إلىٰ الإسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش فأبوا وقالوا: لسنا مثل قريش العماة الذين لا يعرفون الناس فأنزل الله فيهم ذلك.

قوله تعالىٰ: {قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا} يعني من كان مع رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- من أهل الإسلام {وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ} يعني مشركي قريش كان المشركون تسعمائة وخمسون رجلاً وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لقد كان لكم في هؤلاء عبرة ومتفكر أيدهم الله ونصرهم علىٰ عدوهم {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} ومعنىٰ الكلام أن الفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله أراهم الله مشركي قريش يوم بدر مثلي عدد أنفسهم فقلل الله عدد المشركين وكثر عدد المسلمين تقوية لقلوبهم، ويحتمل أن تكون الفئة الكافرة التي أراها الله المسلمين مثلي عددهم تكثيراً لهم وتضعيفاً لقلوب الكافرين، والآية في الفئتين تقليل الكثير في أعين المسلمين وتكثير القليل في أعين الكافرين، وما تقدم من الوعد بالغلبة.

قوله تعالىٰ: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ} أي

سورة آل عمران

حسن حب الشهوات من خلق الله عز وجل في الإنسان لأنها ضرورية لا يقدر على دفعها وذلك لأن الله سبحانه زين من حب الشهوات ما خلق وحسن بما جعله من الطباع من المنازعة كما قال: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا} [الكهف:٧]، فأما ما قبح من الشهوات فلم يزين بل قد نهى عنها.

{وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ} والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وقيل ملء مسك ثور ذهباً، والمقنطرة: ألمضاعفة وقيل هو المال الكثير {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ} الحسنة، ويحتمل أن تكون المعلمة من السيما وهي العلامة {وَالْأَنْعَامِ} وهي الإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز ولا يقال النعم الجنس منها على الانفراد إلا الإبل {وَالْحَرْثِ} هو الزرع.

[الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)] والصابرون هم قوم صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه، والصادقون هم قوم صدقوا أنبياءهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا في السر والعلانية، والقانتون هم المطيعون، والمستغفرون بالأسحار هم أهل الصلاة.

قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} قيل لما نزلت هذه الآية كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً خرت كلها على وجوهها للشهادة من الله بأنه لا إله إلا هو، وتحتمل وجهين أحدهما: أن معناها الإخبار بذلك تأكيد الخبر بالمشاهدة كإخبار الشاهد لما شاهد لأنه أوكد الخبرين، والثاني أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأنه لا إله إلا الله.

[وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ] فأما شهادة الملائكة وأولوا العلم فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته {قَائِمًا بِالْقِسْطِ} أي بالعدل.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} والدين هنا الطاعة لله فكأنه[1] قال إن الطاعة لله الإسلام وأصل الإسلام مأخوذ من السلم لأنه يعود إلىٰ السلامة، ويحتمل أن يكون من التسليم لأمر الله في كل ما أمر بطاعته.

{وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، والكتاب الجنس في هذا الموضع، والبغي الذي كان بينهم هو عدولهم عن الحق.

قوله تعالىٰ: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ} أي أسلمت نفسي معناه انقدت في أمره الإخلاص التوحيد، {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ} وهم الذين لا كتاب لهم مأخوذ من الأمي الذي لا يكتب {ءَأَسْلَمْتُمْ} هو أمر بالإسلام لهم علىٰ صورة الاستفهام.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النبيئين وقري وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١)} روينا عن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو إماماً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر)) ثم قرأ: {وَيَقْتُلُونَ النبيئين بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١)} قال -عَلَيْه السَّلام-: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثني عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلوهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر ذلك النهار ومن ذلك اليوم.

---

[1]- نخ: فصار كأنه.

سورة آل عمران

قوله تعالىٰ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} أي حظاً لأنهم علموا بعض ما فيه {يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ} أي إلىٰ القرآن لأن ما فيه موافق لما في التوراة من أصول الدين.

قوله تعالىٰ: {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} أي بينهم وبين النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ومعنى التولي في قوله: {ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ(٢٣)} عن الداعي والإعراض عما دعى إليه.

قوله تعالىٰ: {قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} أي بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل وقيل إن الأيام المعدودة عندهم سبعة أيام لأنهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فلا يعذبون علىٰ كل ألف سنة إلا يوم واحد {وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٢٤)} في قولهم: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة:١٨].

قوله تعالىٰ : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ} أي مَلِك الدنيا والآخرة مالك العباد وما ملكوا {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ} أي النبوة والإمامة {وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} يعني تنزعهما ممن تشاء وتختار لهما من تشاء {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ} بالطاعة {وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} بالمعصية ويحتمل تعز من تشاء بالنصرة وتذل من تشاء بالقهر {بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٦)} أي أنت قادر عليه وفاعل له.

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} أي تدخل نقصان النهار في زيادة الليل وزيادة النهار في نقصان الليل ويحتمل أن يكون وتجعل النهار بدلاً لليل وتجعل الليل بدلاً للنهار.

قوله تعالىٰ : {وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} يقرأ بتشديد الميت وتخفيفه والميت واحد الأموات قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفاً باله قليل الرجاء

أي يخرج الحيوان الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الحيوان الحي، وقد يحتمل أن يكون الحي بمعنى المؤمن والميت بمعنى الكافر أي تخرج من الكافر المؤمن ومن المؤمن الكافر.

قوله تعالى: {...إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)} فأما آل إبراهيم فهو النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وخيار عترته واصطفاهم الله للنبوة، وآل عمران فهو موسى وهارون وعيسى لأن أمه مريم بنت عمران.

{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} أي بالتناصر لما بعثوا به لا بالنسب كما قال عز من قائل: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} [التوبة:٦٧]، أي في اجتماعهم على الضلال.

قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} أي عتيقاً من أمر الدنيا لطاعة ربه فلما وضعتها قالت: {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} إنما قالت ذلك اعتذاراً من عدولها عن نذرها لأنها أنثى {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} يقرأ بضم التاء وسكونها فمن ضم التاء جعل ذلك راجعاً إلى اعتذارها لأن الله أعلم بما وضعت.

ثم قال: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد المقدس لما يلحقها من الحيض ولصيانة النساء عن التبرج وإنما يختص العلماء بذلك {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦)} أي من إغوائه والرجيم المرجوم المبعد.

قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} معناه أنه رضاها في النذر

سورة آل عمران

الذي نذرت بإخلاص العبادة والطاعة في بيت المقدس {وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} أي أنشأها إنشاء حسناً في غذائها وحسن تربيتها {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} قرئ بالتشديد فمن قرأ به فإنما أراد دفع كفالتها، ومن قرأ وكفلها فمعنى ذلك أنه أخذ كفالتها، {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ} وهو أرفع موضع في المسجد {وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} قيل : إنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وقيل : تأويله إن الرزق الذي كان يأتيها كان بدعوة زكريا والثاني أن ذلك الزرق كان تأسيساً لنبوة المسيح -عَلَيْه السَّلام-.

{قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} وفي سبب دعائه قولان أحدهما : أنه لما أبصر فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء فطمع في رزق الولد من عاقر، والثاني : أنه لم يسأل إلا بعد الإذن لأن سؤال ما خالف العادة يمنع منه إلا عن إذن لتكون الإجابة إليه إعجاز.

{قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} أي ولداً مباركاً وقصد بالذرية الولد الواحد {إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨)} أي مجيب الدعاء لأن إجابة الدعاء بعد سماعه.

قوله تعالى : {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ} جبريل -عَلَيْه السَّلام- {وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى} إنما سماه الله يحيى لأنه أحياه الله بالإيمان والحكمة وسماه بهذا الاسم قبل مولده {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ} يعني الكتاب ويحتمل أن يكون المسيح وإنما سمي المسيح كلمة لاهتداء الناس به كاهتدائهم بكلام الله عز وجل {وَسَيِّدًا} أي بما أعطاه الله عز وجل من الشرف والرئاسة على المؤمنين والنبوة والحكمة وهذا

حقيقة السؤدد {وَحَصُورًا} أي منقطعاً عن النساء مشتغلاً بطاعة الله عز وجل.

قوله تعالى سبحانه : {قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ} فإن قيل : فلم راجع بعد أن بشر بالولد ففيه جوابان أحدهما : راجع ليعلم على أي حال يكون منه الولد بأن يرد هو وامرأته إلى حال الشباب أم على حال الكبر فقال له: {كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(٤٠)} أي على هذه الحالة. والثاني : أنه قال ذلك استعظاماً لمقدور الله عز وجل وتعجباً.

قوله تعالى : {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً} أي علامة لوقت الحمل ليتعجل السرور به {قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا} والرمز بمعنى الإشارة والإيماء {وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا} وإنما لم يمتنع من ذكر الله عز وجل ومنع من سائر الكلام {وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٤١)} والعشي من حين زوال الشمس إلى أن تغيب وأصل العشي الظلمة، وأما الإبكار فمن حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى[1] وأصله التعجيل لا تعجيل الضحى.

قوله : {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ} أي اصطفاها على عالمي زمانها ويجوز أن يكون اصطفاؤها لولادة عيسى -عَلَيْه السَّلام- {وَطَهَّرَكِ} أي من الكفر وقيل أدناس الحيض والنفاس {وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢)} هو تأكيد للاصطفاء الأول بالذكر ويجوز أن يكون الاصطفاء الأول للعبادة والثاني لولادة المسيح وفي ظهور الملائكة لها أنه توطيد لنبوة عيسى -عَلَيْه السَّلام-.

---

(١)- نخ : العشاء .

سورة آل عمران

قوله تعالى : {يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ} أديمي الطاعة له والإخلاص والدعاء لربك {وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣)} وفي تقديم السجود على الركوع قولان أحدهما : أن السجود كان مقدماً في شريعتهم، والثاني أن الواو لا توجب الترتيب وأصل السجود الانخفاض الشديد والخضوع كما قال الشاعر :

فكلما هاجرت واسجد راسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

وكذلك الركوع إلا أن السجود أشد[1] انخفاضاً.

قوله تعالى : {وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣)} أي افعلي كفعلهم.

قوله تعالى : {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} أي ما كان من البشرى بالمسيح {نُوحِيهِ إِلَيْكَ} وأصل الوحي إلقاء المعنى إلى صاحبه والوحي إلى الرسل الإلقاء بالإنزال وإلى النحل بالإلهام ومن بعض إلى بعض بالإشارة كما قال : {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(١١)} [مريم]، وقال العجاج :

وحى لها القرار فاستقرت

{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} أي تشاحوا عليها وتنازعوا فيها طلباً لكفالتها فقال زكريا أنا أحق بها لأن هي ابنة إمامنا وعالمنا فاقترعوا عليها بإلقاء الأقلام مستقبلة لجري الماء فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة وانحدرت أقلامهم فقرعهم زكرياء وهو

---

(١)- نخ : أكثر.

معنى قوله: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} [آل عمران:٣٧].

قوله تعالى : {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} وإنما سمي مسيحاً لأنه مسح بالتطهير من الذنوب.

قوله تعالى : {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} وإنما كان كلامه في المهد لأمرين أحدهما : لتنزيه أمه مما قُذفت به، والثاني : لظهور معجزته وإنما ظهوره كان تأسيساً لنبوته، والمهد مضطجع الصبي مأخوذ من التمهيد.

ثم قال : {وَكَهْلًا} قيل : إن الإكتهال هو بلوغ ثلاثة وثلاثين سنة وهو استكمال القوة يقال : اكتهل البيت إذا طال وقوي.

فإن قيل : فما المعنى بكلامه كهلاً، وذلك لا يستنكر؟ والجواب : أنه يكلمهم كهلاً بالوحي الذي يأتيه من الله تعالى، والثاني : أنه يتكلم بكلام الكهل في السن وهو في المهد.

قوله تعالى : {...فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي من أنصاري مع الله ومن ينصرني بنصرهم الله وفي سبيل الله {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} وإنما سموا حواريين لصفاء قلوبهم وصفى سرائرهم في طاعة الله عز وجل وأصل الحواري من الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام سمي بذلك لنقائه وبياضه.

ووجه الاستنصار بالحواريين أنه يتمكن من إظهار الحجة وإقامة الحق وليأمن على نفسه، ويحتمل أن يكون استنصاره بهم على وجه التجربة ليعرف الكافر من المؤمن.

قوله تعالى : {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٥٣)} يعني صل ما بيننا وبينهم

سورة آل عمران

على التقوى والإخلاص وأثبنا[1] معهم في الكرامة.

قوله تعالى : {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٥٤)} يحتمل تأويلين أحدهما : في مكروا بالمسيح والحيلة عليه في قتله ومكر الله في ردهم خائبين وألقى شبه المسيح على غيره.

والثاني : ومكروا بإضمار الكفر ومكر الله مجازاتهم بالعقوبة وإنما جاء قوله : {وَمَكَرَ اللَّهُ} على مزاوجة الكلام وإن خرج عن حكمه نحو قوله : {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤]، وليس الثاني اعتداء.

وأصل المكر التفاف ولذا سمي الشجر الملتف مكراً والمكر هو الاحتيال على الناس لالتفاف المكروه به والفرق بين الحيلة والمكر أن الحيلة تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد إلى الإضرار والمكر الترصد إلى إيقاع المكروه.

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} أي إلى كرامتي {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هو إخراجه من بينهم غير ظافرين بما أرادوا من قتله {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} أي بالعز والغلبة ليكون ذلك كالبرهان والحجة.

قوله تعالى : {...فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} أي في الحق ويحتمل أن يكون في عيسى {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١)} أي نلعن وندع بهلاك الكاذب قال لبيد :

---

[1]ـ نخ : وأثبتنا .

نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم بهلاك.

فلما نزلت هذه الآية أخذ النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بيد أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين ثم دعا النصارى إلى المباهلة فأحجموا عنها وقال بعضهم: إن باهلتموه أضرم الله عليكم الوادي ناراً.

قوله تعالى: {..قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} وهذه الآية نزلت في نصارى نجران {وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} هو طاعة الأتباع لرؤسائهم في أوامرهم بمعاصي الله عز وجل.

قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} وسبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقالت اليهود: كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى كان نصرانياً ونزلت هذه الآية بتكذيب الفريقين.

قوله تعالى: {...يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ(٧٠)} أي بما بينا عليكم من حجة.

قوله تعالى: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} يعني ما أوجده في كتبكم {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} يعني من شأن إبراهيم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٦٦)} أي فسألوا ذلك عالمه.

قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} أي في تحريف التوراة والإنجيل، ويحتمل أن يكون الدعاء إلى إظهار الإسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره قصداً لتشكيك الناس فيه، ويجوز أن يكون بالتلبيس في الإيمان لموسى وعيسى ومحمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم

سورة آل عمران

{وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ} أي ما وجدوا من صفته في التوراة والإنجيل والبشارة به {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٧١)} أن ما عرفتموه من كتبكم.

قوله تعالى : {..وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ} أي لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم والقائل بهذا اليهود قال بعضهم لبعض، وفي سبب نهيهم أن يؤمنوا إلا لمن تبع دينهم لئلا يعترفوا به فيلزمهم العمل بدينه لإقرارهم بصحته {قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} أيها المسلمون، فيه قولان أحدهما أن في الكلام حذفاً وتقديره قل إن الهدى هدى الله أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المسلمون فحذف لا من الكلام بدليل الخطاب كما قال : {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء:١٧٦]، أي لئلا تضلوا وهذا معنى الكلام، ويحتمل أن يكون معنى الكلام قل إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ} على طريقة التعبد كما يقال لا تلقاه أو تقوم الساعة.

قوله تعالى : {..يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} الرحمة في هذا الموضع النبوة والإمامة ويجوز أن تكون الإسلام والنبوة فليست مستحقة على جزاء عمل أي تفضل من الله عز وجل.

قوله تعالى : {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} ودخول الباء على القنطار والدينار يجوز أن يكون لإلصاق الأمانة كما دخلت في قوله : {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٢٩)} [الحج]، ويجوز أن تكون الباء بمعنى على، وتقدير الكلام : من إن تأمنه على قنطار ودينار {إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} أي بالمطالبة والاقتضاء والملازمة.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} يعني في أموال العرب لاختلاف قبلتهم فاستباحوا بذلك أموالهم، قيل : لما نزلت هذه

الآية كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر.

قوله تعالى : {..إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} والعهد هو ما أوجب الله من طاعة وكف عن معصية، ويحتمل أن يكون ما ركبه في الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق {أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} أي لا نصيب لهم {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} أي لا يسمعون من الكلام ما يسرهم بل ما يسوؤهم {وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ} أي لا يرحمهم.

هذه الآية نزلت في قوم من أحبار اليهود في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب كتبوا كتاباً بأيديهم ثم حلفوا أنه من عند الله فيما ادعوا أنه ليس عليهم في الأميين سبيل.

قوله تعالى : {..مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} وسبب ذلك أن قوماً من اليهود قالوا لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أتدعونا إلى عبادتك كما دعى المسيح النصارى فنزلت هذه الآية {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} أي فقهاء علماء حكماء أتقياء يدينون أمور الناس بحسن تدبيرهم، قال الشاعر :

وكنت امرءاً أفضت إليك ربابتي ... وقبلك ربتني فضعت ربوب

فسمي العالم ربانياً لأنه بالعلم يدين الأمور.

قوله تعالى : {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} وفي الميثاق الذي أخذه الله عليهم هو أن يأخذوا على قومهم بتصديق النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} يعني محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ} من التوراة والإنجيل {لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} والإصر العهد

سورة آل عمران

أي قبلتم على ذلكم عهدي {قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا} يعني على ما ائتمنتكم بذلك {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ(٨١)} عليهم وعليكم.

قوله تعالى : {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} أي رغبة ورهبة من السيف.

قوله تعالى : {..إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} هم اليهود كفروا بعيسى -عَلَيْه السَّلام- {ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} برسول الله -صلوات الله عليه-، وقيل إنها نزلت في قوم أظهروا التوبة بعد الردة فأطلع الله رسوله على سرائرهم.

قوله تعالى : {..لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} البر هو فعل الخير الذي يستحق عليه الثواب ، وقوله : {حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} من الصدقات المفروضة وقيل من صدقة التطوع وكلا الأمرين جيد، وروينا أنه لما جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال له سيل إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها ابنه أسامة فقال : يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- : ((قبلت صدقتك)).

قوله تعالى : {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} وسبب نزولها أن اليهود أنكروا تحليل النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لحوم الإبل فأخبر الله بتحليلها لهم حتى حرمها إسرائيل على نفسه لأنه لما أصابه وجع العرق الذي يقال النسأ نذر تحريم العروق على نفسه وأحب الطعام إليه وكانت لحوم الإبل أحب الطعام إليه، وتحريم إسرائيل ذلك على نفسه كان بإذن من الله تعالى، وإنما اتبعت اليهود إسرائيل في تحريم ذلك.

قوله تعالىٰ : {..إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا} لا اختلاف أنه أول بيت للعبادة، وفي بكة أقوال، وقيل إن بكة المسجد ومكة الحرم كله وقيل إن بكة بطن مكة، وقيل : إن بكة هي مكة واشتقاق بكة من تباك القوم بعضهم بعضاً إذا ازدحموا فبكة من زحم الناس للطواف أو بركته بما يستحق من ثواب القصد إليه.

قوله تعالىٰ : {فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ..} الآية ترقب منه وهو حجر صلد والآية فيه أمن الخائف وهيبة البيت وامتناع البيت من العلو عليه وتعجيل العقوبة لمن عتىٰ فيه وما كان في الجاهلية من أصحاب الفيل {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا} أي الجاني إذا دخله أمن في الجاهلية وأما في الإسلام إذا دخل أمن من النار فأما الجاني إذا جنىٰ ولاذ بالبيت فإنه يلجأ إلىٰ الخروج منه فإذا خرج أقيم عليه الحد {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} والاستطاعة هي بالمال وصحة البدن وأمن من الطريق {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧)} يعني بفرض الحج فلم يره واجباً ولا يرىٰ فعله براً وتركه مأثماً.

قوله تعالىٰ : {..قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أي تكذيبهم بالنبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- وإنكارهم ثبوت صفته في كتبهم وذلك من فعل اليهود والنصارىٰ وقيل إن صدهم هو ما كانوا عليه من الإغراء بين الأوس والخزرج حتىٰ يتذكروا حروب الجاهلية فيفترقوا {تَبْغُونَهَا عِوَجًا} العوج بكسر العين أي العدول عن الطريق والعَوج بالفتح ميل كل منتصب من حائط أو قناة أو غيره {وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} أي شهداء علىٰ صدهم عن سبيل الله.

قوله تعالىٰ : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(١٠٠)} يعني بالذين آمنوا

سورة آل عمران

الأوس والخزرج إن تطيعوا اليهود في إغرائهم بينكم يردوكم بعد إيمانكم كافرين.

قوله تعالى : {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} وحق تقاته هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ويبقى في طاعته ولا يخاف سواه، وهذه الآية محكمة وقد ذكر بعض الناس أنها منسوخة بقوله : {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:١٦].

قوله تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا} وحبل الله تعالى هو كتاب الله عز وجل وعترة الرسول –عليهم السلام– الهداة الذين أمر الله الخلق باتباعهم لأن الكتاب والعترة هو السبب الذي بين الله وبين الخلق إنما سميا حبلاً لأن المتمسك بهما ينجو مثل متمسك الحبل من بئر أو غيرها {وَلَا تَفَرَّقُوا} عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم فلا يتخلفوا عن دين الله ونصرته {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} وهذا خطاب توجه إلى مشركي العرب لما كان بينهم من الغوائل، وقيل إنها نزلت في الأوس والخزرج لما كانت بينهم من الحروب في الجاهلية حتى تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألف الله قلوبهم بالإسلام فزالت تلك الأحقاد.

قوله تعالى : {...يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} يعني يوم القيامة لأن الناس بين مثاب بالجنة وبين معاقب بالنار فوصف وجه المثاب بالبياض لإسفاره بالسرور ووصف وجه المعاقب بالسواد لانكسافه بالحزن {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(١٠٦)} هذه الآية نزلت في كل منافق ارتد عن الإسلام.

قوله تعالى : {...كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} فإن قيل : فلم لم

يقل أنتم خير أمة والمعنى أن الله سبحانه قدم البشارة لهم بأنهم خير أمة فقال : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} ولم يقل : أنتم خير أمة في البشارة.

قوله تعالى : {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} الذي روينا في سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبدالله بن سلام وجماعة قالت أحبار من اليهود ما آمن بمحمد إلا شرارنا فأنزل الله هذه الآية إلى قوله : {وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤)} أمة قائمة التي قامت بطاعة الله عز وجل ثابتة على أمره {يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ} أي ساعات الليل {وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣)} أي يصلون.

قوله تعالى : {..مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} هذه الآية نزلت في أبي سفيان وأصحابه يوم بدر عند تظاهرهم على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والصر البرد الشديد وقيل إنه صوت لهيب النار الذي يكون في الريح وأصله من الصرير وهو الصوت. ظلموا أنفسهم : أي زرعوا في غير موضع الزرع وفي غير وقته فجاءت ريح فأهلكته فضرب الله سبحانه هذا مثلاً لهلاك بعضهم.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين فيهم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام أضافوا بعض المشركين من اليهود والمنافقين المودة لمصاحبتهم في الجاهلية ونهوا عن ذلك، والبطانة هم خاصة الرجل الذي يستبطنون أمره والأصل البطن ومنه بطانة الثوب لأنه يلي البطن.

{لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} أي لا يقصرون في أمركم، والخبال إيغال وأصله الفساد ومنه الخبل الجنون {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} أي ودوا ضلالكم وأن تعنتوا في دينكم أي على العنت وهو المشقة {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ}

سورة آل عمران

أي بدا منها ما يدل عليها {وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} مما بدا.

قوله تعالى : {..وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} وكان ذلك في يوم أحد أي تتخذ منزلاً يتبوأ فيه المؤمنون ومعنى ذلك ترتب المؤمنين في موضعهم {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٢١)} بأقوال المنافقين عليم بما يضمرونه ويجوز أن يكون سميع بما يقوله المؤمنون عليم بما يضمرونه من خلوص النية.

قوله تعالى : {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا} قيل : إنهما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الأنصار وقيل إنهم قوم من المهاجرين والأنصار وفي سبب همهم بالفشل أن عبدالله بن أبي بن سلول دعاهم إلى الرجوع عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به، وقيل إنهم اختلفوا في الخروج إلى العدو والمقام حتى هموا بالفشل والفشل الجبن.

قوله تعالى : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} وبدر ماء نزلوا عليه كان لرجل يسمى بدراً.

قوله تعالى : {وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} وأنتم تضعفون عن مقاومة العدو ويجوز أن يكون أذلة عن الحرب بقلة العدد وضعف الحال وكان المهاجرون يومئذ سبعة وسبعين رجلاً والأنصار مائتين وثلاثين رجلاً وكان المشركون ما بين تسعمائة وألف.

قوله تعالى : {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني يوم بدر {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ(١٢٤)} والكفاية مقدار سد الخلة والاكتفاء الاقتصار والإمداد عطاء الشيء حالاً بعد حال والأصل الإمداد من المد وهو الزيادة ومنه مد الماء وهو زيادته {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا} يعني من وجههم هذا ومن

غضبهم وأصل الفور من فور القدر وهو غليانه عند شدة الحمأ وفور الغضب منه لأنه كفور القدر {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ(١٢٥)} قرئ بكسر الواو ومعنى أنهم سوموا خيلهم أي أعلموها، وتقرأ بفتح الواهي أي هي معلمة وقيل إن الله سبحانه وتعالى أنزل الملائكة يوم بدر وكانت خيلهم بلقاً وعلى رؤوسهم عمائم صفر وكان عددهم خمسة آلاف.

قوله تعالى: {لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني يوم بدر بقتل من كان من صناديد المشركين وقادتهم إلى الكفر وإنما قال ليقطع طرفاً ولم يقل وسطاً لأن الطرف أقرب إلى المؤمنين من الوسط فاختص القطع مما هو إليهم كما قال: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} [التوبة:١٢٣]، {أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ(١٢٧)} والكبت الصرع على الوجه والفرق بين الخائب والآيس أن الخيبة لا تكون إلا من بعد أمره واليأس قد يكون من قبل أمره.

قوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} أي فيما ندبره ونفعله في أصحابك وإنما ذلك إلى الله عز وجل فيما يفعله من اللطف بهم في التوبة عليهم واستصلاحهم أو في عذابهم والانتقام منهم.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا} يريد بالأكل الأخذ والربا زيادة القدر في مقابلة لزيادة الأجل وهو ربا الجاهلية المتعارف بينهم بالنسأ.

ثم قال: {أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} وهو أن يقول عند حلول الأجل إما أن تعطيني وإما أن تربيني فإن لم تعطه ضاعف ذلك عليه ثم يفعل ذلك عند حلوله من بعد حتى يصير أضعافاً مضاعفة.

ثم قال: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(١٣١)} فدلت هذه

سورة آل عمران

الآية أن الربا من الكبائر التي يستحق عليها الوعيد بالنار ويتفاضل العقاب بتفاضل المعاصي.

قوله تعالى : {..وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} والفاحشة من كبائر الذنوب أو ظلمواأنفسهم في فعلها {ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} لأن ذكر الله عز وجل يبعث على التوبة والاستغفار يقولون : اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإن الله عز وجل قد سهل على هذه الأمة ما شدد على بني إسرائيل كانوا إذا أذنب أحد منهم أصبح مكتوباً على بابه في كفارة ذنبه اجدع أنفك، اجدع أذنك ونحو ذلك؛ فجعل لأمتنا الاستغفار.

{وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا} والإصرار الثبوت على المعاصي وترك الاستغفار {وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥)} أنهم قد أتوا بالمعصية.

قوله تعالى : {..قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} أي سنن من الله في الأمم السالفة أهلكهم بها والسنة أصلها الطريقة المتبوعة في الخير والشر قال الشاعر :

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وإمامها

وقال آخر :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم ... تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قوله تعالى : {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} أي القرآن فيه ما يحتاج إليه الناس من الهدى {وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٨)} أي يتعظ به كل من آمن واتقى.

{..إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} بفتح القاف وضمها والقرح بالفتح الجراح والقرح ألم الجراح فأما الفرق بين اللمس

والمس فهو أن اللمس مباشرة بإحساس والمس مباشرة بغير إحساس وهذا مما ذكره للمؤمنين تسلية لهم بأن أصابهم يوم أحد قرح فقد أصاب المشركين يوم بدر مثله {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} والدولة لا تكون إلا للمؤمنين المطيعين لأن الله عز وجل لا يديل الكافرين ولكن يديل المؤمنين من الكافرين بأن جعل الكرة عليهم.

قوله تعالى : {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني بالتمحيص التخليص من الذنوب {وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ(١٤١)} أي ينقصهم.

قوله تعالى : {..وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ} قيل بمعنى الجهاد ممن لم يحضر بدر فلما كان يوم أحد أعرض كثير منهم عنه فعاتبهم الله عز وجل على ذلك ثم قال : {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(١٤٣)} يعني قد علمتموه ورأيتم أسبابه.

قوله تعالى : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} وسبب ذلك أن المنافقين أشاعوا يوم حنين أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قد قتل فقال أناس لو كان نبياً ما قتل ثم قال : {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} يعني رجعتم كفاراً بعد إيمانكم.

قوله تعالى : {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} يعني من أراد بجهاده ثواب الدنيا أي نصيبه من الغنيمة نؤته منها.

قوله تعالى : {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} والربيون هم الذين يعهدون الموت.. والربانيون هم الولاة والربيون تبع لهم {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} بالخضوع ومعناه فلم يهنوا بالخوف ولا ضعفوا عن عدوهم.

قوله تعالى : {..فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ} ثواب الدنيا هو النصر على عدوهم والغنيمة منه وحسن ثواب الآخرة

سورة آل عمران

الجنة.

قوله تعالى : {..وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} أي تقتلونهم يقال حسه يحسه حساً إذا قتله لأنه يقال حسه بإذنه أي بأمره ولطفه.

قوله تعالى : {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ} بين الإصعاد والصعود فرق وهو أن الإصعاد في مستوي الأرض والصعود في ارتفاع قيل إنهم صعدوا في الجبل فراراً يوم أحد {وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} قيل : كان يقول : ((يا عباد الله ارجعوا)) {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} فالغم الأول القتل والجراح والغم الثاني الإرجاف بقتل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} ولا ما أصابكم من الهزيمة.

قوله تعالى : {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} من الخوف وهم عبدالله بن أبي [بن] سلول وسبب ذلك أن المشركين يوم أحد توعدوا المؤمنين بالرجوع فكان من أخذته الأمنة من المؤمنين تحت الحجف متأهبين فناموا حين أخذتهم الأمنة وطائفة قد أهمتهم أنفسهم من الخوف وهم عبدالله بن أبي [بن] سلول وجماعة من المنافقين أخذهم الخوف فلم يناموا لسوء الظن {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} يعني في التكذيب بوعده.

{يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا} أي أخرجنا كرهاً ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا، والثاني أنه ليس لنا من الظفر شيء كما وعدنا على وجه التكذيب بذلك {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} يعني لو قعدتم وتخلّفتم لخرج الذين

كتب عليهم القتل ولم ينجهم قعودهم، ويحتمل وجه آخر أنكم لو تخلّفتم لخرج منكم المؤمنون ولم يتخلّفوا بتخلّفكم {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ} أي يعاملكم معاملة المبتلي المختبر ويعرف صبركم.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} أي ولى الذين عن المشركين بأحد {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} أي أنهم أحبوا الغنائم مع حرصهم على الحياة، ويحتمل أن يكون استزلهم بذكر الخطايا سلفت فكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من الظلمة فيها {وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} إذ لم يعاجلهم بالعقوبة وغفر لهم الخطيئة حين تابوا والذي لم ينهزم وثبت مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {..فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ} أي فبرحمة من الله و(ما) صلة دخلت لحسن النظم {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} الفظ الجافي الغليظ القلب القاسي وجمع بين الصفتين وإن كان معناهما واحد للتأكيد {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} وإنما أمر بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح وقيل ما شاور قوم إلا هدوا إلى رشد الأمور وقيل إنه أمر بمشاورتهم ليستن من بعده به.

قوله تعالى: {..وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ} قرئ بفتح الياء وضم الغين قيل إنه تقدم يوم بدر بعض الغنائم فقال رجل من المنافقين: أخذها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله هذه الآية، ويحتمل: ما كان لنبي أن يكتم أمته ما بعثه الله به لرهبة منهم أو رغبة فيهم.

وأما من قرأ بضم الياء وفتح الغين وما كان لنبي أن يَغُل أي يغله أصحابه ويخونوه وأصل الغلو الخلل وهو دخول الماء بين الشجر.

قوله تعالى: {..لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

سورة آل عمران

أَنْفُسِهِمْ} وفي وجه المنة بذلك أن يكون شرفاً لهم، والثاني : ليسهل عليهم تعلم الحكمة والثالث : ليظهر عليهم علم أحواله من الصدق والأمانة والعفة والطهارة {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ} أي يشهد لهم أنهم أزكياء في الدين ويدعوهم إلى ما يكونون به أزكياء، ويجوز أن يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها.

قوله تعالى : {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} يعني المصيبة التي أصابتهم يوم أحد وبالذي أصابوا بها يوم بدر {قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} وفي الذي هو من عند أنفسهم خلافهم في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد وقد كان -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أمرهم أن يتحصنوا بها وقيل اختيارهم الفداء من السبعين يوم بدر على القتل، وقد قيل لهم إن فعلتم ذلك قتل منكم مثلهم فهذا كان اختيارهم، وقيل : إن الرماة خالفوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يوم أحد في ملازمة موضعهم.

قوله تعالى : {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ} أي بأمر الله وعلمه وذلك ليميز المؤمنين من المنافقين.

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا} يعني عبدالله بن أبي وأصحابه {وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا} خطواً أو أكثروا على خيلكم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني جاهدوا وكثروا السواد إن لم تقاتلوا أو رابطوا على خيلكم إن لم تقاتلوا {قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} لأنهم بإظهار الإيمان لا يحكم عليهم بأحكام الكفار وقد كانوا قبل ذلك بإظهار الإيمان أقرب إلى الإيمان ثم صاروا بما فعلوه أقرب إلى الكفر من الإيمان.

{يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} يعني ما يظهرونه من الإسلام وليس في قلوبهم منه شيء وإنما قال بأفواههم ولم يكن القول إلا بالفم للتأكيد ولما يجوز أن ينسب القول إلى الساكت إذا كان به راضياً.

قوله عز وجل : {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} يعني عبدالله بن أبي بن سلول من المنافقين حين انجزلوا وقعدوا وكانوا هم ثلثمائة وتخلف عنهم من قتل منهم فقالوا : لو أطاعونا ما قتلوا {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١٦٨)} في تثبيطهم عن الجهاد فراراً من القتل.

قوله تعالى : {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني أنهم في الحال وبعد القتل بهذه الصفة فأما في الجنة فحالهم معلومة روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : ((لما قتل إخوانك بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تعلف من ورق الجنة وترد في أنهارها بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربهم، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم أحياء بحيث لا يعلم بمواضعهم إلا الله.

قوله تعالى : {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} يقولون إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامة الله عز وجل ما أصبنا.

قوله تعالى : {..الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} أما الناس في الموضعين وإن كان بلفظ الجمع فهو واحد وهذا القائل هو نعيم بن مسعود الأشجعي، والناس الثاني هو أبو سفيان وأصحابه، والوقت الذي أراد أبو سفيان أن يجمع فيه هذا الجمع هو بعد رجوعه عن أحد سنة ثلاث حتى أوقع الله في قلوب المشركين الرعب، وقيل إنها في بدر الصغرى سنة أربع بعد أحد بسنة.

{..إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} أي يخوف أولياءه المنافقين

سورة آل عمران

ليقعدوا عن قتال المشركين.

قوله تعالىٰ : {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} أي المنافقون {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ} أي يريد في الآخرة يحرمهم ثوابهم لإحباط إيمانهم بكفرهم ويجوز أن المراد يريد أن يحبط أعمالهم بما استحقوا من ذنوبهم.

قوله تعالىٰ : {..مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} والخبيث المنافق والكافر والطيب المسلم والذي وقع به التمييز هو الجهاد والدلالات التي يستدل بها عليهم {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} وسبب نزول هذه الآية أن قوماً من المشركين قالوا : إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يكفر ومن يؤمن فنزلت هذه الآية فأطلع الله نبيه على الغيب ولكن اختاره فجعله رسولاً.

قوله تعالىٰ : {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} هم مانعو الزكاة ويجوز أن يكون أهل الكتاب من اليهود والنصارى بخلوا أن بينوا للناس ما في كتبهم من صفة رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- ونبوته فقيل إنهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي يطوقون بالنار.

قوله تعالىٰ : {...لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} الذي بلوا به في الأموال النفقة والزكاة والذي بلوا به في أنفسهم الجهاد والقتل {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} والأذى الكثير هو أن كعب بن الأشرف كان يهجو رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- ويحرض المشركين عليه، وقد قيل : إن زعيم بني

قينقاع لما سئل الإمداد قال احتاج ربكم أن يمده ويجوز أن يكون الأذى ما كانوا يسمعون من قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله.

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} أي اليمين والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى أخذ الله عليهم المواثيق أن يبينوا نبوة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصفته ولا يكتمونه شيئاً وهذا أيضاً يعم المسلمين في أن يبينوا للناس ما يحتاجون إليه في أمر دنياهم وآخرتهم.

قوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} أي يحمدوا بما ليس منهم ويحتمل أن يكون أهل الكتاب أحبوا القعود وترك الجهاد وأرادوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

قوله تعالى: {...رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} والمنادي الذي نادى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- للإيمان أو إلى الإيمان لقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف:٤٣]، قال الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

قوله تعالى: {رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} فإن قيل: قد علموا أن الله منجز وعده....

قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} وسبب نزول هذه الآية أن أم سلمة سألت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن الرجال ما بالهم يذكرون في الهجرة وما بال النساء لا يذكرون فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ(١٩٦)} فإن قيل: فالنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لا يجوز عليه الاغترار فكيف خوطب

سورة آل عمران

بهذا؟ فالجواب : أن ذلك تأديب من الله عز وجل وتحذير ويجوز أن يكون الخطاب عاماً لكل من سمع تقلبهم في البلاد أي في نعمتها، ويجوز تقلبهم غير مأخوذين بذنوبهم.

قوله تعالى : {..وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ} هذه الآية نزلت في النجاشي حين مات فصلى عليه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال بعض المنافقين انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني فأنزل الله فيه هذه الآية.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٢٠٠)} أي اصبروا على طاعة الله عز وجل وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله، وروي عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : ((ألا أدلكم على ما يحط الخطايا ويرفع الله به الدرجات؟)) قالوا : بلى يا رسول الله؛ قال : ((إسباغ الوضوء عند المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط)).

[سورة النساء]

سورة النساء نزلت بمكة قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه- : سورة النساء نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن يأخذ مفاتيح الكعبة ويسلمها إلى عمه العباس فنزلت : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} يعني آدم وفي ذلك نعمة لأنه أقرب إلى التعاطف بينهم {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي بقية طينته {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} ومعنى قوله : تساءلون به هو قول الرجل أسألك بالله، والرحم أي صلوا الأرحام ولا تقطعوها لأن الله قصد بأول السورة حين أخبرهم أنهم من نفس واحدة أن يتواصلوا ولا يتقاطعوا {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١)} أي حفيظاً عليماً.

قوله تعالى : {وءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ} أي الحرام بالحلال والزائف بالجيد والمهزول بالسمين ويقول درهم بدرهم وشاة بشاة، وقيل إن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار والنساء وكان الكبير يأخذ المال وكان يتبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب ونصيب غيره خبيث له إذا أخذه.

{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} أي مع أموالكم وهو أن تخلطوها بأموالهم ليصير في ذممهم ليأكلوا ربحها {إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا(٢)} والحوب الإثم يقال : حاب الرجل إذا أثم قيل : لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل ماله عن ماله فشكوا ذلك إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله تعالى : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}

سورة النساء

[البقرة:٢٢٠]، فخالطوهم.

قوله تعالىٰ : {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} ومعنىٰ الكلام وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامىٰ أي أن لا تعدلوا في نكاح اليتامىٰ فانكحوا ما يحل لكم من غيرهن من النساء وقيل إن سبب نزولها أن قريشاً كانوا في الجاهلية يكثروا التزويج بغير عدد محصور وإذا كثر علىٰ الواحد مؤن زوجاته وقل ماله مد يده إلىٰ ما عنده من أموال اليتامىٰ فأنزل الله تعالىٰ {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} تقديراً لعددهن وحصراً لمن أبيح نكاحهن ويحتمل فانكحوا من النساء ما حل قوله مثنىٰ وثلاث ورباع معدول عن اثنتين وثلاث وأربع كما يقال آحاد وموحد وثني ومثنىٰ وثلاث ومثلث ورباع ومربع وهو اسم للعدد جاء الشعر به متفرقاً قال تميم بن مقبل :

قتلنا به من بين مثنىٰ وموحد بأربعة منكم وآخر خامسا

{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا} في الأربع {فَوَاحِدَةً} يعني من النساء {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} يعني من الإماء {ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا(٣)} أي أن لا تميلوا عن الحق وتجوروا وأصل العول الخروج عن الحق ومنه عول الفرائض لخروجها عن حد السهام المسماة، وأنشد عكرمة شعراً لأبي طالب :

وميراث صدق وزنه غير عائل

أي غير مائل.

قوله تعالىٰ : {وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} وهذا خطاب توجه إلىٰ

الزوج، وأما النحلة فهي العطية على غير بدل ويسمى الدين نحلة لأنه عطية من الله عز وجل وفي تسمية النحلة بذلك لأن الله سبحانه وتعالى نحله عباده والنحلة أراد بها فريضة مسماه {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا} يعني الزوجات إن طبن نفساً عن شيء من صداقهن لأزواجهن {فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا(٤)} الهني ما أعقب نفعاً وشفاء ومنه هنأ البعير السقاء قال الشاعر:

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

قوله تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} المراد بالسفهاء الصبيان والأولاد المفسدين وإن كانوا بالغين أي يقسم فيهم المال فيصيروا عيالاً وكلاً عليهم، ويحتمل أن يكون كل سفيه يجب الحجر عليه في ماله وقيل ثلاثة يدعون فلا يستجيب الله لهم رجل كانت له امرأة سيئة فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} ورجل له على رجل دين لم يشهد عليه.

وأصل السفه خفة الحلم فلذلك وصف به الناقص العقل ووصف المفسد بذلك لنقصان تدبيره ووصف الفاسق بذلك لنقصانه عند أهل الدين والعلم.

وفي قوله: {أَمْوَالَكُمُ} تأويلان أحدهما: أموال الأولياء، والثاني: أموال السفهاء {الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} يريد أنها قوام معاشكم ومعايش سفهائكم {وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ} أي أنفقوا أيها الأولياء على السفهاء من أموالهم، ويحتمل أن يكون أيها الناس أنفقوا على سفهائكم من أموالكم {وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٥)} أي أن يقال لكم بارك الله فيكم، وتوعدون جميلاً وتلقون ببشر.

سورة النساء

قوله تعالى : {وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ} أي الحلم {فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا} يعني عرفتم، والرشد هو العقل والعلم بها يصلحه والصلاح في المال {فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} يعني التي تحت أيديكم أيها الأولياء عليهم {وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا} أي لا تأكلوها إسرافاً على غير ما أباح الله لكم، وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح أي ما ليس بمباح فربما كان ذلك في الإفراط فيها وربما كان ذلك في التقصير عنه أنه إذا كان في الإفراط فاللغة المستعملة أسرف إسرافاً، وإذا كان في التقصير قيل سرف يسرف.

وبداراً أن يكبروا وهو أن يأكل مال اليتيم مبادرة إليه قبل أن يكبر فيأخذ ماله فيحول بين الولي وبين ماله {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} أي يستقرض منه إذا احتاج إليه ثم يرد إذا وجد، ويجوز أن يأكل من بعده ويشرب من رسل ماشيته من غير تعرض لما سوى ذلك من فضة أو ذهب وذلك لقيامه على المال ومراعاته له.

وسأل أعرابي بعض علمائنا فقال له : إن في حجري أيتاماً وإن لهم إبلاً فماذا يحل لي من ألبانها؟ فقال : إن كنت تبغي ضالتها وتهيأ جربانها وتلوط حوضها وتفرط عليها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب، ويجوز أن يأخذ الولي إذا كان محتاجاً أجراً معلوماً لخدمته وعلى قدر عمله.

قوله تعالى : {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ} فيكون بينة في دفع أموالهم {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا(٦)} يعني شهيداً والثاني كافياً من الشهود.

قوله تعالى : {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} وسبب

نزول هذه الآية أن الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث فنزلت هذه الآية في أم كحلة وابنة كحلة وثعلبة وأوس بن سعيد وسويد وهم من الأنصار وكان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالا : يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا...

قوله تعالى : {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} وهذه الآية منسوخة بآية التوريث.

قوله تعالى : {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٩)} أي وليحذر الذين يحضرون ميتاً يوصي في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقي ماله لولده كما لو كان هو الموصي لا بد أن يبقي ماله لولده ويجوز أن يكون ذلك أمراً من الله عز وجل ولاة الأيتام أن يلونهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم كما يجوز أن يكون ولاة أولادهم الصغار من بعدهم وفي الإحسان إليهم لو ماتوا وتركوا أولادهم صغاراً يتامى.

قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا} أي يأخذون فعبر عن الأخذ بالأكل {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا(١٠)} الصلا لزوم النار والسعير إسعار النار.

قوله تعالى : {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} روي أن الجاهلية كانوا لا يورثون الجواري ولا الضعفاء فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله تعالى : {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ} ففرض الثلاث من البنات من غير ذكر الثلثين وفرض الواحدة إذا انفردت النصف وفرض البنتين الثلثان ولا مراعاة لقول من جعل لهما النصف اعتباراً

سورة النساء

بالأخوات.

ثم قال : {وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} ثم قال : {مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ} فسوى بين كل واحد من الأبوين مع وجود الولد في أن فرض كل واحد منهما السدس ثم فاضل بينهما مع عدم الولد في أن جعل للأم الثلث والباقي للأب وإنما كان هذا لأن الأبوين يرثان بالولادة مع الولد الذي قد استويا فيها فسوى بين فرضيهما وإذا عدم الولد ورثت الأم فرضاً لعدم التعصيب فيها وورث الأب بالتعصيب لأنه أقوى ميراثاً وجعل فرضها شطر ما حاز الأب بتعصيبه ليميز للذكر مثل حظ الأنثيين.

ثم قال : {فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ} فعندنا أن الاثنين من الأخوة والأخوات يحجبونها من الثلث الذي هو أعلى فرضها إلى السدس الذي هو أقل فرضها ويكون الباقي بعد سدسها للأب فقال قوم إن الباقي يعود على الإخوة دون الأب ليكون ما حجبوها عائد عليهم لا على غيرهم وهذا خطأ من وجهين أحدهما : أن الأب يسقط من أدلى به كالجد، والثاني : أن العصبة لا يتقدر لهم في الميراث فرض كالأبناء.

فأما حجب الأم بالأخوات فقد منع منه بعض الفقهاء وقال إن أقل الجمع ثلاثة ولا يحجب هذا القائل إلا بثلاثة من الأخوة والأخوات وعندنا أن لفظ الجمع لا يمتنع أن يوضع موضع التثنية كقوله تعالى : {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم:٤]، ومنع الاثنين في الفرائض يقومان مقام الجمع الكامل كالأخوات وولد الأم.

ثم قال تعالى : {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} فقدم الدين والوصية على الميراث لأن الدين حق على الميت والوصية حق له وهما

مقدمان على حق ورثته ثم قدم الدين على الوصية وإن كان في التلاوة مؤخراً لأن ما على الميت من حق أولى من أن يكون مقدماً على ما له من حق.

وقد روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- : إنكم تقرأون هذه الآية {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} وإن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قضى بالدين قبل الوصية. {ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا} يعني في الدين والدنيا.

قوله تعالى : {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} والكلالة ما عدا الوالد والولد مثل الأخوة والأخوات وهو عبارة عن الحي لا الميت وأصل الكلالة الإحاطة ومنه الإكليل سمي بذلك لإحاطته بالرأس فكذلك الكلالة لإحاطتها بأصل النسب الذي هو الوالد والولد.

قوله تعالى : {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} أي فرائض الله التي قد حدها لعباده وشروطه تفصيلات أوامره.

قوله تعالى : {..وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ} يعني بالفاحشة الزنا {فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ} أي أن إمساكهن في البيوت كان حداً عليهن فنسخ الإمساك في البيوت بالجلد والرجم، روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : ((خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر مائة جلدة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)) وقد زادوا في الخبر تغريب عام وهو منسوخ.

قوله تعالى : {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا} ويحتمل أن يكون المراد بالآية البكر والثيب والأذى هو يحمل بأنه في الكتاب والسنة وقد قيل إن

سورة النساء

هذه الآية التي هي الأذى كان قبل آية الحبس وإن أخرت في التلاوة وهذا على مذهب من لم يحمل الأذى على الجلد والرجم.

قوله تعالى : {فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا} يعني تابا من الفاحشة وأصلحا دينهما فأعرضوا عنهما بالصفح والكف عن الأذى.

قوله تعالى : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} لأنه لا يعصي إلا وهو جاهل بما يصير إليه من العذاب والعقاب بعصيانه {ثُمَّ يَتُوبُونَ} في صحتهم قبل موتهم ومرضهم.

قوله تعالى : {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} إلى قوله : {وَهُمْ كُفَّارٌ} وهذه الآية نزلت في عصاة أهل القبلة فسوى بين من لم يتب حتى مات وبين من تاب عند حضور الموت.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ} وسبب ذلك أن أهل المدينة في الجاهلية كان إذا مات أحدهم عن زوجة كان أبيه وقريبه أولى به من غيره ومنها بنفسه فإن شاء نكحها كائنة بالصداق الأول وإن شاء زوجها وترك صداقها وإن شاء عطلها عن النكاح حتى تموت فيرثها أو تفتدي منه نفسها بصداقها إلى أن توفي أبو قيس بن الأسلت عن زوجته كبيسة بنت معن بن عاصم فأراد ابنه أن يتزوجها فجاءت إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال : يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فأنكح فنزلت هذه الآية {وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ} وهو خطاب لورثة الأزواج أي لا تمنعوهن من التزويج كما ذكرناه ويجوز أن يكون خطاباً للأولياء {إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} والفاحشة هي كلما فحش فعله وكره مسموعه {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا(١٩)} أي الولد الصالح.

قوله تعالىٰ : {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ} إلىٰ قوله : {مِنْهُ شَيْئًا} يعني أنهن قد ملكن الصداق وليس ملكهن للصداق موقوف علىٰ التمسك بهن بل ذلك لهن مع إمساكهن وفراقهن {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا} أي ظلماً بالبهتان ويجوز بأن تبهتها لأنه جعل ذلك لها ليستوجبه منها وإنما منع من ذلك مع الاستبدال وإن كان ممنوعاً منه وأن يستبدل بهن أيضاً لئلا يتوهم المتوهم أنه مع استبدال غيرها بها أن يأخذ ما دفعه إليها ليدفعه إلىٰ من استبدل بها منه وإن كان عموماً.

قوله تعالىٰ : {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ} أي في الجماع وفي الخلوة {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(٢١)} هو عقد النكاح الذي استحل به الفرج، ويحتمل أن يكون الميثاق ما روينا عن رسول الله – صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله– أنه قال : ((أيها الناس إن النساء عندكم عوار أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فلكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً ولا يعصينكم في معروف فإن فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف)) وحكم هذه الآية ثابت إلا عند الخوف من النشوز.

قوله تعالىٰ : {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} وهذه الآية نزلت علىٰ قوم كانوا يخلفون علىٰ نساء آبائهم فجاء الإسلام بتحريم ذلك وعفا عما كان منهم في الجاهلية أن يؤاخذوا به في الإسلام إذا اجتنبوه، ويجوز : لا تنكحوا كنكاح آبائكم في الجاهلية علىٰ الوجه الفاسد إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم فإنه معفو عنه إذا كان مما يجوز الإقرار عليه والمقت شدة البغض لقبيح مرتكب ومقته الناس أي بغضوه وكان يقال لولد الرجل من امرأة أبيه المقتي {وَسَاءَ سَبِيلًا(٢٢)}

سورة النساء

أي طريقا.

قوله تعالى : {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ}..إلى قوله : {إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي بالسبي، وهذا مروي عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى : {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي ذوات الأزواج إلا ما ملكت أيمانكم بالسبي ولهن أزواج في بلد الكفر ويجوز أن يكون المحصنات ذوات الأزواج حرام على غير أزواجهن إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء إذا اشتراها مشتر بطل نكاحها وحلت لمشتريها ويكون بيعها طلاقها وحلت مجامعتها له بعد اشترائها وأصل الإحصان المنع ومنه حصن البلد لأنه يمتنع من العدو ودرع حصينة أي منيعة وفرس حصان لأن راكبه يمتنع به من الهلكة.

{كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} معناه حرم ذلكم عليكم كتاباً من الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المعنى التزموا كتاب الله وكتاب الله قيم عليكم فيما تستحلونه وتحرمونه.

قوله تعالى : {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} أي ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم كابنة الخالة وابنة العمة {أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ} يعني أن تلتمسوا بأموالكم إما أن تشترى بثمن أو نكاح بصداق {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} يعني متناكحين غير زانين وأصل السفاح صب الماء ومنه سفح الدمع أي صبه وسفح الجبل أي أسفله لأنه يصب الماء فيه وسفاح الزنا لصب مائه حراماً {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} أي فما نكحتم منهن فجامعتموهن فآتوهن صدقاتهن فريضة معلومة.

قوله تعالى : {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} أي لا جناح عليكم فيما تراضيتم به ودفعتموه أن يعود إليكم عن تراض

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا(٢٤)} عليماً بالأشياء قبل كونها فخلقها حكيماً في تقديره وتدبيره.

قوله تعالى : {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} الطول الغنى والسعة الموصل إلى نكاح الحرة وأصل الطول من الطول لأنه تنال به معالي الأمور ومنه قولهم : ليس فيه طائل أي ما ينال به من الفوائد، ونكاح الإيمان شرط في الأمة كما أنه شرط في الحرة.

قوله تعالى : {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} يعني بالمحصنات العفائف والمسافحات المعلنات بالزنا، ولا متخذات أخدان هو أن في الجاهلية كانت المرأة في الجاهلية تتخذ صديقاً تزني به ولا تزني بغيره وكان أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويحلون ما بطن حتى جاء الإسلام بتحريم الظاهر منه والباطن بقوله عز وجل : {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام:١٥١].

{فَإِذَا أُحْصِنَّ} وقرئ بضم الهمزة وكسر الصاد فمن قرأ بفتح الهمزة فإنما أراد إسلامها ومن قرأ بالضم فإنما أراد زوجن {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ} يعني بها هاهنا الزنا {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ} قيل إن العنت الزنا والإثم وقيل هو هاهنا كلما له ضرر شديد في دين أو دنيا {وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ} الصبر عن نكاح الأمة لئلا يكون ولده عبداً.

قوله تعالى : {...وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(٢٧)} والآية في كل من تبع شهوة غير مباحة.

قوله تعالى : {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} يعني في نكاح الإماء {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا(٢٨)} يعني عن احتمال الصبر عن جماع

سورة النساء

النساء.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} والباطل هو الربا والقمار والنجش والظلم والعقود الفاسدة {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} هو أن يكون العقد ناجزاً بغير خيار، ويجوز أن يخير أحدهما صاحبه بعد العقد وقبل الافتراق.

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال : ((ألبيع عن تراض والخيار بعد الصفقة ولا يحل لمسلم أن يغش مسلماً)).

{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} أي لا يقتل بعضكم بعضاً لأنهم أهل دين واحد فصاروا كنفس واحدة ويجوز أن يكون النهي توجه إلى من يقتل نفسه في حال الغضب والضجر.

قوله تعالى : {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} وهذا الوعيد توجه إلى كل من يأكل المال بالباطل وقتل الناس بغير حق، وفي قوله : {عُدْوَانًا وَظُلْمًا} يعني فعلاً واستحلالاً والعدوان والظلم واحد ولكن لما اختلف اللفظان ذكر للتأكيد.

قوله تعالى : {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} والكبائر كلما نهى الله سبحانه عن فعلها مما يوجب الخلود في النار كالشرك بالله عز وجل وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف.

قوله تعالى : {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} وهو أن يقول القائل : ليت مال فلان لي أو ليت ضياعه لي، وهذا النهي كلما نهى الله عز وجل المسلمين عن مثله فأما إذا قال : ليت لي مثله فهذا مباح وليس بمحظور.

قيل : إن هذه الآية نزلت في نساء يتمنين أن يكن كالرجال في فضلهم وجهادهم منهم أم سلمة بنت أبي أمية زوج رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا} من الثواب على طاعة الله عز وجل والعقاب على معصيته {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ} مثل ذلك يعني أن للمرأة بالحسنة عشر أمثالها كالرجل، ويحتمل أن يكون للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم وللنساء نصيب منهم لأن أهل الجاهلية لم يكونوا يورثون النساء.

{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} أي العبادة التي تكتسب الثواب في الآخرة قال رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج)).

قوله تعالى : {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} يحتمل أن يكون الموالي بني العم لقول الشاعر :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا

ويجوز أن يكون الموالي هم الورثة لقوله عز وجل : {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)} [مريم]، {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} وهي مفاعلة من عقد الحلف أي والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم بالحلف بينكم وبينهم فآتوهم نصيبهم يعني أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- آخى بين المهاجرين والأنصار وكان بعضهم يرث بعضاً بتلك المؤاخاة ثم نسخها ما تقدم من قوله : {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ}.

قوله تعالى : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} يعني أهل تأديب وقيام على نسائهم والأخذ على أيديهم فيما يجب لله تعالى ولهن عليهم يعني {بِمَا

سورة النساء

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} يعني في العقل والرأي {وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} يعني به الصداق والقيام بالكفاية.

وقيل : سبب هذه الآية أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فشكت إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقاص بينهما، فنزل : {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه:١١٤]، ثم بعدها : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} فالصالحات المقيمات الدين والعاملات بالخير، والقانتات يعني المطيعات لله ولأزواجهن حافظات للغيب أي لأنفسهن عند غيبة أزواجهن ولما أوجبه الله عز وجل من حقه عليهن. بما حفظ الله : يعني بحفظ الله لهن إذ صرن كذلك، ويحتمل أن يكون بما أوجب الله على أزواجهن من مهورهن ونفقتهن حتى صرن بهما محفوظات قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم : ((خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها)) ثم قرأ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}..إلى آخر الآية.

{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} والخوف هنا بمعنى العلم فعبر عنه بالخوف كما قال الشاعر :

ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

أي فإنني أعلم وقد يكون الخوف بمعنى الظن كما قال الشاعر :

وما خفت بالإسلام أنك غايتى

ويستدل على نشوزها بما تبديه من سوء فعلها والنشوز هو معصية الزوج والخروج من طاعته بغضاً وكراهية وأصل النشوز الارتفاع ومنه قيل للمكان المرتفع نشز فسميت الممتنعة من زوجها ناشزاً لبعدها منه وارتفاعها عنه.

{فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} أما وعظها فهو أن يأمرها بتقوى الله وطاعته ويخوفها استحقاق الوعيد في معصيته. وأما إباحة الله عز وجل من ضربها عند مخالفته وهجرها في المضجع أن يترك مجامعتها ويوليها ظهره وأصل الهجر الترك عن قلى والهجر القبيح من القول لأنه مهجور {وَاضْرِبُوهُنَّ} فجعل معاقبتها على النشوز بثلاثة أشياء وعظها وهجرها وضربها، وفي ترتيبها إذا نشزت أن يعظها ويهجرها فإن أقامت ضربها والذي أبيح لهن الضرب ما كان تأديباً يزجرها به عن النشوز غير مبرح ولا منهك.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((اضربوهن إذا عصينكم ضرباً غير مبرح)) {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} أي لا تطلبوا لهن أذى.

قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} يعني مشاقة كل واحد منهما من صاحبه وهو إتيانه ما كان يشق عليه من الأمور أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه وأما من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان والشقاق مصدر من قول القائل: شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه ما يشق عليه وقيل لأنه صار في شق بالعداوة والمباعدة {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} والمأمور بإنفاذ الحكم الإمام إذا ترافع إليه الزوجان أو أحدهما {إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا} يعني

سورة النساء

الحكمين {يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} بين الزوجين بإصلاح الحكمين وللحكمين من الإصلاح بما يريان، وأما الطلاق فهو إلى الزوج.

قوله تعالى : {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي واستوصوا بالوالدين إحسانا {وَبِذِي الْقُرْبَى} هم قرابة النسب {وَالْيَتَامَى} جمع يتيم وهو من مات أبوه ولم يبلغ الحلم {وَالْمَسَاكِينِ} جمع مسكين وهو الذي ركبه ذل الفاقة والحاجة فتمسكن لذلك، والجار ذي القربى أحدهما بمعنى القرابة والرحم وهو الذي بينك وبينه قرابة النسب، ويحتمل أن يكون الكافر البعيد في دينه والجنيب في كلام العرب هو البعيد ومنه سمي الجنب لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} أي الرفيق في السفر، وروينا عن أمير المؤمنين – عَلَيْه السَّلام- أنه قال : هو المرأة التي تكون إلى جنبه، ويحتمل أن يكون الذي يكرمك ويصحبك رجاء نفعك.

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال : ((كل صاحب يصحب صاحباً فهو مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار)).

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : ((خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)).

{وَابْنِ السَّبِيلِ} هو المسافر المحتاج المحتار، وقيل لصاحب الطريق ابن السبيل كما قيل لطير الماء ابن الماء قال الشاعر :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها ... على قمة النسرين ماء محلق

{وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} يعني المملوك فأضاف الملك إلى اليمين لاختصاصها بالتفرق كما يقال تكلم فوك ومشت قدمك {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦)} المختال من كان ذا خيلاء مفيعل من قولك: خال الرجل يخول خالاً وخولاً قال الشاعر :

....

والخال ثوب من نبات الجبال والفخور المفتخر على عباد الله بما أنعم عليه من آلاء الله وبسط عليهم من رزقه.

قوله تعالى : {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} قيل إن هذه الآية نزلت في اليهود بخلوا بما عندهم في التوراة من نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وكتموه وأمروا الناس بكتمانه {وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} من نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

وتحتمل الآية وجهاً آخر وهو أنهم يبخلون بالإنفاق في طاعة الله عز وجل ويأمرون الناس بمثل ذلك، والبخل هو أن يبخل الإنسان بما في يده، والشح أن يشح على ما في أيدي الناس يحب أن يكون له.

قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} نزلت في المنافقين {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا(٣٨)} القرين هو الصاحب الموافق كما قال عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن[1] قرينه فإن قرين بالمقارن مقتدي

وأصل القرين الاقتران والقرن بالكسر المناسب لاقترانه بالصفة والقرن أهل العصر لاقترانهم في الزمان أي أنه مقارن للشيطان في فعله.

قوله تعالى : {..إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} والمثقال الثقل وهو مقدار الشيء في الثقل والذرة هي ذرة حمراء.

---

(١)- نخ : وانظر .

سورة النساء

قوله تعالى : {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ} وشهيد كل أمة نبيها لأنه يشهد على أمته أنه قد بلغها ما تقوم به الحجة عليها وتشهد بعلمها {وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا(٤١)} يعني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم سمع قارئاً يقرأ : {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا(٤١)} ففاضت عينا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى : {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا(٤٢)} هم العصاة الكافرون كما حكى عنهم في موضع آخر ويقول الآخر : {يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا(٤٠)} [النبأ]، وهم يتمنوا أن يدخلوا في الأرض بغلوهم.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} أي سكارى من النوم والسكر في اللغة سد مجرى الماء {وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} والمراد بعابري السبيل المسافر يكون جنباً ولا يجد الماء حتى يتيمم.

وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- : ويجوز أن يكون المراد الجنب لا يقرب موضع الصلاة من المساجد مقيماً إلا ماراً مجتازاً.

{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى} والمرضى في هذا الموضع ما استضر فيه باستعمال الماء دون ما لم يستضر ويخشى منه التلف وزيادة في العلة {أَوْ عَلَى سَفَرٍ} وهو أقل ما يطلق عليه اسم السفر وهو بريد فصاعداً {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} وهو الموضع المطمئن من الأرض كان الإنسان يأتيه لحاجته فكني عن الخارج مجازاً ثم كثر استعماله حتى صار كالحقيقة {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن الملامسة المجامعة

{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا} أي تعمدوا الصعيد هو التراب المتصعد على وجه الأرض كذلك رويناه عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- قال ذو الرمة :

كأنه الضحى يرمي الصعيد به ديانه في عظام الرأس خرطوم

والطيب هو الحلال الطاهر {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} منه، والوجه الممسوح في التيمم هو المحدود في الغسل للوضوء ومسح اليدين مع المرفقين على حد غسلهما للوضوء، وكذلك الجنب يتيمم للصلاة إذا لم يجد الماء وهذه الآية في قوم من الصحابة أصابهم جراح وقيل إنها نزلت عند إعواز الماء في السفر.

قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ} أي أنهم بجحدهم صفة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في كتبهم قد صاروا كمشتري الضلالة بالهدى وقيل إنهم كانوا يعطون أحبارهم أموالهم على ما كانوا يضعونه من التكذيب بالرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ويرشون على كتمانه بنبوته وصفته في التوراة ، روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال : ((لعن الله الراشي والمرتشي والرائش)) وهو المتوسط بينهما.

قوله تعالى : {..وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} أي اسمع لا سمعت أو اسمع غير مقبول منك {وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} قيل إن هذه الكلمة كانت سبباً في لعنهم فأطلع الله نبيه عليها فنهاهم عنها فكانت تجري الهزاء والكبر.

قوله تعالى : {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني من اليهود والنصارى {ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا} يعني من القرآن {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} يعني من كتبكم {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} وطمس الوجوه هومحو آثارها حتى تصير كالأقفاء ونجعل عيونها في

سورة النساء

أقفائها فتمشي القهقرى ويجوز نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها أي في إضلالها ذماً لها بأنها لا تفلح أبداً {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} أي نمسخهم قردة.

قوله تعالى : {..أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} يعني اليهود وفي تزكيتهم أنفسهم أنهم قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه، ويحتمل أن يكون تزكية بعضهم لبعض ينالوا به شيئاً من الدنيا {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا(٤٩)} والفتيل هو الذي في شق النواة والنقير ما في ظهرها والقطمير قشرها.

قوله تعالى : {..أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} قيل إنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما، وقيل : الجبت الساحر والطاغوت الكاهن.

قوله تعالى : {..أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا(٥٣)} وهو الذي يكون في ظهر النواة.

قوله تعالى : {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} والمراد بالناس رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وفي الفضل المحسود عليه قولان أحدهما النبوة لأن العرب حسدتهم حيث صارت فيهم، والثاني : ما أعطاه الله عز وجل من الحكمة والعصمة والتأييد بالملائكة {فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا(٥٤)} والملك العظيم النبوة والطاعة المفروضة.

قوله تعالى : {..إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا}..إلى قوله: {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} فإن قيل : كيف يجوز أن يبدلوا جلوداً غير جلودهم التي كانت في الدنيا فعذبوا فيها ولو جاز ذلك لجاز أن يبدلوا

أرواحاً غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت في الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار غير الذين أوعدهم الله في الدنيا العذاب على كفرهم.

فعن هذا ثلاثة أجوبة أحدها : أن ألم العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذي هو اللحم والجلد وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب فأما الجلد واللحم فلا يألمان سواء أعيد على الكفر جلده الذي كان عليه في الدنيا أو غيره.

والجواب الثاني : أنها تعاد تلك الجلود الأولى جديدة غير محرقة .

والجواب الثالث : أن الجلود المعادة إنما هي سرابيلهم من قطران جعلت لهم لباساً فسماها الله جلوداً فعلى هذا يجوز إحراق الجلود ثم إعادتها غير محرقة لأن في حال إحراقها إلى حال إعادتها فناؤها وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عز وجل أنها لا تموت ولا يخفف عنهم العذاب.

قوله تعالى : {..إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} المعني بها ولاة المسلمين من الأئمة الطاهرين أي ترد أمور الدين والشرائع إليهم ولا ينازعوا في شيء من ذلك، وقيل إن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم خوطب برد مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن أبي طلحة وهذه الآية عامة في رد كل شيء إلى ما أؤتمن عليه، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- : ((أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)).

قوله تعالى : {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} يعني أطيعوا الله عز وجل في أوامره ونواهيه وأطيعوا الرسول فيما يؤديه من قبل الله عز وجل وأولي الأمر منكم يعني الأئمة من ولده القائمين مقامه الحاملين ما حمله من أعباء الأمور وسد الثغور.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : ((من أطاعني فقد

سورة النساء

أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني)) وطاعة الرسول اتباع سنته والعمل بكل ما جاء به من عند الله، وطاعة الأئمة من ولده واجبة في كل ما فيه طاعة الله سبحانه؛ فأما ما كان من معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصيته.

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} أي إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والعالمين بهما من عترته {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(٥٩)} وأظهر حقاً وأحمد عاقبة وأكثر صواباً وخير من تأويلكم الذي لا يرجع إلى أصل ولا يفضي إلى حق.

قوله تعالى : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} هذه الآية نزلت في رجل أنصاري من المنافقين ورجل من اليهود كان بينهما خصومة فقال اليهودي : أحاكمك إلى أهل دينك لأنه علم أنهم لا يقبلون الرشوة وقال المنافق : بل أحاكمك إلى اليهود منهم كعب بن الأشرف لأنه علم أنهم يقبلون الرشوة فاصطلحا أن يتحاكما إلى رجل من جهينة فنزلت فيه هذه الآية : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يعني المنافق {وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يعني اليهودي {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} يعني الكاهن.

وقيل إنها نزلت في رجل من بني النضير وبني قريظة وكانت بنو قريظة في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة لم يقتاد من القاتل وأعطوا ديته ستون وسقاً من تمر فلما أسلم ناس من بني قريظة وبني النضير قتل رجل من بني النظير رجلاً من بني قريظة فتحاكموا إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه

وآله- فقال النظيري يا رسول الله إنا كنا نعطيهم في الجاهلية الدية ستين وسقاً من تمر فنحن نعطيهم اليوم ذلك، وقالت بنو قريظة : نحن إخوان في النسب وفي الدين وإنما كان ذلك في غلبة الجاهلية وقد جاء الإسلام، فأنزل الله تعالى فيهم : {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ} [المائدة:٤٥]، ثم ذكر قول بني النظير فقال : {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة:٥٠]، ثم أخذ النظيري فقتله بالقرظي ولذلك دخلت بنو النظير وبنو قريظة المدينة فتحاكموا إلى أبي بردة الأسلمي الكاهن فأنزل الله تعالى في ذلك : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يعني في الحال {وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يعني حين كانوا يهود {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} يعني أبا بردة الأسلمي الكاهن.

قوله تعالى : {..فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}..الآية وسبب نزولها أن المنافقين بعد القود من صاحبهم اعتذروا إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في محاكمتهم إلى غيره بأن قالوا : ما أردنا في عدولنا عنك إلا إحساناً لتقريب في الحكم دون الحمل على من الحق وتوفيقاً بين الخصوم فنزلت الآية.

قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} يعني من النفاق الذي يضمرونه {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} أي أعرض عنهم بالعداوة لهم وعظهم فيما بدا منهم ولا تقبل اعتذارهم {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا(٦٣)} أي أنت تزجرهم عما هم عليه بأبلغ الزواجر.

قوله تعالى : {..فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} أي وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف سمي بذلك مشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل الشجر بالتفافها {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ} والحرج بمعنى الشك والإثم وهذه

سورة النساء

الآية نزلت في اليهودي والمنافق الذين احتكما إلى الطاغوت.

قوله تعالى : {..وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ}..الآية أما الصديقون فهو جمع صديق وهم المصدقون بالأنبياء والصديق فعيل من الصدق والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله تعالى لأنه من شهداء الآخرة إذا قتل في سبيل الله وإنما سمي الشهيد شهيداً لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل الصالحون فجمع صالح وهو من أصلح عمله وصلحت سريرته وعلانيته، وأما الرفيق ففيه قولان أحدهما : أنه مأخوذ من الترفق في السير.

وسبب نزول هذه الآية أن ناساً توهموا أنهم لا يرون الأنبياء في الجنة لأنهم في أعلى عليين وحزنوا وسألوا النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى : {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} يعني احذروا عدوكم، ويجوز أن يكون الحذر {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا(٧١)} الثبات جمعه ثبة والثبة العصبة، قال الشاعر :

لقد أعدوا على ثبة كرام ... بشأوى آخذين لما يشاءوا

ومعنى الآية فانفروا فرقاً وعصبا.

قوله تعالى : {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} يعني يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة فعبر عن البيع بالشراء {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(٧٤)} فإن قيل : فالوعيد من الله عز وجل على القتال فكيف جعله على القتل والغلبة؟ قيل : لأن القتال يفضي غالباً إلى القتل أو الغلبة فصار الوعد على

القتال وعداً عاماً يفضي إليه القتال.

قوله تعالىٰ : {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} وهي مكة أخبر الله عز وجل عنهم من استضعاف النساء والرجال والولدان وافتتانهم عن دينهم بالعذاب والأذى.

قوله تعالىٰ : {..أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} وهذه الآية نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم فلما كتب عليهم القتال وهم بالمدينة إذا فريق منهم يذكر ما ذكر الله عز وجل في كتابه، وقيل إنها نزلت في قوم من المنافقين.

قوله تعالىٰ : {..أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} والبروج القصور وقيل البيوت في الحصون وأصل البروج الظهور ومنه تبرج المرأة أي ظهورها والمشيدة المعمورة بالشيد وهو الفضة وقيل شاد البناء أي أعلاه ورفعه ومنه قولهم : أشاد بذكره أي رفعه.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} والمراد بالحسنة النصرة وبالسيئة الهزيمة ويحتمل أن تكون بمعنى الرخاء واليؤس والخصب والجدب قوله : {مِنْ عِنْدِكَ} أي تسويد أمرك وبالشؤم الذي لحقنا منك على وجه التطير ومثله قوله : {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف:١٣١].

قوله تعالىٰ : {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} هذا الخطاب لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والمراد به غيره والحسنة والسيئة في هذا الموضع على وجهين أحدهما : أن الحسنة النعمة في الدين والدنيا ، ويحتمل أن تكون الحسنة ما أصابه يوم بدر

سورة النساء

والسيئة ما أصابه يوم أحد من شج وجهه وكسر رباعيته فمن نفسك.

قوله تعالى : {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} وإنما كانت طاعة الرسول طاعة الله عز وجل لأنها موافقة لإرادة الله تعالى {وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا(٨٠)} يعني حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع منهم {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} يعني المنافقين يقولون أمرنا طاعة {فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} والتبييت كل عمل دبر ليلاً قال الشاعر :

أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بأمر نكر

وفي تسمية العمل بالليل بياتاً قولان أحدهما : لأن الليل وقت للمبيت، والثاني : لأنه وقت الرجوع إلى البيوت، وفي المراد بقوله : بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي أنها عبرت غير ما أضمرت من الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه، والثاني معناه قدرت غير الذي تقول على وجه التكذيب {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} قيل يكتبه بعلمه وينزل عليك في الكتاب.

قوله تعالى : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ} أصل التدبر الدبور لأنه النظر في عواقب الأمور {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا(٨٢)} أي تناقض من جهة حق وباطل ويجوز أن يكون من جهة بليغ ومرذول.

قوله تعالى : {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} المراد به المنافقون وضعفة المسلمين {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} وأولوا الأمر هم الأئمة من عترة الرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- القائمون مقامه الحاكمون بأحكامه {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أي

من الأئمة -عليهم السلام- ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه مأخوذ من من استنباط الماء ومنه سمي النبط لاستنباطهم العيون {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا(٨٣)} في فضل الله ورحمته ثلاثة أقاويل أحدها : أنه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأهل بيته الذين افترضت طاعتهم والثاني : القرآن، والثالث : اللطف {لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}.

قوله تعالى : {..مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} والشفاعة مسألة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسألته أو شر بمسألته وقيل الشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمن ولكافة أولياء الله أجمعين، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عز وجل، والكفل الوزر والإثم، وقيل الكفل النصيب كما قال : {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الحديد:٢٨].

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا(٨٥)} أي مقتدراً..الآية، وأصل المقيت من المقوت فسمي المقتدر به لأنه قادر على إعطاء القوت كما قال الشاعر :

وذي طعن كففت الطعن عنه ... وكنت على مسائته مقيتا

قوله تعالى : {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} ومعنى التحية في هذا الموضع السلام والسلام تطوع مستحب ورده فرض ورد السلام خاص في المسلم دون الكافر. بأحسن منها : تقديره الزيادة في الدعاء أو ردوها : يعني مثلها.

وروينا أن رجلاً سلم على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال : السلام عليكم، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم : ((وعليكم

سورة النساء

السلام ورحمة الله)) ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم : ((وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)) ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم : ((وعليكم)) فقيل : يا رسول الله رددت الأول والثاني وقلت للثالث : وعليكم؛ فقال : ((إن الأول سلم وأبقى من التحية شيئاً فرددت عليه أحسن مما جاء به وكذلك الثاني وإن الثالث جاء بالتحية كلها فرددت عليه مثل ذلك {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا(٨٦)} يعني حفيظا ويجوز محاسباً على العمل والجزاء عليه.

قوله تعالى : {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وسميت القيامة لقيام الناس من قبورهم.

قوله تعالى : {..فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– يوم أحد وقالوا : لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وقيل : إنها نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام ثم رجعوا إلى مكة وأظهروا الشرك {وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} أي ردهم وأوقعهم وقيل معناه أهلكهم وكبتهم {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} أي تسموهم بالهدى وقد سماهم الله ضلالاً.

قوله تعالى : {..إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أي يدخلون في قوم بينكم وبينهم أيمان فلهم منهم مثل ما لكم منهم وهذه الآية نزلت في هلال بن عنبر الأسلمي وسراقة بن مالك وخزامة بن عامر بن عبد مناف هؤلاء بنوا مدلج كان بينهم وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم عقد فحرم الله من بني مدلج ما حرم من قريش.

{أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ}

يعني حصرت ضاقت ومنه حصر العدو والتضييق عليه ومنه حصر القراءة إذا ضاقت على القارئ مذاهبه وهذا إخبار من الله عز وجل عنهم بأن صدورهم حصرت ويحتمل أن يكون دعاء عليهم بأن تحصر صدورهم.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ} وفي تسليطهم عليكم وجهان أحدهما تقوية قلوبهم، والثاني الإذن لهم ليدفعوا عن أنفسهم {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أي الصلح ويحتمل أن يكون الإسلام {فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا(٩٠)} وهذه الآية منسوخة بقوله : {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:٥].

قوله تعالى : {سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ} هم قوم كانوا يظهرون لقومهم الموافقة ليأمنوهم وللمسلمين الإسلام ليأمنوهم وهم المنافقون {كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا} أي كلما ردوا إلى المحنة في إظهار الكفر رجعوا فيه.

قوله تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} هذه الآية نزلت في عباس بن ربيعة المخزومي فكان أخاً لأبي جهل لأمه قتله الحارث بن يزيد بن عامر بن لؤي لأنه كان يعرف عباساً مع أبي جهل قبل قتله بالحرة بعد هجرته إلى المدينة وهو لا يعلم بإسلامه.

وتفسير الآية : ما أذن الله لمؤمن أن يقتل مؤمناً ثم قال : {إِلَّا خَطَأً} أي أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ وليس مما جعل الله عز وجل له وهذا من الاستثناء المنقطع كما قال جرير :

من البيض لم تطعن بعيداً ولم تطأ   على الأرض إلا ربط برد مرحل

يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ على ذيل البرد من الأرض. {وَمَنْ

سورة النساء

قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} إذا كانت كبيرة فليس تجزي إلا أن تكون موحدة مصلية صائمة وإن كانت لم تبلغ أجزت لأن إيمانها صحيح {وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ} والدية مجملة أخذ بيانها من رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بأن يجعل الله الرقبة تكفير للقاتل من ماله والدية بدلاً من نفس المقتول على عاقلته.

ثم قال : {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} أي كان قومه كفاراً وهو مؤمن ففي قتله تحرير رقبة مؤمنة وليس فيه دية لأن الدية مما تقوي العدو وتحتمل الآية وجهاً آخر وهو وإن كان من قوم عدو لكم يعني أهل الحرب إذا كان فيهم مؤمن فقتل من غير علم بإيمانه ففيه الكفارة دون الدية سواء كان وارثه مسلماً أم كافراً، ومعنى قوله من قوم أي في قوم.

قوله تعالىٰ : {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} وهذه الآية في كل من دخل إلينا بأمان أو ذمة أو عهد من الحرب أو الذمة فقتل ففيه الكفارة والدية {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} والصوم بدل من الرقبة.

قوله تعالىٰ : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} وهذه الآية نزلت في مقيس بن ضبابة وقد كان رجل من فهر قتل أخاه فأعطاه النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- الدية فقبلها وضربها على بني النجار ثم بعث رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- مقيس بن ضبابة ومعه الفهري في حاجة فاحتمل مقيس الفهري وكان بدناً فضرب به الأرض ورضخ رأسه بين حجرين ثم أنشأ يقول :

قتلت به فهراً وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب قارع

فقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم : ((أظنه أحدث حدثاً والله لأن كان قتل لا أؤمنه في حل ولا حرام)) فقتل عام الفتح.

قوله تعالىٰ : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} روينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه سئل عن هذه الآية فقيل له : وإن تاب وآمن وعمل صالحاً ؟ قال : ((أنى له التوبة)) ونزلت الشديدة بعد الهينة بستة أشهر قوله تعالىٰ : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا} بعد قوله : {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ..} الآية [الفرقان:٦٨].

قوله تعالىٰ : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} هذه الآية نزلت في رجل كانت له غنيمات لقيته سرية لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال : السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فبدر إليه بعضهم فقتله؛ فلما أتى رسول الله –صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم– قال : ((لم قتلته وقد أسلم؟)) قال : إنما قالها تعوذاً، قال : ((هلا شققت عن قلبه)) ثم حمل رسول الله –صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله– ديته إلى أهله ورد عليهم ديته وقاتله أسامة بن زيد.{كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} أي كفار مثلهم {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} بالإسلام.

قوله تعالىٰ : {..وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} في المراغم وجهان أحدهما أن المراغم التحول من أرض إلى أرض قال نابغة بن جعدة :

بطود يلوذ بأركانه ... عزيز المراغم والمهرب

وكما قال آخر :

إلى بلد غير داني المحل ... بعيد المراغم والمطلب

سورة النساء

والثاني : والمراغم المهاجر أيضاً لأن من شخص عن قوم يهاجر عنهم فقد راغمهم والرغم الذل والرغم التراب والرغم بضم الراء ما يسيل من الأنف، وسعة أي سعة في الرزق وخروجاً من الضلالة إلى الهدى ومن كتمان الدين إلى إظهاره.

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} أي سرتم لأنه من ضرب الأرض بالرجل في السير فلذلك سمي السفر في الأرض ضرباً {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} وهذا القصر يحتمل وجهين أحدهما : أن يكون قصر الأركان إذا جاب مع استيفاء الأعداد فيصلي عند المسايفة والتحام القتال كيف أمكنه قائماً وقاعداً وموميأ وهذا مثل قوله : {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا} [البقرة:٢٣٩].

والثاني : هو قصر أعدادها من أربع إلى ركعتين خائفاً كان المصلي أو آمناً إذا سافر بريداً؛ فأما الخوف المراعى في الآية فهو في صلاة الخوف إذا خاف النبي أو الإمام أعداء الله صلى صلاة الخوف ويكون بإزاء العدو وفرقة من المسلمين يشغلونهم عن انتهاك الفرصة من المؤمنين.

قوله تعالى : {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} وهذا خطاب للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لما عزم المشركون الإيقاع به وبمن كان معه من المسلمين إذا استقبلوا بصلاتهم فأطلع الله عز وجل على سرائرهم وأمره بالتحرز منهم فكل من قام مقامه -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فله أن يصلي صلاة الخوف بأصحابه عند حال الضرورة إلى ذلك {فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} أي مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في الصلاة وطائفة بإزاء العدو.

ثم قال : {وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ} والذين يأخذون السلاح هم الذين بإزاء العدو ويحرسون {فَإِذَا سَجَدُوا} يعني الطائفة إذا سجدت التي معك في الصلاة فليكونوا من ورائكم بعد فراغ من كان معك في الصلاة من ركعتهم الثانية لأنهم يرجعون إلى مواقف أصحابهم والإمام واقف بمكانه حتى يصلي بالفرقة الثانية ركعة أخرى وتقوم الفرقة والإمام جالس في الثانية حتى يتم ويسلم بهم وهذا تفسير قوله: {وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ}.

قوله تعالى : {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا} يعني بذكر الله التعظيم والتسبيح والتقديس في خوف وغيره ولم يعذر واحداً من تركه إلا مغلوباً على عقله {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي أمنتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولا مشي.

وقد روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه كان صلاته وصلاة أصحابه يوم الهرير على ظهور الخيل بالتسبيح والتكبير.

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا(١٠٣)} أي فرضاً واجباً مؤقتة في أوقاتها.

قوله تعالى : {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} أي ما أصابهم منكم يألمون به كما تألمون مما أصابكم منهم ثم قال : {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} من النصرة لكم والعون على عدوكم مع تساويكم في الألم، وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف كما قال عز وجل : {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(١٣)} [نوح]، أي لا تخافون له عظمة، قال الشاعر :

لا نرتجي حين تلاقي الزائدا ... أسبعة لاقت معاً أم واحدا

سورة النساء

قوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} أي حقٌّ ما فيه {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} أي بما أعلمك الله وأبان لك أنه حق {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا(١٠٥)} أي مخاصماً عنهم، وهذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق وسبب نزولها أنه كان قد أودع طعاماً ودرعاً فجحده ولم تقم عليه بينة فهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بالدفع عنه فبين أمره وقيل إنه قد كان سرق درعاً وطعاماً فأنكره واتهم غيره وألقاه في منزله فأعانه قوم من الأنصار وخاصم النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وهم بذلك على ما ظهر له من أمره حتى أنزل الله فيه هذه الآية.

قوله تعالى : {...ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا} يعني الذي اتهمه السارق وألقى عليه السرقة، وقيل : لما نزلت هذه الآية ارتد ابن الأبيرق ولحق مكة بالمشركين فأنزل الله : {...وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى}..الآية.

قوله تعالى : {..إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا} يعني اللات والعزى وقيل إنهن الملائكة لأن الجاهلية كانت تقول الملائكة بنات الله.

قوله تعالى : {..وَلَأُضِلَّنَّهُمْ} يعني عن الإيمان {وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} يعني بطول الأمل في الدنيا ليؤثروها على الآخرة {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ} أي يقطعونها نساكاً لأوثانهم كالبحيرة والسائبة {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} أي دين الله.

قوله تعالى : {...لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} تقدير الكلام ليس الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب وإنما هو بالأعمال الصالحة، والخطاب بهذا إلى أهل الإسلام {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} والسوء كلما يسوء من الكبائر قيل لما نزلت هذه الآية {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

يُجْزَ بِهِ} شق على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ ذلك فشكوا إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال : ((قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة والشوكة يشاكها)).

قوله تعالى : {...وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} وسبب نزولها أنهم في الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والأطفال فلما فرض الله تعالى المواريث في هذه السورة شق ذلك على الناس فسألوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن ذلك فأنزل الله هذه الآية، وقوله : {اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} أي وترغبون في نكاحهن وأموالهن.

قوله تعالى : {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} قيل إن هذه الآية نزلت في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حين هم بطلاق سودة ابنة زمعة فجعلت يومها لبعض نساء رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

وهي مع ذلك عامة في كل امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضاً، والنشوز الرفع عنها لبغضها والإعراض أن ينصرف عن الميل إليها لموجدة أو أثرة. {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} أي خير من النشوز والإعراض {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} أي أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه.

قوله تعالى : {..وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ} يعني بقلوبكم ومحبتكم {وَلَوْ حَرَصْتُمْ} أن تعدلوا في المحبة {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ} أي تميلوا بأفعالكم فتتبعوها أهواءكم {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} يعني لا أيم ولا ذات زوج.

قوله تعالى : {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ} أي من قدرته لأنه

واسع القدرة ويحتمل أن يكون يغن الله كل واحد من صاحبه بمن هو خير منه.

قوله تعالى : {...إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال : لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان وقال : ((هم قوم هذا)) يعني عجم الفرس.

قوله تعالى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ثواب الدنيا الغنيمة وثواب الآخرة الجنة.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} يعني بالعدل {شُهَدَاءَ لِلَّهِ} يعني بالحق {وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} وشهادة الإنسان على نفسه هو إقراره لما عليه لخصمه {أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} فيما لهم وعليهم {إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} أي في الميل إلى أحد الخصمين {وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا} تلووا هو لي الرجل لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل دَيْن الرجل إذا مطله ومنه قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- : ((لي الواحد يبيح عرضه وماله)). وهذا خطاب للشهود.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فإن قيل : كيف قال : آمنوا وأخبر عنهم أنهم قد آمنوا فعن هذا جوابان : أحدهما : يا أيها الذين آمنوا لمن كان قبل محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم آمنوا بمحمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، وقيل : خطاباً لليهود والنصارى.

والثاني : يا أيها الذين آمنوا بأفواههم آمنوا بقلوبكم ويكون خطاباً للمنافقين، ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون خطاباً للمؤمنين أي دوموا على إيمانكم.

قوله تعالىٰ : {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} أي آمنوا بموسىٰ ثم كفروا بعبادة العجل {ثُمَّ ءَامَنُوا} بموسىٰ بعد عوده {ثُمَّ كَفَرُوا} بعيسىٰ {ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} بمحمد صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

وتحتمل الآية وجهاً آخر وهي أن تكون في المنافقين أنهم آمنوا بألسنتهم فكفروا بقلوبهم ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم علىٰ الكفر والردة، وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أن المرتد يستتاب ثلاث مرات فإن ارتد بعدها قتل ولم يستتب.

قوله تعالىٰ : {...الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} يعني المنافقين {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} أي فأعطونا من الغنيمة {وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} أي لم نستول عليكم بالمعونة والنصرة {وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بالتخذيل عنكم.

قوله تعالىٰ : {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا(١٤١)} يعني حجة.

قوله تعالىٰ : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} يخادعون رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بما يظهرونه من الإسلام ويبطنونه من الكفر فصار خداعهم لرسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- خداعاً له {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أي يعاقبهم علىٰ خداعهم فسمىٰ الجزاء عن الفعل باسمه {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ} أي متثاقلين مقصرين {يُرَاءُونَ النَّاسَ} يفعلون ما يفعلون أي رياء الناس دون طاعة الله {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(١٤٢)} أي لا يعبدونه.

قوله تعالىٰ : {...لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ} أي إلا لمن يكون مظلوماً فيدعو علىٰ من ظلمه ويحتمل أن يكون إلا من ظلم فانتصر من ظالمه.

سورة النساء

قوله تعالى : {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ} يعني خيراً بدلاً من السوء أو تخفوا السوء أن لا تبدوا خيراً عفواً عن السوء كان أولى وإن كان غير العفو مباحاً.

قوله تعالى : {...يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} مكتوباً كما سألوا موسى أكبر من ذلك {فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} وإنما بين الله سبحانه وتعالى أن سؤالهم للإعنات لا للإستبصار كما أنهم سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ظلماً منهم وعدواناً {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ} في سؤالهم وطلبتهم.

قوله تعالى : {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ} يعني بالعهد الذي أخذ عليهم بعد تصديقهم بالتوراة أن يعملوا بما فيها فخالفوه لعبادة العجل ونقضوه فرفع الله عليهم الطور ليتوبوا وإلا سقط عليهم الطور فتابوا حينئذ {وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} أي الباب الذي عبدوا فيه العجل وهو باب من أبواب بيت المقدس {وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} من الاعتداء الذي هو الظلم وهو ترك واجباته {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(١٥٤)} وهو ميثاق آخر بعد رفع الطور.

قوله تعالى : {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} أي محجوبة عن فهم الإعجاز ودلائل التصديق كالمحجوب في غلافه، ويحتمل أن يكون المراد به أوعية للعلم وهي لا تعرف احتجاجك ولا تفهم إعجازك {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ} فيه تأويلان أحدهما : أنها جعل فيها علامة تدل الملائكة على كفرهم كعلامة المطبوع، والثاني : ذمهم بأن قلوبهم كالمطبوع عليها التي لا تفهم أبداً ولا تطيع مرشداً {فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٥٥)} أي القليل منهم يؤمن.

قوله تعالىٰ : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ} هذا قول اليهود حكىٰ الله عنهم وقوله رسول علىٰ زعمه أنه رسول الله {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} وسبب ذلك أن رؤساء اليهود خافوا فتنة عوامهم بأن الله منعهم منه فعمدوا إلىٰ غيره فقتلوه وصلبوه وموهوا علىٰ العامة ليزول افتتانهم به.

{وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ} ووجه الاختلاف فيه أن قوماً قالوا هو إله، وقال بعضهم لا بل هو ولد، وقال بعضهم هو شاعر فشكوا {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} أي ما لهم بحاله من علم هل كان رسولاً أو غير رسول إلّا اتباع الظن {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧)} أي ما قتلوه مرة يقيناً كما يقول القائل قتلته علماً أن الرجل هو المسيح أو غيره {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} أي رفعه إلىٰ موضع لا يجرىٰ عليه حكم أحد من العباد فصار رفعه إلىٰ حين لا يجري عليه حكم العباد رفعاً إليه.

قوله تعالىٰ : {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} أي ليؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح إذا نزل من السماء، ويجوز أن يكون تقدير الكلام قبل موته أي موت الكتابي فإنها ترجع إلىٰ الكتابي بما أنزل الله من الحق وبالمسيح عيسىٰ ابن مريم، وتحتمل وجهاً ثالثاً : إلا ليؤمنن برسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قبل موت الكتابي.

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا(١٥٩)} يعني المسيح شهيداً تكذيب من كذب به وتصديق من صدق به من أهل عصره.

قوله تعالىٰ : {...يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} وهذا خطاب للنصارىٰ خاصة ولليهود عامة لأن الفريقين غلوا في المسيح فقالت النصارىٰ هو الرب، وقالت اليهود هو لغير رشده، والغلو مجاوزة الحد ومنه غلا السعر إذا جاوز حده وغلا في الدين إذا أفرط في مجاوزة الحد.

سورة النساء

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يعني في غلوهم في المسيح ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ رداً على من جعله إلهاً أو لغير رشده وجعله ساحراً ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ لأنه بشارة الله التي بشرها فصار بذلك كلمة الله ويجوز أنه يهتدى به كما يهتدى بكلمات الله عز وجل ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي أنه يحيى به الناس كما تحيى الأجساد بالأرواح والنفخ في اللغة سمي روحاً ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ والثلاثة قول النصارى أب وابن وروح القدس.

قوله تعالى : ﴿...يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ والبرهان هو رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وما معه من المعجز الذي يشهد بصدقه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا(١٧٤)﴾ يعني القرآن نوراً لأنه يظهر به الحق كما تظهر المرئيات بالنور.

قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي اعتصموا بالقرآن ويجوز واعتصموا بالله من زيغ الشيطان ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(١٧٥)﴾ والهداية أن يعطيهم في الدنيا ما يوديهم إلى نعيم الآخرة ويجوز ويهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة.

قوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ روينا أن هذه الآية نزلت على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وهو في مسيرة وإلى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها حذيفة فقيل إن جابر بن عبدالله سأل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال لي تسع جوارٍ ولي مال كيف أصنع به فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية.

[سورة المائدة]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الناصر لدين الله –صلى الله عليه– : سورة المائدة مدنية

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} وهي العقود التي أخذ الله بها الأيمان على خلقه فيما أحله لهم وحرمه عليهم، ويجوز أن تكون المعاقدات التي بين الناس في البيع والشراء والنكاح وسائر المعاملات وكذلك في النذور والأيمان والكفارات.

{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ} أي الأنعام كلها وهي الإبل والبقر والغنم ويدخل فيها الظبى وبقر الوحش لا يدخل فيها الحافر لأنه مأخوذ من تعمد الوطي.

قوله تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ} أي معالم الله وهو مأخوذ من الإشعار الذي هو الإعلام وشعائر الله هي ما حرم الله تعالى في حال الإحرام وسائر حدوده فيما أباح وأحل وحرم وحظر، وقيل : إن الشعائر هي المناسك والدين وكل ذلك جائز.

قوله تعالى : {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(٣٢)} [الحج]، أي دين الله.

{وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} أي لا تستحلوا القتال فيه وهو رجب {وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ} والهدي هو ما لم يقلد من النعم وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلده، والقلائد ما قلد من الهدي لأن التقليد يتعقبه الإحرام، وقيل إن المشركين كانوا يأخذون لحا شجر الحرم إذا أرادوا الخروج منه فيتقلدونه ليأمنوا فنهوا أن ينزعوا شجر الحرم {وَلَا ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} يقال أممت كذا إذا قصدته ويقال : يممته، قال الشاعر :

إني كذاك إذا ما سائنى بلد ... يممت صدر بعيري غيره بلدا

سورة المائدة

{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا} يعني رضى الله عز وجل عنهم بنسكهم والفضل الأجر {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} وهذا وإن خرج مخرج الأمر فهو بعد الحظر فاقتضى إباحة الاصطياد بعد الإحلال دون الوجوب {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ} فيه تأويلان أحدهما: لا يحملنكم يقال: جرمني على بغضك أي حملني قال الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارة كلها أن تغضبا

والثاني معناه: لا يكسبنكم يقال: جرمت على أهلي أي كسبت لهم. والشنآن: البغض والعداوة.

وهذه الآية نزلت في الخطم بن هند البكري أتى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال: إلى ما تدعو فأخبره وقد كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال لأصحابه: ((يدخل عليكم اليوم رجل من ربيعة يتكلم بكلام شيطان)) فلما أخبره النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال: لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر فمن يسرح من شرح المدينة فاستاقه وانطلق وهو يرتجز ويقول:

قد لفها الليل بسواق خطم ... ليس براع إبل ولا غنم

ولا بجرار على ظهر وضم ... باتوا نياماً وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالدلم ... خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من العام القابل حاجاً قد قلد الهدي فأراد رسول الله -صَلَّى الله

عَلَيْه وآله- أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ: {وَلَا ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} ولم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية.

قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} وهي كلما خرج روحه من غير ذكاة {وَالدَّمُ} منه وهو الخارج مسفوحاً كان أو غير مسفوح حرام كله {وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} وما خالطه من شحم في حكمه وليس بين الأهلي والوحشي فرق {وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} أي ما ذبح لغير الله من الأصنام والأوثان وأصله من استهلال الصبي إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ومنه إهلال المحرم بالحج والعمرة قال الشاعر:

يهل بالغرقد ركبانها كما الراكب المعتمر

{وَالْمُنْخَنِقَةُ} هي التي تنخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت {وَالْمَوْقُوذَةُ} هي التي تضرب بالخشب حتى تموت يقال وقذه يقذه وقذاً إذا ضربه حتى أشفى على الهلاك {وَالْمُتَرَدِّيَةُ} التي تسقط من رأس جبل أو بئر حتى تموت {وَالنَّطِيحَةُ} هي الشاة التي تنطحها أخرى فتموت {وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} يعني من المنخنقة وما بعدها، وهذا رويناه عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-.

ويحتمل أن يكون عائداً إلى أكل السبع ومأكولة السبع التي تحل بالذكاة وهو أن يكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك.

{وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} أي تطلبوا علم ما قسم أو لم يقسم من رزق أو حاجة بالأزلام وهي أقداح ثلاثة مكتوب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، والثالث: غفل لا شيء عليه، وكانوا إذا أرادوا سفراً أو حاجة أو غزواً ضربوا بها واستقسموا فإن خرج أمرني ربي فعلوه، وإن خرج نهاني ربي تركوه، وإن خرج الأبيض أعادوه؛ فنهى الله

سورة المائدة

سبحانه عنه وسمى ذلك استقساماً لأنهم طلبوا به علم ما قسم لهم، وقيل: إنه يشتق من قسم اليمين لأنهم التزموا بالقداح ما لم يلتزموا به اليمين.

{ذَلِكُمْ فِسْقٌ} أي خروج عن أمر الله وطاعته وهو فعل ما تقدم ذكره {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ} أي يرتدوا عنه ويرجعوا فيه ويقدروا على إبطاله ويقدحوا في صحته، وهذا كان يوم عرفة حين حج النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- حجة الوداع بعد دخول العرب في الإسلام حتى لم يرَ النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم مشركاً {فَلَا تَخْشَوْهُمْ} أي لا تخشوهم أن يظهروا عليكم {وَاخْشَوْنِ} أن تخالفوا أمري {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} وهذه نزلت يوم عرفة في حجة الوداع، ولم يعش رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعد ذلك إلا إحدى وثمانين ليلة، وإكمال الدين يعني إكمال الفرائض والحدود والحلال والحرام، ولم ينزل بعدها شيء من تحليل ولا تحريم، ويحتمل أن يكون المراد اليوم أكملت لكم حجكم أن تحجوا البيت الحرام ولا يحج معكم مشرك.

{وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} بإكمال دينكم {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} يعني رضيت لكم الإسلام لأمري طاعة وهذه الآية من قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} نزلت يوم عرفة وكان يوم الجمعة.

{فَمَنِ اضْطُرَّ} أي أصابه ضر من الجوع {فِي مَخْمَصَةٍ} أي مجاعة وهي مفعلة مثل مجهلة وممحلة ومجبنة وهو من مخص البطن وهو إضماره من الجوع قال الأعشى:

تبيتون في المشتا ملأى بطونكم وجاراتكم عن بايتين خمائصا

{غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ} غير متعمد لإثم أي مائل إلى إثم وأصله من

جنف القوم إذا مالوا وكل أعوج فهو عند العرب أجنف وقد روينا أن أبا واقد الليثي قال: قلنا يار سول الله إنا بأرض تصلنا فيها مخمصة فما يصلح لنا من الميتة؟ قال: ((إذا لم تصطبخوا وتعتقبوا فشأنكم بها)). وسورة المائدة نزلت في يوم عرفة من حجة الوداع.

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} يعني بالطيبات الحلال وإنما سمي الحلال طيباً وإن لم يكن مستلذاً تشبيهاً بما يستلذ {وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ} يعني وصيد ما علمتم من الجوارح وهي الكواسب من سباع البهائم والطير سميت جوارح لكسب أهلها بها من قولهم فلان جارحة أهله أي كاسبهم ومنه قول الأعشى:

بني ثعلبة ذات خد متصبح مستمعاً يذكر الجارح منها ما اجترح

أي ما اكتسب، وقوله: {مُكَلِّبِينَ} يعني من الكلاب والتكليب من صفة الجارح من كلب أو غيره ومعناه مضرى على الصيد كما تضرى الكلاب مثل الفهد والصقر وغير ذلك، والتكليب يجري مجرى التعليم والتضرية والأصل في الكلاب ثم يستعار للفظ الغير أي تعلمونهن من طلب الصيد {مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ} من التأديب الذي أدبكم وصفات التعليم الذي بين حكمها لكم أي يستسلي إذا سلى ويجيب إذا دعي ويمسك إذا أخذ فإن أكل منه لم يؤكل هذا في جوارح البهائم فأما جوارح الطير فالحكم فيها كالحكم في جوارح البهائم فلا يؤكل ما أكلت.

وفي سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما: ما رويناه عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه أتاه جبريل فاستأذن عليه فقال له: ((قد أذنا لك، فقال: أجل ولكنا لا ندخل بيت فيه كلب)) قال أبو رافع مولى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأمرني أن أقتل كل كلب في المدينة فقتلت حتى أتيت إلى

سورة المائدة

امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأخبرته فأمرني أن أقتله فتركته فجاء أهل المدينة فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة وما يحرم التي أمرت بقتله؟ قال: فسكت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله عليه: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ}..الآية.

وقيل في القول الثاني إن زيد الخير لما وفد على النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال فيه من الخير ما قال فيه ما قال فسماه زيد الخير فسأله زيد فقال: يا رسول الله فينا رجلان يقال لأحدهما ذريح والآخر يكنا أبا دجانة لهما أكلب خمسة تصيد الظبى فما قوي في صيدها وقيل إن أسماء الكلاب الخمسة: الذريح، وأبي دجانة المختلس وغلاب والقبيص وسهلب والمتعاطس قال فأنزل الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ}.

قوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} يعني الحلال {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} يعني أنه لا يباشر أيديهم وهو رطب دون الرطوبات والذبائح فإنها لا يحل لأحد أكلها {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ} أي المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام التي لهن أزواج كفار يحل للمسلمين التزوج بهن {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني من اليهوديات والنصرانيات إذا أسلمن لأنهن لا يسمين محصنات إلا بعد الإسلام لاستحالة معنى الإحصان في الكفر {إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} يعني أعفاء غير زناة {وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ} أي ذات الخليل الواحد تقيم معه على السفاح.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا

وُجُوهَكُمْ} أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، ومعنى الآية هو ما روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال أراد واجب على كل مؤمن أراد القيام إلى الصلاة أن يتوضأ ولا يجوز أن يجمع بوضوء واحد فرضين وكذلك روينا عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه كان يتوضأ لكل صلاة.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ} أي بالعدل في سائر حقوق الناس والشهادة لأمر الله أنه حق، وهذه الآية نزلت في رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ويدخل في هذا الخطاب من قام مقامه من عترته.

وفي سبب نزولها قولان أحدهما: أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- خرج إلى يهود بني النظير يستعين بهم في دية فهموا أن يقتلوه فنزل ذلك فيه ثم أنزل الله عز وجل ذكرهم نعمته عليهم بخلاص نيتهم بقوله: {..اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} والقول الثاني أن قريشاً بعثت رجلاً ليقتل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأطلع الله نبيئه على ذلك فنزلت هاتان الآيتان.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} يعني بإخلاص العبادة لله ولزوم طاعته {وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا} أخذ من كل سبط منهم نقيب والنقيب الشهيد على قومه وهو الأمين والضمين أيضاً، وإنما سمي نقيباً لأنه ينقب عن أحوالهم، وهؤلاء النقباء كانوا مبعوثين إلى الجبارين ليقفوا على ما عندهم وينظروا في أحوالهم ويرجعوا بهم إلى موسى فرجعوا ينهون عن قتالهم لما رأوا من شدة الجبارين وعظم بأسهم، وفيه وجه ثالث: وهو أنهم بعثوا صنماً لقومهم أخذ به ميثاقهم منهم.

{وَعَزَّرْتُمُوهُمْ} أي نصرتموهم وعظمتموهم وأصله المنع يقال عزرته

سورة المائدة

عزراً أي رادته رداً عن الظلم ومنه التعزير لأنه يمنع من معاودة القبيح.

قوله تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ} وتقديره فبنقضهم ميثاقهم لعناهم و(ما) صلة زائدة {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} من القسوة والصلابة وقرئ قسية والقسية أبلغ من قاسية {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} يعني بالتغيير والتبديل وسوء التأويل {وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} يعني نصيبهم من الميثاق والمأخوذ عليهم {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ} يعني خيانة، ويحتمل فرقة خائنة {إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} فالعفو منسوخ بقوله: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنفال:٥٨].

قوله تعالى: {..يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ} أي من رجم الزناة {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} أي مما سواه {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ(١٥)} نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ورجم الزناة والنور النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والقرآن.

قوله تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} أي طرق السلامة من المخافة ويجوز أن يكون السلام هو الله عز وجل أي سبيل الله تعالى أي دينه.

قوله تعالى: {..وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} وذلك قول جماعة من اليهود حذرهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عقاب الله عز وجل فقالوا له: تخوفنا ونحن أبناء الله وأحباؤه وأرادوا بأبناء الله أنهم قرباء إلى الله كقرب الولد من الوالد.

وأما قول النصارى فتأويلهم ما في الإنجيل من قوله: اذهب إلى أبي وأبيكم فلذلك قالوا نحن أبناء الله فرد الله سبحانه عليهم بقوله: {قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ} لأن الأب لإشفاقه على ابنه لا يعذبه فكذلك المحب لا يعاقب حبيبه.

قوله تعالى: {...وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} وهم الذين جاءوا بعد موسى وجعلكم ملوكاً تملكون أنفسكم وأهليكم عن ملكة القبط.

ويحتمل وجهاً آخر وجعلكم ملوكاً بما أعطاكم من المن والسلوى والحجر الذي كانوا منه يشربون وفي ذلك نعمة ظاهرة وملك بين {وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ(٢٠)} من النعم التي ذكرناها والغمام الذي ظللوا به وغير ذلك مما كان فيهم من الآيات.

قوله تعالى: {يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} وهي أرض بيت المقدس والمقدسة المطهرة، والتي كتب الله لهم بأن قال إنها محرمة عليهم لأنها كانت هبة من الله تعالى ثم حرمها عليهم بعلة معصيتهم {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ} أي لا ترجعوا عن طاعة الله عز وجل إلى معصيته ولا عن الأرض التي أمرتم بدخولها.

قوله تعالى: {قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} والجبار هو كل من تجبر من الناس على ما يكرهون منه جبر العظم أي إكراهه على الصلاح ويقال نخلة جبارة لأنها كانت طولاً لأنها ممتنعة كامتناع الجبارين من الناس.

قوله تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} أي يخافون الله ويجوز أن يكون ويخافون الجبارين ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا} بالتوفيق لطاعته والدخول في الإسلام والرجلان كانا من مدينة الجبارين {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} وذلك لعلمهما بأن الله كتبها لهم وأن الله ينصرهم على أعدائهم فلم يمنعهم

خوفهم من قول الحق.

وقد روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((لا يمنعن أحدكم خوف الناس من أن يقول الحق إذا رآه وعلمه فإنه لا يبعد من رزق الله ولا يدني من أجله)).

قوله تعالى: {...وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ} ابنا آدم هما قابيل وهابيل {إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ} شيئاً والقربان هو البر الذي يقصد به التقرب إلى الله عز وجل وهما فعلان من القرب وكان قابيل حراثاً وهابيل راعياً فتقرب هابيل بسخلة سمينة من خيار ماله وتقرب قابيل بجزء سنبل من شر ماله نزلت نار بيضاء فرفعت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وكان ذلك علامة القبول لأنه لم يكن فيهم مسكين يتقرب بالصدقة عليه.

والسبب في قبول قربان هابيل أنه كان أتقى من قابيل لقوله: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧)} والثاني أن هابيل تقرب بخيار ماله وقابيل تقرب بشرار ماله فلم يقبل منه، وقيل: إن آدم -عَلَيْه السَّلام- كان قد توجه يومئذ إلى مكة ليراها وكان قد استخلف ولده قابيل على أهله وعاد فوجد قابيل قد قتل أخاه هابيل وشربت الأرض دمه فأنبتت الشوك، وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: لما قتل ولد آدم -عَلَيْه السَّلام- فقال:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

قوله تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ

لِأَقْتُلَكَ} معناه لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك بمثله وإنما أمتنع منه على سبيل التحرج مع قدرته عليه وجوازه له.

قوله تعالى: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} ومعنى تبوء ترجع ويحتمل تأثم قتلي وإثمك الذي عليك من معاصاتك وذنوبك، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وذلك لأنه أول من سن القتل)).

قوله تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ} ومعنى طوعت ساعدته.

{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ} فيه تأويلان أحدهما: جيفة أخيه لأنه تركه حتى أنتن فقيل لجيفته سوأة وفي الغراب المبعوث هو ملك أرسله الله تعالى على صورة غراب فبحث الأرض على سوءة أخيه حتى عرف كيف يدفنه، وقيل إنه غراباً كان يبحث على غراب فأبصره قابيل فعمل عمله.

{قَالَ يَاوَيْلَتَا} الويل المهلكة {أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(٣١)} قيل إنه ندم على غير الوجه الذي يصح منه التوبة فلذلك لم يقبل منه ولو ندم على الوجه الصحيح لقبلت توبته.

قول تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} أي من أجل أن ابن آدم قتل أخاه ظلماً كتبنا على بني إسرائيل {أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ} يعني من قتل نفساً ظلماً بغير نفس قتلت فيقتل قصاصاً والفساد في الأرض يكون بالحرب لله سبحانه ولرسوله ولإمام العصر وإخافة السبيل {فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} أي من قتل نفساً أو إماماً فكأنما قتل الناس جميعاً {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعًا} ويحتمل وجهاً آخر وهو أن قاتل النفس المحرمة يصلى النار كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها يعني سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعاً، وأيضاً لو قتل الناس جميعاً لما جرى عليه من الحكم إلا ما جرى إذا قتل نفساً واحدة.

قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} وهذه الآية نزلت إخباراً من الله عز وجل بحكم من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً والمحارب هو المجاهر بقطع الطريق وأخذ المال وشهر قتل النفس وشهر السلاح دون المكابر في الأمصار والقرى، وقيل إن الآية نزلت في العرنيين الذين استاقوا إبل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقتلوا راعيه {أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ} إذا أخذوا المال ولم يقتلوا.

وأما قوله: {أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} وذلك إذا شهروا السلاح والنفي هو والحبس ويجوز أن يكون الطرد في بلاد تنفذ فيها أحكام الأنبياء والأئمة إلى بلاد الشرك.

قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} إلا الذين تابوا من المحاربين بأمان من الإمام قبل القدرة عليه فأما بغير أمان فلا، وروينا أن حارثة بن زيد خرج محارباً فأخاف السبيل وسفك الدماء وأخذ الأموال وجاء تائباً من قبل القدرة عليه وكان ذلك في عصر أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- فقبل -عَلَيْه السَّلام- توبته وجعل له أماناً منشوراً على ما كان أصاب من دم أو مال.

قوله تعالى: {...وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} وإنما بدأ الله سبحانه في السرقة بالسارق قبل السارقة وفي الزنا بالزانية قبل الزاني لأن

حب المال على الرجال أغلب وحب الاستمتاع على النساء أغلب.

ثم جعل حد السارق قطع اليد لتناول المال بها ولم يجعل حد الزنا قطع الذكر مع مواقعة الفاحشة به من وجهين أحدهما أن السارق له مثل يده فإن انزجر بها اعتاض بالثانية وليس للزاني مثل ذكره لأنه إن قطع لم يعتض بغيره ولو انزجر بقطعه، والثاني: أن الحد زجر للمحدود وغيره وقطع اليد في السرقة ظاهر وقطع الذكر في الزنا باطن. والثالث: أن في قطع الذكر إبطالاً للنسل وليس ذلك في قطع اليد وقطع السارق في الجاهلية فأمر الله بقطعه في الإسلام.

وكان أول سارق قطعه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الجار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومن النساء مرة ابنة سفيان بن عبد الأسد المخزومي وقال: لو كانت فاطمة لقطعتها وقطع عمر بن سمرة أخو عبدالرحمن المخزومي.

والقطع في السرقة حق لله تعالى لا يجوز العفو عنه بعد علم الإمام به لقوله في سارق رداء صفوان حين أمر بقطعه وقال صفوان: قد عفوت عنه يا رسول الله فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((هلا قبل أن تأتيني به لا عفا الله عني إن عفوت عنه)).

والقدر الذي يستحق به السارق القطع عشرة دراهم قفلة أو مثقال من الذهب إذا كان في حرز ويجوز أن تكون الآية عامة فخصت أو مجملة ففسرت ولا غرم على السارق إن قطع، وهذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع.

قوله تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ} وهذه التوبة كالتوبة من سائر المعاصي وهي الندم وترك الغرم.

قوله تعالى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ} أي يغفر لمن تاب من

سورة المائدة

بعد كفره ويعذب من يشاء على كفره.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} يعني المنافقين المظهرين للإيمان المبطنين للكفر {وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا} يعني اليهود {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} سماعون كلامك للكذب عليك قائلون للكذب {لَمْ يَأْتُوكَ} يعني في قضية الزاني المحصن من اليهود حين حكم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- برجمه فأنكروه {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} فيه وجهان أحدهما: أنهم إذا سمعوا كلام رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- غيره بالكذب عليه، والثاني: هو تغيير حكم الله تعالى في ذلك الزاني بدلاً من رجمه {يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا} والمراد بذلك اليهود حين زنا رجل منهم بامرأة فأنفذوه إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ليحكم بينهم وقالوا إن حكم بالجلد فاقبلوه، وإن حكم عليكم بالرجم فلا تقبلوه، فقام النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إلى مدارس توراتهم وفيها أحبارهم يتلون التوراة فقال عبدالله بن صوريا وكان أعور وهو من أعلمهم فقال: ((أسألك بالذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء هل في التوراة الرجم؟)) فأمسك فلم يزل به حتى اعترف فأمر بهما النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فرجما، قال عبدالله: وكنت فيمن رجمهما ثم ان ابن صوريا أنكر وفيه أنزل الله هذه الآية: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ} أي عذابه وفضيحته.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} من الطمع والحرج عقوبة لهم.

قوله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} والسحت هو الإرشاء على الحكم وقيل أكل الأثمان المحرمة كثمن الكلب والخنزير

والخمر وعسب الفحل وحلوان الكاهن وأصل السحت الاستئصال وقد ذكرناه فيما تقدم لأنه سحت الدين والمروة {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} والمراد بذلك اليهوديان اللذان زنيا خير رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن يحكم بينهما بالرجم أو يدع وهذه الآية محكمة والحكم بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليحكام المسلمين أو تركهم فلا يحكم بينهم.

قوله تعالى: {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} أي فيها حكم الله بالرجم {ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} أي من بعد حكم الله في التوراة وبعد تحكيمك {وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ(٤٣)} أي في تحكيمك أنه من عند الله مع جحودهم نبوتك.

قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ} أي النبي محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والذي يحكم به هو الرجم للزاني المحصن والقود من قاتل العمد وكذلك جميع ما فيها من الأحكام إلا ما نسخه القرآن {لِلَّذِينَ هَادُوا} يعني بالذين هادوا وهم اليهود {وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ} أي استودعوا من أحكامه وفرائضه {وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} يعني على حكم النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في التوراة {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} فلا تخشوا في الحكم بما أنزلت وخشون في المعاقبة على ترك الحكم {وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} أي لا تأخذوا على كتمانها أجراً ولا على تعليمها مرفقاً {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ(٤٤)}. ثم قال: {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٤٥)} ثم قال: {..فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٤٧)} وحكم هذه الآيات عام لأن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً فهو كافر، ومن لم يحكم مقراً به فهو ظالم فاسق.

سورة المائدة

قوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} وهذه الآية نزلت في يهود بني قريظة وبني النضير وقد ذكرنا فصلها.

ثم قال:{فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} أي من تصدق بقصاص جراحه أو أرشه فهو كفارة له، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يقول: ((من جرح في خده جراحة وتصدق بها كفر الله عنه من ذنوبه مثل ما تصدق به)).

قوله تعالى: {..وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} يعني القرآن {بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} يعني لما قبله من الكتب مصدقاً لها بأنها من عند الله {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} يعني أميناً عليه شاهداً {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} هذا يدل على وجوب الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا وأن لا نحكم بتوراتهم ولا بإنجيلهم {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} الشرعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة وكلما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر الطريق ومنه قولهم أشرعت الأسنة إذا أظهرت. وأما المنهاج فهو الطريق الواضح يقال: طريق نهج ومنهج قال الراجز:

من يك ذا شك فهذا فلج ... ماء رواء وطريق نهج

{شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} أي سنة وسبيلاً {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي يجمعكم على الحق.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} هذه الآية نزلت في طلحة والزبير حين خافا من وقعة أحد فقال

أحدهما ألحق باليهود فأتهود وقال الآخر ألحق بالنصارى فأتنصر ليكون لهما أماناً حذاراً من إدالة الكفار على المؤمنين {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} أي من يدخل معهم في دينهم فإنه مثلهم في حكم الكفر.

قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وقد ذكرنا تفسيره قبل ذلك وهم هؤلاء الذين أرادوا الدخول في دين اليهود {يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} الدولة نرجع عما انقلب إليه إلى من كانت له ومنه سميت الدولة لأنها تدور إليه بعد زوالها عنه ومنه قول الشاعر:

ترد عنا القدر المقدورا ... ودارة الدهر أن تدورا

{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} أي فتح مكة وسائر بلاد أهل الشرك {أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} في موت المنافقين الذين ذكرناهم.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} يعني أهل رقة عليهم {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} يعني أهل غلظة عليهم.

قوله تعالى: {..إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ(٥٥)} نزلت في أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- حين تصدق بخاتمه وهو راكع.

قوله تعالى: {...وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ} يريد بالإثم في معصية الله عز وجل {وَالْعُدْوَانِ} ظلم الناس {وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} وقد ذكرناه.

{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(٦٣)} ومعنى لولا أي هلاَّ روينا عن

سورة المائدة

أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: ما في القرآن آية أعظم توبيخاً ولا أشد تعنيفاً للعلماء من هذه الآية.

قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل وهؤلاء الذين قالوا هم يهود بني قينقاع {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} في جهنم {وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} أي طردهم حين أجلوا من ديارهم {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} اليد هنا النعمة وأراد بالتثنية نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، ويحتمل أن يقال: التثنية على جهة المبالغة كما يقال: لبيك وسعديك، ويجوز أن تكون اليد بمعنى الملك كما يقال: هذا ملك يمينه، ويجوز أن تكون بمعنى القوة كقوله: {أُولِي الْأَيْدِي} [ص:٤٥]، أي بل قوتاه بالثواب والعقاب قال الأعشى:

يداك يدا مجد فكف مقيد وكف إذا ما ظن بالزاد تنفق

{يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} أي يعطي من يشاء من عباده على قدر مصالحهم وينعم على من يشاء بما يصلحه في دينه {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} يعني بحسدهم إياه وعنادهم له {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} أي بين اليهود والنصارى في تباين قولهم واختلافهم في المسيح -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {..وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} وإقامتهما العمل بما فيهما من غير تبديل ولا تحريف ولا تحويل ثم قال: {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} يعني القرآن لأنهم لما خوطبوا بما فيه صار كأنه منزل عليهم {لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} والمراد به التوسعة عليهم بإنزال المطر من السماء وبإخراج النبات من الأرض {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ}

على أمر الله عز وجل عادلة.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} أوجب الله سبحانه على رسوله بهذه الآية تبليغ ما أنزل عليه من كتابه في هذا الحكم وهذه الآية نزلت في أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- في منصرف رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من حجة الوداع بغدير خم أمر أن يأخذ على الناس العهد لأمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- ففعل ونصب أقتاباً للإبل فطلع إليها آخذاً بيد أمير المؤمنين ثم قال: ((ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)).

{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ} يعني إن كتمت إظهار ولايته {فَمَا بَلَّغْتَ} حق {رِسَالَتَهُ} فيما كلفك وذلك لما علم الله سبحانه ورسوله أن إظهار ولايته تشق على كثير ممن كان معه لما كانوا قد أظهروا من النفاق وصرف هذا الأمر بعده من أهل بيت نبيه فلذلك شدد على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لتكون الحجة على المنافقين أبلغ.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} أي من المنافقين الذي يعلم الله منهم فله الطاعة لك فيما تأمرهم به وتدعوهم إليه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(٦٧)} أي لا يعينهم ولا يهديهم إلى الجنة.

قوله تعالى: {...لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} والميثاق هو العهود والآيات التي أخذها أنبياء بني إسرائيل عليهم أن يعملوا بها وأن يصدقوا برسله {وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ} هوى النفس مقصور والهواء الجو ممدود وهما يشتركان في معنى الاسم لأن النفس تستمع بهوائها كما تسمع بهواء الجو {فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ(٧٠)} أي قد اقتصروا على تكذيب فريق والمجاوزة إلى

سورة المائدة

قتل فريق آخر.

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي العقوبة على تكذيبهم وتغلب الكفار والجبارين عليهم {فَعَمُوا وَصَمُّوا} أي عموا عن الرشد والهداية وصموا من الموعظة حتى شرعوا إلى قتل أنبيائهم حين حسبوا أن لا تكون فتنة {ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} أي بعد رجوعهم عما كانوا عليه من التكذيب والقتل بمعاينة العذاب والعقاب {ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا} أي عادوا بعد التوبة إلى ما كانوا عليه قبلها، والعود إنما كان من أكثرهم لا من جميعهم.

قوله تعالى: {...مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ} رد بذلك على اليهود والنصارى (حين قالوا)[1] إنه ابن الله {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} رد على اليهود في نسبها إلى الفاحشة والصديقة المبالغة في صدقها ونفي الفاحشة عنها {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} أي إنما كنا بذلك عن الغائط لحدوثه عنه وهذه صفة تنتفي عن الإله، ويحتمل أن يكون المراد كانا يأكلان الطعام بين بذلك حاجتهما إلى الطعام والباري عز وجل ليس بذي حاجة {انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ} أي الحجج والبراهين {ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٧٥)} أي يصرفون يقال: أفكت الشيء إذا صرفته يقال: أفكت الأرض إذا صرفت فيها المطر ويحتمل أن يكون بمعنى تقلبون ومنه سميت المؤتفكات أي المنقلبات، ويجوز أن يكون من الإفك وهو الكذب أي أنا يكذبون.

قوله تعالى: {...لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} يعني عبدة الأوثان لأن الفريقين تمالیا على عداوة المسلمين وعلى عداوة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَلَتَجِدَنَّ

---

[1]- نخ: في قولهم.

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} وليست هذه الآية على العموم وإنما نزلت في النجاشي وأصحابه الذين أسلموا لأنهم كانوا على شريعة عيسى -عَلَيْه السَّلام- فلما أن بعث الله النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- آمنوا به {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا} واحد القسيسين قس وهم العباد واحد الرهبان راهب وهم الزهاد {وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٨٢)} يعني لإذعان الحق إذا لزم والحجة إذا قامت.

قوله تعالى: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٨٣)} وهم الأنبياء والأئمة -عليهم السلام- ومن تبعهم من أولياء المسلمين.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} أي اغتصاب الأموال المستطابة فتصير بالغصب حراماً وقد كان يمكنهم الوصول إليها على وجه مباح.

وسبب ذلك أن جماعة من أصحاب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- هموا بصيام الدهر وقيام الليل واعتزال النساء وجب أنفسهم وتحريم الطيبات عليهم من الطعام فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والاعتداء هو بما همّ به الجماعة مما ذكرناه.

قوله تعالى: {..لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} وقد ذكرنا تفسيرها فيما مضى وسبب نزولها قولان أحدهما: أنها نزلت في عثمان بن مظعون حين حرم على نفسه الطعام والنساء بيمين حلفها فأمره النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بالحنث فيها والكفارة والثاني أنها نزلت في عبدالله بن رواحة وكان عنده ضيف فأخر... زوجته فرآه فحلف لا يأكل من الطعام شيئاً وحلفت زوجته لا تأكل منه إن لم يأكل فأكل عبدالله وأخبر النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بذلك فقال: حنثت فنزلت فيه هذه الآية.

قوله تعالى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} وعقدها هو لفظ

سورة المائدة

باللسان وقصد بالقلب لأن ما لا يقصده المؤمن بقلبه فهو لغو لا يؤاخذ به والعقد يجب أن يكون على فعل مستقبل ولا يكون على فعل ماض والفعل المستقبل نوعان نفي وإثبات فالنفي أن يقول: والله لا فعلت كذا، والإثبات أن يقول: والله لأفعلن هذا النوع إذا فعل أو لم يفعل إذا قصد به تجب الكفارة ويقع الحنث.

وأما الخبر الماضي فهو أن يقول: والله ما فعلت ذلك وقد فعله، أو يقول: والله لقد فعلته ولم يفعله، فإن هذا لا تنعقد به اليمين ولا يقع الحنث وتجب فيه التوبة والاستغفار {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} أي كفارة الحنث وتعتبر اليمين في حال حلها وعقدها فإنها لا تخلو من ثلاثة أحوال أحدها: أن يكون عقدها طاعة وحلها معصية كقوله: والله لا قتلت نفساً ولا شربت مسكراً فإذا حنث بقتل النفس وشرب المسكر كانت الكفارة لتكفير مأثم الحنث دون عقد اليمين، والثاني أن يكون عقدها معصية وحلها طاعة كقوله: والله لا صليت ولا صمت فإذا حنث بالصلاة والصوم كانت الكفارة لتكفيرها ثم العقد دون الحنث، والحال الثالثة أن يكون عقدها مباحاً وحلها مباحاً كقوله: والله لا لبست هذا الثوب والكفارة تتعلق بالحنث.

ثم قال: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: الأوسط في القدر وهو نصف صاع لكل مسكين غداء وعشاء، ثم قال: {أَوْ كِسْوَتُهُمْ} وهو ثوب واحد صايع كالملحفة والكساء.

ثم قال: {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} يعني فكها من أسر العبودية والرق إلى حال الحرية والتحرير هو الفك والعتق واحد ويجزي صغيرها وكبيرها وذكرها

وأنثاها وتراعى أثمانها.

ثم قال: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} فجعل الله الصوم بدلاً من المال عند العجز عنه وجعل مع اليسار مخيراً بين التكفير بالإطعام والكسوة والعتق والواجب منها واحد وإذا لم يجد ما يقوته ويقوت عياله وجب عليه الصوم وصيام الأيام متتابعة {ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ} يعني وحنثتم هذا تقدير الكلام وليس تجب التوبة إلا فيما كان مأثماً من الأيمان فإن اقترن بها المأثم وجبت التوبة بالندم وترك العزم {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} أي احفظوها من الحنث.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ}..الآية، وقد ذكرنا الخمر والميسر {وَالْأَنْصَابُ} فهي الأصنام وقيل إنها الحجارة حول الكعبة يذبحون لها، وأما {الْأَزْلَامُ} فهي قداح من خشب يستقسم بها على ما قدمناه {رِجْسٌ} يعني حرام وأصل الرجس المستقذر الممنوع منه فعبر به عن الحرام لكونه ممنوعاً منه.

ثم قال: {مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} أي مما يدعو إليه الشيطان ويأمر به لأنه لا يأمر إلا بالمعاصي ولا ينهى إلا عن الطاعات.

قوله تعالى: {...لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ} أي ليختبرنّكم بشيء من الصيد فيه قولان أحدهما: أن (من) للتبعيض، والآخر أن تكون زائدة {تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ} يعني من الصغار {وَرِمَاحُكُمْ} يعني الكبار ويجوز أن يكون قوله: {تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ} البيض {لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} أي لتخافوا الله بالغيب والعلم مجاز والمراد بالغيب السر كما تخافون في العلانية {فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ} أي في الصيد بعد ورود النهي {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٩٤)} أي مؤلم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} يعني

سورة المائدة

لإحرام حج أو عمرة {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} أي متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه وحكم الناسي في الجزاء حكم المتعمد {فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} يريد أي مثل الصيد من النعم يلزم إيصاله إلى الكعبة وعنى بالكعبة الحرم لأنها فيه ولا يجوز أن يهدي في الجزاء ما لا يجوز في الأضحية من صغار النعم.

{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ} أي أنه يقوم المثل من النعم ويشترى بالقيمة طعام {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} يعني عدل الطعام صياماً وقيل ذلك فيمن قتل نعامة وجبت عليه البدنة جزاء عنها فإن لم يجدها أطعم مائة مسكين لكل مسكين نصف صاع فإن لم يجد الطعام صام عن كل مسكين يوماً ومن وجبت عليه البقرة ولم يجد البقرة أطعم ستين مسكيناً إذا لم يجدها فإن لم يقدر صام ستين يوماً وفي الشاة إطعام عشرة مساكين أو صيام عشرة أيام {لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} يعني في التزام الكفارة ووجوب التوبة {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ} يعني قبل نزول التحريم {وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} يعني ومن عاد بعد التحريم فينتقم الله منه بالجزاء عاجلاً وبالعقوبة آجلاً.

قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ} يعني حوت الماء سواء كان ماء بحر أو نهر أو غيل أو بئر فصيده للمحرم والحلال في الحرم وفي الحل {وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} يعني منفعة المسافر والمقيم، وهذه الآية نزلت في بني مدلج كانوا ينزلون بأسياف البحر فسألوا عما نضب منه الماء من السمك فنزلت الآية.

قوله تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} وفي تسميتها بالكعبة قولان أحدهما: إنما سميت بذلك لتربيعها والثاني: سميت بذلك لعلوها ونبوها لقولهم: قد كعبت المرأة إذا علا ونبا ثديها، وسميت

الكعبة حرماً لتحريم الله تعالى أن يصاد صيدها أو يختلى خلاءها أو يعضد شجرها {قِيَامًا لِلنَّاسِ} يعني صلاحاً لهم وقياماً في مناسكهم ومتعبداتهم.

قوله تعالى: {...قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} يعني الحلال والحرام والكافر والمسلم {وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} يعني أن الحلال والجيد مع قلتهما خير وأنفع من الردي والخبيث مع كثرتهما.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} وسبب ذلك ما روينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم خطب ذات يوم فقال: ((أيها الناس كتب الله عليكم الحج)) فقام رجل من بني أسد فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال: ((أما أني لو قلت لوجب ولو وجب ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكتُّ عنكم فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على نبيهم)) فأنزل الله هذه الآية {عَفَا اللَّهُ عَنْهَا} أي عن المسألة.

قوله تعالى: {قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ(١٠٢)} يعني عيسى سألوا المائدة فكفروا بها بعد وكقوم صالح حين سألوا الناقة فعقروها، وقريش سألوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن يحول لهم الصفا ذهباً والمروة فضة.

قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ} يعني ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة ولا حمى حامياً، وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((يا كثم بن جون يا كثم رأيت عمر بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به)) قال: أخشى يا رسول الله يضرني شبهه؛ فقال: ((لا إنك مؤمن وهو كافر وإنه أول من غير دين إسماعيل وبحر البحيرة

وسيب السائبة وحمى الحامي)).

ومعنى قوله: يجر قصبه في النار، يعني أمعاءه. والبحيرة فعيلة من قول القائل بحرت أذن الناقة إذا شققتها قال الشاعر:

فأمسى فيهم غيران يمسي   يدير كأنه جمل بحير

والبحيرة الناقة والناقة إذا ولدت خمسة أبطن نظر في البطن الخامس فإن كان ذكراً شقوا أذن الناقة فتركت مخلاة لا تركب ولا تحلب تحريجاً. وأما السائبة فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله عز وجل، شعراً:

عقرتم ناقة كانت لربي   وسائبة فقوا للعذاب

وكان في بدء الإسلام يعتق العبد سائبة لا ينتفع به ولا بولائه، وأخرجت بلفظ المسيبة السائبة كما قيل في: عيشة راضية أي مرضية، وكانت العرب ينذرون السائبة عند المرض فيسيب الرجل بعيره فلا يركب ولا يخلا عن ماء كالبحيرة.

وأما الوصيلة فهي من الغنم وذلك أن العرب كانت إذا ولدت الشاة لهم ذكراً قالوا هذا لآلهتنا فيتقربون به وإذا ولدت أنثى قالوا هذه لنا وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها ولم يذبحوه لمكانها. وأما الحام: فهو البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقال: حمى ظهره ويخلى.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} أي الشهادة بالحقوق عند الحكام، وفي قوله: {اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} أي من المسلمين {أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} أي من غير دينكم من أهل الكتاب

والمعنى أو آخران من غير دينكم إن لم تجدوا منكم، وليست أو للتخيير {إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} أي سافرتم {فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ} وقد أسندتم الوصية إليهما {تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} وهذا خطاب للورثة أي تستوقفونهما للأيمان من بعد الصلاة أراد به صلاة العصر {فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا} أي فيحلفان إن ارتبتم بهما يعني الوصيين وقوله: {لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا} أي لا نأخذ عليه رشوة ولا نعتاض عليه بحقير {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور والشهادة بغير حق {وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ} أي غيباً في أداء ما أوجبه الله علينا.

قوله تعالى: {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} بأن كذبا وخانا فعبر عن الكذب والخيانة بالإثم بحدوثه عنهما، واللذان عثر عليهما هما الوصيان {فَآخَرَانِ} أعني من الورثة {يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا} في اليمين حتى تظهر لهما الخيانة {مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} أي الأوليان بالشهادة من المسلمين، وسبب نزول هذه الآية أن ابن بيدا وتميم الداري وابن أبي مارية وكان ابن بيدا وابن أبي مارية نصرانيين وكان تميماً الداري مسلماً فخرجوا في سفر وكان مع تميم الداري خُرْجٌ له فيه متاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة أخرجها إلى بعض أسواق العرب للبيع فلما فصلوا من المدينة اعتل تميم الداري علة شديدة فلما حضره الموت دفع ما كان معه إلى ابن بيدا وابن أبي مارية وأمرهما أن يوصلاه إلى ورثته؛ فقدما إلى المدينة وقد أخذا من المتاع الآنيةوالقلادة وأوصلا سائر ذلك فافتقد القوم الآنية والقلادة فقالوا: هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كبيرة؟ قالا: لا ما مرض إلا أياماً قليلة، فقالوا: هل سرق منه شيء في سفره هذا؟ قالا: لا، قالوا: هل اتخذ تجارة خسر فيها؟ قالا: لا، قالوا: فقد فقدنا أفضل شيء كان معه آنية

سورة المائدة

منقوشة مكللة بالجوهر وقلادة، فقالا: لا ما دفعه إلينا قد أديناه إليكم.

فقدموهما إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأوجب عليهما اليمين فحلفا فخلى عنهما ثم ظهرت تلك الآنية والقلادة عليهما فجاء أولياء تميم إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقالوا: يا رسول الله قد ظهر على ابن بيدا وابن أبي مارية ما ادعينا عليهما فانتظر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الحكم من الله عز وجل فأنزل الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} فأطلق الله شهادة أهل الكتاب على الوصية فقط إذا كان في سفر ولم يوجد أهل الإسلام {فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} أي صلاة العصر {فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ(١٠٦)} فهذه الشهادة الأولى التي حلفها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} أي أنهما حلفا على كذب {فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا} يعني من الأولياء المدعي وورثته {مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ} أي يحلفان بالله أنهما أحق بهذه الدعوى منهما وأنهما قد كذبا فيما حلفا بالله {لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(١٠٧)} فأمر سرول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أولياء تميم الداري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم فحلفوا فأخذ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الآنية والقلادة من ابن بيدا وابن أبي مارية وردهما على أولياء تميم الداري {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ}.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(١٠٩)} ولم يكن هذا الكلام منهم إنكاراً لما علموه ولكنهم فوضوا أمرهم إلى من هو أعلم ببواطن أمورهم وظواهرهم منهم لجواز النسيان والغفلة على الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما يرون من أهوال ذلك اليوم.

فإن قيل: فلم سألهم وهو أعلم بأعمالهم منهم؟ فعن هذا جوابان أحدهما أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم وتغييرهم بعدهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم، والثاني: أراد أن يفضح أهل المعاصي والكفر بإشهادهم عليهم .

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ} وإنما ذكر الله سبحانه نعمته عليه وعلى والدته وإن لم يجر لهما ذكر لأمرين أحدهما: ليتلوا على الأمم ما خص به من الكرامة وصيره به من علو المنزلة، والثاني: ليؤكد به حجته ويرغم جاحده.

ثم أخذ في ترتيب نعمه فقال: {إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} يعني قويتك مأخوذ من الأيد وهو القوة، وروح القدس هو جبريل -عَلَيْه السَّلام- وتأييده له من وجهين أحدهما تقويته له على أمر دينه، والثاني: معونته على رفع ظلم اليهود والكافرين {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} أما كلامه في المهد فهو معجز خصه الله به وكلامه لهم في المهد إنما اختص بتعريفه حال نبوته وقوله: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(٣١)} [مريم]، وكلامه لهم كهلاً دعاءهم إلى ما أمرهم به من الصلاة والزكاة وذلك حين صار ابن ثلاثين سنة.

{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ} أي الكتب وإن أراد به الجنس ثم قال:

{وَالْحِكْمَةَ} أي العلم بها في تلك الكتب من جميع ما يحتاج إليه من دينه ودنياه ثم قال: {وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} يريد تأويلهما وتلاوتهما.

ثم قال: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} يعني بقوله : تخلق أي تفعل وتصور صورة الطير من الطين والخلق فعل ثاني على سبيل القصد والتقدير من غير شهوة ولا مجازفة، وقوله: {فَتَنْفُخُ فِيهَا} يعني الروح والروح جسم لطيف والمتولي لذلك المسيح وقوله: {فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} يعني إن الله تعالى الذي يقلبها حيواناً بعد نفخ الروح فيها فإذنه أمره أن يصير بأمر الله لا بفعل المسيح {وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي} أي تدعوني أن أبرئ الأكمه والأبرص فأجيب دعاءك وأبرئ فهو فعل الله تعالى نسبه إلى المسيح مجازاً لأنه فعله لأجل دعائه.

ثم قال: {وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى} يعني واذكر نعمتي عليك إذ تدعوني أن أحيي الموتى فأجيب دعاءك حتى أخرجهم من القبور أحياء ونسب ذلك إليه توسعاً أيضاً لأجل دعائه والذي أحيي من الموتى رجلين وامرأة.

قوله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} أي ألهمتهم كما قال: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل:٦٨]، أي ألهمهم ويجوز أن يكون الوحي مما عاينوا وشاهدوا من الآيات والدلالات الظاهرة فجرى ذلك مجرى الوحي إليهم أن يؤمنوا أي وربك وفي التذكير بهذه النعمة قولان أحدهما: أنها نعمة على الحواريين أن آمنوا فذكر الله بها عيسى -عَلَيْه السَّلام- لأنهم أنصاره، والثاني: أنها نعمة على عيسى لأنه جعل له أنصاراً من الحواريين قد آمنوا به وهم خواصه الذين قد استخصهم من جملة الناس {قَالُوا ءَامَنَّا} يعني بالله تعالى ربك {وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ(١١١)} أشهدوا الله تعالى وعيسى على إسلامهم.

قوله تعالىٰ: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ} بالتاء وبالياء فمن قرأ بالياء ضم الباء من ربك ومن قرأ بالتاء فتح الباء من ربك أي هل تستطيع أن تسأل ربك؛ فمن قرأ بالياء أي هل يستجيب ويطيعك.

{أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} والمائدة لا تكون مائدة حتى يكون عليها الطعام وهي من قبل خوان {قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(١١٢)} وإنما أمرهم بذلك لأن التقوى خير لهم مما سألوا فأدبهم ليتقوا الله في سؤال الأنبياء طلباً لعنتهم فأما استزادة الآيات منهم إن كنتم لهم مؤمنين ومصدقين لهم لأن ما قامت به دلائل صدقهم يغنيهم عن استزادة الآيات.

قوله تعالىٰ: {قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا} وهذا اعتذار منهم بينوا سبب سؤالهم حين نهوا عنه فقالوا: {نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا} وإنما أرادوا تبركاً بها لا حاجة إليها داعية لأنهم لو كانوا محتاجين لما نهوا عن السؤال {وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} بأن الله سبحانه وتعالىٰ قد بعثك إلينا نبياً وقد اخترنا لك أعواناً {وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا} بأنك نبي وأنا لك أعوان وإنما استزادوا بسؤالهم علماً إلىٰ علمهم ويقيناً إلىٰ يقينهم {وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ(١١٣)} لك بها عند الله بأنك قد أديت ما بعثك به إلينا.

قوله تعالىٰ: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} إنما زيدت الميم في آخر قوله اللهم مثقلة عوضاً من حرف النداء ولم يجز أن يدخل عليه حرف النداء فلا يجوز أن يقال: يا اللهم لأن الميم المعوضة قد أغنت عنه قال الشاعر:

وما عليك أن تقولي كلما ... سبحت أو هللت يا اللهما

اردد علينا سجيناً مسلما

وهذا لضرورة الشعر فسأل عيسى ربه أن ينزل عليهم المائدة التي سألوها وإنما كان السؤال من عيسى -عَلَيْه السَّلام- تفضيلاً على الحواريين لأنهم سألوا بعد ظهور آياته ومعجزاته واستحكام معرفتهم به.

{تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا} أي نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً لنا نعظمه ونفخمه نحن ومن بعدنا {وَءَايَةً مِنْكَ} أي علامة من علامات الإعجاز والدلالة على صدق أنبيائك {وَارْزُقْنَا} أي وارزقنا الشكر على ما أنعمت به علينا من إجابتك.

قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ} فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى أجاب به عيسى -عَلَيْه السَّلام- كما كان سؤال عيسى -عَلَيْه السَّلام- إجابة للحواريين وفي هذا السؤال مثل ضربه الله تعالى لخلقه ينهاهم به عن مسألة الآيات لأنبيائه بعد إقرارهم بنبوته وتصديقهم بمعجزاتهم وقيل إن الله سبحانه وتعالى أنزل المائدة على عيسى -عَلَيْه السَّلام- وكان عليها ثمار الجنة وأطعمتها.

وفي قوله: {عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ(١١٥)} أي من عالمي زمانهم في العذاب قولان أحدهما: أن يمسخوا قردة، والثاني أنه جنس من العذاب لا يعذب به غيرهم لأنهم كفروا بعد أن رأوا من الآيات ما لم يره غيرهم فكانوا أعظم كفراً فصاروا أعظم عذاباً.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ} ومعنى (إذ) هاهنا بمعنى إذا كما قال أبو النجم:

ثم جزاك الله عنا إذ جزى   جنات عدن في السماوات العلى

وقام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل وهذا جائز في اللغة كما قال: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ} [الأعراف:٤٤]، وهذا السؤال خرج مخرج الاستفهام فإنما هو بمعنى التوبيخ والتقريع كقوله: ولمن ادعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتعنيف ويجوز أن يكون عرف بهذا السؤال أن قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقل.

فإن قيل: فالنصارى لم تتخذ مريم إلهاً لزمهم أن يقولوا إنها لأجل المعصية بمثابة من ولدته فصاروا حين لزمهم ذلك كالقائلين به وهذا إنما يكون يوم القيامة لقوله عز وجل من بعد: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} وإنما نفعهم الصدق لوقوع الجزاء فيه وإن كان في كل الأيام نافعاً.

[سورة الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام الناصر لدين الله: سورة الأنعام مكية

إلا ثلاث آيات فإنها نزلت في المدينة وهي قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}..إلى آخر الآيات.

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} روينا أن فاتحة التوراة فاتحة الأنعام، وخاتمة التوراة خاتمة هود، والحمد لله ورد على صيغة الخبر ومعناه الأمر أي احمدوا الله عز وجل لأن خلق السماوات والأرض نعم توجب الحمد وجمع السماوات ووحد الأرض لتفخيم السماوات على الأرض والجمع أبلغ في التفخيم من التوحيد كقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} [الحجر:٩]، والسماوات مقدمة في الخلق على الأرض.

{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} والظلمات مقدمة على النور {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١)} أي يعدلون الأصنام التي عبدوها ويعدلون به إلهاً غيره لم يخلق كخلقه {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ} يعني أنا خلقنا آدم وخلق آدم من طين فصار أصل خلقنا من الطين {ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} هو الذي كان ينتهي إليه المقتول أو الغريق لو لم يقتل {ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(٢)} أي تشكون.

قوله تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} أي هو المدبر في السماوات والأرض {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} أي ما تخفون وما تظهرون.

قوله تعالى: {...وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} يعني ملكاً يشهد بتصديقه {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} أي لو أنزلنا فلم يؤمنوا لقضي عليهم بعذاب الاستئصال لأن الأمم السالفة كانوا إذا اقترحوا على أنبيائهم الآيات فاجابهم الله إلى ذلك فلم يؤمنوا استأصلهم بالعذاب {ثُمَّ لَا

{يُنْظَرُونَ(٨)} أي لا يمهلون ولا يؤخرون عن عذاب الاستئصال.

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} أي لجعلناه في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملائكة على صورهم وإذا كان في صورة الرجل لم يعلموا أملك هو أم غير ملك {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ(٩)} أي ولخلطنا عليهم ما يخلطون ولشبهنا عليهم مثل ما يشبهون على أنفسهم.

قوله تعالى: {...وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} يعني أنه مالك لما يسكن في الليل والنهار من الحيوان لأن في الحيوان ما يسكن ليلاً وفي الحيوان ما يسكن نهاراً وقيل سكن ولم يقل تحرك لأن نعمة السكون أكثر من نعمة الحركة.

قوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} يعني إلهاً يتولاني {فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعني خالق السماوات والأرض ومبتديهما ويقال: فطرت البئر أي ابتدأت حفرها والفطر الشق وقوله: {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(٣)} [الملك]، أي من شقوق.

{وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} أي يرزق ولا يرزق وقرئ لا يطعم أي لا يأكل {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} من أمته {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٤)} هذا خطاب للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والمراد به أمته.

قوله تعالى: {...وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} وفوق صلة زائدة وتقدير الكلام هوالقاهر لعباده وأنه بقهره لهم مستعل عليهم.

قوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} وسبب ذلك أن المشركين قالوا لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من يشهد لك بالنبوة فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره فيها أن يقول: {أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً} ثم أجابه على ذلك: {قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} أي بصدقي ونبوتي.

سورة الأنعام

قوله تعالىٰ: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} يعني أصحاب الكتب من التوراةوالإنجيل وغيرها من كتب الله عز وجل {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ} لأن صفته موجودة في كتبهم، وروينا أن ابن سلام سئل بعد إسلامه فقيل له: ما هذه المعرفة التي تعرفون بها النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- كما يعرفون أبناءهم؟ قال: والله لأنا به إذا رأيته أعرف منه بابني وهو يلعب مع الصبيان وإني لا أشك أنه محمد وأشهد أنه حق.

قوله تعالىٰ: {...ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(٢٣)} تبرأوا بذلك من شركهم.

فإن قيل: كيف كذبوا في الآخرة بجحود الشرك والآخرة لا يصح فيها الكذب لأمرين أحدهما: أن الكذب لا ينفعهم، والثاني: أنهم مصروفون عن القبائح ملجأون إلىٰ تركها لإزالة التكليف عنهم ولو لم يلجأوا إلىٰ ترك القبيح ويصرفوا عنه مع كمال عقولهم وجب تكليفهم وفي عدم تكليفهم دليل علىٰ إلجائهم إليتركه.

قيل: عن ذلك جوابان أحدهما: أن قولهم: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(٢٣)} أي في الدنيا عند أنفسنا لاعتقادنا فيها أننا علىٰ الصواب وإن ظهر لنا خطأوه الآن فلم يكن ذلك منهم كذباً، وقيل: إن في الآخرة مواطن فموطن لا يعلمون ذلك فيه ولا يضطرون إليه وموطن يعلمون ذلك فيه ويضطرون إليه فقالوا ذلك في الموطن الأول.

قوله تعالىٰ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} قيل: إنهم كانوا يسمعون في الليل قراءة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في صلاته ليعلموا مكانه فيؤذونه فصرفهم الله عن استماعه بإلقاء النوم عليهم وبأن جعل علىٰ قلوبهم أكنة أن يفقهوه، والأكنة الأغطية

واحدها كنان يقال: كننت الشيء إذا غطيته وأكننته في نفسي إذا أخفيته.

{وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا} والوقر الثقل ومنه الوقار {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} يعني بالآية علامة الإعجاز لما قد استحكم في أنفسهم من حسده وبغضه ولذلك صرفهم عن سماع القرآن لأنهم قصدوا بسماعه الأذى والافتراء.

{حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(٢٥)} أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} أي ينهون عن اتباع النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ويتباعدون عنه فراراً منهم منه ويستثقلوا له العمل بما في القرآن، وروينا أن الآية نزلت في أبي طالب لأنه كان ينهى عن أذى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ويتباعد هو عما جاء به شعراً يدل على ذلك قوله:

ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} أي عاينوها ومن عاين شيئاً فقد وقف عليه وتحققوا سوء أعمالهم {فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٧)} تمنوا الرد إلى الدنيا التي هي دار التكليف ليؤمنوا ويصدقوا والتمني لا يدخله صدق ولا كذب لأنه يخبر بسر {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ} أي بدا لهم ما كانوا يخفونه {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} من المعاصي والكفر {وَإِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ(٢٨)} بما أخبروا من أنفسهم من الإيمان.

قوله تعالىٰ: {...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} فأما عمل الصالحات فهو من عمل الآخرة فخرج من أن يكون لهواً ولعباً، ولأن الحياة في الدنيا قصيرة المدة منقبضة اللذة فأشبهت اللهو واللعب لقصر مدتها، وأهل الآخرة بخلافهم لأن مدتهم باقية ولذتهم غير زائلة.

قوله تعالىٰ: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} أي من التكذيب لك والكفر بك {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} بحجة وإنما هو تكذيب بهت وعناد فلا يحزنك لأنه لا يضرك لأن تكذيبهم لك تكذيب لآياتي الدالة علىٰ صدقك الموجبة لقبول قولك. يدل علىٰ ذلك قوله: {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(٣٣)} أي يكذبون.

قوله تعالىٰ: {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} أي لا مبطل لحجته ولا دافع لبرهانه ولا راد لأمره فيما حكم به من نصر أوليائه وقهر أعدائه ولا تكذيب لأخباره فيما أعلمه وحكاه وأخبره وأنباه {وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ(٣٤)} أي من أخبارهم فيما صبروا عليه من الأذىٰ وقوتلوا عليه من الصبر.

قوله تعالىٰ: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ} أي عن سماع القرآن واتباعك فيما جئت به {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ} أي سرباً وهو المسلك النافذ فيها مأخوذ من نافق اليربوع {أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ} أي سرباً ومصعداً ومنه قول كعب بن زهير:

ولا لكما ملجأ عن الأرض وابغيا ... به نفقاً أو في السماوات سلما

{فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ} يعني أفضل من آيتك في الكلام محذوف وتقديره

فتأتيهم بآية فافعل {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٣٥)} أي لا تجزع في مواطن الصبر فتصير بالأسف والتحسير مقارباً لأحوال الجاهلين.

قوله تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} أي الذين يعلمون ويعقلون ويطلبون الحق والاستجابة هي القبول والفرق بينها وبين الجواب أن الجواب قد يكون قبولاً وغير قبول وأن الاستجابة قد تكون من الذين يسمعون طلباً للحق وأما من لا يسمع أو يسمع لكن لا يقصد الحق فلا يكون منه استجابة.

{وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه -عَلَيْه السَّلام- ويكون معنى الكلام أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله وكذلك الذين لا يسمعون.

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ} يعني آية تكون دليلاً على صدقه وصحة نبوته {قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ ءَايَةً} يعني أنهم يجابون بها إلى ما سألوا {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٧)} أي لا يعلمون الصحة في نزول الآية.

والثاني: أن زيادة الآيات إذا لم يؤمنوا بها توجب الزيادة في عذابهم لكثرة تكذيبهم فإن قيل فهذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم ينزل إليهم آية تعودهم إلى التصديق فلم يلزمهم الإيمان قيل هذا خطأ لأن ما أظهره الله عز وجل من الآيات الدالة على صدق رسوله وصحة نبوته أظهر من أن تخفى وأكثر من أن تنكر فإن القرآن مع عجز من تحداهم الله عز وجل من الإتيان بمثله وما تضمنه من أخبار الغيوب وصدق خبره عما كان ويكون أبلغ الآيات المعجزات، وإنما اقترحوا أنهم سألوها إعناتاً فلم يجابوا مع قدرة الله تعالى على إنزالها لأنه لو أجابهم إليها لاقترحوا غيرها إلى ما لا نهاية له حتى

يقطع الرسول بإظهار الآيات عن تبليغ الرسالة.

وإنما يلزمه إظهار الآيات في موضعين أحدهما عند بعثه رسولاً ليكون مع استدعائه لهم دليلاً على صدقه، والثاني: أنه يسألها من يعلم الله تعالى منه أنه إن أظهرها له آمن به، وليس يجب إظهارها في غير هذين الموضعين.

قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ} يعني ما دب على الأرض من حيوان {وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} يعني في الهواء جميعاً بين ما هو على الأرض فيها ومرتفع عنها {إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} والأمم الجماعات والأجناس وليس يريد أمثالكم في التكليف كما جهل قوم اشتبه الظاهر عليهم وتعلقوا مع اشتباه الظاهر برواية أبي ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ثم قال: ((يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا)) قلت: لا، قال: ((لكن الله يدري وسيقضي بينهما)) قال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر منه علماً.

لأنه إذا كان العقل سبباً للتكليف فإن عدمه موجب لارتفاع التكليف والمراد بقوله: امثالكم أي مخلوقة مثلكم لا تظلم ومرزوقة لا تحرم.

ثم قال: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} يعني من أمور الدين إما مفصلاً يستغني عن التفسير أو مجملاً جعل إلى تفسيره سبيلاً {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(٣٨)} أي يبعثون بعد الموت.

فإن قيل: فإذا كانت غير مكلفة فلم تبعث يوم القيامة، قيل: ليس التكليف علة للبعث لأن الأطفال والمجانين يبعثون وإن كانوا في الدنيا غير مكلفين إنما يبعثها ليعوض ما يستحق التعويض منهم بالآلام أو ظلم ثم يجعل ما يشاء منها تراباً وما يشاء دواب الجنة يتمتع المؤمنون بركوبها

وبرؤيتها.

قوله تعالىٰ: {...فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} معنىٰ نسوا تركوا ما ذكرهم الله به من آياته الدالة علىٰ توحيده وصدق رسوله {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} يعني من نعمه التي أنعم بها عليهم وسعة أرزاقهم ليكون إنعامه عليهم داعياً إلىٰ إيمانهم، وقد روينا عن أبينا رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إذا رأيت الله عز وجل يعطي العباد ما يشاءون علىٰ معاصيهم إياه فاعلم أن ذلك استدراج منه ثم تلا: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}..الآية.

{حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} يعني من النعم فلم يؤمنوا {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} وهو سرعة الموت عند الغفلة منه بالنعم قطعاً للذة وتعذيباً بالحسرة ثم قال: {فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ(٤٤)} والإبلاس هو الإياس والندم والسكون وقد ذكرناه فيما تقدم.

قوله تعالىٰ: {...قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} أي لا أقدر علىٰ إغناء فقير ولا إفقار غني ولا في يدي مفاتيح عذاب الله لأنه خوفهم به فقالوا استهزاء متىٰ يكون؟!! {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} أي علم الغيب في نزول العذاب عليهم متىٰ يكون وعلم جميع ما غاب من ماض ويجيء من مستقبل إلا أن المستقبل لا يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله علىٰ علمه من أنبيائه.

وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين إما من معاينة أو خبر والخبر قد يكون من وجهين من مخلوق عاين أو خالق أخبر وإن كان الإخبار عن مستقبل فهو من آيات الله المعجزة، وإن كان من ماض فإن علم به غير المخبر والمخبر لم يكن معجزاً، وإن لم يعلم به أحد وأعلم به المخبر وحده كان معجزاً.

سورة الأنعام

فنفى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن نفسه علم الغيب لأنه لا يعلمه إلا الله وأن ما أخبر به من غيب فهو عن الله عز وجل ووحيه.

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} يريد بذلك أنه من جملة البشر وليس بملك لينفي عن نفسه غلو النصارى في عيسى في قولهم إنه ابن الله؛ ثم في نفيه أن يكون ملكاً وجهان أحدهما: أنه بين بذلك فضل الملائكة على الأنبياء لأنه دفع عن نفسه منزلة ليست له. والثاني: أنه أراد أن لست ملكاً من السماء فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر.

{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} إني لا أخبركم إلا بما أخبرني الله عز وجل ولا أفعل إلا ما أمرني به {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} أي العالم والجاهل والمؤمن والكافر.

قوله تعالى: {..وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} روينا أن سبب نزول هذه الآية أن الملأ من قريش أتوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وعنده جماعة من ضعفاء المسلمين مثل بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرت وابن مسعود فقالوا: يا محمد اطرد عنا موالينا وحلفائنا فإنما هم عبيدنا وعسفانا فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فأنزل الله هذه الآية ونزل في الملأ من قريش: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} في قوله: {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} أي يعبدونه بدعائهم يريدون وجهه أي يريدونه بدعائهم لأن العرب تذكر وجه إرادة له مثل قوله: هذا وجه الصواب أي الصواب تفخيماً للأمر وتعظيماً للشأن {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} أي من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب {وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ} لأن كل واحد مؤاخذ بحساب عمله دون غيره.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} يعني لاختلافهم في الأرزاق والأخلاق والافتتان والابتلاء والاختبار، ويجوز أن يكون تكليف ما يشق على النفس مع قدرتها عليه {لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} وهذا قول الملأ من قريش في ضعفاء المؤمنين وفيما من الله تعالى به عليهم قولان أحدهما: أي ما تفضل الله عليهم من اللطف في إيمانهم، والثاني: ما ذكرهم في شكرهم على طاعتهم.

قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا} يعني ضعفاء المسلمين {فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} تكرمة لهم {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} أي أوجب الله {أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ} أي خطيئة.

قوله تعالى: {...قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} أي الحق الذي بان له والمعجز الذي ظهر على يديه وهو القرآن {وَكَذَّبْتُمْ بِهِ} أي وكذبتم بالبينة وتركتم {مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} هو العذاب الذي أوعدوا به كما قال: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} [الحج:٤٧].

{إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} أي في الثواب والعقاب وتمييز الحق من الباطل {يقض الْحَقَّ} وقرئ يقص الحق بالصاد غير معجمة من القصص وهو الإخبار به فأما القضاء فهو الحكم بالحق وإتمامه.

قوله تعالى: {...وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} لأنه يقبض الأرواح فيه عن التصرف كما يقبضها بالموت، شعراً:

إن بني الأدرة ليسوا من أحد ولا توفاهم قريش والعدد

أي لا تقبضهم {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ} أي ما كسبتم لأنه مستفاد بعمل الجارحة ومنه جوارح الطير لأنها كواسب بجوارحها وجرح الشهادة وهو الطعن فيها لأنها تكسب الإثم قال الأعشى:

سورة الأنعام

وهو الدافع عن ذي كربة أيدي القوم إذا الجاني اجترح

{ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} يعني في النهار باليقظة وتصرف الروح بعد قبضها بالنوم {لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى} استكمال العمر وانقضاء الأجل بالموت {ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ} يعني بالبعث والنشور في القيامة {ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٦٠)} في الدنيا من خير وشر.

قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} أي أعلا قهراً وأرفع قدراً فلذلك قال: فوق عباده، والثاني: الأقدر إذا استحق المبالغة عبر عنه بهذه العبارة فقيل هو فوقه في القدر أي أقدر منه، وفوقه في العلم أي أعلم منه {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} يعني الملائكة الموكلة بالنفوس وحفظها من الآفات وعلمها بالأعمال من خير وشر {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} يعني أسباب الموت بانقضاء الأجل {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} يعني بقبض الروح.

فإن قيل: المتولي لقبض الأرواح ملك الموت الذي وكل بكم فكيف توفتهم رسلنا والرسل جمع؟ قيل: لأن الله أعان ملك الموت بأعوان من عنده يتولون ذلك بأمره فصار التوفي من فعل أعوانه وهو مضاف إليه لمكان أمره كما يضاف إلى الإمام فعل أعوانه من قتل أو جلد إذا كان بأمره {وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(٦١)} أي لا يقصرون ولا يؤخرون.

قوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ} وفي متولي الرد وجهان أحدهما الملائكة الذين توفتهم والثانية أنه الله تعالى.... بالبعث والنشور وردهم إلى الله ردهم إلى تدبيره لأن الله تعالى دبرهم عند خلقهم وأنشأهم ثم مكنهم من التصرف فصاروا في تدبير أنفسهم ثم كفهم عند الموت فصاروا في تدبير الله عز وجل كالحالة الأولى فصاروا في ذلك مردودين إليه

ويجوز أنهم ردوا إلى الموضع الذي لا يملك الحكم عليهم فيه إلا الله تعالى فجعل الرد إلى ذلك الموضع رداً إليه.

فإن قيل: كيف قال: {مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ} وقد قال: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ(١١)} [محمد]، والمولى في هذا الموضع بمعنى الناصر وذلك صحيح لأن الكافرين لا ناصر لهم والمولى الأول بمعنى الملك والمدبر.

قوله تعالى: {...قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} الذي من فوقهم الرجم والذي من تحت أرجلهم الخسف، ويحتمل أن يكون العذاب الذي من فوقهم هو الطوفان والذي من تحت أرجلهم الريح {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} يعني بالحروب والقتل، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال لما نزلت هذه الآية شق على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فصلى صلاة وأطال فيها فقيل له ما أطلت صلاة كاليوم؛ فقال: ((إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت ربي أن يجيرني من أربع خصال فأجارني من خصلتين ولم يجرني من خصلتين سألته أن لا يهلك أمتي بعذاب من فوقهم كما فعل بقوم نوح وبقوم لوط فأجارني، وسألته أن لا يهلك أمتي من تحت أرجلهم كما فعل بقارون فأجارني لكون الحجج الذين من ولدي فيهم، وسألته أن لا يفرقهم شيعاً فلم يجرني، ونزل قوله: {الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)} [العنكبوت])).

قوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} أي القرآن يعني أن ما كذبوا به هو الحق، والفرق بين الحق والصواب أن الحق قد يدرك بغير طلب والصواب لا يدرك إلا بطلب {قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ(٦٦)} أي لست بحفيظ لأعمالكم لأجازيكم عليها وإنما أنا منذر فلا أؤاخذكم

سورة الأنعام

بالإيمان اضطراراً وإجباراً كما يأخذ الوكيل بالشيء {لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ} ي لكل خبر أخبر الله به عز وجل من وعد أو وعيد مستقر في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره.

قوله تعالى: {..وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} أي ما على الذين يتقون الله عز وجل في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب ما لم يؤاخذوا ولكن عليهم أن يذكروهم بالله وآياته {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٦٩)} لما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب، ويحتمل ما على الذين يتقون من حساب يوم القيامة ما على الكفار في الحساب من التشديد والتغليظ لأن محاسبة المتقين ذكرى وتخفيف ومحاسبة الكفار تشديد وتغليظ {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٦٩)} أي يتقون الوعيد فيرجعون عن الاستهزاء والتكذيب.

قوله تعالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} وهم الكفار الذين يستهزون بآيات الله إذا سمعوها {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} أي وغرتهم الحياة في الدنيا بالسلامة فيها ونيل المطلوب منها، ويحتمل أن يكون وغرتهم الدنيا بالحياة فيها والسلامة منها فيكون الغرور على الوجه الأول بالحياة وعلى الثاني بالدنيا.

{وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ} أي تحكر أو ترهن من قولهم أسد باسل لأن فريسته مرتهنة معه لا تغيب عنه ومنه قول عوف بن الأخرم:

وإبسالي بني بغير جرم   بغوناه ولا بدم مراق

أي جئناه والأصل في الإبسال التحريم وهذا شيء بسل أي حرام، شعراً:

بكرت تلومك بعدوهن في الندى فبسل عليك ملامتي وعناي

وفي قوله: {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا} أي وإن تفد كل فدية لا من جهة المال في الثروة وهذه منسوخة بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:٥].

قوله تعالى: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا} يعني الأصنام ودعاؤها عبادتها وطلب النجاح منها.

فإن قيل: فكيف قال: ولا يضرنا ودعاؤها يستحق عليه من العذاب ضار؟ قيل: معناه لا تملك لنا ضراً ولا نفعاً.

{وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} بالإسلام {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} أي استدعته إلى قصدها واتباعها كقوله: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم:٣٧]، أي تقصدهم وتتبعهم.

قوله تعالى: {..وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} أي بالحكمة والإحسان إلى الخلق {وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} وذلك عند تبدلها يوم القيامة {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} وهو جمع صورة ينفذ فيها روحها نفخاً، ثم قال: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} وهو المتولي للأمر بالنفخ.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ} وآزر اسم أبيه قيل إنه كلمة تتضمن السب ومعناه معوج كناية غاية بإعوجاجه عن الحق.

فإن قيل: فكيف يجوز لإبراهيم -عَلَيْه السَّلام- وهو نبي سب أبيه؟ قيل إنه سب يتضمن بتضييعه حق الله تعالى وحق الوالد يسقط في تضييع حقوق الله عز وجل.

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أما ذا وذاك وذلك فإشارات إلا أن ذا لما قرب وذاك لما بعد وذلك لتفخيم ما بعد

وملكوت السماوات والأرض هو الذي خلقها بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والأفلاك والملكوت الملك كما يقال: الرحموت والرهبوت والرحمة والرهبة وملكوت الأرض الجبال والبحار والأشجار {وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(٧٥)} لنبوته وصحة رسالته.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} قيل إن الكوكب كان الزهرة طلعت عشاء ومعنى: جن عليه ستره ومن ذلك سمي البستان جنة لأن الشجر تسترها وسمي الجن جناً لاستتارهم من العيون والجنون لأنه يستر العقل والجنين لأنه مستور في البطن والمجن الترس لأنه يستر من يترس به قال الهذلي:

وما وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الأدهم

وقوله: {هَذَا رَبِّي} أي في ظني لأنه كان في ذلك الوقت في حال النظر والاستدلال، ويحتمل أن يكون قال ذلك توبيخاً على وجه الإنكار الذي يكون معه ألف الاستفهام فهو على تقدير أهذا ربي؟ قال الشاعر:

رقوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم؟

{فَلَمَّا أَفَلَ} غاب .

قال ذو الرمة:

مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

{قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(٧٦)} يعني حب رب معبود لأحرج في محبتهم لاعتقاد الربوبية.

{فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا} أي طالعاً يقال: بزغت الشمس إذا طلعت، فإن قيل: فلم كان أفولها دليلاً على أنه لا يجوز عبادتها؟ قيل: لأن تغييرها بالأفول دليل على أنها مدبرة محدثة وما كان بهذه الصفة استحال أن يكون إلهاً معبوداً.

قوله تعالى: {...الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} أي بشرك لقول لقمان لابنه: {يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣)} [لقمان]، ويجوز أن يكون سائر أنواع الظلم والآية على عمومها.

قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ} في هذه الحجة التي أوتيها ثلاثة أوجه أحدها قوله: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً أم تعبدون من يملك الضر والنفع؟ فقالوا: مالك الضر والنفع أحق.

والثاني: أنه لما قال لهم: أي الفريقين أحق بالأمن عبادة إله واحد أو عبادة آلهة ستاً؟ قالوا: عبادة إله واحد فأقروا على أنفسهم.

والثالث: أنهم قالوا لإبراهيم: أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون؛ وهذه الحجة أحوطها أخطرها الله ببال إبراهيم حتى استخرجها بفكره.

قوله تعالى: {...فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ(٨٩)} يعني إن يكفروا أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة أي أقمنا بحفظها ونصرتها يعني كتب الله وشرعة دينه.

{..وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} أي ما عظموه حق تعظيمه {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} يعني من كتاب من السماء وهذا قول قريش واليهود فرد الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى} يعني التوراة واعترافهم بنزولها.

سورة الأنعام

ثم قال: {نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} لأن المنزل من السماء لا يكون إلا نوراً وهدىً، ثم قال: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا} يعني أنهم يخفون ما في كتبهم من نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصفته وصحة رسالته.

قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} يعني القرآن {مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي الكتب التي قبله من التوراة والإنجيل وغيرهما {وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} مكة لأنها أول بيت وضع للناس ومنها دحيت الأرض.

ثم قال: {وَمَنْ حَوْلَهَا} من أهل الأرض كلها {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ} والهاء في (به) عائدة إلى الكتاب ويجوز أن ترجع إلى محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ومعنى الكلام والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بمحمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما قد أظهر الله عز وجل من معجزاته وآياته على صدقه.

قوله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} هذه الآية نزلت في مسيلمة الكذاب ومن أشبهه {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} وهي فيمن تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة، قوله: {وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} أي بالعدل عن قبض أرواحهم من أجسادهم {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} أي من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} بالضم الهوان قال ذو الأصبع العدواني:

أذهب إلي فما أمي براعية ... ترعى المخاض ولا أغضي على هون

وأما الهون بالفتح فهو الرفق لقوله تعالىٰ: {وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان:٦٣]، أي برفق وسكينة.

قوله تعالىٰ: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} الفرادىٰ الواحدان أي فراد من الأعوان والأموال {وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} يعني ملكناكم من الأموال والتخويل تمليك المال قال أبو النجم:

أعطىٰ فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرىٰ من خول المخول

{وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ} أي آلهتهم التي كانوا يعبدونها ويعتقدون شفاعتهم {أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} أي في تحمل ما ينالكم من العذاب {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} تواصلهم في الدنيا.

فإن قيل: لقد جئتمونا خبر ماض والمقصود منه الاستقبال؛ فالجواب: أنه على الظاهر إخبار عن ماض ويجوز أنه لتحقيقه بمنزلة ما قد كان فجاز وإن كان مستقبلاً أن يعبر عنه بماض.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ} أي فالق الحبة عن سنبلة والنواة عن النخلة ويجوزأن يكون عبارة عن الشقاق فيهم البائن {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} أي يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة، وإخراج الميت من الحي أي الحبة الميتة من السنبلة الحية والنواة الميتة من النخلة الحية.

ويحتمل أن يكون المعنىٰ: ويخرج الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان والكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ(٩٥)} أي تصرفون عن الحق.

قوله تعالىٰ: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} وهو إضاءة الفجر وهو من طلوع

الشمس {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} وإنما سمي سكناً لأن كل متحرك يسكن فيه وكل حي يأوي إلى سكنه {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} أي أنهما يجريان بحسبان ويرجعان إلى أدوار بزيادة أو نقصان وقيل ضياء من قوله: {وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} [الكهف:٤٠]، قيل نار.

قوله تعالى: {..وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} يعني آدم {فَمُسْتَقَرٌّ} في أرحام النساء {وَمُسْتَوْدَعٌ} في أصلاب الرجال.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} أي رزق كل شيء من الحيوان ونبات كل شيء من ثماره {فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا} يعني زرعاً خضراً رطباً بخلاف صفته عند بذره {نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا} يعني السنبل الذي قد تراكب حبه {وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} القنوان جمع قنو وهو العذق قال امرئ القيس:

فآب بقنوان من البسر أحمرا

و{دَانِيَةٌ} أي دانية من المجني لقصر نخلها وقرب تناولها {وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ} أي بساتين من أعناب {وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} أي مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره {انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} روي بضم الثاء وفتحها فمن ضم أراد جمع ثمار ومن فتح أراد جمع ثمرة.

قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} أي مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله شركاء له كقوله: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ(١٥٨)} [الصافات]، فسمى الملائكة جناً لاجتنانهم عن الأبصار {وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي كذبوا لأن اليهود قالوا عزير بن الله والنصارى قالوا المسيح بن الله ومشركي

العرب قالوا الملائكة بنات الله.

قوله تعالى: {...لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} معناه لا تراه الأبصار وذلك لأمرين أحدهما: أن الأبصار ترى ما قاربها ولا ترى ما لاصقها، وما باين البصر لا بد أن يكون بينهما فضاء فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان وهذه صفات الأجسام التي تجوز عليها الزيادة والنقصان.

والثاني: أن الأبصار تدرك الألوان كما أن السمع يدرك الأصوات فلما امتنع أن يكون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً {وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١٠٣)} أي لطيف في التدبير خبير في الحكمة.

قوله تعالى: {..وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} أي يتلو بعضها بعضاً فلا ينقطع التنزيل، وقيل إن الآية تتصرف في معاني متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر ويحتمل أن يكون تصريفاً بالوعد والوعيد والأمر والنهي ليكون أبلغ في الزجر وأدعى إلى الإجابة وأجمع للمصلحة.

{وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} وتقديره: لئلا يقولوا درست فحذف ذلك إيجازاً كما قال: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء:١٧٦]، يعني لئلا تضلوا؛ فمعنى درست قرأت كما زعمت قريش ودارست بمعنى ذاكرت ومن قرأ درست بتسكين التاء فإنما أراد أصبحت ودبرت وتنادمت.

قوله تعالى: {...وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني إعداء أي لا تسبوا الأصنام فيسبوا عبدة الأصنام من أمركم بسبها {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} أي كما أوضحنا لكم الحجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن كان قبلكم من حجج الحق مثل ما أوضحناه لكم، ويجوز أن يكون بمعنى زينا فعل ما أمرناهم به من الطاعات.

سورة الأنعام

قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} هؤلاء قوم من مشركي أهل مكة حلفوا بالله تعالى لرسوله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لئن جاءتهم آية وهم المستهزون والآية التي أرادوها تحويل الصفا ذهباً والمروة فضة كما قال في موضع: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا(٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا..إلى قوله: كِتَابًا نَقْرَؤُهُ} [الإسراء:٩٣]، فأمر الله سبحانه وتعالى إليه حين أقسموا له أن يقول لهم: {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} وقيل: إنه لما نزل قوله في سورة الشعراء: {إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٤)} قال المؤمنون أنزلها عليهم ليؤمنوا فأنزل الله تعالى هذه الآية، وليس يجب على الله إجابتهم في اقتراحهم لا سيما إذا علم أنهم لا يؤمنون بها وإذا علم تعالى منهم الإيمان يجب عليه إجابة دعوة النبي لما يدعو.

وقال: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} فهذا من الله سبحانه عقوبة لهم في الآخرة يقلبها في النار، وفي قوله أول مرة جاءتهم الآيات.

فقال: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا} أي كفلاء والقراءة بضم القاف والباء ويجوز أن يكون المعنى قبيلة قبيلة وصفاً صفاً {مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} أي بهذه الآيات {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} أن يجبر عليه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ(١١١)} أي يجهلون فيما يقترحونه من الآيات، والثاني: أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعاً.

قوله تعالىٰ: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} والجعل في هذا المكان بمعنىٰ الحكم أي حكمنا للأنبياء بمعاداة الكفار فصار الكفار لهم أعداء فكأنه هو الذي جعل الكفار لهم أعداء من حيث حكم، وقوله: شياطين الإنس والجن وشياطين الإنس والجن مردتهم وكفارهم {يُوحِي} أي يوسوس ويشير فعبر عن الإشارة بالوحي كما قال: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(١١)} [مريم]، و{زُخْرُفَ الْقَوْلِ} ما زينوه لهم من الشبه وارتكاب المعاصي.

قوله تعالىٰ: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} أي ما فعلوا زخرف القول غروراً أي أجبرهم.

قوله تعالىٰ: {وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} يعني تميل إليه قلوبهم والإصغاء الميل قال الشاعر:

ترىٰ السفيه له عن كل مكرمة زيغ وفيه إلىٰ التشبيه إصغاء

وتقدير الكلام يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غروراً ليغروهم ولتصغ إليه أفئدة الذين لا يؤمنون.

قوله تعالىٰ: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} أي هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله حتىٰ أعدل عنه والفرق بين الحكم والحاكم أن الحكم هو الذي يكون أهلاً للحكم فلا يحكم إلا بحق والحاكم قد يكون من غير أهله فيحكم بغير حق فصار الحكم من صفات ذاته والحاكم من صفات فعله فكان الحكم أبلغ في المدح من الحاكم.

ثم قال: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} وإنما سمي مفصلاً أي تفصيل آياته لتمييز معانيه فلا يشكك وتفصيل الحق من الباطل والحلال من الحرام.

سورة الأنعام

قوله تعالىٰ: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} يعني القرآن أي تمت حججه ودلائله وأحكامه وأوامره وإنذاره بالوعد والوعيد، وقوله: {صِدْقًا وَعَدْلًا} أي صدقاً فيما حكاه وعدلاً فيما قضاه.

قوله تعالىٰ : {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} أي سره وعلانيته ، وقيل : إن ظاهر الإثم ذوات الأخدان لأنهم كانوا يستحلونه سراً.

قوله تعالىٰ: {...وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} نزلت في ذبائح كانت للعرب ذبحتها لأوثانها وتحرم الذبيحة إن تركت التسمية عليها عامداً ولا تحرم إن تركتها ناسياً {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} أي المعصية {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} يعني المجادلة في الذبيحة وروي أن قوماً من فارس كتبوا إلىٰ قريش وإلىٰ أوليائهم منهم إن محمداً وأصحابه يزعمون بأنهم يتبعون أمر الله ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة والدم ويأكلوا مما ذبحوا هم لأنفسهم فأنزل الله فيهم هذه الآية {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} يعني في أكل الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ(١٢١)} إن استحللتموها.

قوله تعالىٰ: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} يعني كافراً فهديناه إلىٰ الإيمان {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} والنور القرآن والعلم الذي يهدي إلىٰ رشد {كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} والظلمات الكفر وشبهه بالظلمات لأن صاحبه في حيرة منها تفضي به إلىٰ الهلاك كحيرة الإنسان في الظلمة والآية علىٰ العموم وقيل إن المؤمن أمير المؤمنين –عَلَيْه السَّلام– والكافر أبو جهل بن هشام.

قوله تعالىٰ: {..وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ} يعني علامة تدل علىٰ صدق النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصحة نبوته {قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ} بالله ورسوله

{حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} من الكرامة والنبوة {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} قصد بذلك أمرين أحدهما: تفرد الله بعلم المصلحة فيمن يستحق الرسالة والثاني الرد عليهم في سؤال ما لا يستحقونه والمنع مما لا يجوز أن يسألوه {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ} والصغار الذل وإنما سمي صغار لأن النفس تصغر إلى الإنسان ومعناه أن أنفسهم عن اتباع الحق صغار عند الله، وذل وإن كان عندهم عز وتكبر.

قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ} أي يهديه إلى نيل الثواب واستحقاق الكرامة ويهديه إلى الدلائل المؤدية إلى الحق {يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} عنى بشرح صدره سعته لدخول الإسلام فيه وثبوته فيه وذلك مثل قوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١)} [الشرح]، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال أي المؤمنين أكيس؟ قال: ((أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم لما بعده استعدادا)) وسئل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- عن قوله: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: ((نور يقذف فيه فيشرح له وينفسح)) قالوا: وهل لذلك من أمارة تعرف؟ قال: ((نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقائه)).

{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ} عن الهداية إلى الحق ونيل الثواب واستحقاق الكرامة {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} يعني ضيقاً لا يتسع لدخول الإسلام إليه {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} أي كأنه كلف صعود السماء أي امتناعه عليه وبعده، ويجوز أن لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه، ويحتمل أن قلبه ينبو بالنبوء عنه والنفور منه صاعداً إلى السماء {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(١٢٥)} الرجس النجس وقد قيل إنه

العذاب والرجس أيضاً الشيطان لما روينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه كان يقول عند دخوله في الخلاء: ((اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الشيطان الرجيم)).

قوله تعالىٰ: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا} قد ذكرنا أن الصراط هو الطريق قال عامر بن الطفيل:

شحنا أرضهم بالخيل حتىٰ   تركناهم أذل من الصراط

والصراط المستقيم هو كتاب الله عز وجل والأئمة من ولد رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالىٰ: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي دار السلامة الدائمة من كل آفة ويحتمل أن يكون المعنىٰ دار الله لأن السلام هو الله، وقوله: {عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي دار السلام عند ربهم في الآخرة لأنها أحق به.

قوله تعالىٰ: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} يعني يحشر الجن والإنس جميعاً وهو يوم القيامة {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} قد استكثرتم من إغواء بعضكم لبعض حتىٰ شاكلهم الإنس في إضلالهم بعضهم بعضاً {وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} فيما زينوه من اتباع الهوىٰ وارتكاب المعاصي وتشبه بعضنا ببعض في الاجتناب من طاعة الله عز وجل {وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} أي الموت والمدة التي ضربتها في انقضاء الأجل {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ} أي منزل إقامتكم لأن المثوىٰ الإقامة شعراً:

لقد كان في حول ثوىٰ ثويته   يقضي لنا باب ويسام سائم

{خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} وهذا الاستثناء في مدة العرض يوم القيامة وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم فكأنه قال: النار مثواكم إلا في هذه المدة التي ذكرها فإنهم فيها غير خالدين ويحتمل أن يكون معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء الله من تجديد جلودهم بعد احتراقها وتصريفهم في أنواع العذاب وتركهم فيها على حالهم فيكون الاستثناء في صفة العذاب لا في الخلود في النار.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} أي نكل بعضهم إلى بعض فلا نعينهم ومن سلب معونة الله كان هالكاً وكذلك نولي بعضهم عذاب بعض في الآخرة ويتبع بعضهم بعضاً في الموالاة وهي المتابعة وقد تكون التولية بمعنى التسليط أي التخلية من التوفيق فيتعدى بعضهم على بعض ويظلم بعضهم بعضاً، وذلك نوع من الانتقام منهم في دار الآخرة.

قوله تعالى: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي} وهو أن الله سبحانه وتعالى بعث إلى الجن رسلاً منهم وإلى الإنس رسلاً منهم ثم فضل رسوله محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بالبعثة إلى الجن والإنس وينذرونكم ما تلقونه إياه من العقاب على الكفر والعذاب على المعاصي {قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا} يعني إقرارهم على نفوسهم بأن الرسل قد أنذروهم {وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ(١٣٠)} وهذه شهادة بالكفر وتلك شهادة بالإنذار.

قوله تعالى: {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ(١٣١)} تقديره وما كان ربك مهلك القرى بظلم ولكن بحق استوجبوا به الهلكة ويحتمل: وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها حتى يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا عن حكم الغافلين فيما نزل بهم.

قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} أي ولكل عامل بطاعة الله أو

سورة الأنعام

معصيته درجات يعني منازل وإنما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط لأن الجزاء على الأعمال متفاضل بتفاضلها.

قوله تعالى: {..قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} أي على تمكنكم ومنازلكم {إِنِّي عَامِلٌ} أي بما أنذركم من جزاء المطيع بالثواب والعاصي بالعقاب {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} يعني تعلمون ثواب الآخرة بالإيمان وعقابها بالكفر.

قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} يعني مما خلق مأخوذ من الظهور ومنه قيل ملح ذاري لبياضه وقيل لظهور النبت ذرأه والحرث الزرع، والأنعام الإبل والبقر والغنم مأخوذ من نعمة الوطئ.

وهذا إخبار منه من كفار قريش ومن تابعهم من مشركي العرب كانوا يجعلوا لله في زروعهم ومواشيهم نصيباً ولأوثانهم وأصنامهم نصيباً فجعل الله أوثانهم شركائهم لأنهم قد أشركوا في أموالهم بالنصيب الذي جعلوه فيها لهم ونصيبهم في الزرع جزء منها يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها، ونصيبهم الذي جعلوه في النعم هو ما كانوا يتقربون به إليها وقيل إنها السائبة والبحيرة والوصيلة والحام.

ثم قال: {فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} ومعنى ذلك هو أنه إذا اختلط بأموالهم شيئاً مما جعلوه لأوثانهم غرموه وإذا هلك ما لله لم يغرموه، وأن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا اسم الله عليه ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم من ذكر الله تعالى.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} الذين شاركوهم في الشرك من الغواة والمردة وفي الذين زينوه

لهم قولان أحدهما: أن الرجل في الجاهلية كان يحلف إن ولد له كذا وكذا غلاماً أن يذبح أحدهم كما حلف عبدالمطلب في ذبح ابنه عبدالله. والثاني: أنه وأد البنات أحياء خيفة الفقر {لِيُرْدُوهُمْ} أي ليهلكوهم ومنه قوله: {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ(١١)} [الليل]، يعني إذا هلك، وفي ذلك وجهان أحدهما: أنهم قصدوا أن ردوهم بذلك كما قصدوا إغواءهم، والثاني: أن اللام لام العاقبة ومعناه أن أمرهم آل إليه ورجع فصارت هذه لام العاقبة كما قال عز وجل: {فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص:٨]، لأن عاقبته صارت كذلك وإن لم يقصدوها.

قوله تعالى: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} أي حرام، قال الشاعر:

فبت مرتقباً والعين ساهرة ... كأن نومي علي الليل محجور

{لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ} لأنهم حرموها على النساء دون الرجال ففي الأنعام والحرث التي قالوا إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم قولان أحدهما: أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم هي البحيرة عندهم والحام، والحرث التي قالوا: لا يطعمها ما جعلوه لأوثانهم ثم قالوا: {وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} أي هي السائبة {وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ} أي إن إضافتهم إلى ذلك هو الإفتراء على الله عز وجل وذكرهم أسماء آبائهم بدلاً من اسم الله عز وجل هو الإفتراء عليه.

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا} والذي في البطون أرادوا به الأجنة والألبان وجعلوا ذلك لذكورهم دون الإناث وأزواجهم وإنما جعلوا ذلك لأن الذكور إذ كانوا يخدمون الأوثان ففضلوا بذلك بالخدمة والذكورية.

سورة الأنعام

قوله تعالىٰ: {...وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ} أما الجنات فهي البساتين التي تجنها الشجر، وأما الروضة فهي الخضراء بالنظر، وأما الزهرة فهي اختلاف الألوان الحسنة {مَعْرُوشَاتٍ} من تعريش الناس الكروم وغيره وهو رفعها بأغصانها وسمي السرير عرشاً لارتفاعه ومنه قوله: {خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا} [البقرة:٢٥٩]، أي على أعاليها وما ارتفع منها.

{كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} وهي الصدقة المفروضة فيها العشر إذا سقي بغير آلة ونصف العشر إذا سقي بآلة وقيل إن الآية تحتمل أن تكون مصروفة إلىٰ وجه التطوع وهو إطعام من حضر وترك ما تساقط من ثمره والزرع {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١)} الإسراف أخذ ما لا يجب فيها أو مع الواجب منها والآية قد خوطب بها المخرج والقابض.

قوله تعالىٰ: {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} والحمولة من كبار الإبل والفرش صغارها والحمولة ما يحمل عليها والفرش لا يحمل عليها وقيل: الحمولة ما يحمل عليه من الأنعام الإبل والبقر والفرش الغنم قال الشاعر:

وحوينا الفرش من أنعامكم ... والحمولات وربات الحجل

{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} وهو إذن منه في عموم أكل المباح من أموالهم ونهى ما لا يملكونه {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي طريقته التي يدعوهم إليها من كفر وضلال {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(١٤٢)} أي ما بان لكم من عداوته لأولياء الله تعالىٰ.

قوله تعالىٰ: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ} أما الزوج فإنه ينطلق علىٰ الواحد وعلىٰ الاثنين يقال للاثنين زوج وللواحد زوج لأنه لا يكون

زوج إلا ومعه آخر له مثل اسمه ولذلك قال: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} لأنها ثمانية آحاد ثم فسرها فقال: {مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ} يعني ذكر وأنثى {وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} يعني ذكر وأنثى {قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ} إبطالاً لما حرمته الجاهلية منها في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام {أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} يعني قولهم: {مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا}.

ثم قال: {وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} يريد أنه ما أراد به في الضأن والمعز وهذه الأزواج الثمانية أزواج كلها حلال لا يحرم منها شيء بتحريمكم.

وروينا عن أبينا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه أتاه عوف بن مالك فقال له أحللت ما حرمه آباؤنا من البحيرة والوصيلة والحام فأنزل الله هذه الآية {قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ} فسكت عوف لظهور الحجة عليه.

قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} يعني أن ما حرمه من البحيرة والسائبة لم يحرمه الله ولا أوحى إليه بتحريمه ثم بين المحرم على وجه الاستثناء لأن نفي التحريم خرج مخرج العموم فقال: {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً} وهي التي خرجت روحها بغير ذكاة {أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا} يعني مهراقاً مصبوباً ومنه سمي الزنا سفاحاً لصب الماء فيه فأما ما يجمد منه كالكبد والطحال فإنا نرى أكلها مكروهاً {أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} يعني نجساً حراماً {أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} يعني ما ذبح للأوثان والأصنام سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله تعالى.

فإن قيل: لم اقتصر هاهنا على هذه الأربعة وقد ذكر في المائدة غيرها من المنخنقة والموقوذة والمتردية؟ قيل: لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره

سورة الأنعام

مفصلاً وهاهنا مجملاً.

قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} وإنما كان هذا التحريم على الذين هادوا تكليف بلوى وعقوبة فأول المحرمات عليهم كل ذي ظفر وفيه قولان أحدهما: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع كالأوز والنعام والبط، والثاني: كلما صاد بظفره من الطير.

ثم قال: {وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} ما على الكرش والكلى {إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} وهو كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم وشحم الجنب ما على الظهر فإنه لم يحرم عليهم.

ثم قال: {أَوِ الْحَوَايَا} وهو كل ما يحوى في البطن مما اجتمع واستدار {أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} أي شحم الجنب.

قوله تعالى: {...قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} وهذا أمر من الله سبحانه لنبيه -عَلَيْه السَّلام- أن يدعو الناس إليه ليتلو عليهم ما حرم الله عز وجل عليهم مما أحله لهم ليقلعوا عما كانت الجاهلية عليه من تحريم المباح وإباحة الحرام، والتلاوة هي القراءة والفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء للمباينة.

ثم إن الله سبحانه أخذ في بيان ما حرم فقال: {أَلَّا تُشْرِكُوا} بطاعته طاعة غيره من شيطان أو مضل أو مغو ثم قال: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} والإحسان تأدية حقوقهما ومجانبة عقوقهما ، والمحافظة على برهما {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} وذلك أنهم في الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم خشية الإملاق والإملاق الإفلاس ومنه

الملق لأنه اجتهاد المفلس[1] في التقرب إلى الغني طمعاً في نائله فقيل إنه الفقر.

ثم ذكر فساد ما يعتقدون بقوله: {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} لأن رزق العباد كلهم من كفيل ومكفول على خالقهم ، ثم قال: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} وذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها.

ثم قال: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} والنفوس المحرمة نفس مسلم أو معاهد والحق الذي يقتل ما بينه بقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس)).

ثم قال: {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} يعني الله تعالى وصى عباده بذلك وصية الله واجبه ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١)} أي تعقلون تحريم ذلك وتعلمونه.

قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} إنما خص مال اليتيم وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته لأن الطمع لقلة مراغبته أقوى فكان بالذكر أولى {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} من تثميره وحفظه إلى أن يكبر فيسلمه منه.

والأشد في قوله: {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} استحاكم قوة الشباب عند نشوه وهو الحكم أو ما كان في معناه وذلك إذا جرت عليه أحكام الحسنات والسيئات.

ثم قال: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} يعني بالعدل ليأمر في

---

(١)- الملق (نخ).

مال البالغ من تأدية الحق مثل ما أمر به في مال اليتيم ثم قال: {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} يعني لما كان التعديل في الوزن والكيل مستحقاً وكان تحديد أقل القليل متعذراً كان ذلك عفواً لأنه لا يدخل في الوسع فلم يكلفه.

ثم قال: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} يعني إذا حكمتم فأنصفوا وإذا شهدتم فاصدقوا وإذا توسطتم فلا تميلوا {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} وعهد الله كلما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر أو غيره.

قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} يعني الشرع وسماه صراطاً والصراط الطريق الذي يؤدي إلى الجنة {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} يعني البدع والشبهات {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} يعني عن طريق دينه فنهى عن التفرق وأمر بالاجتماع.

قوله تعالى: {ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} أي تماماً على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه.

قوله تعالى: {...هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} معناه هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة رسلاً يعني الكفار الذين يتوقفون عن الإيمان مع ظهور الدلائل، ويحتمل أن يكون المعنى هل ينظرون في حجج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة أي تأتيهم لقبض أرواحهم {أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} أي أمر ربك بالعذاب {أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ} مما يكون في الآخرة من طلوع الشمس من مغربها {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} أما إيمانه قبل ظهور هذه الآيات فمعتد به وأما بعدها فلا ينفع، وتقدير الكلام لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً

من قبل والخير تأدية الفروض على أكمل أحوالها.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} وهذه الآية عامة في كل من له هذه الصفة من تفريق الدين الذي أمرهم الله تعالى به لاختلافهم فيه واتباع الشهوات وكانوا شيعاً أي فرقاً يتمالون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وأصله الظهور يقال: شاع الخبر إذا ظهر، وقيل هو من الاتباع من قولهم: شايعه على كذا إذا تبعه؛ ثم قال: {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} أي في مخالطتهم ومقاربتهم لست على شيء فنهى الله عز وجل عن ذلك وأمر بمباعدتهم.

قوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} والآية على عموم الحسنات والسيئات في كل حال فجعل جزاء الحسنة عشرة أمثالها تفضلاً وجزاء السيئة مثلها عدلاً وأما مضاعفة ذلك بسبعمائة ضعف فلقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} [البقرة:٢٦١]، وقرئ: فله عشرٌ أمثالها بالتنوين.

قوله تعالى: {...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} لا يتحمل أحد ذنب غيره فيألم به ويعاقب عليه، وفي أصل الوزر وجهان أحدهما: الثقل من قولهم: وضعنا عنك وزرك، وسمي الوزير لتحمله الثقل في التدبير والأمر والنهي، والثاني: أن أصله الملجأ الذي يلجأ إليه من قولهم: كلا لا وزر.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)} وهذا أمر من الله تعالى لنبيه -عَلَيْه السَّلام- أن يذكر الناس حال عبادته ومن له الأمر في حياته ومماته فقال: إن صلاتي وهي الصلاة المشروعة ذات الركوع والسجود المشتملة على التذلل والخضوع هي لله عزوجل دون غيره من وثن أو بشر.

ثم قال: ونسكي أي عبادتي، وفلان ناسك أي عابد، ومحياي ومماتي: أي حياتي وموتي بيد الله عز وجل لا يملك غيره له حياة ولا موتاً فلذلك كان له مصلياً وناسكاً.

ثم قال: {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} صفة لله تعالى دون غيره بأنه مالك العالمين فلذلك كان أحق بالطاعة والتعبد من غيره.

ثم قال: {لَا شَرِيكَ لَهُ} أي لا شريك له في ملك العالمين ولا شريك له في العبادة {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} أي بما تقدم ذكره {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)} يعني من هذه الأمة حثاً على اتباعه في المسارعة بالإسلام.

قوله تعالى: {..وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} وهذه الآية خاصة للأئمة والحجج من آل محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لأن كل عصر فيه حجة يخلف الحجة والقائم قبله كلما مضى إمام خلفه إمام ظاهر أو مستتر قال الشماخ:

تصيبكم وتخطيني المنايا وأخلف في ربوع عن ربوع

{وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} يعني بما يخالف بينهم بالشرف والعلم والحكمة وجودة الرأي والتأييد والتسديد وهذا وإن كان ابتداؤه تفضلاً من غير جزاء ومكافاة فحكمه لما فيه من الترغيب في الإعلام والترهيب من الإدنى لتدوم له الرغبة والرهبة وقد نبه على ذلك بقوله: {لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ} يعني بما ذكرنا من خصال الخير والشرف.

فإن قيل: فكيف جعله سريعاً وهو في الآخرة؟ ففيه جوابان أحدهما: أن كل آت قريب كما قال: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ

أَقْرَبُ} [النحل:٧٧]، والثاني: سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العذاب فيها {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٦٥)} جمع بين ما يقتضي الرهبة من سرعة العقاب وبين ما يقتضي الرغبة من الغفران بعد التوبة لأن الجمع بين الرغبة والرهبة أبلغ في الانقياد إلى الطاعة والإقلاع عن المعصية.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الأعراف مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {المص(١) } هو من جنس ما ذكرنا أنه هجاء أعلم الله به العرب أنه من جنس كلامهم ليكون أبهر لهم في الحجة والبيان لأن عجزهم عن كلام هو مقدور لهم أعظم من عجزهم عن كلام لا يقدرون عليه.

{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يعني القرآن {فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} والحرج الضيق معناه فلا يضيق صدرك خوفاً أن لا تقوم بحقه ولا يضيق صدرك ثم قال: {لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(٢)} ليعود نفعه على الفريقين.

قوله تعالى: {..وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ(٤)} وهذا إخبار من الله عز وجل عن حال من أهلكه بكفره وتحذير للمخاطبين به عن مثله فكم كلمة موضوعة للتكثير ورب كلمة موضوعة للتقليل فجاءها بأسنا بوقوع العذاب بهم والبأس العذاب وقعا في حالة واحدة لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا فليس دخول الفاء بينهما موجب لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال: أعطيت فأحسنت وكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء.

وقوله: {بَيَاتًا} يعني في نوم الليل {أَوْ هُمْ قَائِلُونَ(٤)} في نوم النهار وقت القائلة.

فإن قيل: لم جاءهم العذاب في وقت النوم دون اليقظة؟ قيل: لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ والبأس شدةالعذاب والبؤس شدة الفقر.

قوله تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} والوزن هاهنا هو القضاء بالحق

والحكم بالعدل تشبيهاً بالميزان الذي لا يحيف {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} أي من قضي له بالطاعة وكثرت حسناته {فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٨)} أي الفائزون وبضدها إذا خفت.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} أي خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء ثم صورناكم عند اجتماع النطف في الأرحام {ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}.

فإن قيل: فالسجود عبادة لا تجوز إلا لله تعالى فكيف أمر به لآدم؟ فالجواب: أن أمرهم له تكرمة وهو لله سبحانه عبادة.

فإن قيل: فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته فكيف قال: ثم صورناكم؟ فالجواب: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وتقديره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم.

قوله تعالى: {..قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} أي من جملة المطيعين من الجن {فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا} أي تبدي الكبر فيها، وهذا القول من الله سبحانه وتعالى لإبليس على أبغض الملائكة إليه.

قوله تعالى: {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤)} ومعنى ذلك أنه سأل الإنظار بالعقوبة إلى يوم البعث وهو يوم القيامة وهذا الإنظار إنما كان سأله ابتداء منه لا إجابة له لأن العاصي لا يستحق إجابة دعاءه لما في ذلك من التكرمة وهو لا يستاهلها.

قوله تعالى: {..قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦)} أي فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي أضلهم عن دينك وطاعتك وأميل بهم عن أوامرك وإنما فعاله في ذلك فيمن يجانسه من الجن فأما الإنس فلهم أبالسة وشياطين من جنسهم من الإنس يغوونهم ويضلونهم والإغواء في اللغة على ثلاثة وجوه أحدها

سورة الأعراف

بمعنى أضليتني، والثاني: بمعنى خيبتني من جنتك شعراً:

مقطعة الأشياء ليس فصلتها ترابا بها داراً ولا ميتاً غوا

ثم {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦)} أي تصدى لهم عن الحق {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} أي أشككهم في أخرتهم {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} أرغبهم في الدنيا {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} أي من قبل حسناتهم فأردهم عنها وأحول بينهم وبينها {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} أي من قبل سيئاتهم وهذا من فعل شياطين الجن والإنس في الإغواء والكيد يأتوا من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها.

قوله تعالى: {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(١٧)} أي شاكرين لنعمك مقيمين على طاعتك فإن قيل: كيف علم إبليس ذلك؟ فيه جوابان أحدهما: أنه ظن ذلك فصدق ظنه كما قال عز وجل: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ:٢٠]، والثاني: انه يجوز أن يكون حصل له علم ذلك من قبل الملائكة {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا} أي من الطاعة على وجه التهديد {مَذْءُومًا مَدْحُورًا} أي ملوماً ومدحوراً مطروداً مدفوعاً.

قوله تعالى: {وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} أي حواء {فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} أي من حيث شئتم من الجنة كلها ومن ثمارها {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} قد مضى الكلام فيها.

فإن قيل: ما وجه نهيهما عن ذلك مع كمال معرفتهما؟ قيل: للمصلحةفي استدامة المعرفة والابتلاء بما يجب فيه الجزاء.

قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} الوسوسة فهو إخفاء الصوت بالدعاء يقال وسوس لهما إذا أوهمه النصيحة ووسوس إليه إذا ألقى إليه

المعنى من ذلك قول رؤبة بن العجاج:

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق سراً وقد أون تأوين العقق

والشيطان الذي وسوس إليهما هو الشهوة والهوى لأنهما يحملان على المعاصي كما يحمل الشيطان وهما عدوان في النفس كعداوة الشياطين.

{وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(٢٠)} وهذا الذي خطرت لهما به الوسوسة وهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة ورفعة المحل وأن يخلدا في الجنة.

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} أي حظهما وذلك هو فعل الهوى والشهوة وهو في منزلة الطاعة إلى محل المعصية مع أن أكلهما لم يكن تعمداً إلى مخالفة الأمر لأن ذلك يجعل ذنبهما كبيرة والكبائر لا تجوز على الأنبياء لأنهم معصومون وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما أو لما ذكرناه فيما تقدم في التفسير من الوجوه المحتملة.

{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} أي زالت عنهما ما كان عليهما من اللباس {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} ويخيطانها عليهما.

{..قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} وهذا مخاطبة لآدم وحواء والاثنان قد يعبر عنهما بعبارة الجمع والبغض المعادي هو الشهوة والهوى {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤)} المستقر موضع الاستقرار والمتاع فهو كل ما يتمتع به من عروض الدنيا ويستمتع والحين وقت مجهول ينطلق على طويل الزمان وقصيره وإن كان في الأغلب موضوعاً للتكثير قال الشاعر:

وما آخر بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين

سورة الأعراف

أي وقت لا وقت.

قوله تعالىٰ: {..يَابَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ} نزلت هذه الآية في ناس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة ويتأولون أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عناه، ويحتمل أن يكون فعلوا ذلك تفاؤلاً بالتعري من الذنوب قال الله تعالىٰ: {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} أي ما تلبسون من الثياب.

فإن قيل: فليس ذلك بمنزل من السماء؛ ففيه جوابان أحدهما: أنه لما كانت نبتت بالمطر الذي ينزل من السماء صار كالمنزل من السماء، والثاني: أن هذا من بركات الله عز وجل والبركة تنسب أنها تنزل من السماء صار كالمنزل من السماء قال الله تعالىٰ: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ}..الآية [المؤمنون:١٨].

ثم قال: {يُوَارِي سَوْآتِكُمْ} أي يستر عوراتكم ومنه سميت العورة سوءة لأنه يسوء صاحبها انكشافها.

ثم قال: {وَرِيشًا} والريش الثياب والجمال والنعيم كما قال الشاعر:

وريشي فيكم وهواي فيكم ... وإن كانت ربابركم لماما

ثم قال: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} هو العمل الصالح والإيمان واليقين، ثم قال الذي ذكرته خير كله.

قوله تعالىٰ: {يَابَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ} وهذا خطاب يوجه إلى من كان قبلكم من العرب يطوف بالبيت عريان فقيل لهم لا يفتننكم الشيطان بغرور كما فتن أبويكم من قبل حتى

خرجا من الجنة {يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} أي ما كان فيه من الرغد والنعيم.
قوله تعالىٰ: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا} والفاحشة في هذا المكان تحتمل أن تكون الشرك بالله في عبادة الأوثان، وتحتمل أن تكون الطواف علىٰ حالة العري.

قوله تعالىٰ: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} أي بالعدل {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي توجهوا حيث كنتم إلىٰ الكعبة في الصلاة واجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالىٰ دون ما سواه من الأصنام والأوثان {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} أقروا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٢٩)} بعد الفناء أحياء.

قوله تعالىٰ: {..يَابَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وذلك وارد في ستر العورة في الطواف وأخذ التزين واللباس في الجمع والأعياد.

قوله تعالىٰ: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} يعني ستر العورة رداً علىٰ من تركها من العرب في الطواف ثم قال: {وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} فيه وجهان أحدهما: ما كانوا يحرمونه في الإحرام من أكل السمن واللبن، والثاني: أنها البحيرة والسائبة التي حرموها علىٰ أنفسهم والطيبات من الرزق أي الحلال {قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }لهم طيبات الرزق {خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} لأن في دار الدنيا قد يشتركوا فيها الكفار ، وفي قوله : {خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي لا يشاركهم الكفار فيها يوم القيامة.

{...أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} أي عذاب الله الذي أوعده لمن أشرك فلهم نصيب مما وعدوا في الكتاب من خير وأوعدوا من شر {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وتوفي الرسل هو في وفاة الموت.

سورة الأعراف

قوله تعالىٰ: {...إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} ولا ترتفع أعينهم إلىٰ السماء {وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} وسم الخياط هو ثقب الإبرة ويقرأ الجُمّل بضم الجيم وبتشديد الميم وهو الفلس الغليظ.

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ} أي فراش من نار والمهاد الوطاء ومنه أخذ مهد الصبي {وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} أي الظل من النار.

قوله تعالىٰ: {..وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} هو الحقد وفي نزعه وجهان أحدهما: أن الله عز وجل نزع ذلك من صدورهم بلطفه، والثاني: بما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزع الغل من صدورهم {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} أخبر هنا بنزع الغل من الصدور والثبوت على الإيمان.

قوله تعالىٰ: {...وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} أما الأعراف فسور بين الجنة والنار وهو جمع وواحده عرف وهو ما ارتفع من غيره ومنه عرف الديك وعرف الفرس قال الراجز:

كل كثير لحمه ينافي ... كالعلم الموفى على الأعراف

والذين هم على الأعراف وهم الأئمة -عليهم السلام- كل منهم يعرف أهل عصره، وسيماهم: علامتهم التي يتميزون بها وعلامتهم في وجوههم وعيونهم أن علامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون، وفي قوله: ونادى وجهان أحدهما: ينادي...

قوله عز وجل: {...هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} أي عاقبته من الجزاء والبعث والنشور والحساب {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ

قَبْلُ} أي أعرضوا عنه فصار كالمنسي وتركوا العمل به.

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} والمعنى في ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع القدرة عليه أن أنشأها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير متوالي على الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم فأراد تصرف الأمور على الاختيار ويجريها على مشيئته والخلق كان على عدد الأيام وهو الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت فأخرج الخلق فيه {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي استولى.

قوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} يريد بالتضرع التذلل والخفية الإسرار {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(٥٥)} يعني في الدعاء أن يسأل الإنسان ما لا يستحقه كمنازل الأنبياء أو يدعو باللعنة على من لا يستحقها وقيل الاعتداء هو رفع الصوت عند الدعاء.

وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون أصواتهم فقال: ((أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً إنه معكم)).

قوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} أي لا تفسدوا بالظلم {بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} بالطاعة والعدل {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه أو خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦)} وإنما سقطت الهاء من قريب والرحمة مؤنثة لأن الرحمة من الله تعالى إنعام منه ويجوز أن يكون مكان الرحمة لأن المكان مذكر كما قال عروة بن حرام:

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنوا ولا عفراء منك بعيد

سورة الأعراف

فأراد بالبعيد مكانها وبالقريب هي وأثبت الهاء.

قوله تعالىٰ: {..وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ} يعني طيب التربة {يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} يعني يخرج نباته جيداً {وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} والنكد القليل الذي لا ينتفع به، ويجوز أن يكون بمعنىٰ العسر بشره المانع من خيره قال الشاعر:

وأعط ما أعطيته طيباً لا خير في المنكود والناكد

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فجعل المؤمن كالأرض الطيبة والكافر كالأرض الخبيثة السبخة.

قوله تعالىٰ: {...وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} أي القوة والبطش {فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ} معناه نعم الله قال الشاعر:

أبيض لا يرهب الهزل ولا يقطع رحماً ولا يخون آلا

قوله تعالىٰ: {..قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} والرجز والرجس واحد يعني بمعنىٰ واحد إلا أن الزاي يكتب سيناً كما قلبت السين في قول الشاعر:

ألا لحا الله بني السعلاة عمرو بن يربوع لئام النات

ليسوا بأعفاف ولا أكياز

أي أكياس.

قوله تعالى: {...هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً} فيها آيتان أحدهما أنها خرجت من صخرة صماء ملساء تمخضت بها كما تمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها، والثاني: كان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم فيه.

قوله تعالى: {...فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} أي حركة الأرض من تحتهم وزلزلتها التي أهلكوا بها {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨)} والجاثم البارك على ركبتيه كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحالة وقيل إنهم أصبحوا كالرماد الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم.

قوله تعالى: {...وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ} الصراط الطريق وكانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل {وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ} أي تصدون المؤمنين عن طاعة الله عز وجل وعبادته {وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} يعني أنهم يبغون السبل عوجاً عن الحق والفرق بين العوج بكسر العين وفتحها أي أن العوج بكسر العين ما كان في الدين وما لا ترى والعوج بفتح العين ما كان [في] العود وما يرى.

{وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ} أي كثر عددكم بعد القلة وأغناكم بعد الفقر وقواكم بعد الضعف.

قوله تعالى: {...قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ} فإن قيل: العود في الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه فهل كان شعيب على ملة قومه من الكفر حتى يقول إن عدنا في ملتكم؟

فالجواب: أنه يطلق اسم العود على المبتدي بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله من قولهم قد عاد إلى مكروه وإن لم يسبقه بمثله قال الشاعر:

لئن كانت الأيام أحسن منزلا ... إلي لقد عادت لهن ذنوب

سورة الأعراف

ثم قال: {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} فإن قيل: والله لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب؟ فالجواب: أن هذا القول من شعيب على وجه التبعيد والامتناع كقوله: {حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف:٤٠]، وكقولهم: حتى يشيب الغراب.

ثم قال: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(٨٩)} أي احكم، وفاتحت فلاناً أي حاكمته.

فإن قيل: فما معنى قوله: بالحق، ومعلوم أن الله تعالى لا يحكم إلا بالحق؟ فالجواب: أنه سأل الله أن يكشف لمخالفه من قومه أنه على حق.

قوله تعالى: {..الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} أي كأن لم يقيموا فيها ويعيشوا.

قوله تعالى: {..وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} البأساء القحط والضراء الأمراض والشدائد والبأساء أيضاً ما نالهم من الشدة في أنفسهم، والضراء ما نالهم في أموالهم.

قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا} أي حتى كثروا وقيل عفا بمعنى شمس ومنه قول بشر بن أبي حازم:

فلما أن عفى وأصاب مالاً ... يصفى مع صافيه أزورارا

قوله تعالى: {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} بركات السماء القطر وبركات الأرض النبات والثمار.

قوله تعالى: {...وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا}

لو أحييناهم بعد هلاكهم {بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} هلاكهم كقوله: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام:٢٨].

قوله تعالى: {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ} أي من وفى بعهده والعهد هو ما جعله الله تعالى في عقولهم من وجوب شكر النعمة فإن الله تعالى هو المنعم {وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ(١٠٢)} يدل على أن العصاة أكثر من المطيعين.

قوله تعالى: {...قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} أي أرجه أي أخره {وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(١١١)} أي أعوانه وأصحاب الشرط.

قوله تعالى: {...وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(١١٧)} أي بسرعة التناول أو سرعة ابتلاعه بالفم شعراً:

أنت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر

أي ما يعلنون ومنه المؤتفكات أي المتلقيات.

فإن قيل: فلم أمر موسى السحرة أن يلقوا وذلك كفر منهم يجوز أن يأمر به نبي؟ قيل عن ذلك جوابان أحدهما: أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا، والثاني القول على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل.

قوله تعالى : {فَوَقَعَ الْحَقُّ} أي فظهر .

قوله تعالى: {...وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} الملأ من قومه رؤساء قومه وإنما سموا بذلك لأنهم مليون بما يراد منهم، والثاني بملأ الناس هيبتهم.

فإن قيل: فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟ قيل: لأنهم رأوا منه خلاف عادته لأن عادة الجبابرة السطوة لمن أظهر العناد وخالف وكان ذلك من لطف الله تعالى لموسى وقوله: {لِيُفْسِدُوا} أي

بعبادة غيرك فجعلوا عبادة الله تعالىٰ فساداً عندهم، ويجوز ليفسدوا فيها أي استولوا علىٰ الأرض وتغلبوا ثم قال: {وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ}.

فإن قيل: فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدقوه علىٰ قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ(٢٤)} [النازعات]؟ قال: الجواب عنه أن فرعون كان يعبد كل ما استحسنه من الأصنام والبقر ولذلك أخرج السامري عجلاً جسداً فقال: هذا إلهكم وإله موسىٰ، وقوم فرعون كانوا يعبدونه.

{قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} وإنما عدل عن قتل موسىٰ إلىٰ قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر علىٰ قتل موسىٰ إما لقوله وإما لما قد تصوره من أنه مصروف عن قتله فعدل إلىٰ قتل الأبناء ليستأصل قوم موسىٰ من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون ويستحيي نساءهم أي يستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة.

قوله تعالىٰ: {قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ} وإنما قال لهم ذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة: استعنت بالله وفيه موعد لهم بالله تعالىٰ سيعينهم علىٰ فرعون إن استعانوا به.

ثم قال: {وَاصْبِرُوا} أي علىٰ ما أنتم عليه من الشدة طمعاً في ثواب الله عز وجل وانتظار النصرة {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} وإنما أعلمهم بذلك لما تحقق أن الله تعالىٰ يورثهم أرض فرعون {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(١٢٨)} فعاقبة الدنيا النصر وعاقبة الآخرة الأجر والثواب.

قوله تعالىٰ: {قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} الأذىٰ الذي كان من قبل الاستبعاد وقتل الأبناء والذي كان من بعد الوعيد بتجديد ذلك عليهم وهذا القول منهم علىٰ وجه الاستبطاء لوعد موسىٰ {قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} عسىٰ في اللغة طمع وإشفاق وهي

من الله واجبة بمعنى يقين {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(١٢٩)} أي فيعلم وفي قول موسى ذلك لقومه أمران أحدهما الوعد بالنصر والثاني التحذير من الفساد فيها لأن الله ينظر كيف تعملون.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} والسنين الجدب والجوع عام بعد عام.

قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} المراد بالحسنة الخصب والسلامة والأمن ، والسيئة الجدب والأمراض والخوف قالوا لنا هذه أي هذا حالنا من أوطاننا وقبل اتباعنا لك جهلاً منهم وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بموسى ومن معه ويقولوا هذا من اتباعنا لك وطاعتنا لك على ما كانت العرب تزجر الطير فتشاءم بالبايع وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتيامن بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

ثم قال رداً لقولهم: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} أي طائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر من عند الله ابتلاء للخلق.

قوله تعالى: {..فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ} الطوفان هو الغرق بالماء الزائد والجراد معروف والقمل وهي دواب سود صغار قال الأعشى:

قوماً تعالج قملا أبناهم وسلاسل الحدا وباباً موصدا

وواحد القمل قملة فأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو من دواب الماء معروف وقيل إنه يوجد من فرشهم وآنيتهم ويدخل في ثيابهم ويشتد أذاه لهم ، {وَالدَّمَ} ومعنى ذلك أنهم كانوا يشربون يصير دماً عبيطاً فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء.

قوله تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} أي العذاب وذلك أنه أصابهم

سورة الأعراف

الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً من القبط {قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك.

قوله تعالى: {...وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ} أي يستغلون ويستذلون وهم بنو إسرائيل وهذه الآية تصرف أيضاً إلى شيعة آل الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والمستضعفين عند ظهور الحق منهم الموعود به ونحن إن شاء الله فيه {مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} أي المشرق والمغرب {الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} بالخصب وكثرة الأشجار والأنهار والثمار {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} وتمام كلمة الله الحسنى ما وعدهم من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وسماها الحسنى لأنه وعد ما يحبون بقوله: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ(٦)} [القصص].

قوله تعالى: {...إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٣٩)} أي هل وكل إناء مكسور يقال له متبر وتبرت الشيء إذا كسرته.

قوله تعالى: {..وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ} وهذا تذكير من الله بالنعمة عليهم {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} للاسترقاق والخدمة كباراً {وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ(١٤١)} أي ما فعله بكم فرعون من قتل الأبناء واستحياء النساء بلاء عظيم واختبار من الله جسيم، ويجوز أن يكون البلاء بمعنى النعمة وتقدير الكلام وفي خلاصكم من ذلك بلاء عظيم أي نعمة عظيمة.

قوله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} في هذه الآية قولان أحدهما: أن الثلاثين ليلة شهر أهل بصيامه والعشر بعدها أجل لمناجاة ربه، والثاني: الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه أجل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيد عشراً بعدها، وقيل إنه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة {فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}.

فإن قيل: معلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين فما معنى قوله: {فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}؟ ففي ذلك جوابان أحدهما: أنه توكيد للذكر فلم يمتنع، الثاني: ليبقى إتمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لإتمام الشيء بعض منه والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر بعمل، والوقت قدر لا يقدر بعمل.

قوله تعالى: {..قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} وإنما سأل موسى ربه الرؤية مع علمه بأنه لا يجوز عليه ليَرِدْ عليه من جواب الله تعالى ما يحتج به على من حضر الميقات من قومه حين قالوا: {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة:٥٥].

ويحتمل أن يكون موسى -عَلَيْه السَّلام- علم أن الله عز اسمه لا يرى بالاستدلال فأحب أن يكون علمه بذلك ضرورة فأجابه الله بأن قال: {لَنْ تَرَانِي} ثم أظهر من الجواب ما يعلم به استحالة مسألته: {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} وذلك لأن الجبل لا يستقر مكانه فالرؤية مستحيلة لاستحالة الاستقرار {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} أي تجلى بعض ملكوته فتدكدك وتجلى ظهر، مأخوذ من جلي العروس إذا ظهرت لزوجها، وجلي السيف إذا أزال ما عليه من الصدأ.

قوله تعالى: {جَعَلَهُ دَكًّا} يعني مستوياً بالأرض من قوله: ناقة دكا إذا لم يكن لها سنام، وقيل إنه تقطع وساخ في الأرض {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}

سورة الأعراف

أي مغشياً عليه {فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ} وإنما تاب من سؤال المستحيل مع العلم به والسؤال لم يكن له فيكون آثماً فيه وإنما سأل لقومه حتى يصير لهم العلم باستحالة الرؤية على بارئهم مثل ما صار له {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ(١٤٣)} وأنا أول المؤمنين باستعظام الرؤية وأنه لا يراك شيء من خلقك.

{..وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ} وإنما سمي اللوح لوحاً لأن المعاني تتبين فيه بالكتابة فكلما استبان فيه معنى من المعاني فهو لوح والألواح هو ما أنزل الله عليه من الصحف والتوراة التي يتلو فيها الحلال والحرام والمحظور والمباح والواجب وغير الواجب.

وفي قوله: {مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا} فالموعظة النواهي والتفصيل الأوامر {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} أي بجد واجتهاد وصحة وعزيمة {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} لم يقل ذلك لأن فيها غير الحسن ولكن أراد بالأحسن المفروضات دون المباحات والناسخات دون المنسوخات {سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ(١٤٥)} وهي جهنم وقيل المراد بها مصر فرعون.

قوله تعالى: {...وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} والأسف المتأسف على فوت ما سلف، الحزين على ما فرط ، الشديد الغضب على ما عاين {قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي} يعني بعبادة العجل {أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} يعني وعد ربكم الذي وعدني به من الأربعين ليلة وقد ذكرنا الفرق بين العجلة والسرعة فيما مضى {وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ} التوراة وسبب إلقائها من غضبه حين رآهم يعبدون العجل {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} أي أخذه بجملة رأسه.

فإن قيل: فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له؟ فعن ذلك جوابان

أحدهما: أن هذا الفعل مما قد يتغير حكمه بالعادة فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن، والثاني: أن ذلك منه كقبض الرجل الآن متى قبض على لحيته وعضه على شفتيه عندما يغمه من الأمور، فقال: يا{ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي} وكان هارون أخا موسى لأبيه وأمه وإنما قال ذلك على عادة العرب استعطافاً بالرحم شعر:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خليتني لأمر شديد

قوله تعالى: {...وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا} أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف منها والعزم على أن لا يفعل مثلها.

فإن قيل: فالتوبة إيمان فما معنى قوله: {ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا} يعني أنهم تابوا من المعصية واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة، والثاني: آمنوا بأن الله قابل للتوبة.

قوله عز وجل: {..وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا} وفي الكلام محذوف وتقديره واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقاتنا، وفي قوله: لميقاتنا وهو الميقات المذكور في سؤال الرؤية {فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} وهي النار التي وقعت عليهم من الصاعقة فأحرقتهم وماتوا ثم أحياهم الله بعد ذلك {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ} بسؤالهم المحال والذي لا يجوز عليك من الأوصاف {وَإِيَّايَ} بدخولي معهم في السؤال ما لا يجوز مع العلم باستحالته وعدم الجواز عليه {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} فيه قولان أحدهما: أنه سؤال استفهام خوفاً من الله تعالى أن يكون قد عمهم بانتقامه كما قال: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال:٢٥]، والثاني أنه سؤال نفي وتقريره أنك لا تعذب الأمة

سورة الأعراف

بنا كيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ} والفتنة الاختبار ويجوز أن تكون بمعنى العذاب فيكون معنى الإضلال الهلاك والهداية إلى ثواب الجنة.

قوله تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ} وفي الحسنة وجهان أحدهما: أنها النعمة لحسن موقعها في النفوس، والثاني: أنها مستحقة الطاعة {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} معناه تبنا إليك ورجعنا بالتوبة عن المعاصي إليك لأنه من هاد يهود إذا رجع لأنه قال: {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ} في التقديم والتأخير {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} أي رحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لقوله: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} أي رحمته لا تسع إلا المؤمنين أي المطيعين لي دون الفجار العصاة {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} أي زكاة أموالهم لأنه من أشق فرائضه ولأنها تطهر نفوسهم وأبدانهم.

ثم بين من هم فقال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} لأن في التوراة مكتوباً عندهم إني سأقيم لهم نبيئاً من إخوانهم مثلك وأجعل كلامي في فيه فيقول لهم كما أوصيته به وفيها وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسأدخره لأمة عظيمة. وفي الإنجيل: يا سادة بالغار خليط في مواضع منها يعطيكم فاز ليط آخر ليكون معهم آخر الدهر كلها وفيها إنه يخبركم بجميع الحق ويخبركم المرء معه ويمدحني ويشهد لي فهذا تفسير قوله: {يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ}.

ثم قال: {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ} وهو الحق {وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} وهو الباطل، وإنما سمي الحق معروفاً لأنه معروف الصحة وينهى عن

المنكر وإنما سمي المنكر منكراً لأنه منكر الصحة في العقول.

ثم قال: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ} يعني ما كانت الجاهلية تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} يعني ما كانوا يستحلونه من أكل لحم الخنزير والدماء {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} والإصر هو التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم وتحريم العروق وغير ذلك من الأمور الشاقة {وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} وأراد بالأغلال المواثيق التي كانت آخذت عليهم فيما حرمه عليهم {فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ} أي عظموه ومنعوه من أعدائه ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعهم من العود إلى مثله {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ} يعني القرآن آمنوا به بعده.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال لأصحابه: ((أي الخلق أعجب إيماناً إليكم؟)) قالوا: الملائكة فقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون)) فقالوا: نحن يا نبي الله فقال: ((أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون)) فقالوا: يا نبي الله فمن؟ قال: ((هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به)) فهو معنى قوله: {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ}.

قوله عز وجل: {...وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ} قيل: إن هؤلاء قوم على ملة موسى من وراء الصين لم يبلغوا دعوة النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، والثاني: أنه في كل من أسلم من اليهود وآمن برسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- مثل ابن سلام وغيره.

قوله تعالى: {...وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} وفي اشتقاق القرية من قولهم قرى الماء في الحوض إذا جمعه، وإنما سميت قرية لأن الناس يجتمعون إليها كما يجتمع الماء في الحوض، والقرية: هي بيت المقدس.

سورة الأعراف

فإن قيل: فكيف يسمى المأوى مسكناً والإنسان في أكثر أحواله متحرك في مسكنه؟ قيل: لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكناً وإن كان في بعضها متحركاً.

قوله عز وجل: {...وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} قيل إن هذه القرية هي إيلة وسؤالهم عن هذه القرية سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} هو تعديهم فيه بفعل ما نهوا عنه {إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا} أي تشرع إليهم من كل مكان حتى تنتهي إلى أبوابهم فعدوا فأخذوها في السبت.

قوله تعالى: {...وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ} وهو تفعّل من الإذن ومعناه أعلم قال الأعشى:

أذن القوم بجيرتي مخلوف ... صرموا حبل إلف مألوف

{لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} هو الذلة وأخذ الجزية.

قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} أي فرقناهم فيها فرقاً، وفي تفريقهم وجهان أحدهما: أراد بالانتقام منهم، والثاني: بتمييز الصالح من المفسد كما قال: {مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} ثم قال: {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} أي بالنعم والنقم والخصب والجدب.

قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} والخلف بتحريك اللام مستعمل في الحمد وبتسكين اللام مستعمل في الذم {وَرِثُوا الْكِتَابَ}

يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى} يعني الرشوة على الحكم {وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} أي أنه مغفور لنا لا نؤاخذ به {وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} يعني أنهم أهل الإصرار عن الذنوب فلا يسعهم شيء يأخذوه لحاجة {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} في تحريم الحكم بالرشا وكذلك في جميع الطاعات والمعاصي والأوامر {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} أي تلوا ما فيه فهم لا يجهلون شيئاً منه ويقدمون على مخالفته مع العلم به.

قوله تعالى: {..وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} أي زعزعناه ومنه قول العجاج:

قد جربوا أخلاقنا الجلائلا ونتقوا أحلامنا الأثائلا

وقيل: رفع الجبل عليهم وعسكرهم فرسخ في فرسخ وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبو أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة فوعظهم موسى فلم يقبلوا فرفع الجبل فوقهم فقيل إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم؛ فقالوا: نأخذه بقوة ثم نكثوا بعد {وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين أي لما عاينوا من ارتفاعه {خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي بجد واجتهاد ونية صادقة وطاعة خالصة.

قوله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أي أخرجهم قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وفي إشهادهم على أنفسهم {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} على هذا التأويل قولان أحدهما: أنه قال ألست بربكم على لسان الأنبياء، والثاني: أنه جعل لهم عقولاً علموا ذلك فشهدوا به على أنفسهم والذرية مأخوذة من ذرء الله الخلق إذا أظهرهم وأحدثهم.

قوله عز وجل: {...وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا} وهو بلعم

بن باعورا كان عنده بعض كتب الأنبياء فرشاه قومه على أن يسكت عنهم ولا يتعرض لهم ففعل ذلك فأقرهم على كفرهم ورضي بذلك {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} هو الذي أغواه من شياطين قومه فأخذ الرشوة فصيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه يقال: اتبعت القوم إذا لحقتهم وتبعتهم إذا سرت خلفهم.

قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} أي ولو شئنا لخلّينا بينه وبين الكفر حتى يصير مرفوع المنزلة {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} أي ركن إليها أي ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة ربه وقد بين في قوله: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} ثم ضرب مثله بالكلب {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}.

قوله تعالى: {...وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم لكفره ومعصيته كثيراً من الجن والإنس، واللام في جهنم لام العاقبة {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا} أي لا يفقهون الحق وأعين لا يبصرون بها الرشد {وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} الوعظ فصاروا بترك استعمالها بمنزلة من عدمها كما قال مسكين الدارمي:

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الخدر
وأصم عما كان بينهما ... سمعي وما بالسمع لي وقر

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} كل أسمائه حسنى غير أن منها ما هو مستحقه لنفسه كقولنا: القديم أي هو الأول قبل كل شيء والباقي بعد فناء كل شيء والقادر الذي أتقن كل شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء والحي الذي لا يموت والواحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير الذي لا يعزب عنه شيء، والغني بنفسه عن كل شيء.

وفي الدعاء بها وجهان أحدهما: ندعوه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب، والثاني: تعظيمه بها تعبداً له بذكرها.

{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} أي يجورون ويعدلون عما أمروا به ويشركون في عبادته ومعنى إلحادهم أنهم اشتقوا آلهتهم من أسماء الله كما سموا بعضها اللات اشتقاقاً من الله وبعضها بالعزى اشتقاقاً من العزيز.

قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(١٨١)} وهم علماء آل الرسول عليه وعليهم السلام.

قوله تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(١٨٢)} والاستدراج أن ينطوي على حاله منزلة بعد منزلة وفي اشتقاقه وجهان أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء، والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه عن منزلة بعد منزلة وأراد باستدراجهم أي في الهلكة من حيث لا يعلمون بالاستدراج والهلكة.

قوله تعالى: {...مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ} أي من يضلله عن طريق الجنةإلى النار فلا هادي له {وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٨٦)} والطغيان إفراط العدوان وقد مضى تفسير يعمهون.

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ} قيل إن السائل عنها قريش ومعنى {أَيَّانَ} أي متى قال الراجز:

أيان تقضي حاجتي أيانا أما ترى لنجحها إيانا

و{مُرْسَاهَا} قيامها وظهورها {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} أي لا يعلم وقتها إلا هو نفى أن يعلم وقتها غير الله وربما أن يكون أخبر بها جهة الله {ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي على أهل

سورة الأعراف

السماوات والأرض قيام الساعة {لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} يعني على غفلة لأنها لا يعلمها غير الله ولم يرد الإخبار بها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال: {يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} أي عالم بها ويجوز أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون معنى الكلام ويسألونك عنها كأنك حفي بهم على التقديم والتأخير وكأن بينك وبينه مودة توجب برهم من قولهم: {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا(٤٧)} [مريم].

قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} أي لا أملك القدرة عليها من نافع ولا ضار {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} أن يملكني إياه فأتملكه بمشيئته {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} أي من العمل الصالح {وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} أي بعذاب العاجل والآجل.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} يعني آدم {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} يعني حواء {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} أي ليأوي إليها ويألفها ويميل إليها ويتعطف عليها {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} يعني بالإفضاء والإصابة {حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} يعني الماء الذي من نطفة آدم وكان خفيفاً عليها {فَمَرَّتْ بِهِ} أي استمرت إلى حال الثقل وقيل إنها شكت أحملت أم لا {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} يعني آدم وحواء {لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(١٨٩)} أي غلاماً سوياً.

{فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ} المكنى عنه بقوله: {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا} ابن آدم وزوجته الذين أشركا فليس براجع إلى آدم وحواء.

قوله تعالى: {...أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا} يعني للأصنام في مصالحكم {أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا} يعني في الدفع عنكم {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ

بِهَا} يعني مضاركم من منافعكم {أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} دعاءكم وتضرعكم.

فإن قيل: فلم أنكر عبادة من لا رجل له ولا يد ولا عين؟

قيل: عنه جوابان: أحدهما أن من عبد جسماً لا ينفع كان ألزم ممن عبد جسماً ينفع، والثاني: أنه عرفهم أنهم متفضلون عليها فكيف يعبدون من هو أفضل منهم.

قوله تعالى: {...خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} والعفو ما كان يفضل من أموالهم قبل فرض الزكاة ثم نسخ بآية الزكاة، والعفو ما كان يعفو عن المشركين قبل الجهاد ثم نسخ بآية السيف، وأمر بالمعروف أي بالعرف ومكارم الأخلاق وذلك كما روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه سأل جبريل -عَلَيْه السَّلام- عن العرف فقال: ((يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك)).

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(١٩٩)} وهذه الآية منسوخة بآيات السيف وليس في القرآن آية أولها منسوخ وآخرها منسوخ ووسطها محكم غير هذه الآية.

قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ} والنزغ هو الإنزعاج والغضب {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٠٠)} أي سميع لجهل من جهل عليم بما يزيل عنك النزغ.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ} وقرئ (طيف) ومعناهما واحد وإن اختلف اللفظ ومعناهما الوسوسة والغضب {تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ(٢٠١)} أي علموا فإذا هم منتهون.

قوله تعالى: {..وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا} أي هلا أنشأتها من قبل نفسك واخترتها لنفسك.

سورة الأعراف

قوله تعالى: {..وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ} أي لقراءته {وَأَنْصِتُوا} أي لا تقابلوه بكلام ولا إعراض {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٢٠٤)} وهذه الآية نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت لقراءته ولا يقرأ فإذا حضر الجمعة أنصت لخطبة الإمام ولم يتكلم.

قوله تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا} والمقصود بالذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله عز وجل الموجبة لطاعته، ويحتمل أن يكون الذكر باللسان إما تعظيماً له بالآية أو رغبة إليه في دعائه وهذا خطاب للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وحكمه عام في جميع المكلفين.

ثم قال: {تَضَرُّعًا وَخِيفَةً} أما التضرع فهو التواضع والخشوع، وأما الخيفة فمعناه مخافة منه {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} يعني الإسرار بالقول إما بالقلب أو باللسان على ما تقدم من التأويلين ثم قال: {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} أي بالبكر والعشيات {وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ(٢٠٥)} أي عن الذكر والعمل.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} يعني الملائكة {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} أي عن التسبيح له والصلاة والخشوع ولا يغفلون عن طاعته في أوامره ونواهيه {وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ(٢٠٦)} هذا أول سجدات التلاوة في القرآن وسبب نزولها ما قاله كفار مكة: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا(٦٠)} [الفرقان]، فأنزل الله هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا على هذه الحالة في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولى.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الأنفال وهي كلها مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالىٰ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} وهذا خطاب لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حين سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال والأنفال الخمس من الفيء والغنائم الذي جعله الله سبحانه لأهل الخمس، والنفل الزيادة من الخير ومنه صلاة النافلة قال لبيد بن ربيعة:

إن تقوى ربنا خير نفل   وبإذن الله ربي وبالنحل

وقيل إن الأنفال الغنائم، والسبب في نزول هذه الآية ما روينا أن الناس يوم بدر قال لهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((من صنع كذا فله كذا)) فسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله تعالىٰ عليهم جاءوه يطلبون ما جعل لهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردء لكم فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} والآية ثابتة الحكم، ومعنى ذلك قل الأنفال لله وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة والرسول يضعها في مواضعها التي أمر الله عز وجل بوضعها فيه.

قوله تعالىٰ: {...كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} أي كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهة فريق ممن يعد نفسه من المؤمنين كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق {وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ(٥)} أي كارهون خروجك من مكة إلى المدينة.

قوله تعالىٰ: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ} يعني في القتال يوم

بدر والمنازع له طائفة ممن كان معه من أصحابه الذين ظاهرهم الإسلام وباطنهم النفاق فخرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أمروا بالقتال فجادلوا طلباً للرخصة وقالوا: ما تناهينا في الخروج للقاء العدو فأنزل الله تعالى: {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ(٦)} لأن من يساق إلى الموت وهو عالم به وناظر إليه أشد لحاله.

قوله تعالى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} وسبب ذلك أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان هم رسول الله بأخذها والخروج لها وسار فبلغ ذلك قريش فخرجت للمنع منها فلما علم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ذلك شاور أصحابه فقال من صح يقينه منهم: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض بنا يا رسول الله ما أردت فوحق من بعثك بالحق نبياً إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته فنخوضه معك وكسر قوم عليه وقالوا: لم نخرج باستعداد ولا أهبة جهاد فسار رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقال: ((سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين {أَنَّهَا لَكُمْ} يعني العير والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)) فذلك معنى قوله: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ} يعني العير التي مع أبي سفيان أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها.

{وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } إلى غير ذات الحرب وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج وفي الشوكة التي كنى بها عن الحرب وجهان أحدهما: الشداد فكنى بها عن الحرب لما فيها من الشدة، والثاني أنها السلاح وشاك في السلاح فكنى بها

عن الحرب لما فيها من السلاح.

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} أي إظهار الحق بإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من موعده والثاني أن يحق الحق في أمره لكم أن تحادوا عدوكم ليحق الحق معناه ليظهر الحق {وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} أي يذهب بالباطل، وهذه الآية نزلت قبل قوله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} وهي في القراءة بعدها.

قوله تعالى: {أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ(٩)} أي مع كل ملك ملكٌ فيكون الألف ألفين والثاني: متتابعين إمداداً للمسلمين بهم {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ} والبشرى هي مددهم بألف من الملائكة مردفين يبشرونهم بالنصر فكانت هي البشرى التي ذكرها الله عز وجل والبشرى أيضاً كانت بالنصر التي عجلها الله لهم والملائكة لم يقاتلوا ولكن نزلوا بالبشرى {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} لئلا يتوهم أن النصر جاء من قبل الملائكة إلا من قبل الله تعالى.

قوله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} وذلك أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وكثير من أصحابه غشيهم النعاس ببدر يعني به الدعة وسكون الخوف {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} لأن الله تعالى أنزل عليهم ماء من السماء معونة لهم بثلاثة أمور أحدها: الشرب وإن كانوا على ماء، والثاني: وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن [الرمل تلبد][1] بالماء حتى أمكن المسلمين القتال عليه، والثالث ما وصفه الله تعالى من حال التطهير من الإحداث والأدران التي نالتهم وإنما خصه

[1]- هذه زيادة والذي في الأصل : وهو أن الرجل يلتذ بالماء ..إلخ.

سورة الأنفال

بهذه الصفة لأنها من أخص صفاته وألزمها {وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} أي وسوسته بأن القوم قد غلبوا على الماء وكيده بقوله: ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} أي ثقة بالنصر والظفر والاستيلاء على الماء {وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ(١١)} أي بالصبر الذي أفرغه عليهم حتى ثبتوا لعدوهم على الرمل الذي تلبد.

قوله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ} أي معينكم {فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أي فثبتوهم بحضوركم معهم في الحرب وبشراكم لهم بالنصر والغلبة وأنه لا بأس عليكم من عدوكم {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} يعني الخوف وذلك أن الله سبحانه ألقى في قلوب المشركين الخوف حتى تخاذلوا فيما بينهم وكثر الله المسلمين في أعينهم، وإنما قال ذلك لهم ليثبتوا به الذين آمنوا {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} ويجوز أن يكون فوق صلة والتقدير فاضربوا الأعناق، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله إنما بعثت لضرب الرقاب وشد الوثاق {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ(١٢)} يعني المفاصل ومن أطراف الأيدي والرجل والبنان أطراف أصابع اليدين والرجلين.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} والزحف الدنو قليلاً قليلاً {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ(١٥)} يعني به الهزيمة منهم والانصراف عنهم وذلك مخصوص وذلك أن الله سبحانه وتعالى أوجب في أول الإسلام على كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم منهم وذلك بقوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا

﴿أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال:٦٥]، ثم نسخ ذلك منهم بعد كثرتهم وامتداد شوكتهم فأوجب الله على كل رجل من المسلمين لاقى المشركين محارباً أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن يقف بإزاء عشرة تخفيفاً ورخصة، وذلك بقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أي بدخول من لا بصيرة له في الإسلام ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ فصار حتماً على من لاقى العدو من المشركين زحفاً أن لا ينهزم مع القوة على المصابرة حتى يقضي الله من أمره ما يشاء فإن الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإن قاتله أكثر من مثليه جاز أن يولي عنه وإن قاتله مثلاه فما دون فإنه حرام عليه أن يولي عنه منهزماً إلا على أحد صفتين إما أن يتحرف لقتال وهو أن يهرب ليطلب أو يفر ليكر فإن الحرب كر وفر وهرب وطلب، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى قريبة منه أو بعيدة ليقاتل معها وذلك ظاهر في قوله: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ والآية على العموم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فلم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرواحهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وقيل إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال: ((شاهت الوجوه)) فألقاها في أبصارهم حتى شغلهم بأنفسهم وأظفر المسلمين بهم فهو معنى قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

قوله تعالى: ﴿..إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ أي النصر وهذا خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأنهم قالوا: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصرنا عليه فنصر الله نبيئه والمسلمين عليهم.

سورة الأنفال

ثم قال: {وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} لأن استنصارهم كان عليهم لا بهم {وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ} أي وإن تعودوا إلى مثل هذا الاستفتاح نعد إلى مثل هذا النصر وقيل إنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله يوم بدر حين استنصروه ثم قال: {وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} يعني عما فعلتموه في الأسرى والغنيمة، وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد للإنكار عليكم.

قوله تعالى: {...إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ} أما الدواب فهو اسم لكل ما دب على الأرض من حيوان لدبيبه عليها مشياً وإن كان بالخيل أخص والمراد بشر الدواب الكفار لأنهم شر ما دب على الأرض من حيوان ثم قال: {الصُّمُّ} لأنهم لا يسمعون الوعظ {الْبُكْمُ} جمع أبكم وهو المخلوق أخرس وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله عز وجل ولا بلوازم طاعته ثم قال: {الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ(٢٢)} عن أمر الله ونهيه ولا يعتبرون اعتبار العقلاء .

{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} أي أسمعهم الحجج والمواعظ سماعاً يفهم ويعلم .

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} يعني أجيبوا الله والرسول والاستجابة بمعنى الإجابة وقد مر الكلام فيها {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} يعني إذا دعاكم للإيمان والحق وجهاد العدو لأن في ذلك كله دوام الحياة وإحياء الأمر والذكر {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} أي يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك.

قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} الفتنة في هذا المكان المنكر أمر الله المؤمنين أن لا يقروه بين أظهرهم فيعمهم

العذاب.

قوله تعالىٰ: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ} يريد بذلك قلتهم حين كانوا بمكة واستضعاف قريش لهم ذكرهم الله نعمته عليهم وأنه عز وجل صدق وعده لهم {تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} والمراد بالناس المشركين من قريش وغيرها {فَآوَاكُمْ} أي جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين ونقلكم بالهجرة من مكة إلى المدينة {وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} أي قواكم بنصره على أعدائكم يوم بدر {وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} أي من الغنائم، وهذه الآية نزلت في المهاجرين خاصة بعد بدر.

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} كما صنع المنافقون في خيانتهما ولا تغلوهما فيما أخذتموه من الغنائم أن تحضروه إلى المغنم وأن تؤدوا الأمانة فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام وسائر الأمانات {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٧)} أنها أمانة من غير شبهة ثم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من يجهل.

وهذه الآية نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر وقد أرسله رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم سعد فاستشاروه وكان قد أحرز أمواله وأولاده عندهم فأشار أن لا تفعلوا وأومى بيده إلى حلقه – إنه الذبح– فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية إلى قوله: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٢٨)} أي ما عند الله من الأجر خير من الأموال والأولاد.

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} أي هداية تفرقوا بها بين الحق والباطل وتهتدون بها إلى طريق النجاة.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} وذلك أن قريشاً تآمروا في دار الندوة على رسول الله صَلَّى الله

سورة الأنفال

عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال عمرو بن هشام قيدوه واحبسوه في بيت تتربصون به ريب المنون وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم على جمل مطرود تستريحون من أذيته لكم، قال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فأوحى الله إلى نبيه بذلك فخرج إلى الغار مهاجراً إلى المدينة.

قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} أي مثل هذا في النظم والبيان معارضاً في الإعجاز {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(٣١)} يعني أحاديث الأولين وقصصهم وأخبار من تقدم وليس بوحي من الله تعالى، وهذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة قتله النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم صبراً في جملة ثلاثة من قريش عقبة بن أبي معيط والمطعم بن عدي والنضر بن الحارث وكان أسير المقداد فلما أمر النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- به قال المقداد: أد أسيري يا رسول الله فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((اللهم أعز المقداد)) فقال: هذا أردت فأنزل الله تعالى الآية التي بعدها: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٢)} وإنما قال ذلك عناداً للحق وبغضاً للرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} وإنما قال ذلك إكراماً لنبيه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وإجلالاً لقدره أن يعذب قوماً هو بينهم تغليباً لحرمته وأنه أرسل إليهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بخروجه منهم {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(٣٣)} أي وهم يتوبون في الدنيا ويرجعون إلى الطاعة.

قوله تعالىٰ: {..وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً}
والمكاء الصفير ومنه قال عنترة:

وحليل غانية تركت مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعلم

أي تصفر بالريح والتصدية التصفيق ومنه قول عمرو بن الأطباية:

وصلوا جميعاً لهم ضجة مكاء لدىٰ البيت بالتصدية

فإن قيل: فلم سمىٰ الله ما كانوا يفعلونه من المكاء والتصدية صلاة وليس منها؟ قيل: عن ذلك جوابان أحدهما: أنهم كانوا يقيمون الصفير والتصفيق مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم تكن في حكم الشرع صلاة. والثاني: أنهم يعملون كعمل الصلاة.

{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(٣٥)} قيل: العذاب هو قتلهم يوم بدر بالسيف ويجوز أن يقال لهم في الآخرة فذوقوا العذاب روي أن النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- كان إذا صلىٰ في المسجد قام من كفار بني عبد الدار بن قصي رجلان عن يمين النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- يصفران كما يصفر المكاء وهو طائر ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته وقراءته.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} في النفقة قولان أحدهما: أنها نفقة قريش في قتال رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- يوم بدر، والثاني: أنه أبو سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابش من كنانة وفي ذلك يقول كعب بن زهير:

وجئنا إلىٰ موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

سورة الأنفال

قوله تعالى: {..قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} من الآثام {وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ(٣٨)} أي من الأمم السالفة فيما أخذهم الله عز وجل به في الدنيا من عذاب الاستئصال.

قوله تعالى: {...وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} ذكر الله تعالى الفيء في سورة الحشر، والغنيمة في هذه السورة ، والغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرضين وقيل إنها سواء في المعنى الغنيمة وقوله تعالى: {مِنْ شَيْءٍ} يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح مما أحرزه المسلمون من أموال المشركين.

وقوله: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} والخمس يقسم على ستة أجزاء فجزء لله تعالى وجزء لرسوله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وجزء لقربى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وهم أربعة بطون: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس، وجزء لليتامى، وجزء للمساكين، وهؤلاء الثلاثة الأصناف من اليتامى والمساكين وابن السبيل من آل الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فاليتيم من مات أبوه وإن كانت أمه باقية وهو صغير دون الحلم لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يقول: ((لا يتم بعد الاحتلام)) وأن يكون ذا حاجة.

فأما سهم الله عز وجل فإن الإمام يصرفه في أمور الله عز وجل وما يقرب إليه من نحو إصلاح طريق المسلمين وحفر آبارهم وبناء مساجدهم ودمها وما أشبه ذلك حسبما يؤديه إليه اجتهاده.

وأما السهم الذي لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فهو للإمام القائم مقامه ينفق منه على عياله وخيله وغلمانه ويصرفه بما ينفع المسلمين.

وأما سهم قربى الرسول فقد ذكرناه وذكر القرابة وإيتاؤها فيه سواء وهو لمن كان مستمسكاً منهم بالحق ونصرته فأما من صدف عنه فلا حق له

فيه والأربعة الأخماس من الغنيمة يقسم لمن شهد القتال فيضرب للفارس سهمان سهم له وسهم لفرسه، وللراجل سهم واحد.

قوله تعالىٰ: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} يعني شفير الوادي الأقصىٰ إلىٰ مكة {وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} يعني عير أبي سفيان أسفل الوادي علىٰ شاطئ البحر بثلاثة أميال {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} ومعنىٰ لو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد بالتقدم والتأخر والزيادة والنقصان من غير قصد ويحتمل: ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد.

قوله تعالىٰ: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} وهذا خطاب للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أرىٰ نبيئه في منامه قلة المشركين تثبيتاً له ولطفاً أنعم الله به عليه وعلىٰ أمته ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم علىٰ لقاء العدو.

قوله تعالىٰ: {...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} والريح أراد به الدولة وقيل إنها ريح النصر التي يرسلها الله لنصر أوليائه وهلاك أعدائه.

قوله تعالىٰ: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ} هم قريش حين خرجوا في حماة العير والذب عنها فقال لهم أبو جهل: لا نرجع حتىٰ نرد بدراً وننحر جزراً ونشرب خمراً وكان من أمر الله عز وجل ما كان.

قوله تعالىٰ: {..إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} هم قوم مرتابون لم يظهر فيهم من العداوة ما ظهر من سائر المنافقين وإن كانوا في النفاق سواء والمرض الشك وهو مشهور في كلام العرب ومنه قول الشاعر:

ولا مرضاً أبغيه إني لصاين ... لعرضي ولا في الأولية مفخر

سورة الأنفال

قوله عز وجل : {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} الإسلام ولأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليستهينوا بهم حتى أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} يوم القيامة [وجوههم] إذا جاءوهم وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

قوله تعالى: {...ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ} بالنصر لهم على أعدائهم {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} من الثقة والتوكل عليه وإيثار طاعته واجتناب معصيته وأيضاً لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله عز وجل.

قوله تعالى: {...وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} أي فألق إليهم عهدهم حتى لا تنسبوا إلى الغدر، ومعنى على سواء أي على عدل من غير خلف قال الراجز:

فاضرب وجوه الغُدَّر الأعداء ... حتى يجيبوك إلى السواء

وقيل: السواء بمعنى الوسط قال حسان:

يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

يعني في وسط اللحد وقيل هذه الآية نزلت في بني قريظة.

قوله تعالى: {..وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} والقوة السلاح والرمي وروينا أن رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله– خطب فقال على منبره:

((قال الله عز وجل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} ألا وإن القوة الرمي -ثلاثاً-)) {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} أي عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة {وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} هم المنافقون لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلمهم لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وأفعال القلوب ما لا يطلع عليها إلا الله تعالى.

قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} أي فإن مالوا إلى الموادعة فمل إليها وهي عامة في كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:٥].

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٦٤)} أي حسبك الله أن تتوكل عليه والمؤمنون أن تقاتل بهم نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، وتحتمل وجهاً آخراً حسبك الله وحسب من اتبعك من الله.

قوله عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني يقاتلوا ألفاً وهذا كان يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فشق عليهم ذلك فنسخ بقوله {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ}.

قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} هذا نزل في أسرى بدر حين استقر رأي النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فيهم بعد مشاورة النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أصحابه على الفداء بالمال كل أسير بأربعة آلاف درهم فنقض الله عليهم ذلك الرأي وأنه ما كان لنبي أن يفادي الأسرى حتى يثخن في الأرض وهوكثرة القتل ليعز به

المسلمون ويذل به المشركون {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} يعني المال سماه عرضاً لقلة بقائه {وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة. {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨)} والكتاب القرآن الذي آمنتم به المقتضي غفران الصغائر {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} من المفاداة لكنه سبق كتابه أن تكون المؤاخذة منه لمن أتى محظوراً على وجه العلم والعمل فأما من أتاه على سبيل الجهل والسهو فلا شيء عليه؛ ثم إن الله تعالى بين تحليل الغنائم والفداء بقوله: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا}.

قوله تعالى: {...إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني بالله {وَهَاجَرُوا} يعني ديارهم {وَجَاهَدُوا} يعني في طاعة الله عز وجل {بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} والمجاهدة بالمال النفقة والمجاهدة بالنفس القتال وهؤلاء هم المهاجرون مع النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في المدينة.

ثم قال: {وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا} يعني الأنصار الذين آووا ، المهاجرين في منازلهم {وَنَصَرُوا} النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ونصروهم {أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أي أولئك بعضهم إخوان بعض.

وروينا أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال: ((إن الله عز وجل جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام)) ثم قال: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} يعني ما لكم من ميراثهم شيء حتى يهاجروا وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأحزاب:٦]، يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وكان التوارث لذوي

الأرحام.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ(٧٣)} يعني بغلبة الكفار وفساد كبير لضعف الإسلام، وأيضاً يحتمل تكن فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد كبير بكثرة المنازعات والفتن.

قال الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح بن الحسين بن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

سورة براءة[1] مدنية

قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} في ترك افتتاح هذه السورة بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قولان أحدهما: أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولى في ذكر العهود والثانية نزلت في رفع الرحم أمان وبراءة نزلت برفع الأمان ونزلت سنة تسع من الهجرة فأنفذها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- مع أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- في الموسم بعدما سلمها إلى أبي بكر فاستردها منه بأمر من الله عز وجل نزل به جبريل وقال: ((لا يبلغها إلا أنت أو رجل منك)) فسلمها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- إليه فقرأها أمير المؤمنين في يوم النحر على جمرة العقبة وكان قدر ما قرأ عشر آيات من أولها.

ثم قال: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} وفيمن جعل له أمان هذه الأربعة أشهر ما روينا أن الله تعالى جعلها أجلاً لمن كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب.

وفيه وجه ثان: وهو أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها ومن كان عهده أقل منها رفع إليها، ومن لم يكن

---

[1]- لبراءة عدة أسماء : براءة التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم، وعن حذيفة -رضي الله عنه-: إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. تمت لفظ الكشاف.

له عهد من رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلىٰ سلخ المحرم لقوله: {...فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} وأول مدة الأشهر الحرم يوم الحج وهو يوم النحر وآخرها انقضاء العاشر من ربيع الآخر.

وقوله تعالىٰ: {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} والأذان هو النداء بالأمن الذي يسمع بالأذان وهو الإعلام يقال: آذنته بالصلاة أي أعلمته، والحج الأكبر هو يوم النحر لما روينا أن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- خطب يوم النحر علىٰ ناقته العضبا وقال: ((أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر)) ويجوز أن يعبر عن أيام الحج باليوم كما يقال: هذا يوم الجمل ويوم صفين أي أيامه كلها، وسمي الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين في الحج وواقع أيضاً عيد اليهود والنصارىٰ.

قوله تعالىٰ: {...فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} والأشهر الحرم أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب، وفي هذا الموضع أراد الأشهر التي جعلها الله أن يسيحوا فيها آمنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر.

قوله تعالىٰ: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} يعني وإن أحد من المشركين استأمنك فآمنه، وقوله: {فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} أي القرآن ليهتدي من ضلاله ويرجع من كفره {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} يعني إن أقام علىٰ الشرك وانقضت مدة الأمان {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ(٦)} أي الرشد من الغي واستباحة ذراريهم ودمائهم وأهاليهم عند انقضاء مدة أمانهم.

قوله تعالىٰ: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ} المراد إذا حذروا

سورة التوبة

وقاتلوا فليس لهم عهد {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني خزاعة وقريشاً {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا لهم عليه وهذا يدل على أنهم إن نقضوا العهد سقط أمانهم وحلت دماؤهم.

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} يعني بقوة حتى يقدروا على الظفر بكم {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} والإل العهد وقد يكون بمعنى اليمين كما قال ابن مقبل:

أفسد الناس حلوف حلفوا   قطعوا الإل وأعراف الرحم

والإل قد يكون بمعنى القرابة كما قال حسان:

فأقسم إن إلك من قريش   كإل السقب من ذاك النعام

والذمة العقد والمذامة { يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} أي يرضونكم بأفواههم القراءة بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر ويحتمل يرضونكم بأفواههم بالطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية.

و{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} آيات الله حججه ودلائله والثمن القليل ما جعلوه بدلاً، وهذه الآية عامة فيمن أنكر نبوة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصد الناس عن الإيمان بما جاء به والإقرار بنبوته.

قوله تعالى: {...وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} أي نقضوا عهدهم الذي نقضوه بأيمانهم {وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} وهو إظهار الفساد فيه {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} وأئمة الكفر زعماؤهم كأبي سفيان وأبي جهل {إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} بفتح الألف وجمع اليمين لأنهم ينقضونها وقرئ

بكسر الألف يعني أنهم كفرة لا إيمان لهم.

قوله تعالىٰ: {...وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} والوليجة فيها وجهان أحدهما: الخيانة والثاني البطانة، واشتقاقها من ولج في الشيء إذا دخل فيه قال طرفة:

فإن القوافي يتلجن موالجا تضايق عنه أن تولجه الإبر

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} يعني المسجد الحرام، وعمارتهم بالزيارة والدخول فيه وهم كفار {شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} يعني أن ما يقولونه ويفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم وشهادتهم فكان ما ذكرناه هو شهادتهم على أنفسهم.

ثم قال: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} ومعنى ذلك أن عمارة المساجد بالزيارة والصلاة فيها تكون ممن آمن بالله واليوم الآخر وكذلك لا يرغب في بنائها إلا المؤمنون دون الكافرين {فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ(١٨)} فيه وجهان أحدهما أنه قال ذلك لهم تحذيراً من فعل ما يخالف هدايتهم، والثاني: أن كل عسى من الله واجبة وإن كان من غيره ترجياً.

قوله تعالىٰ: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني بعمارته السدانة والقيام به {كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ} وهذه الآية نزلت في شأن أمير المؤمنين والعباس لما افتخر العباس بسقاية الحاج فبين الله تعالىٰ فضل أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- عليه بالإيمان والجهاد وأنهما أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.

سورة التوبة

قوله تعالىٰ: {...قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} يعني اكتسبتموها {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} وهي التجارات إذا كسدت بسوقها ونقص سعرها {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} وهذه نزلت في شأن قوم أسلموا بمكة وأقاموا فيها ولم يهاجروا عنها إشفاقاً علىٰ ما ذكره الله عز وجل وميلاً إليه ومحبة له فذمهم الله تعالىٰ علىٰ ذلك ثم قال: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} يعني فتح مكة.

قوله تعالىٰ: {...ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ} والسكينة الرحمة والإطمأنينة {وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} أي من الملائكة المبشرة بالنصر {وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني بالقتل والسبي.

قوله تعالىٰ: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} أي أنجاس الأبدان كنجاسة الكلب والخنزير وتنزه منهم المساجد كما تنزه من الكلاب والخنازير {بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} يعني بعد سنة تسع من الهجرة وقيل في سنة عشر وهي سنة حجة الوداع وجميع المشركين ممنوعون من دخول المساجد من حربي وذمي {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ} والمراد بالعيلة الفقر والحاجة والفاقة بمنع المشركين من الحرم شعراً:

وما يدري الفقير متىٰ غناه وما يدري الغني متىٰ يعيل

قوله تعالىٰ: {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} علىٰ العموم في كل ما يغني {إِنْ شَاءَ} ليعلمهم أن الغنىٰ لا يكون بالاجتهاد والسعي وإنما هو من الله تعالىٰ في إغناء من يشاء حثاً علىٰ طاعته وتحذيراً من معصيته.

قوله تعالىٰ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهم كل من جحد بنبوة محمد -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- من سائر ملل الكفر والشرك {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} وهو دين الإسلام لأنه ناسخ لسائر الأديان {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني اليهود والنصارىٰ {حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(٢٩)} أي يدفعونها والجزية من الأسماء المجملة التي لا يوقف علىٰ علمها إلا بالبيان. عن يد: فيه تأويلان أحدهما: من عز وقدرة، والثاني أن يروىٰ أن لنا في أخذها منهم يداً عليهم لحقن دمائهم بها وهم صاغرون أذلك مقهورون يمشون بها إلىٰ الآخذ فيأخذها منهم وهو جالس وهم قيام، ودفع الجزية بعينه هو الصَّغَار.

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وهذا قول جماعة من اليهود {وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} وهذا قول الكافة منهم {ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} معنىٰ ذلك وإن كانت الأقوال كلها بالفم أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان فصار قولاً لا يتجاوز الفم فلذلك خص به {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذا لم تحض تشبهاً بالرجال والذين كفروا من قبل هم عبدة الأوثان في اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، وقولهم إن الملائكة بنات الله {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} أي قتلهم {أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ(٣٠)} معناه كيف يصرفون عن الحق إلىٰ الإفك وهو الكذب.

قوله تعالىٰ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ }الأحبار العلماء واحدهم حبر سمي بذلك لأنه يحبر المعاني أي يحسنها بالبيان عنها، وأما الرهبان فجمع راهب مأخوذ من رهبة الله وخشيته غير أنه صار بكثرة الاستعمال يتناول نساك النصارىٰ وقوله: {أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحللونه

لهم فلذلك صاروا كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب.

قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} وفي نوره قولان أحدهما: النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، والثاني: القرآن والإسلام والدلائل والمعجزات التي ظهرت على يديه لأن الاهتداء يقع بها ذكرناه مثل ما يقع بالأنوار، وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرناه من قبل ليس يقترن بقولهم دليل.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} يعني محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أرسله الله تعالى إلى خلقه بالهدى ودين الحق، الهدى: الدليل، ودين الحق: المدلول عليه، وقيل إن معناهما واحد ولكن جمع بينهما لتغاير اللفظ {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أي ليظهر دلائله وحججه وقد فعل الله ذلك كله رغم من كرهه من المشركين.

وروينا أن لهذه الآية سبباً وذلك أنه كان لقريش رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن والعراق فلما أسلموا وانقطع عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا ذلك للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} يعني في بلاد الرحلتين، وقد أظهره الله تعالى فيهما.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} أي يأخذونها بالرشا والجعائل والباطل يعم في أخذ كل محرم وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن كل ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون وقد يطلق على أثمان المأكول اسم الأكل كما قال الشاعر:

ذري الآكلين الماء لؤماً فما أرى ... ينالون خيراً بعد أكلهم الماء

أي ثمن الماء {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} وهو منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشوة وردهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيم(٣٤)} وهذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد هو كل ما أوجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته سواء كان مدفوناً أو غير مدفون.

وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: الكنز هو أربعة آلاف درهم أو ما زاد عليه، ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((تباً للذهب تباً للفضة)) قال: فشق ذلك على من سمعه من المسلمين فقالوا: أي مال نتخذ؟ فقال: ((لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه)).

والكنز في اللغة هو شيء مجموع بعضه إلى بعض سواء كان ظاهراً على الأرض أو مدفوناً فيها ومنه كنز الثمر، شعراً:

لا در درك إن أطعمت نازلهم ... فرق الجنى وعندي البر مكنوز

والجنى سويق المقل. فإن قيل: فقد قال: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} فذكر جنسين ثم قال: {وَلَا يُنْفِقُونَهَا} كناية ترجع إلى الجنس واحد ولم يقل: ولا ينفقونها لترجع الكناية إليهما؟

فعن ذلك جوابان أحدهما: أنه أراد به الكنوز لا ينفقونها في سبيل الله.

والثاني: ذكر ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر بدلالة الكلام على اشتراكهما فيه كما قال: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة:١١]، ولم يقل إليهما، وكقول الشاعر:

سورة التوبة

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ ـود إن لم يعاض كان جنونا

ثم إن الله سبحانه غلظ حال الوعيد بما ذكره من قوله: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ(٣٥)} وإنما غلظ بهذا الوعيد لما في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق.

قوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} يعني شهور السنة وإنما كانت اثني عشر شهراً لموافقة الأهلة ولنزول الشمس في اثني عشر برجاً تجري فيها على حساب متفق كما قال الله تعالى: {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام:٩٦]، {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(٥)} [الرحمن].

{مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} يعني من الاثني عشر شهر أربعة حرم، المراد بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه خطب الناس في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال: ((أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو كهيئته يوم خلق السماوات والأرض وإن عدة الشهور اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم أولهن رجب مضى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم)).

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي ذلك الحساب الصحيح والدين المستقيم {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} أي لا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الحرم ولا تحلوها بعد تحريم الله عز وجل.

فإن قيل: فلم جعل بعض الشهور أغلظ حرمة من بعض؟ قيل: ليكون

كفه فيها عن المعاصي ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عبادة ولطفاً به.

قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} أما النسيء في الأشهر الحرم فهو تأخير مأخوذ من بيع النسية ومنه قوله: {مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} [البقرة:١٠٦]، أي نؤخرها وفي نسي الأشهر قولان أحدهما: أنهم كانوا يؤخرون السنة إحدى عشر يوماً حتى يجعلوا المحرم صفر، والثاني: أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهراً فحج المسلمين في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين ثم في القعدة عامين ثم حج النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في حجة الوداع في ذي الحجة فلذلك حين يقول: ((الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض)) وكان المنادي بالنسيء في الموسم على ما بلغنا من كنانة قال شاعرهم عمير بن قيس:

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وأول من نسأ الشهور بشر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة فحرم الله بهذه الآية النسيء وجعله زيادة في الكفر، ثم قال: {زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} أي بالشهوة لها والعلامة المتميزة لها لتجتنب.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} وذلك لأنهم دعوا إلى غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم، وفي قوله: {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} وجهان أحدهما إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم، والثاني إلى الأرض حين أخرجت التمر والزرع وكان دعاؤهم إلى الجهاد في أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظلال {أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} يعني أرضيتم بمنافع الدنيا بدلاً من

سورة التوبة

ثواب الآخرة والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضى لما مضى والإرادة لما يأتي {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(٣٨)} لانقطاع هذا ودوام ذلك.

قوله تعالى: {إِلَّا تَنْفِرُوا} يعني في الجهاد {يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} يعني احتباس القطر عنهم هو العذاب الأليم الذي أوعدهم {وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} يعني ممن ينفر إذا دعي ويجيب إذا أمره {وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} أي ولا تضروا الله ولا رسوله شيئاً بترك النفير لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بنصر نبيه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} يعني إن لا تنصروه بالنفير معه حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني من مكة ولم يكن معه من يحمي عنه ويمنع منه إلا الله تعالى وإنما أعلمهم الله بذلك ليعلموا أن نصرة نبيه ليست بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم عنه وإنما هي من قبل الله سبحانه.

ثم قال: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} يعني أحد اثنين وللعرب في هذا مذهب يقولون خامس خمسة أي أحد خمسة {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} يعني النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- حين خرج من مكة ودخل غاراً في جبل ثور ليخفى على من خرج من قريش في طلبه والغار عميق في الجبل.

قوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} أي ناصرنا {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي على رسوله، والسكينة رحمة والطمأنينة {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} يعني الملائكة {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} أي بانقطاع الحجة {وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} يعني بظهور الحجة.

قوله تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} فيه ثلاثة أقاويل أحدها: شباناً

ومشائخ، والثاني: أغنياء وفقراء وذا عيال وغير عيال، والثالث: على خفة النفس فواجب أن يجاهد الإنسان بنفسه وماله بين يدي الإمام العادل الداعي إلى الله الموالي لأوليائه المعادي لأعدائه المباين للظالمين أو مع من يكون من قبله من أنصاره وأمرائه.

والمال في الجهاد تبع للنفس فمن قدر بنفسه وماله كان له الثواب الجسيم والأجر العظيم ومن لم يقدر بنفسه قوى إخوانه المسلمين بزاده وسلاحه فيكتب له على ذلك الثواب {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} لأنه من سنام الدين وفي الجهاد خير الدارين {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٤١)} صدق الله فيما وعد به من ثوابه وجنته، وتعلمون أن الله سبحانه وتعالى يريد بكم الخير.

قوله تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا} أي لو كان الذي دعيت إليه عرضاً قريباً والمراد بالعرض الغنيمة وسفراً قاصداً أي سهلاً مقتصداً {لَاتَّبَعُوكَ} يعني في الخروج معك {وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} والشقة فهي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ} ولو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا ولو وجدنا مالاً نستمده ونعمة نخرج بها لخرجنا معكم يعني في السفر الذي دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله عنهم أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً لقوله تعالى، وتصحيحاً لرسالة نبيه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} بالأيمان الكاذبة والتأخر عن الإجابة.

قوله تعالى: {...وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} يعني من الزاد والراحلة في السفر ونفقة الأهل في الحضر {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل بتخاذلهم كعبدالله بن أبي سلول وغيره من المنافقين {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ(٤٦)} أي مع الذين

سورة التوبة

قعدوا بغير عذر ، ويحتمل أن يكون المراد بالقاعدين النساء والصبيان والقائل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأنه غضب عليهم بذلك لعلمه بحاله منهم.

قوله تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} يعني به اضطراباً؛ فإن قيل: ولم يكونوا في خبال فيزدادون بهؤلاء الخارجين خبالاً؟ قيل: هذا من الاستثناء المنقطع وتقديره: ما زادوكم قوة ولكن أوقعوا بينكم خبالاً {وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أما الإيضاع فهو السير الشديد قال الراجز:

يا ليتني فيها جذع أجب فيها فأضع

وأما الخلال فمن تخلل الصفوف وهي الفرج تكون فيها، والخبال الفساد ومعناه يسرعوا فيكم الفساد والفتنة التي يبغونها إخلاف الكلمة وافتراق الجماعة.

{وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} أي معاونتهم في الظاهر وموالاة المشركين في الباطن، والثاني: توقعهم الدوائر وانتظارهم الفرص.

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي} يعني في التأخر عن الجهاد {وَلَا تَفْتِنِّي} أي لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} يعني في محبة النفاق، وقيل: هذا قول بعض المنافقين دعاه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال له ائذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فإني مستفتن بالنساء.

قوله تعالى: {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} يعني بالحسنة النصر {وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ} أي أخذنا حذرنا

وسلمنا {وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ(٥٠)} أي بمصيبتك وسلامتهم وعنى بالحسنة النصر يوم بدر وبالمصيبة النكبة يوم أحد.

قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} يعني في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا {هُوَ مَوْلَانَا} أي مالك أمرنا وحافظنا {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(٥١)} على معونته وتدبيره.

قوله تعالى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} يعني النصر أو الشهادة وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين وفي الشهادة الجنة {وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا} أي عذاب الاستئصال في الدنيا وعقاب العصيان في الآخرة.

قوله تعالى: {...فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي يعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم {وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ} أي تهلك بشدة من قوله: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء:٨١].

قوله تعالى: {..لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ} والملجأ الموضع الذي يلجأ إليه ويتحصن به والمغارات المدخل الساتر لمن دخل فيه ، والمُدّخَل المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة {لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} يعني هرباً من القتال أو خذلاناً للمؤمنين {وَهُمْ يَجْمَحُونَ(٥٧)} أي يسرعون قال الشاعر:

لقد جمحت جماحاً في دمائهم ... حتى رأيت ذوي أحسابهم جهدوا

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} روينا عن بعض السلف أنه قال: بينا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يقسم قسماً إذ جاء ابن ذي الخويصرة التميمي فقال له: اعدل يا رسول الله، فقال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((ومن يعدل إن لم أعدل)) فأنزل الله ذلك فيه أي يغتابك

سورة التوبة

ويعيبك.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة وهو الذي ليس له إلا ثياب بدنه ومسكنه وخادمه، والمسكين المحتاج السائل الذي سكنه الفقر عن التحرك والاضطراب {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها ولهم منها قدر أجرة أمثالهم {وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} وهم قوم كان رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- يتألفهم بالعطية مثل صفوان بن أمية.

والمؤلفة صنفان مسلمون ومشركون فأما المسلمون فهم قوم كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم لصلاح الإسلام كعيينة بن زيد والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس. وأما المشركون فصنفان صنف يقصدون المسلمين بالأذىٰ فيتألفهم دفعاً لأذاهم مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلىٰ الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية، ولإمام المسلمين من ولده أن يتألفهم مثل تألفه.

{وَفِي الرِّقَابِ} وهم المكاتبون {وَالْغَارِمِينَ} وهم الذين عليهم ديون يلزمهم غرمها قد أنفقوها في حال طاعة الله عز وجل {وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} المجاهدون في سبيله يعطون سهمهم مع الغنىٰ والفقر {وَابْنِ السَّبِيلِ} وهو المسافر لا يجد نفقة سفره يعطىٰ منها وإن كان غنياً في بلده.

قوله تعالىٰ: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} أي يصغي إلىٰ كل أحد فيسمع منه قال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن

{قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} يسمع الحسنىٰ ويعلم الخير، وهذه الآية نزلت في

جماعة من المنافقين أي كانوا يعيبون النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ويقولون فيه ما لا يجوز فنزلت فيهم هذه الآية.

قوله تعالى: {..أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} من يخالف الله ورسوله والمحاددة مجاوزة الحد.

قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ} يجوز أن يكون إخباراً من الله عز وجل بحذرهم، ويحتمل أن يكون أمراً منه بالحذر وتقديره وليحذر المنافقون.

قوله تعالى: {تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} أي بما أسروه من النفاق وقولهم في غزوة تبوك أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه -عَلَيْه السَّلام- على ما قالوا.

قوله تعالى: {...الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} أي بعضهم يجتمع مع بعض في النفاق {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} في المنكر قولان أحدهما: المنكر كل ما أنكره العقل من الخير والثاني أن المعروف في كتاب الله عز وجل كله الإيمان والمنكر فيه هو الشرك {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أي يقبضونها من كل خير {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} أي تركوا الله فتركهم من رحمته.

قوله تعالى: {...فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} قيل نصيبهم من خيرات الدنيا ويجوز أن يكون بمعنى استمتاعهم بشهواتهم.

قوله تعالى: {...وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} أي قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مشبه بهذه الجواهر فأما جنات عدن فمعناها جنات خلود وإقامة ومنه المعدن لإقامة جوهره قال الأعشى:

فإن يستضيفوا إلى حلمه ... يضافوا إلى راجح قد عَدن

يعني ثابت الحكم.

سورة التوبة

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} أما جهاد الكفار فبالسيف وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم وقيل: تفسير الآية جهاد الكفار بالمنافقين وهذا مروي عن بعض السلف -عليهم السلام-.

قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} وسبب ذلك أن جماعة من المنافقين قالوا: إن كان ما جاء به محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حقاً لنحن أشر من الحمير ثم حلفوا إنهم ما قالوا {وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ} بما أوردوا من تكذيب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} أي جرى عليهم حكم الكفر بعد أن جرى عليهم حكم الإسلام {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} كأنهم هموا بقتل الذي أنكر عليهم من المسلمين.

قوله تعالى: {..وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِنْ فَضْلِهِ} وسبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري كان له مال بالشام فخاف هلاكه فنذر أن يتصدق به فلما قدم عليه بخل به.

قوله تعالى: {...الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} وهذه الآية نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وذلك أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حثهم على الصدقة ليتجهز في الجهاد فجاء جماعة بما كان عندهم من الصدقات فعابهم المنافقون وتكلموا عليهم وقال: ما أعطوا رياء وسمعة.

قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر فمعناه أن طلبتها طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكانا سواء في أن الله لا يغفر لهم.

وقوله: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} وإنما ذكر

هذا العدد على وجه المبالغة لأن العرب تبالغ بالسبع والسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة فإذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة فإذا زيد عليه اثنان كان أقصى المبالغة وكذلك قيل للأسد: سبع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات.

قوله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} أي بمخالفة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وهذه الآية عامة في كل من خالفه قبل موته وبعده.

قوله عز وجل: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا} وهذا تهدد وإن خرج مخرج الأمر ومعنى قلة ضحكهم أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت فقليل لأن الفاني قليل {وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أي في الآخرة على سوء أعمالهم وقبح فعالهم وخلودهم في النار وكل ذلك ما يبكي.

قوله تعالى: {فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ(٨٣)} أي النساء والصبيان.

قوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} وسبب نزول هذه الآية أن عبدالله بن أبي سلول لما احتضر أتى ابنه النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يسأله أن يصلي عليه حتى نزل جبريل -عَلَيْه السَّلام- من عند الله تعالى بهذا الأمر أن لا يصلي على أحد من المنافقين ولا تقم على قبر أحد منهم. قوله عز وجل: {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا} أي حفظها في الدنيا والإشفاق عليها وما يلحقهم فيها من النوائب والمصائب.

قوله عز وجل: {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ} أي استديموا الإيمان بالله وآمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم وهذا خطابه للمنافقين {وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ} أي أهل الغنى والقدرة، وهذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي سلول.

سورة التوبة

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} مأخوذ من قولهم: فلان خالفة أهله أي دونهم؛ فالخوالف الأدنياء الخساس.

قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} وهو جمع خيرة وهي غنائم الدنيا ومنافع الجهاد وثواب الآخرة.

قوله تعالى: {..وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} والمعذرون هم المقصرون تعذيراً وتكذيب والفرق بين العذر والتعذير أن العذر حق والتعذير كذب.

قوله تعالى: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ}...إلى قوله: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} أي أنهم طلبوا منه زاداً وراحلة وهذه نزلت في العرباض بن سارية.

قوله تعالى: {...الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} أي أن الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تأويلهم للقرآن وسماعهم للسنن.

قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا} يعني ما ينفق في الجهاد مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم مغرماً والمغرم الالتزام ما لا يلزم ومنه قوله عز وجل: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا(٦٥)} [الفرقان]، أي لازماً، شعراً:

فيا لك مسلوب العزا كأنما ترى هجر ليلى مغرماً أنت غارمه

{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} هي جمع دائرة والدوائر انقلاب النعمة إلى ضدها مأخوذ من الدور وتربصهم الدوائر في إعلانهم الكفر والعصيان {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} رداً لما أضمروا وجزاء لما مكروا.

قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهذه

الآية نزلت في قوم من مزينة {وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ} أي ما ينفقه في الجهاد يتقرب به إلى الله عز وجل {وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ} وهو استغفاره لهم ودعاؤه لهم إلا أنها قربة لهم تحتمل وجهين أحدهما: أن يكون راجعاً إلى إيمانهم نفقتهم أنها قربة لهم، والثاني إلى صلوات الرسول أنها قربة لهم.

قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} وهو أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- لأنه أول من سبق إلى الإسلام من الرجال ومن النساء خديجة ابنة خويلد {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} أي في الأفعال الحسنة من الجهاد لأعداء الله عز وجل والحكم بالحق وبالمواساة في الغنى والفقر {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} في العبادة {وَرَضُوا عَنْهُ} في الجزاء.

قوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} يعني أقاموا عليه ولم يتوبوا منه وعتوا فيه ومنه قوله: {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا(١١٧)} [النساء]، أي عاتياً {لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} لأنهم المنافقون والنفاق في القلوب مما لا يطلع عليه إلا الله تعالى {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} أي ما ننتقم منهم عاجلاً في دار الدنيا وما نعذبهم به من العذاب في الآخرة آجلاً، وهذا معنى قوله: مرتين.

قوله تعالى: {وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} هم سبعة نفر من الأنصار منهم أبو لبابة كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في غزوة تبوك فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فلما عاد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم مر بهم وكانوا على طريقه فسأل عنهم فأخبروه بحالهم فقال: ((لا أعذرهم ولا أطلقهم حتى يكون الله الذي يطلقهم ويعذرهم)) فنزلت هذه الآية فيهم فأطلقهم {خَلَطُوا عَمَلًا

سورة التوبة

صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا} العمل الصالح الجهاد والطاعة، والسيئ التأخر والمعصية.

قوله تعالىٰ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} قيل نزلت في أبي لبابة وأصحابه قوله: {وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا} فتاب الله عليهم قالوا: يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا؛ فقال: ((لا أفعل حتىٰ أؤمر)) فأنزل الله تعالىٰ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} وهذه الصدقة هي الزكاة المفروضة ولذلك قال: من أموالهم لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} أي تطهر ذنوبهم وتزكي أعمالهم {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي استغفر لهم وادع {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} تثبيت ورحمة وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة وجهان أحدهما: يجب علىٰ الآخذ الدعاء للمعطي اتباعاً لظاهر الأمر، والثاني: يستحب ذلك والأمر فيه علىٰ الندب لا علىٰ الوجوب.

قوله تعالىٰ: {...وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ} وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في غزوة تبوك ولم يربطوا نفوسهم مع أبي لبابة وهم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك، ويعني مرجون لأمر الله أي مواخرون موقوفون لما يرد من أمر الله عز وجل فيهم {إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ} في الدنيا أي يأمر بعذابهم في الدنيا إن لم تعلم صحة توبتهم {وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} إذا تابوا {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٠٦)} أي عليم بما يؤول إليه حالهم حكيم فيما فعله من إرجائهم.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا} هؤلاء هم بنو

غنم بن عوف وهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار المنافقين وقيل هم جذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن بشير وأبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وحارثة بن عامر وابناه مجمع ويزيد ابنا حارثة ونبتل بن حارث ووديعة بن ثابت ومحار بن عتم بن تخرج، وهو جد عبدالله بن حنيف وله قال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((ويلك يا تخريج ما أردت بها أرى؟)) فقال: يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى وهو كاذب فصدقه فبنى هؤلاء مسجد الشقاق والنفاق قريباً من مسجد قبا ضراراً وكفراً {وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} يعني ضراراً بالرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وكفراً بالله وتفريقاً بين المؤمنين لئلا يجتمعوا كلهم في مسجد قبا فتجتمع كلمتهم ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم ويختلفوا بعد ائتلافهم {وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} هو أبو عامر الراهب أبو أو والد حنظلة كان قد حرب على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- ثم خاف فهرب إلى الروم وتنصر واستنجد هرقل على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- فبنوا هذا المسجد حتى إذا عاد هرقل صلى فيه وكانوا يعتقدون أنه إذا صلى فيه نصر وكانوا ابتدأوا ببنائه ورسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- خارج إلى تبوك فسألوه أن يصلي بهم فيه فقال: ((أنا على سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا بكم فيه)) فلما قدم من تبوك وأتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد فقالوا: قد فرغنا منه فأتاه خبر المسجد فأنزل الله فيه ما أنزل، والذي أمهم مجمع بن حارثة وكان قارئاً ثم حسن إسلامه بعد ذلك وقيل إنه هو علم ابن مسعود القرآن.

{وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} أي طاعة الله عز وجل ورجاء ثوابه وطلباً لما عنده من الجنة {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١٠٧)} أي

سورة التوبة

خائنون فصار إعلامه لهم كالشهادة منه.

{لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} أي تصل فيه يعني مسجد الشقاق والنفاق فحينئذ أنفذ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم رجلين من أصحابه منهم قاسم بن عدي فقال: ((انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه)) فذهبا إليه وأخذا سعفاً فأحرقاه فانهار المسجد {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} وهو مسجد قبا ومسجد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أيضاً لأنهما مبنيان على التقوى فأما مسجد قبا فأول مسجد بني في الإسلام {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(١٠٨)} أي يتطهروا من الذنوب والله يحب المطهرين بالتوبة والرجوع إلى الطاعة، وقيل: عند نزول هذه الآية ما رواه أبو أيوب الأنصاري أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال للأنصار: ((يا معاشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في هذه الآية خيراً في الطهور فما طهوركم هذا؟)) قالوا: يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل للجنابة فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((فهل مع ذلك غيره)) قالوا: لا غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء، قال: ((هو ذلك فعليكموه)).

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ} يعني مسجد قبا والألف في قوله (أفمن) إنكار {خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} يعني شفير جرف وهو جرف الوادي لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأراد بالهار الهائر الساقط وهذا مثل ضربه الله لمسجد الضرار، ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين أحدهما: أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس على غير طاعة الله عز وجل حتى سقط كما يسقط ما بني على جرف الوادي، والثاني: أنه لم يخف ما أسروه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بني على

جرف الوادي بالسقوط في نار جهنم لأنه لم يكن لهم في أفعالهم ثواب.

قوله تعالى: {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ} والريبة الشك قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} يعني بالموت.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} أنفسهم أراد في الجهاد، وأموالهم أراد بالنفقة فيه، وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوض فصار في معناه {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} يعني أن الجنة عوض على جهادهم وسواء قَتلوا أو قُتِلوا.

وروينا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وهو في المسجد وكبر الناس فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ قال: ((نعم)) فقال الأنصاري: نبيع بربح لا نقيل ولا نستقيل.

قوله تعالى: {التَّائِبُونَ} يعني من الذنوب {الْعَابِدُونَ} بتوحيد الله وبطاعته {الْحَامِدُونَ} لله تعالى على الإسلام وعلى ما ينالهم من السراء والضراء {السَّائِحُونَ} بمعنى المجاهدين لأن رجلاً استأذن رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْه وآله– في السياحة فقال: إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقيل: هم المهاجرون وقيل هم الصائمون {الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} يعني في الصلاة {الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} يعني بالتوحيد وشرائط الإسلام

سورة التوبة

{وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} أي عن الشرك {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} عز وجل أي الحافظون لفرائض الله عز وجل وحلاله وحرامه والحافظون لشرائط الله في الجهاد {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(١١٢)} عنى به المصدقين بما وعد الله عز وجل في هذه الآية والعاملين بها ندب إليه في هذه الآيات.

قوله تعالىٰ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ} وسبب نزول هذه الآية ما روينا عن أمير المؤمنين أنه قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ وقال: ألم يستغفر إبراهيم لأبويه فذكرته لرسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- فنزلت: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ}.

قوله تعالىٰ: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} عذر الله إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- في استغفاره لأبيه مع شركه لسالف موعده ورجاء إيمانه وقد كان أبوه وعده إن استغفر له آمن به {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} وذلك لموته على شركه وإياسه من إيمانه تبرأ منه أي من أفعاله ومن استغفاره له فلم يستغفر له بعد موته {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ(١١٤)} والأواه الدعاء المتضرع الخاشع وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع ومنه قول المثقف العبدي:

إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوه أهبة الرجل الحزين

قوله تعالىٰ: {..لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} وهي غزوة تبوك قبل الشام كانوا في عسرة من الظهر كان الرجلان والثلاثة على بعير، وفي عسرة من الزاد حتى

ذكر أن الرجلان كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم فيمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء ثم يمصها الآخر، وفي عسرة من الماء وكانوا في اهتار الحر وشدته.

وروينا في الخبر أنه أصابهم يوم عطش شديد فجعلوا ينحرون الإبل ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي – صَلَّى الله عَلَيْه وآله– فعاشوا {مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} أي تدنف بالجهد والمشقة ويحتمل أن يكون معناه تعدل عن الحق والنصرة {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١١٧)} أي تاب عليهم بالرجوع إلى المدينة والمعونة لهم في مطر السماء عليهم حتى حيوا ويحتمل بغفران ما هم به فريق من العدول عن الحق.

قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} عن التوبة فأخرت حين تاب الله على الذين ربطوا نفوسهم مع أبي لبابة والثاني خلفوا عن بعث النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وهؤلاء النفر هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم {وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} بما لقوا من الجفوة لهم {وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة قال كعب بن مالك: تاب الله عليهم بعد خمسين ليلة مضت من مقدم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من غزوة تبوك فامتحنهم الله بذلك إصلاحاً لهم ولغيرهم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ(١١٩)} وهذه الآية نزلت في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والأئمة الهداة من ولده أوجب الله بهذه الآية المصير إليهم والكون معهم وأخذ مصالح الدنيا والآخرة منهم وجهاد أعداء الله عز وجل بين

سورة التوبة

أيديهم. أن اتقوا الله في طاعة رسوله وأولي الأمر من ولده إذا أمروكم بجهاد أعدائهم.

قوله تعالىٰ: {...وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} معناه وما كان عليهم أن ينفروا جميعاً لأن فرضهم صار على الكفاية إذا قام من يستد به الثغر ويكفى العدو سقط عن الآخرين وسبب ذلك أن المسلمين بعد أن عيروا بالتخلف في غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وتركوه وحده بالمدينة فنزل ذلك فيهم {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} والطائفة أي لتتفقه إما مع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في جهاده وإما مهاجراً إليه في إقامته، ويحتمل أن يكون المراد لتتفقه به الطائفة المتأخرة مع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ويتحملوا عنه ما يقع البلاغ {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} بما عرفوا من أحكام الدين ومعالم الشرع وما شاهدوه من نصر الله لرسوله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وتأييده لدينه وتصديق وعده ومشاهدة معجزاته ليقوى إيمانهم وليخبروا قومهم.

قوله تعالىٰ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} والآية على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى واشتقاقه من يليني هذا الأمر أي يتقرب مني.

قوله تعالىٰ: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} هؤلاء هم المنافقون وهو قول بعضهم لبعض عند نزول سورة من القرآن على وجه الاستهزاء {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} بها لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي شك {فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ} أي إثماً إلى إثمهم وكفراً إلى كفرهم.

قوله تعالىٰ: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} أي يبتلون ويختبرون يعني بالجدب والجوع والغزو والجهاد في سبيل الله ويحتمل أن يكون الابتلاء فيما يظهره الله عز وجل من هتك أستارهم وسوء نياتهم.

قوله تعالىٰ: {..لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} وقرئ (من أنفَسكم) بفتح الفاء أي من أشرفكم نسباً وأكثركم طاعة لله عز وجل وقرئ (من أنفُسكم) بضم الفاء وهو ما روينا عن محمد بن علي الباقر -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: من المؤمنين ولم يصبه من شرك.

وروينا عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: من نكاح لم يصبه بشيء من ولادة الجاهلية، ولما روينا عن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((خرجت من نكاح لا من سفاح)) ويجوز من أنفسكم أي لم يبق بطن من بطون العرب إلا وقد ولده. {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي شديد عليه أي ما شق عليكم وصعب ما ضللتم {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أن تؤمنوا {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٢٨)} لما يدعوهم إليه من الهداية ويؤثر لهم من الصلاح {فَإِنْ تَوَلَّوْا} عنك وعن طاعة الله عز وجل {فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(١٢٩)} حسبي الله معيناً عليكم والعرش الملك.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلى الله عليه-:

سورة يونس عَلَيْه السَّلام

مكية إلا ثلاث آيات وهي قوله: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} [٩٤]..إلى آخرهن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* {الر} وهو من فواتح السور التي افتتح الله بها القرآن وقد ذكرنا من تأويله في سورة البقرة ما فيه الكفاية {تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(١)} يعني بقوله تلك أي هذه كما قال الأعشى:

تلك خيلي ومنه تلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب

والكتاب الحكيم القرآن والحكيم هو الناطق بالحكمة، ويجوز أن يكون بمعنى محكم.

قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا} وسبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما بعث محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك وقالت: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد فأنزل الله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي ثواب جزيل حسن بما قدموا من الأعمال الصالحة وما أسلفوه من الإيمان والطاعة والسابقة في الإخلاص واليقين قال حسان بن ثابت:

لنا القدم العليا إليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع

قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} يقضيه ويأمر به ويمضيه {مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} أي ما من شفيع يشفع إلا من بعد أن يأذن الله عز وجل له في الشفاعة.

قوله تعالى: {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم

يحييه.

قوله تعالىٰ: {...إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} أي لا يخافون عقابنا ومنه قول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفنا في بيت نوب عواسل

ويجوز أن يكون: لا تطمعون في ثوابنا ومنه قول الشاعر:

أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والقلاة وراءنا

قوله تعالىٰ: {...إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} أي يجعل عملهم لهم هادياً إلىٰ الجنة والثواب لهم جنات {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} وأنهار الجنة تجري في غير أخدود ومعنىٰ قوله: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} أي بين أيديهم كما قال: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف:٥١]، أي من بين يدي.

قوله تعالىٰ: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ} ومعنىٰ ذلك أن أهل الجنة إذا اشتهوا شيئاً فأرادوه أن يدعو بالشيء قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم ذلك الشيء {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} والتحية الملك أي وملكهم سالم قال الشاعر:

ولكل ما نال الفتىٰ قد نلته إلا التحية...

{وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠)} أي آخر دعائهم الحمد لله رب العالمين كما كان أول دعائهم سبحانك اللهم.

قوله تعالىٰ: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} معناه أن الرجل إذا غضب علىٰ نفسه أو ولده أو ماله أن

سورة يونس

يدعو بالشر فيقول: لا بارك الله فيه أو أهلكه الله فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضي إليهم أجلهم أي لهلكوا {فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(١١)} أي في ضلالهم وتجاوزهم الحد في الكفر يعمهون أي يترددون في الضلالة.

قوله تعالى: {...وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا} يعني آيات القرآن لأنها بيانات لكل شيء {قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} يعني مشركي أهل مكة {ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} والفرق بين تبديله وبين الإتيان بمثله أن التبديل لا يجوز أن يكون معه والإتيان بمثله يجوز أن يكون معه، وفي قوله ذلك وجهان أحدهما: أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وكلا القولين جيد.

{قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} أي ليس لي أن أتلقى بالتغيير والتبديل كما ليس لي أن أتلقاه بالرد والتكذيب {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} فيما أتلوه عليكم من وعد أو وعيد أو تحليل أو تحريم أو أمر أو نهي {إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي} يعني في تبديله وتغييره {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥)} أي يوم القيامة.

قوله تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ} أي لا أعلمكم به {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ} أي ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه وعمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت، وفي هذا الموضع المراد بعد الأربعين سنة لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعث بعد الأربعين وهو المطلق من عمر الإنسان.

قوله تعالى: {...وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا} أي كانوا على الكفر حتى بعث الله إليهم الرسل فاختلفوا فيه بعد إرسال الرسل

اختلفوا في الدين فمنهم من آمن ومنهم من كفر {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} في تأجيلهم إلى يوم القيامة {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١٩)} بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل.

قوله تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ} أي رخاء بعد شدة وصحة بعد سقم {إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا} والمكر الكفر والاستهزاء بما أنزلنا من الآيات والجحود لها والتكذيب بها {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا} أي أسرع جزاء على المكر.

قوله تعالى: {...كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} في تغن قولان أحدهما كأن لم تعش كما قال لبيد:

وغنيت شيئاً قبل مجرد أحسن لو كان للنفس اللحوح حقودا

والثاني: لم يقم من قولهم: غني فلان بالمكان أي أقام فيه.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} أي إلى دار السلامة من كل آفة ومحنة {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٢٥)} أي يهدي بالتوفيق والمعونة وإظهار البراهين والأدلة إلى الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو كتاب الله عز وجل وتراجمته من العترة الطيبة اللذان هما مقترنان لا يفترقان إلى يوم القيامة.

وروينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم خرج يوماً فقال: ((رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمع أذنك واعقل عقل قلبك إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله عز وجل الملك والدار الإسلام والمائدة الجنة وأنت يا محمد الرسول

سورة يونس

فمن أجابك دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها وذلك قوله: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ}.

قوله تعالىٰ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ} أي للذين عملوا الصالحات الحسنىٰ الجنة والمكأفاة عليها بالحسنة إلىٰ عشر أمثالها وذلك معنىٰ قوله: {وَزِيَادَةٌ}. {وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ} أي يلحق ومنه غلام مراهق إذا لحق بالرجال والقتر سواد يعتري الوجه عند حزن شديد وأصل القتر الغبار قال الشاعر:

متتوج برداء الملك يتبعه ... موج ترىٰ فوقه الرايات والقترا

قوله تعالىٰ: {...هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ} بما يعجز تبينه ومعناه تتبع قال الشاعر:

إن المريب يتبع المريبا ... كما رائب الذيب يتلو الذئبا

أي يتبع كل جزاء عمله من حسنة وسيئة وقرئ (تبلو) بالتاء أي تختبر {وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ} أي مالكهم ووصف نفسه بالحق لأن الحق منه كما وصف نفسه بالعدل لأن العدل منه.

فإن قيل: فقد قال: {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ(١١)} [محمد]، فكيف هاهنا صار لهم مولىٰ؟ قيل: ليس لهم مولىٰ بالنصرة والمعونة وهو مولىٰ لهم بالملكية {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٣٠)} أي ويضل عنهم ما كانوا يكذبون.

قوله تعالىٰ: {...وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ} يعني أن يختلق ويكذب {وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي أن القرآن شاهد

مصدق لما تقدمه من كتب الأنبياء -عليهم السلام- والثاني مصدق لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء على الأعمال والجنة والنار.

قوله تعالى: {...وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ} يعني نبياً يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالإيمان والطاعة {فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ} فيه وجهان أحدهما: فإذا جاء رسولهم قضي بينهم يوم القيامة، ويكون شاهداً عليهم، والثاني: فإذا جاء في الدنيا داعياً بعد الإذن له في الدعاء عليهم قضى الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم.

قوله تعالى: {...وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ} أي يستخبرونك وهو طلب النبأ {أَحَقٌّ هُوَ} أي العذاب في الآخرة {قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ} وأقسم مع إخباره أنه حق ليكون تأكيداً أي يميناً يقيناً.

قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} أي أخفوا الندامة وكتموها، ويحتمل أن يكون بمعنى أظهروها وكشفوها.

قوله تعالى: {...قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ} فضل الله الإسلام والهداية مع ما قدمنا من الإسلام والنعم ورحمته عونه وتسديده {فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٥٨)} في الدنيا.

قوله تعالى: {...أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)} فأولياء الله هم أهل ولايته والمستحقون لكرامته، ويجوز أن يكون المتحابون في الله عز وجل، وذلك لما روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم يوم القيامة)) قالوا: يا رسول الله من هم خبرنا وما أعمالهم؟ فإنا نحبهم لذلك؛ قال: ((هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها في الله إن وجوههم لنور وإنها لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ: {أَلَا إِنَّ

سورة يونس

أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢)} أي لا خوف عليهم في الآخرة ، ولا هم يحزنون أي عند الموت.

قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} فيه وجهان أحدهما: أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو قبل أن يموت وفي الآخرة الجنة.

وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: إن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال: ((إن لخديجة بنت خويلد بيتاً من قصب لا صخب فيه ولا نصب)).

والثاني: أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له وفي الآخرة الجنة، روينا ذلك نصاً عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} أي لا خلف في وعده ووعيده.

قوله تعالى: {...ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً} والغمة ضيق الأمر الذي يوجب الغم وهو من الشيء المغطى يقال غم الهلال عن الناس أي استتر {ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ} ما في نفوسكم {وَلَا تُنْظِرُونِ(٧١)} أي ولا تؤخرون.

قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} يعني عن الإيمان {فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ} تستثقلونه فتتمتعون من الإيمان والإجابة لأجله {إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٧٢)} لأمر الله وطاعته.

قوله تعالى: {فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} وروينا أنه كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربياً وحمل فيها من كل زوجين اثنين {وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ} أي خلفاً لمن هلك بالغرق {وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} وبقي الماء بعد الغرق مائة وخمسين يوماً.

وروينا في الأثر أنه لما مضت السفينة بنوح أربعين ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل منها الغراب ينظر ما فعل الماء فلم يعد فأرسل الحمامة فرجعت ولم تجد لرجلها موضعاً ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حين أمست وفي فيها زيتونة فعلم أن الماء قد قل عن الأرض ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم ترجع فعلم أن الأرض قد ظهرت وكان قد استوت على الجودي لتسع عشرة ليلة من الشهر السابع من الطوفان.

قوله تعالى: {...قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا} أي لتصدنا وتصرفنا ومنه لفت عنقه أي لواها {وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ} أي الملك وعلو الشأن والمنزلة.

قوله تعالى: {...فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ} والذرية أراد به غلماناً من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فسارعوا إلى الإيمان بموسى {عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ} يعني عظمائهم وأشرافهم {أَنْ يَفْتِنَهُمْ} أي يعذبهم ويكرههم على استدامة ما هم عليه {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ} أي متجبراً طاغ {وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ(٨٣)} في بغيه وطغيانه.

قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٨٥)} أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ} أي اتخذا لهم بيوتاً يسكنوها ومنه قول الراجز:

نحن بنو عدنان ليس شك تبوأ المجد بنا والملك

وفي قوله: {بِمِصْرَ بُيُوتًا} أراد بالبيوت المساجد لأنهم كانوا يخافون فرعون إن صلوا في كنائسهم ومساجدهم {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} أي

سورة يونس

يقابل بعضها بعضاً {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} يعني فيها {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(٨٧)} يعني بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} أي أهلكها فذكر لنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة {وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ} أي أسلب المعونة لهم فيبقون على الضلالة فيهلكوا كفاراً وينالهم عذاب الآخرة {فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ(٨٨)} هو الغرق الذي أهلكهم الله به.

قوله تعالى: {قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} قيل إن موسى هو الذي دعا على فرعون وقومه وأمن هارون، وأخر فرعون بعد الدعوة أربعين عاماً {فَاسْتَقِيمَا} أي امضيا في أمري واستقيما في دعائكما على فرعون.

وروينا أنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذنه لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب.

قوله تعالى: {...فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} أي نلقيه على نخوة من الأرض والنخوة المكان المرتفع وقوله ببدنك أي بجسدك من غير روح ويجوز بدرعك لأن من تخلف من قوم فرعون كان يذكر غرقه {لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً} يعني لمن بعدك عبرة وموعظة.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} ومبوأ صدق هو بيت المقدس وإنما وعدهم الله إياه فصدق وعده لهم {وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} يعني وأحللناهم من الخيرات الطيبة {فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} بمحمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الذي كانوا يوعدون به يعني أن بني إسرائيل ما اختلفوا حتى جاءهم العلم أن محمداً نبي وفيه

وجهان أحدهما حتى جاءهم محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم الذي كانوا يعلمون بأنه نبي وتقديره حتى جاءهم المعلوم، والثاني: جاءهم القرآن.

قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} فهذا خطاب من الله تعالى لنبيئه والمقصود به غيره ممن كان شاكاً مما فيه أنزل أن محمد مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل {فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} فيه وجهان أحدهما من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، والثاني: من لم يدخل في التحريف والتكذيب منهم ومثل هذا الخطاب كقوله عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق:١]، وإنما المراد بالخطاب الأمة ويحتمل وجهاً آخر وهو أنه خطاب آخر ورد على عادة العرب في توكيد القول والتنبيه على الطاعة كقول الرجل لولده: إن كنت من ابني فتربى، ولعبده إن كنت عبدي فامتثل أمري ولا يدل ذلك على شك الولد أنه من أبيه وأن العبد شاك في أنه ملك لسيده {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(٩٤)}.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ} العذاب بالوعيد والغضب {لَا يُؤْمِنُونَ(٩٦)} يحتمل وجهين أحدهما أنه قد وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبداً، والثاني أن الذين وقعت عليهم كلمته بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبداً.

قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} ومعنى الكلام لم تكن قرية آمنت بعذاب بعد أن حقت عليهم كلمت ربك فنفعها إيمانها والمراد بالقرية أهل القرية إلا قوم يونس وهم قوم نينوى من بلاد الموصل فإن يونس وعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام فقالوا: انظروا يونس فإن خرج عنا فوعده حق؛ فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلى شيخ منهم فقال: توبوا وادعوا وقولوا: يا حي حين لا حي، ويا

سورة يونس

حي محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت. فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا عن قريتهم تائبين داعين فكشف الله عنهم العذاب بعد أن تجلى عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل.

{وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ(٩٨)} أي إلى حين أي إلى أجلهم وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: إن الحذر لا يرد القدر وإن الدعاء يرد القدر وإن الله سبحانه يقول: {إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ} وروينا عنه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن ذلك كان يوم عاشوراء.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} أي إلا بأمر الله {وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ(١٠٠)} الرجس في هذا الموضع السخط والعذاب وقوله لا يعقلون أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.

قوله تعالى: {...وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} أي استقم بإقبالك ووجهك على ما أمرت به من الدين حنيفاً أي سابقاً إلى الطاعة مأخوذ من الحنف في الرِّجْلَين وهو أن تسبق أحدهما الأخرى مطيعاً فيما آمر.

سورة هود

قال الإمام الناصر لدين الله: هي مكية إلا آية واحدة وهي قوله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ} [١١٤].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {الر كِتَابٌ} يعني القرآن {أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ} أي أحكمت آياته من الباطل {ثُمَّ فُصِّلَتْ} بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، ويحتمل أن يكون المعنى أحكمت بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب {مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(١)} أي من عند حكيم في أفعاله خبير بمصالح عباده.

قوله تعالى: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ(٢)} إني نذير من النار بشير بالجنة.

قوله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} وإنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها، والمغفرة هي أول في الطلب وآخر في السبب {يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا} يعني في الدنيا {إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي الموت {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} أي يجازيه عليه في الآخرة {وَإِنْ تَوَلَّوْا} يعني عما أمرتكم به {فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ(٣)} ووصفه بذلك لكبر الأمور التي فيه.

قوله تعالى: {..أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} أي يثنون صدورهم على الكفر على عداوة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} أي من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ويحتمل أن يكون من الله عز وجل {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} يعني يلبسونها ويتغطون بها ومنه قول الخنساء:

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها   وتارة أتغشى فضل أطماري

{يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ} في قلوبهم {وَمَا يُعْلِنُونَ} بأفواههم، ويجوز أن يكون الإسرار عمل الليل والإعلان عمل النهار {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٥)} أي بأسرارها.

قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أي أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله عز وجل وأسرع في طاعة الله تعالى.

قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} يعني العذاب وإنما قالوا ذلك تكذيباً للعذاب لتأخيره عنهم.

قوله تعالى: {...أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} الذي هو على بينة من ربه هو رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والذي {يَتْلُوهُ شَاهِدٌ} هو أمير المؤمنين {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً} المراد من قبل محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كتاب موسى وهو التوراة إماماً ورحمة أي متقدماً علينا ورحمة لهم {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} يعني من كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ} وهم المتحزبون على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- المجتمعون على محاربته والآية عامة في كل من تحزب على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من الكفار من قريش وغيرها {فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} أي إليها مصيره قال حسان:

أوردتموها حياض الموت ضاحية ... فالنار موعدها فالموت لاقيها

قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} معناه ومن أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذباً بأن يدعي إنزال ما لم ينزل عليه أو نفي ما أنزل الله عليه {أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ} وهو حشرهم إلى موقف

الحساب يوم العرض {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} الأشهاد جمع ويحتمل وجهين أحدهما : أن يقال جمع شاهد كما يقال صاحب وأصحاب والثاني أن يكون جمع شهيد كما يقال شريف وأشراف، والأشهاد الأنبياء والأوصياء والأئمة -عليهم السلام-.

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يعني قريشاً صدت الناس عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} أي ويبغون القرآن تأويلاً باطلاً.

قوله تعالى: {...وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} أي وخشعوا وتواضعوا.

قوله تعالى: {...وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا} جمع أرذل والرذل الحقير وعنوا بالأراذل الفقراء وأصحاب المهن المتضعة {بَادِيَ الرَّأْيِ} أي ظاهر الرأي أي أنك تعمل بأول الرأي من غير فكر ويجوز أن ما في نفسك باد ظاهر يريد به تعجيزاً له {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} تفضلون علينا به من دنياكم والثاني من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم.

قوله عز وجل: {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ} أي على حجة {مِنْ رَبِّي} {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} وهم الذين عموا عنها بترك النظر وقرئ فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقوله: أن يرد عليهم قولهم: {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} ليظهر فضله عليهم بأنه على بينة من ربه وآتاه رحمة من عنده وهم قد سلموا ذلك فأي فضل أعظم من ذلك ثم قال: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(٢٨)} وقبولكم لها لا يصح مع إكراهه عليها.

قوله عز وجل: {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم فقال جواباً لهم ورداً لسؤالهم: {وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} وإنما قال ذلك لهم على وجه الإعظام للقاء الله

{وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(٢٩)} فيه وجهان أحدهما تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم، والثاني تجهلون أنهم خير منكم.

قوله تعالى: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} وهذا جواب لقومه وذلك أن نوحاً -عَلَيْه السَّلام- قال لهم ذلك عند ما قالوا: ما نراك إلا بشراً مثلنا وقولهم: وما نرى لكم علينا من فضل قال الله تعالى: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} فأعطيكم منها على إيمانكم {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} فأخبركم بما في أنفسكم {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} فأباين جنسكم {وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا} والازدراء الاحتقار يقال: ازدرى فلان بفلان إذا صغره وزرى عليه إذا عابه واحتقره والازدراء افتعال منه قول الشاعر:

يباعده الصديق وتزدريه   حليلته وينهره الصغير

وقوله: {لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا} أي ليس احتقاركم لهم يبطل أجرهم أو ينقص ثوابهم وكذلك لستم لقلوبكم في الدنيا تزادون على أجوركم {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ} يعني في أنه يجازيهم عليه ويؤاخذهم به {إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(٣١)} يعني إن قلت هذا الذي تقدم ذكره.

قوله تعالى: {...أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} يعنون به النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- افترى افتعل من الفرية وهو الكذب يعني افتعله من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح -عَلَيْه السَّلام- وقومه {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي} والإجرام الذنوب المكتسبة قال الشاعر:

رهين عشيرة ورهين جرم   بما جرمت يدي وجنى لساني

ومعناه فعلي عقاب إجرامي وأنا بريء مما تجرمون أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنه بريء منه.

قوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ} يحقق الله سبحانه وتعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم {فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)} أي فلا تحزن ومنه قول الشاعر:

وكم من خليل أو حميم رأيته فلم أبتئس والرزء منه جليل

والابتئاس حزن في الاستكانة وأصله من البؤس، فلا تحزن لهلاكهم.

قوله تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} أي حيث نراك ونحفظك حفظ من يراك فعبر عن الحفظ بالرؤية {وَوَحْيِنَا} أي بأمرنا لك أن تصنعها {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(٣٧)} فنهى عن المراجعة فيهم واحتمل نهيه أمرين أحدهما ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه والثاني: التصرف عنه مآثم المهالات الطغام.

قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} وروينا أن نوحاً -عَلَيْه السَّلام- مكث مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها ومائة سنة يصنعها وكان طول السفينة أربعمائة ذراع وعلوها ثلاثين وعرضها خمسين ذراعاً وكان ثلاثة أبيات {وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ} كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون، معناه إن تسخروا منا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق كما تسخرون اليوم بنا.

فإن قيل: فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل: معنى الكلام إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلون.

قوله تعالى: {..حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} وكان أمر الله نوحاً

أنه إذا رأى الماء على وجه الأرض ركب هو ومن معه السفينة وكان فورانه على ما روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أن فورانه كان من مسجد الكوفة من قبل أبواب كندة وفار التنور وهو على ما روينا عنه أنه الصبح. {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} من الآدميين والبهائم ذكراً وأنثى {وَأَهْلَكَ} أي واحمل أهلك {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} من الله تعالى أنه يهلكه وهو ابنه وامرأته كانا كافرين {وَمَنْ ءَامَنَ} أي احمل من آمن {وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(٤٠)} وكان عددهم ثمانين نفراً فيهم ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وثلاث بنات له نوح سابعهم.

قوله تعالى: {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا} ركب نوح -عَلَيْه السَّلام- في السفينة في اليوم العاشر من رجب ونزل منها في اليوم العاشر من محرم وهو يوم عاشوراء فقال لمن كان معه من كان صائماً فليتم صومه ومن لم يكن صائما فليصم {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا} أي مسيرها {وَمُرْسَاهَا} أي مثبتها فإذا أراد مسيرها قال بسم الله مجريها فجرت وإذا أراد وقوفها قال: بسم الله مرسيها فرست.

قوله عز وجل: {...قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} أي لا معصوم أي لا ناج من أمر الله يعني الغرق {إِلَّا مَنْ رَحِمَ} وهم أهل السفينة.

قوله تعالى: {وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} وجعل نزول الماء في الأرض بمنزلة البلع ومعناه ابلعي الماء {وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} أي لا تمطري من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه {وَغِيضَ الْمَاءُ} أي نقص حتى ذهب زيادته {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} أي بهلاك من غرق من قوم نوح {وَاسْتَوَتْ} يعني السفينة {عَلَى الْجُودِيِّ} وهو جبل بالموصل وقيل بموضع يقال له بافردا من أرض الجزيرة.

قوله تعالىٰ: {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} وإنما قال من أهلي لأن الله تعالىٰ وعده أن ينجي أهله معه {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ(٤٥)} بالحق {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} أي ليس من أهل دينك ولا علىٰ شريعتك وولايتك ولا هو من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} أي إن مسألتك إياي أن أنجيه وهو كافر عمل غير صالح، وهذا تأويلُ من قرأ بالتنوين ومن قرأ بغير التنوين فمعناه إن ابنك الذي سألتني أن أنجيه عمل غير صالح في تركه دينك وولايتك {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} يعني في نسبته إلىٰ نفسك وهو عاص لك وإدخاله في جملة من وعدتك أن أنجيه من أهلك {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٤٦)} ومعنىٰ أعظك أرفعك أن تكون من الجاهلين بالمطيعين والعصاة ومن يستحق الخلاص ومن لا يستحق وأصل الموعظة التحذير كقوله: {يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا} [النور:١٧]، أي يحذركم.

قوله تعالىٰ: {...يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} والمدرار المطر المتتابع في أثنائه مأخوذ من درور اللبن في الضرع {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} أي شدة إلىٰ شدتكم وعزاً إلىٰ عزكم بكثرة عددكم وأموالكم.

قوله تعالىٰ: {...إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٥٦)} أي علىٰ تدبير محكم.

قوله تعالىٰ: {...هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} أنشأكم خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض واستعمركم أي أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار.

قوله تعالىٰ: {قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا} أي مؤملاً يرجىٰ خيرك.

قوله تعالىٰ: {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} أي على حق بين وحجة ظاهرة {وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً} يعني النبوة والحكمة {فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ} أي فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم {فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ(٦٣)} يعني فما تزيدونني باحتجاجكم باتباعكم آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم.

قوله تعالىٰ: {...وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} وهو أن الله سبحانه أمر جبريل فصاح بهم {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٦٧)} لأن الصيحة أخذتهم ليلاً فأصبحوا منها هلكى في ديارهم أي في منازلهم وبلادهم من قولهم: هذه ديار بكر وديار ربيعة، وفي جاثمين قولان أحدهما: ميتين لأن الصيحة أخذتهم بياتاً،والثاني: هلكى بالجثوم وفي الجثوم قولان أحدهما السقوط على الوجوه والثاني أنه القعود على الرُّكَب.

قوله تعالىٰ: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} الرسل جبريل ومعه ملكان قيل إنهما ميكائيل وإسرافيل، وفي البشرى الذي جاءوا بها قولان أحدهما: أنهم بشروه ببنوة والثاني: بشروه بهلاك قوم لوط {قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} وهذه تحية من الملائكة لإبراهيم بالسلام فحياهم بمثلها فدل على أن السلام تحية الملائكة والمسلمين وقرئ قالوا: سلماً قال سِلم بكسر السين وإسقاط الألف والسلام من المسالمة والسلم من السلام {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ(٦٩)} ظن رسل ربه أضيافاً لأنهم جاءوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ والحنيذ المشوي نضجاً وهو المحنوذ وهو أن يوقد على الحجارة فإذا اشتد حرها ألقي فوقها ليسرع نضجه قال طرفة:

وعين الوحش سائلة حنوذ

{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ} ونكرهم وأنكرهم بمعنى واحد قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وسبب إنكاره لهم أنهم لم يطعموا ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف لهم فلم يطعم طعامهم ظنوا به سوءاً فنكرهم إبراهيم لذلك {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أحدهما أنه أضمر في نفسه تخوفاً منهم {قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(٧٠)} يعني لهلاكهم وفي إعلامهم لإبراهيم بذلك وجهان أحدهما ليزول خوفه منهم والثاني لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط ويقول: ويحكم قد نهاكم الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا تطيعوه.

{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ} ومعنى قائمة أنها كانت قائمة وراء الستر تسمع كلامهم وفي قوله فضحكت أي حاضت تقول العرب: ضحكت المرأة أي حاضت والضحك هو الحيض في كلامهم قال الشاعر:

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

وقيل: ضحكت معناه تعجبت وقد يسمى التعجب ضحك لحدوث الضحك منه وتعجبها أن قوم لوط أتاهم العذاب وهم غافلون. والثاني: أن تعجبها من أن يكون لها ولد على كبر سنها لأن الملائكة كانوا قد بشروا إبراهيم بإسحاق.

قوله تعالى: {قَالَتْ يَاوَيْلَتَى} الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه وعجبت من ولادتها وهي عجوز وكان بعلها شيخاً لخروجه عن العادة مستغرب مستنكر

وقيل: كان لسارة تسع وتسعون سنة وكان لإبراهيم مائة سنة وقيل إنما قالت: {وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا} تعريضاً عن ترك غشيانه لها فالبعل هو الزوج في هذا الموضع ومنه قوله عز وجل: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ} [البقرة:٢٢٨]، والبعل المعبود ومنه قوله تعالىٰ: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا} [الصافات:١٢٥]، أي إلهاً معبوداً، والبعل السيد قال لبيد:

حاسر الديباج عن أذرعهم ... عند بعل حازم الأمر بطل

فسمى الزوج بعلاً لتطاوله على الزوجة كتطاول السيد على المسود {إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(٧٢)} أي منكر ومنه قوله تعالىٰ: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} [ق:٢]، أي أنكروا ولم يكن ذلك منها تكذيباً ولكن استغراباً.

قوله تعالىٰ: {..فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} يعني الفزع والروع بضم الراء النفس ومنه قولهم: ألقي في روعي أي في نفسي {وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ} ووجه جداله أنه قال للملائكة: {إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ} [العنكبوت:٣٢].

قوله تعالىٰ: {...وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} ومعنى ذلك ساء ظناً بقومه فضاق ذرعاً بأضيافه {وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧)} أي شديد لأنه خاف على الرسل من قومه أن يفضحوهم، شعراً:

وإنك إلا ترض بكر بن وائلٍ ... يكن لك يوم بالعراق عصيب

قوله تعالىٰ: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} أي يسرعون والإسراع

والإهراع بمعنى واحد وكان سبب إسراعهم أن امرأة لوط أعلمتهم بأضيافه فأسرعوا إليهم طلباً للفاحشة منهم {وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} أي من قبل إسراعهم كانوا ينكحون الذكور وقيل إن اللوطية كانت في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة.

{قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} وفي قوله هذا وجهان أحدهما: أنه أراد نساء أُمَّتِهِ ولم يرد بنات نفسه لأن كل نبي أبو أمته فأراد بذلك تزوجوا نساء أمتي اللاتي عندي بمنزلة بناتي فذلك النكاح والزواج أطهر لكم وأطيب من هذه الفاحشة. والثاني: أنه أراد به بنات نفسه لأن أمره فيهن أنفذ من أمره في غيرهن.

فإن قيل: كيف يزوجهم بناته مع كفر قومه وإيمان بناته؟ ففي ذلك جوابان أحدهما: أنه قال ذلك على شرط الإيمان كما هو شرط بعقد النكاح. والثاني: فإنه ترغيباً لهم في الحلال وتنبيهاً للمباح ودفعاً للمبادرة من غير بذل لنكاحهن ولا تعريضاً لخطبتهن {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي} أي لا تذلون بهذه الفضيحة والضيف الزائر المسترفد ينطلق على الواحد والجماعة، قال الشاعر:

لا يعدمني الدهر سفاراً لجار ... وللضيف والضيف أحق زائر

{أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ(٧٨)} أي مؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدفع عن أضيافه قال ذلك تعجباً من إجماعهم على الباطل والمنكر {قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} أي ما لنا فيهن من حاجة ولسن لنا بأزواج {وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ(٧٩)} أي نريد الرجال.

قوله عز وجل: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ(٨٠)} وأراد بالقوة الانتصار والركن الشديد العشيرة المانعة،

وروينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد)) يعني الله عز وجل.

قوله تعالىٰ: {قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} قيل إن لوطاً كان واقفاً علىٰ بابه يمنع الناس من أضيافه فلما أعلموه أنهم رسل ربه مكن قومه من الدخول فطمس جبريل -عَلَيْه السَّلام- علىٰ أعينهم فعميت وعلىٰ أيديهم فخفت {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ} يعني فأسر به ليلاً والسرىٰ سير الليل، قال عبدالله بن رواحة :

عند الصباح يحمد القوم السرىٰ   وتنجلي عنهم علالات الكرىٰ

ويقال: سر، واسر؛ لغتان {بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} قيل بعضه وقيل نصفه من قطع الشيء نصفين شعراً:

ونائحة تنوح بقطع ليل   علىٰ رجل بقارعة الطريق

{وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} أي ولا ينظر وراءه منكم أحد، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ ولا يشتغل أحد بما وراءه وخلفه من مال ومتاع {إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ} فيه وجهان أحدهما: أن قوله: إلا امرأتك استثناء من قوله فاسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذه قراءة من قرأ بالنصب، والثاني: أنه استثناء من قوله: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وهو علىٰ معنىٰ البدل بالرفع، وروي في الأخبار أنها خرجت مع لوط من القرية فسمعت الصوت فالتفتت فأرسل عليها حجرة فأهلكتها {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(٨١)} وروينا عن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- أن لوطاً علم أنهم رسل ربه قال: فالآن إذاً، قال جبريل

-عَلَيْه السَّلام-: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب وجعل الصبح ميقات هلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} أي أمر الله تعالى للملائكة بعذابهم {جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} وروي أن الله تعالى بعث جبريل إلى المؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى أن نباح كلابهم وأصوات دجاجهم تسمع في الهواء ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجيل حتى أهلكها ومن حولها وهي قرى وأكبرها سدوم وهي قرية لوط بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} وهي تشبه الطين المشوي حتى تصير كالآجر وتتصلب وتتشدد قال ابن مقبل:

ضرباً تواصى به الأبطال سجينا

إلا أن النون قلبت لاماً، وقيل: هو فعيل من السجيل وهو الإرسال يقال سجلته أي أرسلته ومنه سمي الدلو سجلاً.

قوله تعالى: {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ} والمسومة المعلمة مأخوذة من السيماء وهي العلامة وكانت الحجارة معلمة بياض في حمرة {عِنْدَ رَبِّكَ} أي في خزائن ربك ومعنى الخزائن أنه لا يملكها غيره ولا يقدر على إرسالها سواه فجرى مجرى الشيء المقدور عليه الممكن التي هو في خزانة متى أريد قدر عليه {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(٨٣)} وذكر ذلك على وجه الوعيد لكل ظالم وأمطرت الحجارة على من لم يكن في المدن حين رفعها.

قوله عز وجل: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} قيل مدين هم قوم شعيب وفي تسميتهم بذلك قولان أحدهما: لأنهم بنو مدين بن إبراهيم فقيل مدين والمراد بنو مدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر، والثاني: أن اسم مدينتهم

مدين فنسبوا إليها ثم اقتصر في ذكرهم على اسم المدينة تخفيفاً {وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} وكانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك وبالوفاء نهياً عن التطفيف {إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} والخير المال وبزينة الدنيا {وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(٨٤)} أي عذاب النار في الآخرة.

قوله عز وجل: {..بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ} أي ما أبقاه الله تعالى خير لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(٨٦)} أي حفيظ من عذاب الله أن ينالكم ولا لنعمة أن تزول عنكم.

قوله تعالى: {قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ} أي تدعوك إلى أن تأمرنا {أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا} من الأوثان والأصنام {أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} أي ما كانوا عليه من البخس والتطفيف والزكاة التي كان يأمرهم بها فيمتنعون منها {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧)} وإنما قالوا استهزاء به أي إنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي.

{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} قد ذكرنا تأويله {وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا} هو المال الحلال الطيب ويحتمل أن يكون الرزق النبوة وفي الكلام محذوف وتقديره أفأعدل مع ذلك عن عبادته ثم قال: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما آمركم به {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} ومعناه إن أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت لأن الاستطاعة من شروط الفعل وأن تكون متقدمة {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٨٨)} والإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع.

قوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي} أي لا يحملنكم ولا يكسبنكم، وقوله شقاقي أي ضراري {أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ} وهم أول أمة أهلكوا {أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ(٨٩)} يعني بعد الدار لقربه منهم ويجوز أن المراد قرب العهد.

قوله عز وجل: {..قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ} أي ما نفهم ومنه سمي علم الدين فقهاً لأنه مفهوم {وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} أي ضعيف البدن {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} أي لقتلناك بالرجم وقد يكون الرجم بمعنى الشتم كما قال الجعدي:

تراجمنا بمر القول حتى ... نصير كأننا فرسا رهان

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ(٩١)} أي ممتنع لولا رهطك.

قوله عز وجل: {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} أي تراعون رهطي فيّ ولا تراعون الله {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا} أي طرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به ومنه قول الشاعر:

وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر

أي ممن لا يلتفت إليهم ولا يعتد بهم. {إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(٩٢)}.

قوله عز وجل: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} أي على تمكنكم.

قوله تعالى: {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} أي نقمة من الله تخزيه بمعنى تذله وتفضحه.

قوله تعالى: {...ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} أي نخبرك

{مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ(١٠٠)} والقائم العامر والحصيد الخاوي الدارس، قال الشاعر:

الناس في قسم المنية بينهم　　　كالزرع منها قائم وحصيد

قوله تعالى: {وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ(١٠١)} والتتبيب الهلكة قال جرير:

عوانة من بقية قوم لوط　　　ألا تباً لما فعلوا تبابا

ويحتمل أن يكون بمعنى التخسير من الخسران لقوله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد:١]، أي خسرت.

قوله تعالى: {...يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ} أي لا شفيع إلا بأمره لأن الشفاعة ليست إلا لمن ارتضى وقيل إن في القيامة وقتاً يمنعون من الكلام فيه إلا بإذنه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ(١٠٥)} أي معذب ومنعم قال لبيد:

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه　　　ومنهم شقي بالمعيشة قانع

قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(١٠٦)} والزفير تردد النفس من شدة الحزن مأخوذ من الزفر هو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النَّفَس الطويل الممد مأخوذ من قوله: جبل شاهق أي طويل شعراً:

حشرج في الجوف صهيلاً وشهيق　　　حتى يقال ناهق وما نهيق

{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} أي خالدين فيها ما دامت سماوات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها.

قوله عز وجل: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} وأرضها الدنيا إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها والخلود فيها.

قوله تعالىٰ: {وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ(١٠٩)} أي ما وعدوا به من خير أو ما وعدوا به من شر.

قوله تعالىٰ: {...وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي لا تميلوا إليهم ولا توادوهم ولا تدنوا إليهم.

قوله عز وجل: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} أما الطرف الأول فهو صلاة الفجر والطرف الثاني صلاة المغرب وزلفاً من الليل وهو جمع زلفة والزلفة المنزلةكأنه قال: ومنازلاً من الليل أي ساعات من الليل وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة وقيل سميت لازدلاف آدم من عرفة إلىٰ حواء وهي بها ومنه قول العجاج:

ناح طواه الأين مما وجفا　　　　يطوي الليالي زلفاً فزلفا

وزلفاً من الليل أراد به العشاء الآخرة {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} والحسنات الأعمال الصالحة من الصلاة وغيرها من التسبيح روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((اتبع السيئة الحسنة تمحاها)).

قوله تعالىٰ: {...وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ} أي وأتبعوا على ظلمهم مراسيلات بعضهم استدراجاً لهم والمترف المتنعم.

قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي على ملة الإسلام وحدها {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} من أهل الحق فلم يختلفوا {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} أي للرحمة خلقهم.

قوله تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} أي نقوي به قلبك وتسكن به نفسك لأنهم بلوا فصبروا وجاهدوا فظفروا {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ} أي في هذه الأنباء والحق صدق القصص وصحة إخبار الله عز وجل {وَمَوْعِظَةٌ} وهي التي وعظ الله خلقه بها وأن يعتبروا بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((السعيد من وعظ بغيره)).

قال الإمام الناصر لدين الله:

سورة يوسف -عَلَيْه السَّلام- كلها مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(١)} أي هذه آيات الكتاب المبين ومعنى المبين أي بين حلاله وحرامه وهداه ورشده.

قوله تعالى: قال{يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} إخوته {وَالشَّمْسَ} أبوه يعقوب {وَالْقَمَرَ} أمه راحيل {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)} وفي إعادة قوله رأيتهم وجهان أحدهما تأكيد الأول والثاني: رؤيته لسجودهم وفي قوله ساجدين وجهان أحدهما أنه السجود المعهود في الصلاة، والثاني: أنه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيه سجداً للحوافر

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ} بالنبوة {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} أي العلم والحكمة وتعبير الرؤيا وجودة النظر في عواقب الأمور ومنه قول الشاعر:

وللأحبة أيام تذكرها ... وللنوى قبل يوم البين تأويل

{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} أي باختيارك للنبوة {وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ} بأن يجعل فيهم النبوة.

قوله تعالى: {..إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا} وأخوه بنيامين وهما أخوان لأب وأم وكان يعقوب قد كفلهما لموت أمهما وزاد في

سورة يوسف

المراعاة لهما فذلك سبب حسدهم لهما وكان شديد الحب ليوسف وكان الحسد له أكثر ثم رأى الرؤيا فكان الحسد له أشد {وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} والعصبة الجماعة قيل إنها من عشرة إلى أربعين، وقيل من عشرة إلى خمسة عشر {إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٨)} أي في خطأ من رأيه وجور من فعله وإنما جعلوه في ضلال مبين لأنه فضل الصغير على الكبير والقليل على الكثير ومن لا يراعى ماله على من يراعيه.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: الذي صح عندنا أن أولاد يعقوب لم يكونوا بالغين لأنه قال: {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} وإنما طلبوا الاستغفار من أبيهم بعد البلوغ.

قوله تعالى: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} لتأكله السباع أو يبعد عن أبيه {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ(٩)} يعني بذلك صلاح الدنيا واستقامة الأحوال {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ} قيل إن القائل روبابيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته {وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} يعني قعر البئر وأسفله، وفي تسميته غيابة الجب وجهان أحدهما: لأنه يغيب فيه خبره، والثاني: لأنه يغيب فيه أثره قال الشاعر وهو ابن أحمر:

فقلت البنا شهرين أو نصف ثالث ... إلى ذاك ما قد غيبتني غيابيا

وفي الجب قولان ؛ أحدهما : اسم بئر في بيت المقدس . الثاني : أنه اسم بئر غير معينة وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشى :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم

وفي تسمية الجب قولان أحدهما: هو ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن والثاني أن يكون ما لا طي له من الآبار {يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(١٠)} معنى يلتقطه يأخذه ومنه اللقطة لأنه الضالة المأخوذ والسيارة المسافرون سموا بذلك لأنهم يسيرون.

قوله تعالى: {..أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} أي يسعى ويلعب ويلهو وقيل معنى يرتع يطعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب قال الفرزدق:

وبعد عطائك المائة الرتاعا

أي الراتعة بكثرة الماء والمرعى وهذا يدل على أنهم لم يكونوا قد بلغوا لأنه لو كان بلوغاً لأنكر عليهم يعقوب.

{...وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} أي ألهمناه كما قال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص:٧]، {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١٥)} بوحي الله عز وجل إليه وما يؤول إليه أمره.

قوله تعالى: {قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ} وهو تفعيل من السبق ويحتمل وجهين أحدهما: ننتضل من السباق في الرمي، والثاني: أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم {وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا} يحتمل أن يعنوا بتركه إظهار الشفقة عليه ويحتمل أن يكون المراد به حفظ رحالهم وأمتعتهم {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} لما سمعوا أباهم يقول: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} أخذوا ذلك من فيه فتجرموا به {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} أي بمصدق لنا {وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ(١٧)} فيه وجهان أحدهما: أنه لم يكن ذلك تشكيكاً لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا.

قوله تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قيل إنه كان دم سخلة

سورة يوسف

وقيل دم ظبي فلما جاءوا بقميص يوسف لم ير يعقوب شيئاً قال: والله يا بني ما عهدت الذئب حليماً يأكل ابني وأبقى علي قميصه ومعنى بدم كذب أي مكذوب عليه لكنه وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب، وفي القميص ثلاث آيات: حين جاءوا عليه بدم كذب، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، وحين قدت قميصه من دبر {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} وزينت لكم أنفسكم وأمرتكم {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} أي صبر لا جزع فيه ولا شكوى من بث أو غيره {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(١٨)} يعني على ما تكذبون، وإنما ابتلى الله سبحانه يعقوب في كبره ويوسف في صغره لينظر كيف عزمهما.

قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} وهو الذي يرد أمامهم يسقي لهم {فَأَدْلَى دَلْوَهُ} أي أرسلها ليملأها يقال أدلى الدلو إذا أرسلها ودلاها إذا أخرجها ملأى قيل: فتعلق يوسف بالدلو حين أرسلت {قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ }فالتأويل أنه ناداهم بالبشرى يبشرهم بغلام وقيل إنه نادى أحدهم وكان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام {وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} قيل إن أخوة يوسف كانوا بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا: هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسروا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم وقيل إن الواردين إلى الجب أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون بضاعة لهم كي لا يشركوهم فيه لرخصه وتواصوا بها بضاعة استبضعوها من أهل الماء.

قوله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ} أي باعوه ومنه قول الشاعر:

وشريت برداً ليتنى ... من بعد برد كنت هامه

وقيل: إن إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب ودعوه عبداً، قيل: إن السيارة باعوه والله أعلم، وقوله: {بِثَمَنٍ بَخْسٍ} والبخس الحرام والظلم، وقيل: إنه بيع بعشرين درهماً وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين وكانت الدراهم معدودة غير موزونة {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠)} حين صنعوا ما صنعوا وباعوه بما باعوه.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ} وهو العزيز {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} أي منزلته قال كثير:

أريد ثواء عندها وأظنها إذا ما أظلنا عندها المكث ملت

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطية منبته {عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا} إن أعتقناه {أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} إن تبنيناه ، وقيل : إن أحسن الناس فراسة اثنان العزيز حين قال لامرأته : أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وابنة شعيب في موسى حين قالت لأبيها: {يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦)} [القصص]. {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} بإخراجه من الجب وباستخلاف الملك له {وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} وقد مر الكلام {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ} أي أمر يوسف حتى يبلغ ما أراده.

قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} وبلوغ الأشد في هذا الموضع قد قيل إنه عشرون سنة وقيل إنه ثلاث وثلاثون سنة {ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} الحكمة الحكم في الأفعال والنبوة وشرائطها.

قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} وهي امرأة العزيز وكان يوسف -عَلَيْه السَّلام- قد أعطي من الجمال ما لم يعطه أحد قبله

سورة يوسف

فراودته عن نفسه والمراودة هي الاستدعاء له إلى نفسها {وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} عنى تكثير الإغلاق وكثرة الإيثاق {وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} أي هلم لك قال الشاعر:

أبلغ أمير المؤمنين	أداخ العراق إذا أتيتا
إن العراق وأهله خير	إليك فهيت هيتا

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} أي أن الله أحسن مثواي فلا أعصيه.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} أم همتها به فكانت قبيحة وأما همته فكانت حسناً لأنه هم بضربها وخلافها ولم يهم بمواقعتها بقبيح أصلاً لأنه نبي والهم بالقبيح ليس يجوز على الأنبياء، وأما قوله: {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} أي لولا كان معه من عصمة الله وتوفيقه وتصوره للقبيح أنه قبيح وأن صاحبه مذموم معاقب والحسن أنه حسن وأن صاحبه مثاب عليه ممدوح لجاز أن يقع منه الهم بالقبيح لأن من لم يتصور الأفعال على ما ذكرنا جاز أن يقع منه القبيح في موضع الحسن والحسن في موضع القبيح {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ} يعني الزنا والنبأ القبيح[1] {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤)} المخلصين بكسر اللام وتأويلها الذين أخلصوا لله سبحانه الطاعة وتقرأ بفتح اللام وتأويلها الذين أخلصهم الله عز وجل لطاعته واختارهم لرسالته وقد كان يوسف -عَلَيْه السَّلام- بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصاً في طاعة الله مستخلصاً لرسالته.

---

[1]- وهو القول بخيانته لسيده . تمت.

قوله تعالى: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ} أي أسرعا أما يوسف فأسرع إليه هرباً منها، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلباً {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فقدت قميصه إلى ساقه وسقط عنه وتبعته {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} أي وجدا زوجها عند الباب والقبط يسمون الزوج السيد {قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٥)} هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة بإلقائها على يوسف الكذب، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} لأنها لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرئ نفسه بالصدق عليها ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليه {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا} لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد يشهد به للصادق منهما من الكاذب وشهد شاهد من أهلها وأراد بالشاهد القميص المقدود لأنه قال: {إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ}..الآية، لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلاً عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلاً على طلبه وإذا هرب من المرأة وكان مدبراً عنها فيكون شق قميصه من دبر دليلاً على هربه وهذه أحد الآيات الثلاث في القميص الذي كان عليه إن كان قد من دبر كان دليلاً على صدقه، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً.

{فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ(٢٨)} علم بذلك صدق يوسف فصدقه وقال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم، وأراد بالكيد هنا الكذب، وقيل إن الشاهد الذي شهد صبي أنطقه الله عز وجل في مهده.

قوله عز وجل: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} أي أعرض عن هذا القول

على وجه التصديق له في البراءة من الذنب {وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩)} يعني من المذنبين يقال لمن قصد الذنب خطأ ولمن لم يقصده أخطأ ثم قال: {إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩)} لتغليب المذكر على المؤنث.

قوله عز وجل: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ} بالتذكير لأنه فعل الجمع وتقدير الكلام قال جمع نسوة في المدينة {امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} أي دخل حبه شغاف قلبها وقيل شغاف القلب حجابه وقيل غلافه وهو جلدة دقيقة بيضاء تكون عليه وربما سميت لباس القلب، وقرئ في الشواذ: (قد شعفها حباً) بالعين غير معجمة، وقيل إن الشعف بالعين هو الجنون، وبالغين هو الحب قال أبو ذؤيب:

فلا وجد إلا دون وجد وجدته أصاب شغاف القلب والقلب يشغف

{إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٣٠)} أي في ضلال عن طريق الرشاد وعدول عن الحق.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} في أعتدت وجهان أحدهما: من الاعتداد، والثاني: من العتاد وهو الزجر، والمتكأ هو كل ما يتكى عليه من وسائد وغيرها ويجوز أن يكون معناه الطعام لقول العرب: اتكأنا عند فلان، أي أطعمنا عنده، وأصله من دعا إلى طعام أعد له متكأ فسمي الطعام متكأ على الاستعارة، وقرئ بالتخفيف وترك الهمزة الأترج قال الشاعر:

شرب الإثم بالصواع جهاراً وترك المتك بينهم مستعارا

وقيل: اسم كل ما يجز بالسكين {وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ} وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة على الأكل وفي الباطن ليظهر من دهشهن ما يكون شاهداً عليهن {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ} أي عظمنه لما لقين فيه من أمارات الخير ودلائل النبوة، وقد يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت قال الشاعر:

نأتي النساء على أطهارهن ولا   نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} دهشاً ليكون على ما أضمرته امرأة العزيز فيهن {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ} أي معاذ الله {مَا هَذَا بَشَرًا} أي من جملة البشر لما شاهدن من حسنه الباهر وجماله البديع ودلائل الخير وأمارات الصدق وعلامات النبوة وآثار الصفوة ما هذا بشراً أي من جملة البشر {إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ(٣١)} وقرأ ما هذا بشراً بكسر الباء والشين أي ما هذا عبداً مشتراً إن هذا إلا ملك كريم.

قوله تعالى: {...ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ} والآيات التي رأوها قد القميص وجز الأيدي {لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ(٣٥)} قيل إن الحين هنا ستة أشهر، وقيل إن الحين سبع سنين، وقيل أيضاً: هو زمان غير محدود، وسبب حبسه بعد ظهور صدقه ما روينا أن المرأة قالت لزوجها إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال إني قد راودته عن نفسه فإما أن تطلقني أو تحبسه فحبسه.

قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} قيل إن أحدهما خازن الملك على طعامه والآخر ساقيه على شرابه، وكان الملك الأكبر الوليد بن الريان قد اتهمهما بسبب فحبسهما وقيل إنهما قالا ليوسف وقد حبسا معه: والله لقد

سورة يوسف

أحببناك حين رأيناك فقال يوسف: أنشدكما الله إن أحببتماني فما أحبني من أحد إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي منها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء.

{قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} وسبب قولهما ذلك أنهما سألاه عن علمه فقال: إني أعبر الرؤيا فسألاه عن رؤياهما، قيل: إن رؤياهما كانت رؤيا صدق رأياها وسألا عنها، وقيل إنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجريباً فلما أجابهما عن التأويل قالا: إنما كنا نلعب قال: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(٤١)}.

قوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} أي عنباً وقيل في بعض اللغات يسمى العنب خمرا أي أراني أعصر عنباً {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٣٦)} وإنما وصف بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم وينصرهم في الدين والعلم.

قوله تعالى: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ} في النوم إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة، ويحتمل أن يكون لا يأتيكما طعام في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله أي ما يحل منه وما يحرم {ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} يعني تأويل الرؤيا {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(٣٧)} وإنما عدل عن تأويل ما سألاه لما فيها من الكراهة فأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون بالله تنبيهاً لهم على نبوته وحثاً لهم على طاعة الله عز وجل.

قوله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ} ذلك من فضل

الله علينا بأن جعلنا أنبياء وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلاً . {...ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي ذلك الدين المستقيم والقضاء الحق.

قوله تعالى: {يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} بشره بالنجاة وعوده إلى سقي صاحبه خمراً لأنه كان ساقيه {وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} وهو الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال: إنما كنا نلعب قال: {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ(٤١)}.

قوله تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا} فعبر عن العلم بالظن، والثاني: أنه ظن ذلك من غير يقين، وفي ظنه وجهان أحدهما: لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به، والثاني: أنه لم يتيقن صدقها في الرؤيا وكان ظنه في الجواب لشك في صدقهما {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} أي عند سيدك يعني به الملك الأكبر الوليد بن الريان تأهيلاً للخلاص إن ذكره عنده {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} فيه قولان أحدهما: أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا.

والثاني: أن يوسف أنساه الشيطان ذكر الله في الاستغاثة والتعويل، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} ما لبث ما لبث)).

روينا أنه بقي في السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك ولو ذكر الله عز وجل لخلصه وفي البضع ثلاثة أقاويل أحدها من ثلاث إلى سبع، والثاني: من ثلاث إلى تسع والثالث من ثلاث إلى اثني عشر وقيل إن المدة التي بقي يوسف -عَلَيْه السَّلام- في الحبس فيها سبع سنين وكان البضع مدة امتحانه بعد قوله: اذكرني عند ربك لا مدة حبسه.

قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ} وهذه الرؤيا

سورة يوسف

رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين أحدهما: أنها كانت سبباً لخلاص يوسف -عَلَيْه السَّلام-، والثاني: أنها كانت نذير بالجدب فأخذوا أهبته واعتدوا له عدته {يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} وذلك أن الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادىٰ في قومه ليسمع بها من يكون عنده علم تأويله فيعبرها له. {قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} وفي الأضغاث أربعة أقاويل أحدها: أخلاط أحلام ، والثاني : أهاويل أحلام . والثالث : أكاذيب أحلام . والرابع : ألوان أحلام، قال الشاعر:

كضغث حلم عز منه حالمه

والأضغاث جمعٌ واحده ضغث وهو الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلىٰ بعض وقيل: ما ملأ الكف منه لقوله: {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ} [ص:٤٤]، والأحلام جمع حلم والحلم الرؤيا في النوم وأصله الأناة ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرىٰ في المنام حلم لأنها حال أناة وسكون {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ(٤٤)} ويجوز أن يكون الله عز وجل صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفاً بيوسف ليتذكر الذي نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة فيكون سبباً لخلاصه.

قوله تعالىٰ: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} أي بعد حين وقيل بعد أمة من الناس ورد في الأثر أن يوسف -عَلَيْه السَّلام- ألقي في الجب وهو ابن سبع سنين وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين ثم جمع له شمله فعاش بعد ثلاث وعشرين سنة.

وقرئ: وادكر بعد أَمَه بفتح الألف وتخفيف الميم، والأمه بالتخفيف النسيان {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ(٤٥) يُوسُفُ} أنا أخبركم من

عنده علم تأويله ثم لم يذكره لهم ولم يكن السجن في المدينة فانطلق إلى يوسف حينئذ.

قوله تعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} تحتمل تسميته بالصديق وجهين أحدهما لصدقه في تأويل رؤياهما، والثاني لعلمه بنبوته {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ} هن السنون المخصبة {يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ} أي السنون المجدبة {وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ} والخضر في الخصب لأن الأرض نباتها خضراء، واليابسات الجدب لأن الأرض فيه يابسة كما أن ما أشبه الخصب سمان وما أشبه الجدب عجاف {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ(٤٦)} أي لكي أرجع إلى الناس وهو الملك وقومه، ويجوز أن يكون أراد الملك وحده وعبر عنه بالناس تعظيماً له لعلهم يعلمون يعني تأويلها ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف لأنه قد استقر في نفسه علمه وصدقه ولكن لخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبة وإما كيلا يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر في وقت العيان.

قوله تعالى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا} فيه وجهان أحدهما: يعني تباعاً متوالية، والثاني: يعني العادة المألوفة بالزراعة {فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ(٤٧)} يعني يخرج في سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل وهذا القول منه أمر والأول خبر ويجوز أن يكون الأول أيضاً خبر وأن يكون الأظهر منه أنه خبر {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ} يعني المجدبات لشدتها على أهلها.

ورد في الأثر أن يوسف -عَلَيْه السَّلام- كان يضع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل فيدع نصفه حتى إذا كان يوماً فقربه له فأكله كله فقال يوسف: هذا أول من السبع الشداد {يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} معناه تأكلوا فيه ما ادخرتم لهذا {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ(٤٨)} أي مما تحرزون في الحصون.

سورة يوسف

قوله تعالى: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ(٤٩)} أي يغاثون بنزول الغيث عليهم والثاني يغاثون بالخصب وَفِيهِ يَعْصِرُونَ وفيه أربعة أقاويل أحدها: يعصرون العنب بضم الياء وفتح الصاد وهي من قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(١٤)} [النبأ]، والرابع ينجون من العصر وهو النجاة شعراً:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصره المنجود

وهذا القول من يوسف -عَلَيْه السَّلام- غير متعلق بالرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلعه الله تعالى عليه ليكون من آيات نبوته.

قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ} يعني يوسف {فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} يعني الملك {فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباً ولا خائناً.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((رحم الله يوسف كان ذا أناة لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً)) وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز قولان أحدهما: أنها صيانة لها لأنها زوجة الملك لم يبد لها بالذكر، والثاني: أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له {إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ(٥٠)} أي إن الله بكيدهن عالم.

قوله تعالى: {مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} وهذا سؤال الملك قد تضمن تبرئه يوسف لما قد تخيله من صدقه لطفاً من الله تعالى به حتى لا تسرع واحدة منهن إلى الكذب عليه {قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا

عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} فشهدن له بالبراءة من السوء على علمهن لأنها شهادة على نفي ولو كانت شهادتهن على إثبات لشهدن قطعاً وهذا حكم الله تعالى في الشهادات أن تكون على العلم في النفي وعلى القطع في الإثبات.

{قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} ومعناه الآن تبين الحق وأصله مأخوذ من قوله حص شعره إذا استأصل قطعه ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها ومعنى حصحص الحق أي انقطع عن الباطل لظهوره وبيانه وفيه زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق ومثل: كبوا وكبكبوا، قال الشاعر:

ألا من مبلغ عني خداشاً بأنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

{أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(٥١)} وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهاراً لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر أقوى من الشهادة عليه فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفساً ظن ولا يخالجها شك.

قوله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ(٥٢)} يحتمل وجهين أحدهما: أنه قول امرأة العزيز عطفاً على ما تقدم ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب أي الآن في غيبة يوسف بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدي كيد الخائنين، ومعناه أن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم، والثاني: أن يكون ذلك قول يوسف -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} فيه وجهان على ما مضى أحدهما: أنه قول امرأة العزيز وما أبرئ نفسي أن كنتُ راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها {إِلَّا

سورة يوسف

مَا رَحِمَ رَبِّي} في نزع شهوته منه إلا من رحم ربي في قهره لشهوة نفسه وهذا تأويل على أن يكون القول من امرأة العزيز.

والثاني: أن يكون قول يوسف وذلك أنه لما قال أني لم أخنه بالغيب كره نبي الله أن يكون قد زكّى نفسه فقال: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}.

قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} هذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاصّ خدمته {فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ(٥٤)} وهذه منزلة العاقل العفيف ومعنى قوله: مكين أمين: متمكّن في المنزلة الرفيعة وقوله مأمون ثقة.

قوله تعالى: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ} أي خزائن أرضك وسأله جميع الخزائن وفي هذا دليل على أنه يجوز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو يقوم بحقه فيه وشروطه، وقد اختلف الناس في التولّي من قبل الظالمين على وجهين أحدهما: أنه يجوز إذا علم بالحق فيما يقلّده لأن يوسف ولي من قبل فرعون ولأن الاعتبار في حقّه بفعله ولا يفعل غيره.

والثاني: لا يجوز لما فيه من تولّي الظالمين بالمعونة لهم وتزكيتهم بإنفاذ أعمالهم وهذا أصحّ القولين، وعلى هذا القول في ولاية يوسف من قبل فرعون وجهان أحدهما: أن فرعون كان صالحاً وإنما الطاغي فرعون موسى.

والثاني: أن يوسف نظر له في أعماله دون أملاكه فزالت عنه التبعة فيه وهذا أحسن الوجوه {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ(٥٥)} أي حفيظ لما استودعتني

{عَلِيمٌ(٥٥)} بما وليتني، وفي هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل وليس هذا على الإطلاق في عميم الصفات.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ} قيل إن الملك الأكبر استخلفه على عمل إطفير وعزله وكان الإطيفير هو الملك الأصغر فمات فزوج الملك يوسف بامرأته راعيل فدخل بها يوسف فوجدها عذراء وولدت ولدين {يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ} أي يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، والثاني: يصنع فيها ما يشاء لتفويض الأمر إليه {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ} يعني في الدنيا {وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦)} يعني في الآخرة، وقد تحمل الآية وتحمل على الآخرة.

قوله تعالى: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧)} يعني ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من ملك الدنيا ونعيمها لأن أجر الآخرة دائم وأجر الدنيا منقطع، ويجوز أن يكون المعنى ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من ملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة.

قوله تعالى: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(٥٨)} إنما جاءوا ليمتاروا من مصر في سنين القحط التي ذكرها يوسف في تأويل الرؤياء ودخلوا على يوسف فعرفهم أي أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف وهم له منكرون لأنهم فارقوه صغيراً فكبر وفقيراً فاستغنى وباعوه فصار ملكاً فلذلك أنكروه ولم يتعرف إليهم فيعرفوه.

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} وذلك أنه كال لهم الطعام وحمل بعد ذلك لكل رجل منهم بعيراً وقال لهم: {ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ} يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه وذلك أنه أدخل إخوته الدار وقال لهم: قد استربت بكم منكراً عليهم فأخبروني من أنتم فإني

سورة يوسف

أخاف أن تكونوا عيوناً؟ فذكر الرجال حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلفه مع أبيه فقال: إن كنتم صادقين فأتوني بهذا الأخ الذي لكم من أبيكم وأظهر لهم أنه يريد أن يستبري به أحوالهم وقيل بل وصفوا له أنه أحب إلى أبيه منهم فأظهر لهم محبة رؤيته.

{أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ} المعنى أرخص لكم الكيل فصار رخصه زيادة في الكيل {وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(٥٩)} أي خير المضيفين.

قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي} يعني فيما بعد لأنه وفاهم كيلهم في هذه الحال {وَلَا تَقْرَبُونِ(٦٠)} يعني لا أنزلكم مني منزلة القريب ولم يرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا فارتهن شمعون عنده.

قوله تعالى: {قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ} والمراودة الاجتهاد في الطلب مأخوذ من الإرادة {وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ(٦١)} لمراودة أبيهم وطلبهم ويجوز وإنا لفاعلون العود إليه بأخيهم.

فإن قيل: فلم استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ فعن هذا أربعة أجوبة أحدها: أن يكون أراد بذلك ابتلاء يعقوب ليعظم له الثواب فاتبع أمره فيه. الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك تنبيه يعقوب على حال يوسف. والثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه.والرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله الذي كان إليه.

قوله تعالى: {وَقَالَ لفتيته اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ} وقرئ: وقال لفتيانه اجعلوا، وفيهم قولان أحدهما: أنهم غلمانه، والثاني: أنهم الذين كالوا لهم الطعام، وعنى ببضاعتهم ورقهم الذي ابتاعوا الطعام بها {لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ} يعني إذا رجعوا إلى أهلهم ومنه

قوله: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ} [آل عمران:١٧٤]، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٦٢)} أي ليرجعوا.

فإن قيل: فلم فعل يوسف ذلك؟ قيل: يحتمل أوجه خمسة أحدها: ترغيباً لهم ليرجعوا على ما صرح به. والثاني: أنه علم منهم أنهم لا يستحلون إمساكها وأنهم يرجعون لتعريفها. والثالث: ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودتهم طلباً في أموالهم. والرابع: أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به. والخامس: تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم.

قوله تعالى: {فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} أي سيمنع منا الكيل إذا عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر طلبه منا ليراه وليعرف صدقنا منه {فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ} أي [إن] أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه فنكتال منه {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٦٣)} ترغيباً له في إرساله معهم؛ فلم يثق منهم بذلك لما كان منهم في يوسف فقال: {هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه فلم يثق بهم فيما ضمنوا {فَاللَّهُ خَيْرٌ حفظاً} وقرئ: حافظاً يعني منكم لأخيكم {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٦٤)} فيما نزل من حزني.

قوله تعالى: {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ} أي وجدوا التي كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروا {قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا} أي ما نبغي بعد هذا الذي عاملنا ويحتمل: ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك {هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} احتمل قولهم ذلك ترغيباً وتعريفاً {وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} وهذا ترغيب محض {وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ} وهو أيضاً ترغيب إلى نصيب أخينا لأن يوسف -عَلَيْه السَّلام- قسط الطعام بين الناس فلا يعطي

سورة يوسف

الواحد أكثر من بعير {ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ(٦٥)} يعني الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا، وهذا استعطاف منهم لأبيهم وفيه وفاء لما بذلوه ليوسف من مراودة أبيهم في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيباً واستنزالاً واستعطافاً وتسهيلاً.

قوله عز وجل: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} والموثق حلفهم بالله وإشهادهم إياه على أنفسهم {إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ} يعني إلا أن تغلبوا على أمركم أو يهلك جمعكم.

قوله تعالى: {وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ} يعني لا تدخلوا مصراً من باب واحد من أبوابها {وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} وإنما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد فخاف الملك أن يرى عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً أو حذراً {وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} أحذره عليكم.

قوله تعالى: {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} أي لا يرد الحذر ما كان قد حكم الله عز وجل به وحتمه {إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا} وهو حذر المشفق وسكون قلبه بالوصية.

قوله تعالى: {وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ} أي ضمه إليه وأنزله معه {قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} أي أنه يوسف {فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٦٩)} أي فلا تحزن بما كانوا يعملون أي بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ} وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطاء بعيراً مثل ما أعطاهم {جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ}

والسقاية والصواع واحد وهو إناء العزيز الذي كان يسقي به الناس ويشرب وبه كال طعامهم إكراماً لهم {ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ(٧٠)} أي نادى مناد فسمي النداء أذان لأنه إعلام كالأذان، والعير القافلة.

فإن قيل: فكيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليسرقهم وهم براء وهذه معصية؟ قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة أحدها: أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف. والثاني: أن الكيال حين فقد السقاية ظن أنهم قد سرقوه ولم يعلم بما فعله يوسف فلم يكن عاصياً، والثالث: أن النداء كان بأمر يوسف وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه وذلك صدق.

قوله عز وجل: {قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ(٧١)} لأنهم استنكروا ما قذفوا به مع ثقتهم بأنفسهم.

{وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} وهذه جعالة بذلت للواجد ثم قال: {وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٧٢)} أي كفيل ضامن.

فإن قيل: فكيف ضمن حمل البعير وهو مجهول وضمان المجهول لا يصح؟ قيل عن هذا جواب جيد: أن حمل البعير قد كان عندهم معلوماً كالوسق فصح ضمانه.

{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ(٧٣)} ي لنسرق لأن السرقة من الفساد في الأرض وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كان شرفوهم بالصلاح والعفاف وقيل لأنهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ومن يؤدي الأمانة في غائب لا يُقدم على سرقة مال حاضر {وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ(٧٣)} من غيركم فنسرق منكم.

قوله تعالى: {قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ(٧٤)} أي ما عقوبة

سورة يوسف

من سرق منكم إن كنتم كاذبين لم تسرقوا منا. {قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ} أي جزاء من سرق أن يسترق {كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٧٥)} أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سرقوا أن يسترقوا وكان هذا من دين يعقوب -عَلَيْه السَّلام-.

{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ} وعنى بها الصاع يذكر ويؤنث {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} أي دبرنا له {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} أي في عادة الملك وقضائه ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق وإنما كان يضاعف عليه الغرم {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} أي إلا أن يشاء الله أن يسترق من سرق.

والثاني: إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} بالعلم والحكمة والإمامة {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(٧٦)} أي فوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله عز وجل.

فإن قيل: فلم عرض أخاه أن يكون متهماً بالسرقة؟ قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة أحدها: أنه أراد أن ينزعه منهم بواجب عندهم فلم يجد إلى ذلك سبيلاً غير ما صنع. والثاني: أن أخاه قد كان يعلم بالحال فلم يقع ذلك منه موقعاً مؤلماً ولم يكن على يوسف في ذلك حرج. والثالث: أنه لما كان في جعل بضاعتهم في رحالهم وهم لا يشعرون تنبيهاً على أنه قد يجوز أن يجعل الصواع في رحل أخيهم وهم لا يعلمون جعل لهم مخرجاً من هذه التهمة فزال عنه الحرج.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} وإنما أرادوا بذلك ليتبرءوا من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن يسرق فقد جذبه عرق أخيه السارق لأن الاشتراك في الأنساب يفيد تشاكلاً في الأخلاق ونسبوا

السرقة إلى يوسف ولم يكن منه {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ} أي أسر {فِي نَفْسِهِ} قولهم إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل {قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا} معناه شر منزلة ممن نسبتموه إلى هذه السرقة {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ(٧٧)} أي بما تقولون.

قوله تعالى: {قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا} وإنما قال ذلك ترفقاً واستعطافاً، ويجوز أن يكون المراد بالكبير يعني أنه كبير السن ويحتمل أن يكون المراد كبير المقدار والموضع {فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٧٨)} ومعناه إنا نراك من المحسنين إن فعلت هذا مضافاً إلى ما كنت تفعل بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا ورد بضاعتنا فأجابهم يوسف هذا: فـ{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ(٧٩)}.

قوله تعالى: {فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا} أي يئسوا من رد أخيهم وخلصوا نجياً أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون، لا يختلط بهم سواهم {قَالَ كَبِيرُهُمْ} فيه قولان أحدهما: كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذي كان قد ارتهنه يوسف عنده حتى رجع إخوته إلى أبيهم. والثاني: أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف: {أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} يعني عند إنفاذ ابنه هذا معكم {وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} يعني أرض مصر {حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي} بالرجوع {أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ(٨٠)} يعني أو يقضي الله لي بالخروج منها أو يحكم الله لي يحتمل أيضاً بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك.

قوله تعالى: {ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} قرئ بضم السين وفتحها {وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا} من وجود السرقة في

سورة يوسف

رحله {وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ(٨١)} وما كنا نعلم أن ابنك سرق.

قوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} بحذف ذكر الأهل إيجازاً لأن الحال يشهد به {وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} والعير القافلة.

قوله تعالى: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} أي بل زينت وسهلت عليكم في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق وإنما ذاك لأمر يريده الله عز وجل {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} يعني يوسف وأخاه المأخوذ في السرقة وأخاه المخلف بمصر {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٨٣)} في قضائه بما ذكرتم.

قوله تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ} يعني يا جزعا على يوسف قال الشاعر:

فيا أسفا للقلب كيف انصرافه ... وللنفس لما سليت فتسلت

وقيل: معناه واحزناه قال حسان يرثي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

فيا أسفا ما وارت الأرض والتوت ... عليه وما تحت السلام المنضد

قوله تعالى: {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ} أي ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه {فَهُوَ كَظِيمٌ(٨٤)} فيه وجهان أحدهما الكمد، والثاني المخفي لحزنه مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه قال الشاعر:

فخصصت قومي واحتسبت قتالهم ... والقوم من خوف المنايا كظم

قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا}

معناه لا تزال في تذكر يوسف وقال أوس بن حجر:

فما فتئت خيل تثوب وتدعى ويلحق منها لاحق وتقطع

أي فما زالت حتى تكون حرضاً أي هرماً دنفاً وأصل الحرض فساد الجسم والعقل من مرض أو غيره قال الشاعر:

إني امرؤ ولج بي حب فأحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم

{أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ(٨٥)} أي ميتاً من الميتين.

فإن قيل: فكيف صبر يوسف -عَلَيْه السَّلام- عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر، وأبوه بحران من أرض الجزيرة وهلا عجل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء؟

قيل: يحتمل ذلك أربعة أوجه أحدها: أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى ابتلاهما به لمصلحة علمها لأنه نبي مأمور. والثاني: أنه بلي بالسجن فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر. والثالث: أن في مفاجئ السرور يضر فأحب أن يروض نفسه بالتدريج. والرابع: لئلا يتصور الناس تعجيل استدعائهم فاقة أهله.

قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} والبث الهم والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثاً وهو مبثوث {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٨٦)} أي أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني ساجد له.

قوله تعالى: {يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} استعلموا وتفرقوا ومنه قول عدي بن زيد:

فإن حييت فلا أحسسك في بلدي وإن مرضت فلا تحسسك عوادي

سورة يوسف

وأصله طلب الشيء بالحس {وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} أي من فرج الله ورحمته وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكراهة.

قوله تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} وهذا من أبلغ ترقيق وأحسن استعطاف وإنما قصدوا بذلك توفية كيلهم والمحاباة لهم ورد أخيهم عليهم {وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ} وأصل الإزجاء السوق بالدفع ومنه قول الشاعر:

تزجي أغن كان ابره روقة قلم أصاب من الدواة مدادها

والمزجاة البضاعة القليلة الكاسدة ومنه قول الراعي:

ومرسل ورسول غير متهم وحاجة غير مزجاة من الحاجي

{فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} أي مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية كانت أقل {وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} أي تفضل علينا بالزيادة على حقنا لأن الصدقة محرمة على الأنبياء.

قوله تعالى: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ} معناه قد علمتم كقوله: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} [الإنسان:١]، أي قد أتى، ذكر لنا أنهم لما قالوا: {مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ} رحمهم ورق لهم وقال: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ} وعدد عليهم ما صنعوا بهما {إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ(٨٩)} يعني جهل الصغر فحينئذ عرفوه فـ{قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} بالسلامة

والكرامة {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ} على بلواه {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٩٠)} في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} أي فضلك الله علينا مأخوذ من الإيثار وهو إرادة تفضيل أحد البنين على الآخر، شعرا:

والله سماك اسماً مباركاً أنزل الله به إيثاركا

{وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ(٩١)} فيما صنعوا بيوسف.

فإن قيل: فقد كان عند فعلهم به ذلك صغاراً ترفع عنهم الخطايا؟ قيل: لما كبروا لو استداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين.

قوله تعالى: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} لا تغيير عليكم اليوم ولا تأنيب عليكم فيما صنعتم.

قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} بعدما عمي، ويحتمل أن يكون بمعنى مستبصراً بأمري لأنه إذا شم ريح القميص عرفني ولولا أن الله سبحانه وتعالى أعلم يوسف ذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره وكان حمل قميصه يهوذا بن يعقوب قال ليوسف أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فحزنته فأنا الذي أحمل قميصك لأسره ليعود إليه بصره فحمله {وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ(٩٣)} ليتخذوا مصر داراً.

قوله تعالى: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ} أي خرجت من مصر منطلقة إلى الشام {قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ(٩٤)} يعني لولا أن تسفهون ومنه قول النابغة الذبياني:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند

أي عن السفة وقد يكون التفنيد بمعنى التكذيب كما قال الشاعر:

سورة يوسف

هل افتخار الكريم من أود أم هل يقول الصديق من فند

أي من كذب.

ويحتمل أن يكون بمعنى تضعيف الرأي ومنه قول الشاعر:

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر بمردود

وكان قوله هذا لأولاد بنيه لغيبة بنيه عنه فدل هذا على أن الجد أب وقيل إن المسافة التي وجد منها ريح قميصه ثمانية أيام، وقيل ستة أيام.

قوله تعالى: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ(٩٥)}.

قوله تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} وهو يهوذا بن يعقوب سمي بذلك لأنه أتاه ببشارة ألقاه على وجهه يعني ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيراً أي رجع بصيراً بخبر يوسف من العمى {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ} من صحة رؤيا يوسف {مَا لَا تَعْلَمُونَ(٩٦)} ويحتمل وجهاً ثانياً وهي أني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول الفرج ونيل الثواب ما لا تعلمون.

قوله تعالى: {..قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} وذلك لقولهم: {يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} وإنما سألوه ذلك لأمرين أحدهما أنهم ادخلوا عليه من أمر الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله. والثاني: أنه نبي تجاب دعوته وتعظم مسألته.

{قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} في تأخيره الاستغفار لهم وجهان أحدهما أنه أخره دفعاً عن التعجيل ووعد من بعد فلذلك قيل طلب الحوائج إلى الشباب أسهل من المشائخ ألم تر إلى قول يوسف: {لَا تَثْرِيبَ

عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} وإلى قول يعقوب: {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} وإنما أخر الاستغفار انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعاً لزمان الطلب.

قوله تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ} قيل إن يوسف -عَلَيْه السَّلام- خرج من مصر وركب معه أهلها فلما دنى ويعقوب متكئ على ابنه يهوذا يمشي فلما نظر إلى الخيل والرجل قال يا يهوذا: هذا فرعون؟ قال: لا هذا ابنك يوسف فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان عني؛ فلما أجابه يوسف قال: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ(٩٩)} أي آمنين من فرعون ومن القحط والجدب ومعنى قوله: {ادْخُلُوا مِصْرَ} أي استوطنوه، وروينا أنهم دخلوا مصر ثلاثة وتسعون إنساناً من رجل وامرأة، وخرجوا مع موسى -عَلَيْه السَّلام- وهم ستمائة وسبعون ألفاً.

قوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} يعني على السرير وفي أبويه قولان أحدهما: أبوه وخالته وكان يعقوب قد تزوجها بعد أمه وكانت أمه قد ماتت فسميت الخالة أماً.

والثاني: انه أبوه وأمه وكانت باقية إلى دخول مصر {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} وقيل إن السجود كان تحية من قبلنا وتحيتنا اليوم السلام {وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وروينا أنه كان بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة، وقيل ستة وثلاثون سنة، وقيل اثنان وعشرون سنة، وروي ثماني عشر سنة.

فإن قيل: فإن كان رؤيا الأنبياء صادقة فهلا وثق بها يعقوب وتسلى ولم قال: {لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} وما يضر الكيد مع سابق العلم بالنصر وما يؤول إليه الأمر قيل عن هذا جوابان أحدهما أنه رآها وهو صبي فجاز أن يخالف رؤيا الأنبياء المرسلين والثاني

سورة يوسف

أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الأخوة في تعجيل الأذى {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}.

فإن قيل: فلم اقتصر من ذكر ما بلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله فيه أخطر؟ قيل: عن هذا ثلاثة أجوبة أحدها: أنه كان في السجن مع الخوف معرة لم تكن في الجب فكان ما في نفسه بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر.

والثاني أنه قال: شكراً لله تعالى على نقله من البلوى إلى النعماء وهو أنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب فصار أحق بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكاً وبخروجه من الجب عبداً.

والثالث: أنه لما عفا عن إخوته بقوله: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ وقوله: {وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} لأنهم كانوا بادية بأرض كنعان أهل مواشي {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} أي حرش وأفسد {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} في لطفه ليوسف بإخراجه من السجن وجاء بأهله من البدو.

قوله عز وجل: {رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} أي الملك ومن زائدة وعلمتني من تأويل الأحاديث يعني الأخبار عن حوادث الزمان بأهله {فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي خالقهما {أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} أي مولاي وناصري {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا} يعني مخلصاًلك الطاعة.

وروينا أن البشير لما أتى يعقوب قال له: على أي دين خلفت يوسف؟ قال: على الإسلام قال: الآن تمت النعمة {وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١)} يعني بآبائه الأنبياء الصالحين وكان يوسف –عَلَيْه السَّلام– أول نبي تمنى

الموت.

قوله تعالىٰ: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ} أي نعلمك بوحي منا إليك {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ} أي مع إخوة يوسف {إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ} في إلقاء يوسف في الجب {وَهُمْ يَمْكُرُونَ(١٠٢)} يعني بيوسف حين ألقوه في غيابة الجب وثانيهم حين جاءوا علىٰ قميصه بدم كذب.

{..وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ(١٠٦)} وهو في المنافق يؤمن في الظاهر رياء للناس وهو في الباطن كافر بالله عز وجل.

قوله تعالىٰ: {..قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} يعني علىٰ هدىٰ وحق.

قوله تعالىٰ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ} يعني من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحكم، وقد روينا في الأثر أن الله سبحانه لم يرسل رسولاً نبياً من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن.

قوله تعالىٰ: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ} يعني استيأسوا من قومهم أن يصدقوهم {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا، ويحتمل أن يكون المعنىٰ وتيقن الرسل أن قومهم كذبوهم {جَاءَهُمْ نَصْرُنَا} أي جاء الرسل نصر الله بعذاب القوم {فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ} يعني من الأنبياء ومن آمن معهم {وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ(١١٠)}.

قوله تعالىٰ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يعني قصص يوسف وإخوته عبرة واعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن ومن الذل والرق إلىٰ أن جعله ملكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً فهو علىٰ نصر رسوله وإعزاز دينه وهلاك أعدائه قادر {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ}

سورة يوسف

أي يختلق ويتخرص يعني به القرآن وما تقدم فيه من القصص {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} يعني أنه مصدق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى.

قال الإمام الناصر لدين الله –صلوات الله عليه–:

سورة الرعد مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {المر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ} والكتاب هو القرآن أي هذه آيات الكتاب {وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} يعني القرآن {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ(١)} يعني بالقرآن أنه منزل من ربك بالحق.

قوله تعالى : {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} يعني أنها مرفوعة بغير عمد.

قوله تعالى: {..وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ} أي بسطها للاستقرار عليها رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} يعني جبالاً واحدها راسية لأن الأرض ترسو بها أي تثبت قال جميل:

أحبه والذي أرسى قواعده حتى إذا ظهرت آياته بطنا

{وَأَنْهَارًا} وفيها منافع الخلق من شرب الحيوان ونبات الأرض ومقبض الأمطار ومسالك الفلك {وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها وكذلك كل النبات وإن خفي والزوج الآخر حلو وحامض وعذب ومالح وأبيض وأسود وأحمر وأصفر فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين فصار كل ثمرة ذات نوعين زوجين وهي أربعة أنواع {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} معناه يغشي ظلمة الليل ضوء النهار ويغشي ضوء النهار ظلمة الليل.

قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ} أي متجاورات في البر في التفاصيل العذبة التي تنبت والسبخة التي لا تنبت {وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ} وفي الصنوان أربعة

تأويلات أحدها: أن الصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق. والثاني: أن الصنوان النخلات يكون أصلها واحد وغير الصنوان أن تكون أصولها شتى، والثالث: الصنوان الأشكال وغير الصنوان المختلف. والرابع: أن الصنوان الفسيل يقطع من أماته فهو معروف وغير الصنوان ما ينبت من النوى فهو غير معروف.

{وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} فبعضه حلو وبعضه حامض، وبعضه أصفر وبعضه أحمر، وبعضه قليل وبعضه كثير {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٤)} يعني إن في اختلاف ذلك اعتباراً يدل ذوي العقول على عظيم القدرة وبديع الحكمة، ويحتمل أن يكون ذلك مثل ضربه الله تعالى لبني آدم أن أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد.

قوله تعالى: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ} معناه فلا تعجب يا محمد من تكذيبهم لك فاعجب منه تكذيبهم بالبعث والله سبحانه لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب لأنه تغير نفس بما تخفى أسبابه وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون.

قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} أي بالعقوبة قبل العافية وبالشر قبل الخير {وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} يعني العقوبات التي مثل الله بها الأمم الماضية وهي جمع مثلة {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} يعني يغفر لهم ظلمهم السالف لتوبتهم في الآنف {وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ(٦)} وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال لما نزلت هذه الآية: ((ولولا عفو الله وتجاوزه ما هني أحد يعيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد)).

قوله تعالىٰ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ} يعني النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)} وهداة من ولدك قد آثرناهم لمقامك وجعلناهم حفاظ شريعتك وسنتك من بعدك إلىٰ يوم القيامة.

قوله تعالىٰ: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ} يعني أذكر هو أم أنثىٰ صالح أم طالح {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ} ومعنىٰ ذلك ما تغيظ الأرحام بالسقط الناقص وما تزداد بالولد التام، ويحتمل أن يكون المعنىٰ وما تغيظ الأرحام بالوضع لأقل من تسعة أشهر وما تزداد بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ويجوز وما تغيظ الأرحام بانقطاع الحيض في الحمل وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع.

قوله تعالىٰ: {..سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} من خير وشر {وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ(١٠)} يعني أنه يعلم من استخفىٰ عمله في ظلمة الليل ومن أظهره بضوء النهار، والثاني: يعلم ما أخفاه ظلمة الليل كما يرىٰ ما أظهر ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفىٰ عليهم أحوال أهله قال الشاعر:

وليل يقول الناس في ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها

والسارب هو المنصرف الذاهب مأخوذ من السروب في المرعىٰ وهو بالعشي وهو مثل السروح بالغداة.

قوله تعالىٰ: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} يعني الملائكة إذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل، وقيل: المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وتدبيره بخلقه {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} يعني من أمامه وورائه {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} أي بأمر الله وقيل: هذه الآية نزلت في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه

وآله وسَلَّم حين أزمع عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد بن ربيعة على قتل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فمنعه الله عز وجل منهما ونزلت فيهما الآية: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} من طاعة {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ} يعني إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه {وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(١١)} يعني من ملجأ ويجوز أن يكون بمعنى ناصر ومنه قول الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من والي

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} في غيثه المزيل للقحط {وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ(١٢)} يعني ثقالاً بالماء {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} والرعد الصوت المسموع.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الرعد وعيد الله عز وجل فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب)) والناس يسبحون له إذا سمعوه فنسبة التسبيح إلى الرعد مجاز {وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} أي من خيفة الله عز وجل {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء هو من لؤلؤ أو ياقوت فجاءت صاعقة فأخذته، وقيل: إنها نزلت في أربد بن ربيعة وقد هم بقتل النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- مع عامر بن الطفيل ويبست يده على سيفه وعصمه الله منهما ثم انصرف فأرسل الله صاعقة فأحرقته وفي ذلك يقول أخوه لبيد بن ربيعة:

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نو السماك والأسد

فجعني البرق والصواعق بالـ ـفارس يوم الكريهة النجد

{وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ} يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله من أي شيء هو، وجدال الأربد فيما هم به من قتل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ(١٣)} يعني القوة ويحتمل أن يكون المعنى هو شديد الهلاك بالمحل وهو القحط وشديد الانتقام والعقوبة، قال أعشى بني ثعلبة:

فرع نبع يهش في غصن المجـ ـد كثير الندى عظيم المحال

قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} يعني من الأصنام والأوثان {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} يعني لا يستجيبون لهم دعاء ولا يسمعون لهم نداء {إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} ضرب الله ذلك مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم لأن العرب تضرب لمن يسعى فيما لا يدركه بالقابض الماء باليد كما قال أبو ذهيل:

فأصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه أحدها: أن الذي يدعو إلهاً من دون الله كالضمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه وما الماء ببالغ إليها.

والثاني أنه كالضمآن الذي يرى خياله في الماء وقد سقط كفه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه. والثالث: أنه كباسط كفيه إليالماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه منه شيء.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} طوعاً سجود المؤمن وكرهاً سجود المنافق ولأن المنافق دخل في الإسلام

رهبة من السيف {وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(١٥)} أي ظل المؤمن يسجد بسجوده وظل الكافر المنافق يسجد بسجوده، والآصال جمع أصيل والأصيل هو العشي ما بين العصر والمغرب قال أبو ذؤيب:

لعمري لآت البيت أكرم أهله وأقعد في أفنائه بالأصائل

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ثم أمر نبيه أن يقول لهم هو الله إن لم يقولوا ذلك إفهاماً وتقريراً لأنه جعل ذلك إلزاماً قل: {أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} أمره الله عز وجل أن يقول لهم بعد اعترافهم بالله أفتخذتم من دون الله الخالق المنعم آلهة من أصنام وأوثان تعبدونها من دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعاً يوصلونه إليها ولا ضراً يدفعونه عنها فكيف يملكون لكم ضراً أو نفعاً وهذا إلزام صحيح.

ثم قال: {هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} فالمؤمن في هدى كالبصير يمشي في النور والكافر في ضلالته كالأعمى يمشي في الظلمات وهما لا يستويان كذلك المؤمن والكافر لا يستويان وهذا من أصح مثل وأوضح تشبيه.

ثم قال: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} أي فتماثل ومعناه أنه لما لم تخلق آلهتهم التي عبدوها كعبادة الله خلقاً كخلق الله فيشتبه عليهم خلق آلهتهم بخلقه تعالى فلما اشتبه عليهم حتى عبدوها كعبادة الله تعالى {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} فلزم لذلك أن يعبده كل شيء {وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(١٦)}.

قوله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} يعني أن

الصغير من الأودية سال بقدر صغره والكبير منها سال بقدر كبره {فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا} والرابي المرتفع وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ للحق والباطل فالحق ممثل بالماء الذي يبقىٰ في الأرض فينتفع به والباطل ممثل بالزبد الذي يذهب جفاء لا ينتفع به.

ثم ضرب مثلاً ثانياً فقال: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ} يعني الذهب والفضة ومتاع يعني الصفر والنحاس {زَبَدٌ مِثْلُهُ} يعني أنه إذا سبك بالنار كان له خبث كالزبد الذي علىٰ الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل ويبقىٰ صفوة فينتفع به كالحق والجفاء الجافي علىٰ وجه الأرض.

قوله تعالىٰ: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ} معنىٰ الحسنىٰ كالرزق والجاه في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة.

قوله تعالىٰ: {...وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} الذي أمر الله بوصله النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والأئمة من ولده لأن قطيعتهم كفر وضلال، ويحتمل أن تكون الآية عامة في الأرحام وسائر ما أمر الله بوصله {وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} فيما أمرهم بوصله {وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ(٢١)} في تركه.

قوله تعالىٰ: {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} يعني يدفعون المنكر بالمعروف وسعة الجهل بالحلم والمعصية بالطاعة والذنب بالتوبة.

قوله تعالىٰ: {..سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ} من ملازمة الطاعة بمفارقة المعصية {فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ(٢٤)} يعني فنعم عقبىٰ الجنة من النار.

قوله تعالىٰ: {...الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} يعني بذكرهم لنعم الله وجميل وعده لهم.

{الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ(٢٩)} وطوبىٰ معناه حسنىٰ لهم والعيش الطيب لهم وطوبىٰ من أطيب كما يقال

للأفضل فضلاً.

قوله تعالىٰ: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي} وقيل إن هذه الآية نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بكتب القضية بينه وبينهم فقال للكاتب: ((اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم)) قالوا: ما ندري ما الرحمن وما نكتب إلا باسمك اللهم فأنزل الله: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} يعني أنه إله واحد وإن اختلفت أسماؤه {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ(٣٠)} يعني التوبة.

قوله تعالىٰ: {وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} وسبب ذلك ما روينا أن كفار قريش قالوا لرسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- إن سرك أن نتبعك سير جبالنا تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة وقرب لنا الشام فإنا نتجر إليها وأخرج لنا الموتىٰ من القبور نكلمهم قال الله تعالىٰ: {وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} أي أجريت {أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} أو قربت {أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ} أي أحيوا وجواب هذا محذوف وتقديره لكان هذا القرآن، ولكن حذف لما في ظاهر الكلام من الدلالة علىٰ مضمر المحذوف.

ثم قال: {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} يعني هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها {أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} بانقطاع طمعهم مما سأله المشركون {أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا} يعني هداهم إلىٰ الإيمان وجواز أن يكون المعنىٰ هداهم إلىٰ الجنة {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} يعني تقرعهم من العذاب والبلاء {أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ} لتكون عبرة لهم {حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ} في فتح مكة ويحتمل أن يكون يوم القيامة.

قوله تعالىٰ: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} أي ما كسبت من عمل يحفظه عليها فيكون خارجاً مخرج الوعيد {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} يعني أصناماً جعلوها آلهة {قُلْ سَمُّوهُمْ} يحتمل وجهين أحدهما يسموهم آلهة علىٰ وجه التهديد، والثاني: صفوهم ليعلموا أنه لا يجوز أن تكون آلهة {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ} تخبرونه بما لا يعلم في الأرض إلهاً غيره {أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ} أم بباطن من القول.

قوله تعالىٰ: {..مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} أي شبه الجنة {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} أي ثمرها غير منقطع ولذتها في الأفواه باقية.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يعني اليهود والنصارىٰ فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم {وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} وهم كفار قريش وفي إنكارهم بعضه وجهان أحدهما: أنهم عرفوا نعت النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في كتبهم وأنكروا نبوته. والثاني: أنهم عرفوا صدقه وأنكروا تصديقه.

قوله تعالىٰ: {..وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} عنىٰ بالأزواج النساء وبالذرية الأولاد وفيه وجهان أحدهما: معنىٰ أن من أرسلنا من قبلك من الرسل بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر فلم أنكروا إرسالك وأنت مثل من قبلك.

والثاني: أنه نهاه من التبتل وقيل إن اليهود عابت علىٰ النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم الأزواج فأنزل الله تعالىٰ فيهم يعلمهم أن ذلك سنة الرسل قبله {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} قيل إن مشركي قريش سألوه آيات قد تقدم ذكرها فأنزل الله تعالىٰ فيه: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ(٣٨)} يعني لكل كتاب نزل من السماء أجل وهو في المقدم والمؤخر

- **سورة الرعد**

والثاني: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله أي علم.

قوله تعالىٰ: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} ما يشاء منها فينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ(٣٩)} يعني علم الله عز وجل وما هو خالق.

قوله تعالىٰ: {..أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} يعني بموت خيارها وأهل الدين من المسلمين.

قوله تعالىٰ: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا} يعني مشركي العرب {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} أي يشهد بصدقي وكذبكم {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ(٤٣)} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام-.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- مكية

إلا اثنتين منها مدنية وهي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ} [٢٨]، والتي بعدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} يعني القرآن {لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} أي من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ(١)} وروي أن قوماً كانوا آمنوا بعيسى وقوماً كفروا به فلما بعث محمداً صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: {..الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} يعني يختارونها ويستبدلونها والاستحباب هو التعرض للمحبة {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يعني عن دين الله {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} أي يريدون ديناً غير دين الإسلام وقد ذكرنا الفرق بين العوج بكسر العين والعوج بفتح العين.

{..وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا} أي بحججنا وبراهيننا وهي التسع البينات {أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} يعني من الضلال إلى الهدى ويجوز من ذل الاستعباد إلى عز الهلكة {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ} معناه وعظهم بما سلف في الأيام الماضية وانتقام الله عز وجل من القرون الخالية، وقيل: أيام الله بمعنى نعم الله لأن النعم قد تسمى بالأيام قال عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٥)} الصبار الكثير الصبر،

سورة إبراهيم

والشكور الكثير الشكر والصبر نصف الإيمان والشكر نصفه.

قوله تعالى: {وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ(٦)} يعني نعمة من ربكم عظيمة، ويكون بمعنى الابتلاء والاختبار وشدة البلية.

قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ} بمعنى أعلمكم ربكم ومنه الأذان لأنه إعلام، شعراً:

فلم أشعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مساجدنا الأذينا

{لَئِنْ شَكَرْتُمْ} إنعامي {لَأَزِيدَنَّكُمْ} من فضلي {وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(٧)} وعد الله بالزيادة على الشكر وأوعد بالعذاب على الكفر.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} يعني من قص ذكرهم من الأمم السالفة قرون وأمم لم يقصها على رسوله {لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} عالم ما في السماوات والأرض {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أي بالحجج {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} يعني أنهم عضوا أيديهم تغيضاً عليهم، والثاني: أنهم إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن أسكت. والثالث: أن هذا مثل أريد به أنهم كفوا عن قبول الحق ولم يؤمنوا بالرسل كما يقال لمن أمسك عن الجواب رد يده في فيه.

قوله تعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ} أي خالقهما {يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} أي يدعوكم إلى التوبة ليغفر لكم ما تقدمها من معصية ومن زائدة وتقديره: يغفر لكم ذنوبكم {وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي الموت.

{...ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي} أي المقام بين يدي وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به والفرق بين المقام والمَقَام أن المقام إذا ضم فهو فعل الإقامة وإذا فتح فهو مكان الإقامة {وَخَافَ وَعِيدِ(١٤)} وهو كل ما تضمنه القرآن من الزواجر.

قوله تعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(١٥)} يعني أن الرسل استفتحوا بطلب النصر والجبار المتكبر، والعنيد المعاند للحق المتباعد عنه، شعراً:

ألست إذا تشاجر أمر قوم   بأول من يخالفهم عنيدا

قوله تعالى: {مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ} يعني من بعد هلاكه جهنم ويحتمل أن يكون المعنى أمامه جهنم قال الشاعر:

ومن ورائك يوم أنت بالغه   لا حاضر معجز عنه ولا بادي

قوله تعالى: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} يعني من كل مكان من جسده ويجوز ويأتيه الموت من كل جهة عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن قدامه وخلفه، ويحتمل وتأتيه شدائد الموت وامتداد سكراته ليكون ذلك زيادة في عذابه {وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ(١٧)} والغليظ هو الخلود في جهنم.

قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها بالرماد الذي هو بقية النار الذاهبة وإذا اشتدت به الريح العاصف وهي الشديدة فأطارته لم يقدر على جمعه، كذلك الكافر في عمله.

سورة إبراهيم

وقوله: {فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} أنه وصف اليوم بالعصوف وهو في صفة الريح لأن الريح تكون فيه كما يقال: يوم بارد ويوم حار لأن الحر والبرد يكونان فيه.والثاني: أن التقدير في يوم عاصف الريح فحذفت لأنها قد ذكرت قبل ذلك {لَا يَقْدِرُونَ} في الآخرة على شيء {مِمَّا كَسَبُوا} يعني لا يقدرون في الآخرة على شيء من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر {ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ(١٨)} وإنما جعله بعيداً لفوات استدراكه بالموت.

قوله تعالى: {...وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا} أي ظهروا بين يديه في القيامة {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ} وهم الأتباع {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} وهم المتبعون {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} يعني في الكفر حيث أجبناكم إليه {فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} أي دافعون عنا يقال: أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى وأغناه إذا أوصل إليه النفع {قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ} أي لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها، ويجوز أن يكون المعنى ولو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ(٢١)} أي من منجى وهذا كلام أهل النار.

قوله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} والألف واللام في الشيطان للجنس والمراد به المتبوعون الذين أضلوا تابعهم وأغووا قومهم لما قضي الأمر أي أخذ أهل الجنة طريق الجنة وأهل النار طريق النار {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي {وَوَعَدْتُكُمْ} ألا شيء من ذلك {فَأَخْلَفْتُكُمْ}..إلى قوله: {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} أي ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجي ولا يمنعكم {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} كفرت

قبلكم بما أشركتموني من بعد لأن كفر الشيطان قبل كفرهم.

قوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ(٢٣)} والتحية الملك ومعناها أن ملكهم في الجنة دائم ونعيمهم سالم من الآفات والعاهات، ومعنى قوله: التحيات لله أي الملك لله.

قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} الكلمة الطيبة الإيمان ويجوز أن يكون نفس المؤمن . والشجرة الطيبة روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنها النخلة {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} في الأرض {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(٢٤)} أي تحتها.

{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} والحين الوقت قال النابغة:

يبادرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه حيناً وحيناً تراجع

وروينا أن الحين في هذا الوقت ثمانية أشهر لأنها مدة الحمل ظاهراً وباطناً وشبه الكلمة الطيبة بها أنها ثابتة في القلب كثبوت أصل النخلة في الأرض فإذا ظهرت عرجت إلى السماء كما يعلو فرع النخلة إلى نحو السماء فكلما ذكرت نفعت كما أن النخلة إذا أثمرت نفعت.

قوله تعالى: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ} فيها قولان أحدهما: الكفر، والثاني: أنها الكافر بنفسه {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} قيل إنها الحنظل {اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ} أي اقتلعت من أصلها {مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ(٢٦)} يعني ما لها من أصل وثبات وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى ولا ثمر يستحلى وأن الكافر ليس له عمل يبقى ولا ذكر في السماء يرقى.

قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} ومعنى يثبتهم أي يديمهم الله على القول الثابت ومنه قول عبدالله بن رواحة:

يثبت عبدالله ما أتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرا

سورة إبراهيم

والقول الثابت: العمل الصالح {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعني أيام حياته فيها {وَفِي الْآخِرَةِ} يوم القيامة {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} عن طريق الجنة كما ضلوا في الدنيا بكفرهم {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ(٢٧)} من تقديم أحكامه وتأخيرها.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا} يعني قريشاً بدلوا نعمة الله عليهم بما بعث الله رسوله منهم كفراً وجوراً له، وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: الذين بدلوا نعمة الله نزلت في الأفجرين من قريش بني أمية وبني مخزوم فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين وأما بني مخزوم فأهلكوا يوم بدر، والآية على عمومها في جميع المشركين {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ(٢٨)} وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: هو يوم بدر، شعراً:

فلم أر مثلهم أبطال حرب ... غداة الكر إذ هتف البوار

قوله تعالى: {..قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} فالسر ما خفي والعلانية ما ظهر، وقيل السر التطوع والعلانية الفرض {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ(٣١)} يعني لا فدية في المعاصي ولا شُفْعَةُ للكافر لأن أحداً لا يقدر فيه على دفع ذنوبه ولا على اشتراء الجنة، ولا خلال أي المخالة والموادة بين الكفار يوم القيامة لتقاطعهم به فيه.

قوله تعالى: {...رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} وهذا قول إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- وذريته إسماعيل وأمه هاجر {بِوَادٍ غَيْرِ

ذِي زَرْعٍ} يعني مكة أسكنها في أبطحها ولم يكن بها ساكن ثقة بالله وتوكلاً عليه {عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عنده وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره ووصفه أنه محرم لأنه محرم فيه ما يستباح في غيره من جماع أو غيره {رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} والأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب تهوي إليهم يعني تجيء إليهم وتنزل عليهم.

وفي مسألة إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- أنه أراد نزاع الناس إلى مكة فيحجوا ويهووا لسكناها فيصير بلداً محرماً {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ} فأجابه[1] بما في الطائف من الثمار وما يجلب إليه من الأمصار {لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(٣٧)} أي لكي يشكروك.

قوله تعالى: {...مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي} أي مسرعين وقيل المهطع الدائم النظر لا يطرف وقيل هو المطرق الذي لا يرفع رأسه {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} يعني ناكسي رؤوسهم بلغة قريش وقيل الإقناع رفع الرأس قال:

أبعض رأسي نحوه وأقنعا كأنما أبصر شيئاً أطمعا

{لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} أي لا يرجع إليهم طرفهم والطرف هو النظر سميت العين طرفاً لأنه بها يكون {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ(٤٣)} معناه أنها تردد في أفواههم ليس لها مكان تستقر فيه وكأنها تهوي. والثاني: أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر فلا تنفصل ولا تعود، والثالث: خالية من الخير ومنه قول الشاعر حسان:

ألا أبلغ ابا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

[1]- نخ (ل) : فأجابهم.

سورة إبراهيم

قوله تعالىٰ: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ(٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ} معناه وأنذرهم اليوم الذي يأتيهم العذاب فيه يعني يوم القيامة وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضاً لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي فلا تضمن ترغيباً للمطيع وهذه فيمن ظهر له الحق في الآخرة فأراد أن يستدرك ما فارط ذنوبه وليست الآخرة دار توبة فتقبل توبتهم كما ليست دار تكليف فيستأنف تكليفهم فأجابهم الله عن ذلك بقوله: {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ(٤٤)} يعني من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة .

قوله عز وجل: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} وعنى بالمكر الشرك والعتو والتجبر وهو فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسرين في الهواء وروينا هذا القول عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- {وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ} أي عالم بما لا يخفى عليه ومكرهم محفوظ عنده يجازيهم عليه {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(٤٦)} فيه قراءتان أحدهما: بكسر اللام الأول وفتح الثانية معناهما وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال احتقاراً، والثاني: لتزول منه الجبال استعظاماً وفي الجبال قولان أحدهما: جبال الأرض، والثاني: الإسلام والقرآن لأنه لثبوته ورسوخه كالجبال.

قوله تعالىٰ: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} يعني تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم تجر عليها خطيئة، وكذلك السماوات فتصير السماوات جناناً والبحار ناراً، وتبدل الأرض بغيرها وتكوير الشمس وانتثار الكواكب من التبديل {وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ(٤٨)}.

قوله عز وجل: {مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(٤٩)} فيه وجهان أحدهما أن

الأصفاد الأغلال واحدها صفد ومنه قول حسان:

من بين مأسور يشد صفاده صقر إذا لاقى الكريهة حامي

والثاني أنها القيود، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنهاب مع السبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

أي مقيدين، وأما قول النابغة الذبياني:

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فما عرضت أبيت اللعن بالصفد

والمراد به العطية والمجرمون المقرنون في الأصفاد هم الكفار يجمعون في الأصفاد كما يجمعوا في الدنيا على المعاصي {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ} السرابيل القمص واحدها سربال، والقطران فيه قولان أحدهما أنه القطران تهنأ به الإبل وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها. والثاني: أنه النحاس الحامي لأن القطر النحاس ومنه: {ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(٩٦)} [الكهف]، والآني الحامي ومنه قوله: {وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ(٤٤)} [الرحمن]، وهومكسور القاف منون الراء.

قوله تعالى: {..هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ} يعني بالقرآن {وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} لما فيه من الدليل على توحيده {وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ(٥٢)} أي ذوي العقول.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الحجر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ(١)} يعني القرآن.

قوله تعالى: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ(٢)} وهو أن المشركين إذا رأوا المؤمنين قد دخلوا الجنة وصاروا إلى النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين وربما في هذا الموضع مستعملة في التكثير وإن كانت في الأصل موضوعة للتقليل قال الشاعر:

ألا ربما أهدت لك العين نظرة　　　قصارك منها أنها عنك لا تجزي

قوله تعالى: {..وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ(٤)} يعني أجل مقدور وفرض محتوم.

{مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ(٥)} يعني لا يموتوا قبل العذاب فيستريحوا ولا يتأخر عنهم فيسلموا.

قوله تعالى: {...مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ} يعني بالعذاب الذي استحقوه إن لم يؤمنوا.

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} يعني القرآن {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)} من أن يزال منه حق أو يزاد فيه باطل.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ(١٠)} يعني بهم الأمم والشيعة الفرقة المتألفة الكلمة والشيع الفرق ومنه قوله تعالى: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} [الأنعام:٦٥]، أي فرقاً وأصله من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد بها الكبار فهو عون للنار.

قوله عز وجل: {..كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(١٢)} يعني نسلك القرآن في قلوب المجرمين وإن لم يؤمنوا به.

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ(١٣)﴾ أي القرآن من عند الله ولا يصدقون بالعذاب ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ(١٣)﴾ والسنة الطريقة ومنه قول عمرو بن أبي ربيعة:

لها من الريم عيناه وسنته ونخوة السابق المحتال إذ صهلا

وفيه وجهان أحدهما قد خلت سنة الأولين بالعذاب لمن أقام على تكذيب الرسل والثاني: لا يؤمنون برسلهم إذا عاندوا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(١٤)﴾ أي فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ يعني سدت وغطيت قال الشاعر:

طلعت شمس عليها معقر جعلت عين الحرون سكر

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ والبروج هي منازل الشمس والقمر، ويجوز أن تكون البروج الاثني عشر برجاً وأصل البروج الظهور ومنه برجت المرأة إذا أظهرت نفسها ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ(١٦)﴾ أي حسناها. ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(١٧)﴾ يعني في السماء وفي الرجيم قولان أحدهما: أنه الملعون والثاني: أنه المرجوم بقول أو فعل ومنه قول الأعشى:

يظل رجيماً لريب المنون وللسهم في أهله والحزن

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ ومسترق السمع من مردة الجن وذلك أنهم كانوا يقولون إنا نسترق السمع وأخبار السماء من الملائكة فكلما

- **سورة الحجر**

هموا بالسمع لذلك رماهم الله بشهاب القذف فيصرف (عن)[1] ذلك ويردع مما همت به والشهاب نور يمتد بضيائه الشديد فيحترق من وقع فيه من تلك الأجسام النارية وهي أجسام الجن قال ذو الرمة:

كأنه كوكب في إثر عفريت مسوم في سواد الليل منقضب

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} أي بسطناها قيل إنها بسطت من مكة لأنها أم القرى {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} وهي الجبال {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ(١٩)} يعني بقدر معلوم وإنما قيل موزون لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء.

قوله تعالىٰ: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} يعني التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة والانتفاع بما خلق الله تعالىٰ في الأرض من الملابس والمطاعم والمشارب {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ(٢٠)} من الدواب والأنعام والوحش.

قوله تعالىٰ: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} يعني المطر المنزل من السماء لأن به نبات كل شيء من الحيوان {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(٢١)} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: ما كان عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث يشاء فيمطر قوماً ويحرم آخرين.

قوله تعال: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} يعني لواقح السحاب حتى يمطر وكل الرياح لواقح غير أن الجنوب ألقح روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((ما هبت جنوب إلا أتبع الله به غيثاً غدقة))

---

(1)- زيادة من نخ (هـ).

ويحتمل أن تكون لواقع الشجر حتى يثمر.

قوله تعالى: {...وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ(٢٤)} والمستقدمين هم الذين خلقوا، والمستأخرين هم الذين لم يخلقوا، ويحتمل أن يكون المستقدمين الذين ماتوا والمستأخرين الذين هم أحياء ويحتمل أن يكون المعنى المستقدمين في الجهاد والمستأخرين عنه.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٦)} أما الإنسان هاهنا فهو آدم والصلصال الطين اليابس الذي لم تصبه نار فإذا نقرته سمعت له صلصلة، شعراً:

وقاح ترى الصلصال فيه ودونه ... بقايا تلال بالحرا والمناكب

والصلصلة الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان مثل القعقعة في الثوب الجديد، وقيل: الصلصال المتغير الريح من قولهم صل اللحم وأصل إذا تغير.

وأما الحمأ المسنون فالحمأ جمع حماة وهو الطين الأسود المتغير والمسنون المنتن من قولهم أنتن الماء إذا تغير وقيل: المسنون المصبوب من قولهم: سننت الماء على الوجه إذا صببته عليه وقيل المسنون الذي قد جعل بعضه بعضاً من قولهم: سننت الحجر على الحجر إذا خدعت أحدهما بالآخر.

{وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ} يعني من قبل آدم {مِنْ نَارِ السَّمُومِ(٢٧)} أي من النار لأن الله عز وجل خلق الملائكة من الريح والجن من النار والإنس من الطين والسموم الريح الحارة.

{...قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٣٦)} وهذا السؤال من إبليس لم يكن عن ثقة منه بمنزلته عند الله وأنه أهل أن لا يجاب له دعاء،

ولكن سأل تأخير عذابه ليكون زيادة في بلائه كفعل الإنس من السلامة وأراد بالإنظار إلى يوم يبعثون أن لا يعذب فأجيب إلى ذلك لا لإجابته ولكن لما سبق من قول الله تعالى في أن العذاب والثواب لهما آن غير هذه فوافق سؤاله.

قوله تعالى: {...قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} يعني بما سميتني غاوياً قال الكميت بن زيد:

وطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

أكفروني يعني سموني كافراً، ويجوز بما جنبتني من رحمتك {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ} أراد به زينة المعاصي الجن {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩)} أي لأضلنهم عن الهدى {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٤٠)} وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد أو رياء، وروينا أن الحواريين سألوا عيسى -عَلَيْه السَّلام- عن المخلصين له فقال: الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس.

قوله عز وجل: {هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ(٤١)} يعني هذا صراط مستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة، ويحتمل أن يكون بمعنى الوعيد والتهديد ومعناه أن طريقه إلي ومرجعه علي كقول القائل لمن تهدده وتوعده: علي طريقك.

قوله تعالى: {...ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ(٤٦)} يعني من الموت والمرض والخوف والزوال.

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} الجاهلية روينا هذا القول عن علي بن الحسين -عَلَيْه السَّلام- ويجوز:ونزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(٤٧)} والسرر جمع سرير متقابلين

بالوجوه يرى بعضهم بعضاً فلا يصرف أحد نفسه عن صاحبه تحابباً وتواصلاً، ويجوز متقابلين بالمحبة لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون.

قوله تعالى: {...قَالُوا لَا تَوْجَلْ} أي لا تخف، ومنه قول معن بن أوس:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدو المنية أول

{إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ(٥٣)} أي عالم في كبره وهو إسحاق لقوله: {فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ} [هود:٧١]، والغلام الولد فأجابهم عن هذه البشرى مستبعداً لها متعجباً منها: {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ} أي علو السن عند الإياس من الولد {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ(٥٤)} وإنما قال ذلك استفهاماً لهم هل بشروه بأمر الله تعالى ليكون الشكر {قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ} أي بالصدق إشارة منهم إلى أنه من الله تعالى {فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ(٥٥)} أي من الآيسين.

قوله تعالى: {إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(٥٨) إِلَّا ءَالَ لُوطٍ} وآل لوط من كان على شريعته وسنته من أهل بيته استثناهم الله تعالى من المجرمين المأمور بهلاكهم فخرجوا من الاستثناء منهم.

ثم قال: {إِلَّا امْرَأَتَهُ} فكانت مستثناة من آل لوط ولاحقة بالمجرمين لأن كل استثناء يعود إلى ما تقدمه فيخالفه في حكمه فإن عاد إلى إثبات كان الاستثناء نفياً، وإن عاد إلى نفي كان الاستثناء إثباتاً فصارت امرأة لوط ملحقة بالمجرمين المهلكين.

ومثال هذا في الإقرار أن تقول: له علي عشرة إلا سبعة إلا أربعة فيكون عليه سبعة لأن الأربعة استثناء يرجع إلى السبعة التي قبلها فصار الباقي منها ثلاثة وتصير الثلاثة الباقية هي الاستثناء الراجع إلى العشرة فيبقى منها

- سورة الحجر

سبعة فهذا حكم قوله: {إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا} فيها وجهان أحدهما حكمنا، والثاني علمنا {إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ(٦٠)} يعني من الباقين في العذاب مع المجرمين، وقيل معناه مع الماضين بالعذاب.

قوله تعالى: {...فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ} وقطع الليل بعضه.

قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ} أي أوحينا إليه ذلك الأمر {أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(٦٦)} وفي دابرهم وجهان أحدهما آخرهم، والثاني أصلهم مستأصلون بالعذاب عند الصباح.

قوله تعالى: {...لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(٧٢)} وهذا قسم من الله عز وجل بحياة نبيه إكراماً لمحله والسكرة الضلالة والغفلة وقد مضى تفسير يعمهون.

قوله تعالى: {...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ(٧٥)} أي لمن اعتبر وتفكر ونظر وتبصر، ومعنى التفكر أنهم يعلمون أن من أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار وأهل المعاصي ولهذا قال عبدالله بن رواحة للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم شعراً:

إني توسمت فيك الخير أعرفه   والله أعلم أني ثابت البصر

{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ(٧٦)} والسبيل الطريق.

قوله تعالى: {..وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ(٧٨)} يعني في تكذيب شعيب النبي -عَلَيْه السَّلام- حين أرسله إليهم لأنه بعث إلى أمتين أصحاب الأيكة وأهل مدين فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلمة التي أحرقوا بنارها، والأيكة الغيظة التي التف شجرها فكان أكثر شجرهم الدوم وهو المقل ومنه قول النابغة

الذبياني:

تحلو بقادمتي تقادم أيكة بردأ أسف لسانه بالإثمد

وقيل الأيكة اسم البلد والبلد اسم المدينة والمدينة بمنزلة بكة من مكة.

قوله تعالىٰ: {وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ(٧٩)} يعني أصحاب الأيكة وقوم لوط بإمام يعني بمقتدىٰ به في الهدىٰ والبيان.

قوله تعالىٰ: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ(٨٠)} وهم ثمود قوم صالح والحجر إسم الوادي وهو بين الحجاز والشام علىٰ مرحلة من وادي القرىٰ.

{..وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ(٨٢)} يعني من الموت والجواب {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(٨٥)} وهو العفو بغير توبيخ ولا تعنيف، وهذه الآية منسوخة بآية السيف فقال لهم النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعد ذلك: ((لقد أتيتكم بالربح وبعثت بالحصاد وما أبعث بالزراعة)).

قوله تعالىٰ: {...وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} قيل إنها أم القرآن لأنها تثنىٰ في كل صلاة، شعراً:

نشدتكم بمنزل القرآن أم الكتاب السبع من مثاني

وقيل المثاني ما تردد فيها من الخبر والأمثال والعبر وقيل: المثاني القرآن كله قالت صفية بنت عبدالمطلب ترثي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدىٰ به يخص بتنزيل المثاني المعظم

- سورة الحجر

قوله تعالىٰ: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} يعني إلىٰ ما متعنا به من الأموال وفي قوله أزواجاً يعني أشباهاً وأصنافاً في الغنىٰ والمتاع وهذا وإن كان خطاباً للنبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فالمراد به الأمة {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} يعني بما أنعمت عليهم في دنياهم.

روىٰ أبو رافع مولىٰ رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه نزل بالنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ضيف فلم يجد عنده ما يطعمه فأرسل إلىٰ رجل من اليهود يستسلف منه طعاماً إلىٰ هلال رجب فقال: لا أسلف إلا برهن فقال النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله-: ((أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض لو أسلفني أو باعني لأديت إليه)) فنزلت هذه الآية: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(٨٨)} يعني ألن جنابك لهم، شعراً:

وحسبك رفعة لزعيم قوم — يمد علىٰ أخي ثقة جناحا

قوله تعالىٰ: {..كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ(٩٠)} يعني أهل الكتب الذين اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها وآمن آخرون منهم بما كفر به آخرون غيرهم، وكفر بما آمن به غيرهم، ويحتمل أن تكون الآية في كفار قريش حين اقتسموا القرآن فجعل بعضه شعراً وبعضه سحراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين، وقيل: هم قوم صالح تقاسموا علىٰ قتله فسموا مقتسمين كما قال الله تعالىٰ: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(٤٨)}..الآية [النمل].

{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ(٩١)} أي أجناساً كما ذكرناها في قولهم: هو شعر لا بل سحر فجعل أعضاء كما تُعضىٰ الجزور وعضين جمع عضو مأخوذ من عضيت الشيء تعضية إذا فرقته كما قال رؤبة:

وليس دين الله بالمعضا

يعني بالمفرق وقيل العضين جمع عضه وهو البهت يقال : عضهت الرجل أعضهه إذا بهته لأنهم بهتوا كتاب الله عز وجل فيها رموه، قال الشاعر:

إن العضيهة ليست فعل أخيار

وقيل: إن العضين المستهزئين لأنه لما ذكر في القرآن البعوض والذباب والنمل والعنكبوت قال: أحدهم: أنا صاحب البعوض وقال الآخر أنا صاحب الذباب، وقال الآخر أنا صاحب النمل استهزاء منهم بالقرآن والعضه الشجر أيضاً والعاضهة الساحرة، وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((لعن الله العاضهة والمستعضهة)) يعني الساحرة والمسحورة.

قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٣)} وإنما سؤالهم عن خلتين عما عبدوا وبماذا أجابوا الرسل لما دعوهم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} يعني فامض بما تؤمر وأعلن ما يوحى إليك حتى تبلغهم وتعرفهم الفرق بين الحق والباطل واشتقاقه من الصدع وهو الشق والناس في الصدوع وهذا من الكلام البليغ الفصيح.

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ(٩٥)} وهم خمسة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والأسود بن عبد يغوث والحارث بن حنظلة أهلكهم الله جميعاً قتلى يوم بدر لاستهزائهم برسوله.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ(٩٧)}

- سورة الحجر

أي قلبك لأن الصدر محل القلب بما يقولون من الاستهزاء والتكذيب والافتراء بما بان لهم من الحق {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(٩٨)} يعني من المصلين {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(٩٩)} يعني الحق الذي لا ريب فيه الذي لا محيد عنه.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة النحل

مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله: {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [٩٥]..إلى قوله: {بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٧)}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} ي دنا ويجوز أن يكون الماضي بمعنى المستقبل أي سيأتي أمر الله وأمره فرائضه وأحكامه وحدوده وما أوعد به أهل الشرك.

قوله تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} والروح في هذا الموضع بيان الحق الذي يجب اتباعه.

قوله تعالى: {..خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(٤)} الخصيم الفصيح في الخصومة وفي وصفه ثلاثة أوجه أحدها: تعريف قدرة الله عز وجل في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذا الحال في البيان والمكنة.

والثاني: تعريفه بذلك نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحالة بعدما خلقه من نطفة مهينة.

والثالث: تعريفه فاحش ما ارتكب من تضييع حق النعمة بالخصومة في الكفر به، وروينا أن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاماً نخرة فذرها وقال: أنعاد إذا صرنا هكذا.

قوله عز وجل: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} وهو اللباس وما يستدفأ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها {وَمَنَافِعُ} يعني بالركوب والحمل {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(٥)} يعني الألبان واللحوم.

قوله عز وجل: {...وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٨)} يعني ما لا تعلمون خلقه وهو كثير في العالم {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} يعني

سورة النحل

قصد الحق في الحكم بين عباده ومن خلقه جائر عن الحق في حكمه، وعلى الله أن يهدي إلى قصد السبيل ببيان سبيله ومنهم جائر عن سبيل الحق فلا يهتدي إليه.

قوله تعالى: {...وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} والمواخر التي تشق الماء عن يمين وشمال لأن المخر في كلام العرب الشق.

قوله تعالى: {...وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(١٦)} والعلامات معالم الطريق بالنهار وبالنجم هم يهتدون.

قوله تعالى: {..وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} يعني لا تحفظوها ولا يحيط شكركم بها.

قوله تعالى: {...قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ} وهي هدم بنيانهم من قواعدها وهي الآساس وهو مثل ضربه الله لاستئصالهم ومعنى {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} يعني فخر أعالي بيوتهم وهم تحتها فلذلك قال: من فوقهم وإن كنا نعلم أن السقف عال إلا أنه لا يكون فوقهم إذا لم يكونوا تحته. والثاني: عنى به العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم، وقيل: الآية نزلت في النمرود بن كنعان وقومه.

قوله تعالى: {...الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} وهذه الآيةنزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا فأخرجهم قريش إلى بدر كرهاً فقتلوا فقال الله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} يعني بقبض أرواحهم وظلمهم مقامهم بمكة وتركهم للهجرة {فَأَلْقَوُا السَّلَمَ} يعني الاستسلام لأمر قريش في خروجهم معهم {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} أي من كفر {بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٨)} يعني بأن

عملكم عمل الكفار.

قوله تعالى: {...الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ} أي صالحين قد طابت نفوسهم ووثقت بما يلقونه من كتاب الله عز وجل {يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ} تبشيراً لهم بالجنة لأن السلام أمان ويجوز أن يكون السلام إنذاراً بالموت {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} أي مستقركم الجنة بصالح أعمالكم وزكي أفعالكم.

قوله تعالى: {...وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} يعني من بعد ما ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم إلى الحبشة بعد العذاب {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} يعني بنزول المدينة وهذه الآية نزلت في المهاجرين الذين عذبوا بمكة وهم عمار بن ياسر وصهيب وخباب بن الأرت وبلال وسمية أم عمار كانت قريش تلبسهم أدراع الحديد ويظهرونهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس فلما كان ذات يوم جاءهم أبو جهل فجعل يشتمهم ويوبخهم ثم أتى سمية فطعنها بالحربة فقتلها فهي أول قتيل استشهد في الإسلام.

قوله تعالى: {..وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ} وهذا خطاب لمشركي قريش أنه ما بعث رسولاً إلا من رجال أمته وأنه ما بعث إليهم ملكاً {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٤٣)} وأهل الذكر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والأئمة من ولده المستحفظون للشريعة العاملون بفرائض الله وسننه العارفون بأخبار القرون الماضية.

قوله تعالى: {...أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ(٤٦)} أي في سفرهم {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} يعني على تيقض بأن يهلك واحداً بعد واحد فيخافون الفناء وتهلك قرية فتخاف الأخرى.

قوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ}

سورة النحل

الفي الرجوع ولذلك كان اسماً للظل بعد الزوال لرجوعه ويجوز أن يكون بمعنى يدور ويتميل {ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ} يعني تارة إلى جهة اليمين وتارة إلى جهة الشمال وسجود الظلال سجود أشخاصهما {وَهُمْ دَاخِرُونَ(٤٨)} أي صاغرون خاضعون قال ذو الرمة:

فلم يبق إلا داخراً في محبس

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ} والمعنى أن سجوده ظهور ما فيه من قدرة الله عز وجل التي توجب على العباد السجود لها {وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٤٩)} عن الخضوع لقدرة الله عز وجل.

{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(٥٠)} فيه وجهان أحدهما: يعني عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء. والثاني: يخافون قدرة الله التي فوق قدرتهم وإن كان الله عز وجل محيط العلم بجميع الجهات.

قوله تعالى: {وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا} والدين الطاعة والإخلاص، واصباً أي واجباً خالصاً يدوم ولا يزول قال الدؤلي:

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوماً يدوم الدهر أجمع واصبا

قوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ(٥٣)} والضر كل ما يستضر به من قحط أو فقر، وتجأرون تفصحون بالدعاء وتضرعون في النداء واشتقاقه من جؤر الثور وهو صياحه.

قوله تعالى: {...وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(٥٨)} متغير اللون بسواد أو غيره، والكظيم الحزين المغموم يطبق فاه فلا يتكلم من الغم مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ} يعني على الهوان {أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} يعني الموؤدة.

قوله تعالى: {..وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ} يعني في الدنيا بأن لا يمهلهم في الأغلب من أحوالهم {مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ} يعني بإهلاكهم لأخذه لهم بظلمهم.

فإن قيل: فكيف يعم بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة أحدها: أن يحصل بهلاك الظالم انتقاماً وجزاء وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة. والثاني: ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم، والثالث: لو أهلك الآباء بالكفر لم تكن الأبناء.

{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ} يعني من البنات {وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} أي الجزاء الحسن مع اعتقادهم الكفر {لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} يعني قطعاً أن لهم النار، وحقاً أنهم مفرطون، وحقاً أنهم يعذبون بها، وأنهم مفرطون أي مقدمون إلى النار ومنه قول النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((أنا فرطكم على الحوض)) أي متقدمكم، قال القطامي:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجل فراط لوراد

وقرئ بكسر الراء وتخفيفها ومعناه مسرفون في الذنوب من الإفراط فيها وقرئ بكسر الراء وتشديدها ومعناه من التفريط.

قوله تعالى: {...وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} والسكر ما حرم من شرابه والرزق الحسن ما حل

سورة النحل

من ثمرته وقيل السكر الخل ببعض اللغات.

قوله تعالىٰ: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} والوحي إليها إلهامها وتسخيرها {أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(٦٨)} هو الكرم {ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا} هو من صفات النحل لأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها وتتبع أصحابها حيث ذهبوا تشبيهاً بالدابة الذلول لأن راكبها يصرفها كيف شاء وأراد {يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ} يعني العسل {مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} لاختلاف أغذيته {فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ} يجوز أن تكون الهاء عائدة إلىٰ القرآن يعني فيه بيان لكل شيء، والثاني: أن تكون الهاء عائدة إلىٰ العسل وفي العسل شفاء للناس.

قوله تعالىٰ: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ} وأرذل العمر الهرم لأنه أوضعه وأبغضه إلىٰ الإنسان {لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} يعني أنه يعود جاهلاً لا يعلم شيئاً كما كان في حال صغره لأنه قد نسي ما كان قد علم ولا يستفيد ما لم يعلم.

قوله تعالىٰ: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ} فيه وجهان أحدهما السادة علىٰ العبيد والثاني: الأحرار فضل بعضهم علىٰ بعض لاقتضاء مصالحهم {فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} يعني عبيدهم لما لم يشركوهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالىٰ في ملكه وفي هذا دليل علىٰ أن العبد لا يملك.

والثاني أنهم وعبيدهم سواء في أن الله تعالىٰ رزق جميعهم وأنه لا يقدر أحد علىٰ رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالىٰ كما لا يقدر أن يرزق نفسه {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني آدم خلق من فاضل طينته حواء

{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً} قيل الحفدة أختان الرجل على بناته قال الشاعر:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ... لها حفد مما تعد كثير
ولكنها نفس علي أبية ... عيوف لأصهار اللئام قدور

وقيل هم الأعوان والأخدام ومنه قول جميل:

حفد الولايد حولها واستسلمت ... بنفوسهن أزمة الأجمال

والحافد المسرع في العمل ومنه الدعاء وإليك نسعى ونحفد أي نسرع في طاعتك.

قوله تعالى: {...ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لأنه لا خير عنده {وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا} وهو المؤمن لما عنده من الخير، والثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لعبادة الأوثان لأنه لا يملك شيئاً كالعبد الذي لا يملك شيئاً، وأنهم عدلوا عن عبادة الله الذي يملك كل شيء.

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ} وذلك مثل ضربه الله لنفسه وللوثن والأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ هو الله عز وجل.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعني لله علم السماوات والأرض لأنه المتفرد به درك خلقه ويجوز أن يكون المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات وكذلك كلما غاب عن الخلق علمه من الجزاء بالثواب والعقاب وهذا غيب السماء وغيب الأرض الحكم بالأرزاق

سورة النحل

والآجال {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} لأنه بمنزلة قوله: كن فيكون وإنما سماها ساعة لأنها جزء من يوم القيامة وأجزاء اليوم ساعاته وسبب نزولها أن كفار قريش سألوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن قيام الساعة استهزاء بها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: {...وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا} عنى به الشجر {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} وهو ما يستكن به الإنسان {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} يعني ثياب العطب والكتان والصوف {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ} يعني الدروع التي تقي البأس وهو الحرب.

فإن قيل: كيف قال: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} ولم يذكر السهل وقال: {تَقِيكُمُ الْحَرَّ} ولم يذكر البرد؟

وعن ذلك جوابان أحدهما: أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد فذكر لهم نعمته عليهم فيما يختص بهم، والثاني: أنه اكتفى بذكر أحدهما عن ذكر الآخر إذ كان معلوماً أن من اتخذ من الجبال أكناناً اتخذ من السهل والسرابيل التي تقي الحر تقي البرد ومنه قوله الشاعر:

وما أدري إذا يممت أرضاً   أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه.

قوله تعالى: {..يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} يعني ما عدد تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله، وينكرونها بقولهم: إنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وبقولهم لولا فلان ما أصبت ذلك، ويحتمل أن تكون النعمة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والأئمة من ولده بعده

وإنكارهم أنهم عرفوا نبوته وصدقه وكذبوه وجحدوه بعد ذلك وهذه السورة تسمى سورة النعم لأن الله كرر ذكر نعمه على خلقه فيها {وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ(٨٣)} بهذه النعم.

قوله تعالى: {...وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ} يعني إقرارهم بما كانوا ينكرون من طاعته، ويجوز أن يكون السلم بمعنى الاستسلام لعذابه {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٨٧)} يعني يضل ما كانوا يأملون وخذلهم ما كانوا يستنصرون.

قوله تعالى: {...إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} والعدل هو الإقرار بالله تعالى وتوحيده والإحسان الصبر على أمره ونهيه وطاعته في سره وجهره، وإيتاء ذي القربى صلة الرحم {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ} عن كل ما فحش فعله {وَالْبَغْيِ} الكبر والظلم ويحتمل أن يكون العدل وهو القضاء بالحق والإحسان والتفضل بالإنعام، وإيتاء ذي القربى صلة الأرحام، وينهى عن الفحشاء هي ما يستتر بفعله من القبائح والمنكر ما يتظاهر به منها فينكر والبغي ما يتطاول به من ظلم أو غيره.

قوله عز وجل: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} وهذه الآية نزلت في بيعة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الناس على الإسلام وهي عامة في كل عقد عقده الإنسان من يمين على نفسه مختاراً فإنه يجب عليه الوفاء به ما لم يدع ضره إلى حله وأهل الحجاز يقولون وكدت اليمين توكيداً، وأهل نجد يقولون: أكدت اليمين توكيداً.

قوله عز وجل: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا} هذا مثل ضربه الله تعالى لمن نقض عهده ونكث كالتي تنكث غزلها {مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا} يعني أنقاضاً واحدها نكث وهو كل شيء نقض بعد الفتل وهذا مثل ضربه الله تعالى وأراد إن كان هذا هو الفعل مما علمتموه وكان عندهم سفهاً

سورة النحل

منكراً وكذلك نقض العهد الذي لا ينكرونه هو منكر {تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} والدخل أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من لزوم الوفاء وهو من الخديعة والغرور {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} يعني أكثر عدداً وأزيد مدداً فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل وأربى أفعل من الربا، شعراً:

وأسمر خطياً كأن كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

قوله تعالى: {...مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} يعني في القيامة روينا عن أمير المؤمنين ويضيف إليها الإيمان بالله والطاعة له في كل ما أمر به ونهى عنهم {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٧)} في مضاعفة الجزاء كما قال: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام:١٦٠].

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٩٨)} يعني إذا أردت قراءة القرآن فقدم الاستعاذة بالله.

قوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي؛ ثم الاستعاذة بالله مما يوهي كيد الشيطان ويضعف أمره كقوله: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [الأعراف:٢٠٠].

{إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} أي يتبعونه {وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ(١٠٠)} يعني بالله تعالى، ويحتمل أن يكون هم الذين أشركوا بالله الشيطان في أعمالهم.

قوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ} أي نسخنا آية بآية إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} يعني أعلم بالمصلحة فيما ينزله ناسخاً ويرفعه منسوخاً {قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} أي كاذب {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(١٠١)} بجواز النسخ.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} والذي أراد به المشركون فيما ذكره من تعليم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم سلمان الفارسي {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ(١٠٣)} يعني القرآن لأنه يقرأ باللسان، والعرب تقول هذا لسان فلان أي كلامه قال الشاعر:

لسان السوء يهديها إليها ... أجبت وما حسبتك أن تجيبا

قوله تعالى: {..مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} وهذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وعبدالله بن أنس وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد إيمانهم ثم قال: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} وهذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وسمية وبلال وصهيب وخباب أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} وهم من تقدم ذكره فإذا أكره على الكفر فأظهره بلسانه وهو معتقد الإيمان بقلبه ليدفع عن نفسه بما أظهر ويحفظ دينه بما أضمر فهو على إيمانه ولو لم يضمر الإيمان كان كافراً.

قوله تعالى: {...وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً} وهي مكة كان أمنها أن أهلها لا يتغازون كالبوادي {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} وسماه لباساً لأنه يظهر عليهم من الهزال وتغير الحال وشحوبة اللون ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والوبر

سورة النحل

كانوا يخلطونه بالدم والفؤاد ثم يؤكل والآية عامة في كل قرية تكفر بنعم الله عليها.

قوله تعالىٰ: {...ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} يعني بجهالة أنها سوء وسهو غالب مع العلم أنه سوء {ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا} لأن مجرد التوبة من السالف إذا لم يصلح عمله في المستأنف لا يستحق الحمد ولا يستوجب التوبة.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} يعني إماماً يؤتم به ومعلماً للخير يهتدىٰ بخير وسمي أمة لقيامه بأمر الأمة كلها {قَانِتًا لِلَّهِ} وهو الذي يدوم علىٰ العبادة لله والطاعة له مع الإخلاص {حَنِيفًا} يعني مستقيماً علىٰ طريق الحق ونهج الصدق.

قوله عز وجل : {وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} الحسنة النبوة والإمامة في ولده ولسان صدق وما نوه الله بذكره في الدنيا بطاعته .

{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} واتباعه في التبري من الأوثان والأصنام والتزيين بالإيمان والإسلام إلا ما أمر بتركه من منسوخ .

قوله تعالىٰ: {...إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} هم اليهود في اختلافهم في السبت أن بعضهم جعل للأحد حرمة للأيام لأن الله عز وجل أكمل خلق الأشياء فيه وابتدأ خلق الأشياء فيه، وقيل: إنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم الحرمة تغليباً لحرمة السبت والأحد.

قوله تعالىٰ: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ} يعني إلىٰ دين ربك وهو الإسلام {بِالْحِكْمَةِ} بالقرآن والعلم الذي تضمنه {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} وهو الإبلاغ في الوعد والوعيد.

قوله تعالىٰ: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} وهذه نزلت في

كل مظلوم يقتص من ظالمه.

{وَاصْبِرْ} أي واصبر على ما أصابك من الأذى ليجزيك أجرك {وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} وما صبرك إلا بمعونة الله وابتغاء مرضاته.

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ(١٢٨)} يعني الذين اتقوا ما حرم الله والذين هم محسنون فيما فرضه الله عز وجل فجمع في هذه الآية بين اجتناب المعاصي وفعل الطاعات.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة بني إسرائيل

مكية إلا ثلاث آيات من قوله: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ} [٧٣]..إلى قوله: {سُلْطَانًا نَصِيرًا(٨٠)}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} أما قوله: سبحان ففيه تأويلان أحدهما: معناه تنزيه الله تعالى من السوء، والثاني: براءة الله عز وجل من السوء قال الشاعر:

أقول لما جاءني فِجْرُهُ سبحان من علقمة الفاجر

وسبحان ذكر تعظيم لله تعالى لا يصح لغيره وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه أحدها: أن يستعمل في موضع الصلاة من ذلك قوله: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣)} [الصافات]، أي من المصلين.

والثاني: أن يستعمل في الاستثناء كما قال الله تعالى عن بعضهم: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)} [القلم]، أي لولا تستثنون.

والثالث: النور لقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لأحرقت سبحات وجهه)) أي نور وجهه.

والرابع: التنزيه لما روينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم سئل عن التسبيح فقال: ((إنزاه الله من السوء)).

{أَسْرَى بِعَبْدِهِ} أي نبيه محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والسرى سيرة الليل، شعراً:

وليلة ذات سرى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

وأسرى به مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: ليس ينكر المعراج إلا من ينكر ويدفع معجزات الأنبياء -عليهم السلام- وكراماتهم وليس العروج برسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إلى السماء إلا ليشاهد ما خلق الله عز وجل من بديع الخلق ومحكم الصنع بأعظم مما ظهر على يديه من الآيات والمعجزات والشواهد الصادقة كالقرآن وتكليم الشجرة وتسبيح الحصى إلى غير ذلك مما خصه الله تعالى به من الآيات ثم مع ذلك فإن أهل الإسلام مجمعون على أن عيسى -عَلَيْه السَّلام- رفعه الله تعالى إلى السماء وأن محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أفضل منه وأعظم قدراً عند الله منه فما بالهم يجيزون رفع عيسى -عَلَيْه السَّلام- إلى السماء ويمنعون هذه الفضيلة من النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، وما يجحد المعراج إلا قليل التدبير والمعرفة بمراتب الأنبياء والمرسلين.

وعندنا أنه أسري بجسمه وروحه وأنه دخل بيت المقدس وصلى فيه ثم عرج به منه وخرج إلى المسجد الحرام وصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته ثم إن المشركين كذبوا بذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً وأنها تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها فقال قائلهم: هذه والله الشمس قد شرقت ولم تأت وقال آخر: هذه والله العير يقدمها جمل أورق كما قال محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، وفي هذا دليل على إسرائه بجسمه وروحه.

وقوله: {إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} يعني بيت المقدس وهو مسجد سليمان بن داود -عَلَيْه السَّلام- سمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام.

ثم قال: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} يعني بمن جعله حوله من الأنبياء والأوصياء وما خص أهله به من الثمار ومجاري الأنهار {لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا}

سورة الإسراء

أي من العجائب التي فيها اعتباراً {إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)} يعني بما يقولون من تصديق وتكذيب البصير فيما فعل من الإسراء والمعراج.

قوله تعالىٰ: {وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ} يعني التوراة {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} يجوز أن يكون المراد بهذا موسىٰ ويجوز أن يكون الكتاب لأن كل واحد منهما هادٍ {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا(٢)} يعني رباً يتوكلون عليه في أمورهم وكفيلاً بمصالحهم {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} يعني موسىٰ وقومه من بني إسرائيل {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا(٣)} يعني نوحاً لأنه كان عبداً كثير الشكر علىٰ ما ابتلاه الله به من مقاساة قومه.

{وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ} ومعناه قضينا أعلمنا وأخبرنا والفساد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم علىٰ أموالهم قهراً وإخراب ديارهم بغياً {وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(٤)} يعني بالإستطالة والغلبة {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا} يعني المرتين من فساد {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} أي أمرنا عبادنا بقتالكم وانتقاماً منكم وخلينا بينهم وبينكم خذلاناً لكم بظلمهم والمبعوث عليهم في هذه المرة الأولىٰ جالوت وقيل بخت نصر {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} يعني قتلوهم بين الدور والمساكن وهذا قول حسان:

ومنىٰ الذي لاقىٰ بسيف محمد … فجاس به الأعداء عرض العساكر

وقيل معناه يذلوا خلال الديار ومنه قال الشاعر:

فجسنا ديارهم عنوة … وأبناء سادتهم موثقينا

قوله تعالىٰ: {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ} يعني الظفر بهم بقتل

جالوت حين قتله داود -عَلَيْه السَّلام- {وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} تجديداً للنعمة عليهم {وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا(٦)} أي أكثر عدداً نافراً.

قوله تعالىٰ: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ} لأن الجزاء بالثواب يعود عليها فصار ذلك إحساناً إليها {وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} أي فإليها {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ} يعني وعد المقاتلة علىٰ فسادهم في المرة الثانية والذي جاءهم بخت نصر {وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني بيت المقدس {وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا(٧)} قيل التتبير الهلاك والدمار، وقيل: الهدم والإخراب قال لبيد:

وما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبني وآخر رافع

قوله تعالىٰ: {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ} يعني ما حل بكم من الانتقام منكم {وَإِنْ عُدْتُمْ} إلىٰ الإساءة {عُدْنَا} إلىٰ الانتقام؛ فعادوا فبعث الله عز وجل عليهم رسوله محمداً -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فأذلهم بالجزية والمحاربة إلىٰ يوم القيامة {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا(٨)} أي حبساً يحبسون فيه مأخوذ من الحصر وهو الحبس وكانت العرب تسمي كل ممنوع من الحجاب حصراً لأنه بالحجاب كالمحصور قال لبيد:

ومقامهم غلب الرقاب كأنهم جن لدىٰ باب الحصير قيام

قوله تعالىٰ: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} يعني يهدي بما تضمنه من الأوامر والنواهي الدالة علىٰ الصواب والحق.

قوله تعالىٰ: {..وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} فيه وجهان أحدهما: أن يطلب النفع في العاجل بالضرر العائد عليه في الآجل، والثاني: أن يدعو عند ضجره وغضبه علىٰ نفسه وولده بالهلاك ولو استجيب له

سورة الإسراء

دعاؤه بهذا الشر كما يستجاب بالخير لهلك {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا(١١)} أي عجولاً بالدعاء على نفسه وولده عند غضبه.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ} يعني ظلمة الليل التي لا تبصر فيها المرئيات كما لا يبصر ما يجيء من الكتاب وهذا من أحسن البلاغة.

وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن محو آية الليل هي الطخية السوداء التي في القمر ليكون نور القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز به الليل من النهار {وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} يعني الشمس أنها مضيئة للأبصار.

قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} وطائره عمله من خير أو شر مثلما كانت العرب تقول في سوانح الطير وبوارحها فالسانح الطائر ذات اليمين تبرك به وهو طائر الخير والبارح الطائر من ذات الشمال تتشاءم به وهو طائر الشر وهذا كان على مذاهبهم في أفعالهم. وقيل: الطائر الحظ والنصيب من قول العرب: طار سهم فلان بكذا إذا خرج حظه ونصيبه {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(١٣)} يعني يلقى أعماله كلها محضرة منشورة معلومة من خير أو شر كما يجد الإنسان الشيء المكتوب في الكتاب معلوماً منشوراً إذا رجع إليه ويحتاج إلى كتابة الأعمال وإثبات الأفعال من يخشى عليه السهو والنسيان فأما الباري عز وجل فهو عالم بالأشياء قبل كونها وهي معلومة لنا بعد كونها {اقْرَأْ كِتَابَكَ} يعني انظر إلى أعمالك {كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤)} يعني شاهداً وحاكماً عليك بعملك من خير أو شر ولقد أنصف وعدل من جعل الإنسان حسيب نفسه تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قوله تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} يعني لما يحصل له من ثواب طاعته {وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} لما يحصل عليه من عقاب معصيته {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} يعني لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يجوز لأحد أن يعصى بمعصية غيره {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(١٥)} يعني على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولاً مبيناً لأنه لا يجوز العذاب إلا بعد الإبانة والعذاب فيه وجهان أحدهما: أن يكون عذاب الآخرة والثاني: يجوز أن يكون عذاب الدنيا.

قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(١٦)} وفيها قولان أحدهما: وإذا أردنا أن نحكم بهلاك قرية. والثاني: إذا أهلكنا قرية وأردنا صلة زائدة أمرنا مترفيها مقصور مخفف ومعناها أمرنا بالطاعة لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها، ففسقوا فيها: فعصوا بالمخالفة.

وفيه قراءة ثانية: (أمّرنا مترفيها) ممدودة بتشديد الميم ومعناه جعلناهم أمراء بالإنعام عليهم والإتساع لهم.

وفيه قراءة ثالثة: (آمرنا مترفيها) ممدود أكثرنا عددهم من قولهم آمر القوم إذا كثروا لأنهم مع الكثرة يحتاجوا إلى أمير يأمرهم وينهاهم قال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((خير المال سكة مابورة)) والسكة طريقة النحل ومابورة ملحقة ومهرة مأمورة يعني كثيرة النتاج والنسل، والمترفون: رؤساء الجبارين.

قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ} والقرن مائة سنة وقيل مائة وعشرون سنة.

قوله تعالى: {...كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} يعني البر والفاجر متساوون في نعم الدنيا لا الآخرة {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ

سورة الإسراء

مَحْظُورًا(٢٠)} يعني ممنوعا.

قوله تعالى: {..وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} أي أمر ربك {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} معناه ووصاك بالوالدين إحساناً يعني إليهما في البر بهما {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا} أي لا يتأذى بإماطة الأذى منهما وإبعاد القذى عنهما كما لم يتأذيا بإبعادهما عنك ذلك {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} وأف كلمة تدل على الضجر والتبرم خرجت مخرج الأصوات المحكمة والعرب تقول: أف وتف فالأف وسخ الأظفار والتف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(٢٣)} يعني ليناً حسناً.

قوله تعالى: {..فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا(٢٥)} والأوابون التائبون الراجعون عن ذنوبهم.

{وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} روينا عن أبينا علي بن الحسين بأنه قال: هذه الآية خاطب الله بها رسوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن يؤتي ذوي قرباه حقوقهم من الخمس والغنيمة والفيء والخطاب بعده يتوجه إلى الأئمة القائمين مقامه العاملين بسيرته {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(٢٦)} والتبذير الإسراف المتلف للمال والإنفاق في غير حقه ولو أنفق الرجل في أقل القليل في غير الحق كان مبذراً.

قوله تعالى: {..وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا} إنه[1] سبحانه أكد على نبيئه في هذه الآية بالوصاة بذوي قرباه فقال: إن أعرضت يكون المعنى إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكره حذراً أن

---

(1)- نخ : الله .

ينفق ما تعطيه في معصية فمن منعته ابتغاء رحمة من ربك وصلاح {فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا(٢٨)} أي ليناً سهلا.

{..إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} أي يقتر ويقلل {إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا(٣٠)} بمصالحهم بصيراً بأمورهم.

قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} يعني وأد البنات أحياء خيفة الفقر {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا(٣١)} والخطء العدول عن الصواب بعمد والخطأ العدول عنه بسهو، وقيل: الخطء ما كان إثماً والخطأ ما لا إثم فيه.

قوله تعالى: {..وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} يعني إلا بما تستحق به من القتل {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا} يجوز أن يكون الخيار بين القود والدية أو العفو {فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ} والإسراف أن يقتل غير قاتله {إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا(٣٣)} يعني الولي كان منصوراً يمكنه من القود، ويجوز أن يكون المقتول منصوراً بقتل قاتله.

قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج وأطمع في ماله أكثر {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} يعني من حفظ أصوله وتمييز فروعه {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} هي الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ} والعهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الإيفاء به {إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا(٣٤)} عنه.

قوله تعالى: {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} والقسطاس ما كان عدلاً من الموازين وغيرها.

قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أن تقول رأيت ولم تره أو سمعت ولم تسمعه.

قوله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} وهو الخيلاء يكون من

سورة الإسراء

الإسراف والبطر وهو أن يتجاوز الإنسان قدره {إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا(٣٧)} يعني إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال لتطاولك.

قوله تعالى: {...وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} وليس يصح التسبيح إلا من الحيوان المكلف فأما سائر الخلق من الجمادات والبهائم فتسبيحها ما يظهر فيها من لطيف الصنعة وبديع القدرة التي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه، شعراً:

يلقى بتسبيحه من حيث ما انصرفت ويستقر حشا الرأي بإرعاد
كأنما خلقت في قشر لؤلؤة فكل أكنافها وجه بمرصاد

قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا(٤٥)} يعني أنهم لإعراضك عن قربك كمن بينك وبينهم حجاب في عدم رؤيتك وقيل إنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ فحال الله بينه وبين أذائهم.

قوله تعالى: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} هذه نزلت في جماعة من قريش منهم الوليد بن المغيرة كانوا يتناجون بما ينفرون به الناس عن اتباع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وكانت نجواهم أنه مجنون وأنه ساحر وأنه يأتي بأساطير الأولين {إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا(٤٧)} يعني قد سحر فاختلط عليه أمره ويقولون ذلك تنفيراً عنه، ويجوز أن يكون المعنى أن له سحرا أنه يأكل ويشرب فهو مثلكم وليس بملك قال لبيد:

فإن سئلنا فيم نحن فإننا عصافير في هذا الأمام المسحر

قوله تعالى: {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا} فيه تأويلان أحدهما: أن الرفات التراب وقيل: ما أرفت من العظام مثل الفتأة ومنه قول الراجز:

صم الصفا يرفت منها أصله

قوله تعالى: {قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(٥٠)} لن تفوتوا الله إذا أرادكم إلا أنه أخرجه مخرج الأمر لأنه أبلغ في الإلزام.

{أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى فإن الله يميتكم ثم يحييكم {فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ} أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} يعني يدعوكم إلى المحشر والمحاسبة فتستجيبون أي خاضعين لله بألسنتكم {وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا(٥٢)} يعني به تقريب الوقت كما قيل في المثل كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل.

قوله تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} والتي هي أحسن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وامتثال أوامر الله عز وجل.

{إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ} بالهداية {أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} بالإضلال؛ أو إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا(٥٤)} أي كفيلاً على معاصيهم.

قوله تعالى: {...أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} وقيل إن هذه الآية فيمن عبد عزيراً وعيسى وأمه وهم المعنيون بقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ}.

قوله تعالى: {...وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} يعني أحاط

سورة الإسراء

بالناس قدرته وعظمته وعلمه ومشيئته.

قوله تعالىٰ: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} في الرؤيا وجهان أحدهما: أنه -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- رأىٰ كأنه يدخل مكة فعجل إليها قبل الوقت عام الحديبية ثم رجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم، وقيل: إن الرؤيا أنه رأىٰ في منامه قوماً يعلون منبره وينزون نزو القردة فكان تأويل ذلك طلوع من طلع من بني أمية وغيرهم منبره بغير استحقاق {وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ} هي بني أمية.

قوله تعالىٰ: {...لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا(٦٢)} يعني لأقتطعن، قال الشاعر:

نشكو إليك سنة قد أجحفت جهد الذي جهدتنا وأضعفت

واحتنكت أموالنا وحلفت

وقيل: معناه لأقودنهم إلىٰ المعصية كما تقاد الدابة بحنكها إذا اشتد فيه حبل يجذبها.

قوله تعالىٰ: {..وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ} أي بدعائك إلىٰ معصية الله وطاعتك {وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} والإجلاب هو السوق بجلبة من السائق أي لكل راكب وماش في معاصي الله وهذا هو المبالغة في الإغواء {وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} أما مشاركتهم في الأموال فهي الأموال التي أصابوها في غير حلها ويحتمل أن تكون الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالىٰ ويجوز أن تكون الأموال ما كانوا يحرمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما كانوا يذبحونه لآلهتهم.

ومشاركتهم في الأولاد هي قتل الموؤدة[1] من أولادهم وتسمية بنيهم بعبد الحارث وعبد شمس وعبد العزى وعبد اللات وإنما شبه الله عز وجل أفعال شياطين الإنس بفعل شياطين الجن فإما أن يكون الجن أو لأمر بالشبها في الأسر فلا.

قوله تعالى: {..رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ} معناه يجريها ويسيرها قال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيته   بلغ بني أسد ما هذه الصوت

قوله تعالى: {..أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} والحاصب الريح القاصف سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمي بالحصباء.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ} يعني أنعمنا عليهم وأحسنا إليهم.

{يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} يعني بأنبيائهم وأئمتهم الذين كانوا يأتمون بهم في الدنيا.

قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا(٧٢)} يعني من كان في الدنيا أعمى عن الطاعة فهو في الآخرة أعمى عن الثواب ومن كان في الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ} وسبب نزول هذه الآية أن ثقيفاً قالوا للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله

[1]ـ نخ (ل): الوؤدة.

وسَلَّم: أحللنا سنة حتى نأخذ ما نهدي لآلهتنا فإذا أخذناه كسرنا الآلهة فهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن يطيعهم فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: {..إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} يعني ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، قيل: لما نزلت هذه الآية قال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين)).

{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} أي يزعجوك باستخفاف وهذه الآية نزلت في قريش حين همت بإخراج النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من مكة قبل هجرته {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا(٧٦)} قرئ (خلفك، وخلافك) فأما خلفك فبعدك. إلا قليلاً: يعني أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر هي قليلة.

قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} ودلوك الشمس زوالها والصلاة المأمور بها صلاة الظهر وذلك لما روينا أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال: ((أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر)).

وأما الغسق ففيه تأويلان أحدهما: ظهور ظلامه قال زهير:

ظلت تحوت يداها وهي طاهرة   حتى إذا جنح الإظلام والغسق

والصلاة المأمور بها العصر والمغرب {وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا(٧٨)} وقرآن الفجر أراد به صلاة الفجر فسماها قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة إن قرآن الفجر كان مشهوداً يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، وفي هذا دليل أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة

النهار.

قوله تعالىٰ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ} أما الهجود فهو النوم، قال الشاعر:

ألا طرقتنا والرفاق[1] هجود فباتت بغلات النوال تجود

وأما التهجد فهو السهر بعد النوم وإنما خص -عَلَيْه السَّلام- الترغيب فيهما ليسبق إلىٰ حيازة فضلها لاختصاصها بكرامته {عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا(٧٩)} والمقام المحمود هو ما أعطاه عز وجل من الدرجات الرفيعة والمنازل السنية والشفاعة للمؤمنين.

قوله تعالىٰ: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} يعني أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق وأخرجني مما أمرتني به مخرج صدق، والثاني: أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة بتبليغ الرسالة {وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا(٨٠)} يعني ملكاً عزيزاً أقهر به العصاة.

قوله تعالىٰ: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} الحق الجهاد والباطل الشرك وزهق أي ذهب {إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا(٨١)} أي ذاهباً، وروينا أن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما نزلت هذه الآية دخل الكعبة فرأىٰ فيها التصاوير فأمر بثوب فبل بالماء وجعل يضرب به تلك التصاوير يمحوها ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)).

قوله تعالىٰ: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني شفاء من الضلال لما فيه من الهدىٰ وشفاء من الأسقام لما فيه من

[1]- نخ (ل): والنيام هجود ..إلخ.

سورة الإسراء

البركة ويجوز شفاء في الفرائض لما فيه من البيان {وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا(٨٢)} وذلك لتكذيبهم به فلا يزدادون إلا خساراً.

قوله تعالىٰ: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} يعني إذا أنعمنا عليه بالصحة والغنى أعرض عن الطاعة وبعد من الخير وإن هديناه أعرض عن السماع وبعد من القول {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا(٨٣)} يعني آيساً من الفرج لعلمه بجحوده وتكذيبه والشر هو الفقر والسقم وقتل السيف {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} يعني على دينه وعادته.

قوله تعالىٰ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ويجوز أن يكون السؤال عن روح الإنسان وسائر الحيوان وهي مشتقة من الريح وإنما سأله عنها قوم من اليهود وقيل إن في كتابهم فإن أجاب عن الروح فليس نبياً فقال الله تعالىٰ: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} فلم يجبهم عنها؛ فاحتمل ذلك أربعة أوجه:

أحدها: تحقيق الشيء إن كان في كتابهم. والثاني: أنهم قصدوا اقتراح الآيات. والثالث: لأنه مما قد توصل إلى معرفته بالعقل دون السمع. والرابع: لكيلا يكون ذريعة إلى سؤاله ما لا يعني {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)} يعني إلا قليلاً في معلومات الله عز وجل لأنكم لا تعلمون ما تدعون إليه من حاجتكم حالاً فحالاً.

قوله تعالىٰ: {...وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا(٩٠)} التفجير تشقيق الأرض لينبع الماء منها، ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود الصبح ومنه سمي الفجور لأنه شق الحق بالخروج إلى الفساد والينبوع الذي ينبع منها الماء ولما طلبوا عيوناً ينبع منه الماء ببلدهم.

{أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(٩١)} سألوا ذلك ببلد ليس فيها شيء منه.

{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا} أي قطعاً تقول العرب: أعطي كسفة من هذا الثوب، أي قطعة منه، ومن هذا الكسوف لانقطاع النور منه {أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا(٩٢)} يعني مقابلة نعاينهم ونراهم ويجوز أن يكون بمعنى كفيلا والقبيل الكفيل، ومنه قولهم: تقبلت بكذا أي تكفلت.

{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ} والزخرف النقوش وقيل نبت من الذهب وأصله من الزخرفة وهو تحسين الكلام ومنه قوله: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} [يونس:٢٤]، والذين سألوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- نفر من قريش، والذين سألوا ذلك هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن الأسود بن المطلب بن أسد وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أمية والعاص بن وائل وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج.

قوله تعالى: {...وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} بإخلاصه وطاعته {وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ} في هدايته {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} يعني يحشرون عمي الأعين بكم الألسن صم الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي مستقرهم جهنم {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا(٩٧)} أي كلما سكن التهابها زدناهم سعيراً والتهاباً ويكون سكون التهابها من غير نقصان في إيلامهم ولا سكون من عذابهم.

قوله تعالى: {...قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} يعني أنه لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها

سورة الإسراء

كجود الله لأمرين أحدهما: أنه لا بد من أن يمسك منها لنفقته ولما يعود منفعته. والثاني: لأنه يخاف الفقر ويخشى العدم والله سبحانه يتعالى جوده عن الحالين {وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا(١٠٠)} يعني مقتراً بخيلاً.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ} قيل إنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، وقيل: الحجر والسنون ونقص من الثمرات.

وروينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم جاءه قوم من اليهود فسألوه عنها فقال: ((لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وألا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بالنمائم ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود عليكم خاصة: لا تعدوا في السبت)) فقبلوا يده ورجله. وفي قوله: {إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَىٰ مَسْحُورًا(١٠١)} أي قد سحرت لما تحمل عليه نفسك من هذا القول والفعل المستعظم.

{وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا(١٠٢)} يعني هالكاً مغلوبا.

قوله تعالى: {...وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ} يعني لما فيه من الفرق بين الحق والباطل، وفرّقناه –بتشديد الراء- يعني أنزل مفرقاً {لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ} يعني على تثبيت وترتيل.

قوله تعالى: {قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا} يعني القرآن وهذا من الله عز وجل على وجه التبكيت لهم والتقييد لا على وجه التخيير {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(١٠٧)} أي يخرون للأذقان إيماناً به وتصديقاً لما جاء به رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والأذقان جمع ذقن والذقن مجتمع اللحيين.

قوله تعالى: {..قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} روينا في الآثار أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن وأحبوا أن يكون كثيراً فأنزل الله: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}.

وقيل: فيه وجه آخر وهو أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كان ساجداً وهو يقول: ((يا رحمن يا رحيم)) فقال المشركون: هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ}..الآية.

{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا(١١٠)} وإنما نهى عن الجهر بالقراءة في جميع الصلوات وكذلك عن الإسرار وأمر أن يجهر بصلاة الليل ويسر بصلاة النهار {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} في هذا إبطال ما قذفه به المشركون من ولد {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} يعني واحد لا شريك له في عبادة ولا ملك {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ} يعني اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس {وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا(١١١)} أي صفه بأنه أكبر الأشياء وأنه منزه عما لا يجوز عليه من صفات الخلق.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الكهف

مكية إلا آية واحد وهي قوله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ}..الآية [٢٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ [يعني محمد] الْكِتَابَ} يعني هذا القرآن {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا(١) قَيِّمًا} يعني اختلافاً قال الشاعر:

أدوم بودي للصديق ولا خير فيمن كان بالود أعوجا

ويجوز أن يكون العدول عن الحق إلى الباطل، وعن الإستقامة إلى الفساد وقد مضى الفرق بين العوج بكسر العين وفتحها. قيماً: أي مستقيماً وقيل قيم على سائر كتب الله عز وجل يصدقها وينفي الباطل عنها وفيه تقديم وتأخير وتقديره أنزل الكتاب على عبده قيماً ولم يجعل له عوجاً.

قوله تعالى: {...فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ} أي قاتل نفسك ومنه قول ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه بشيء تجبه عن يديه المقادر

{عَلَى ءَاثَارِهِمْ} يعني بعد موتهم {إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا(٦)} والأسف قيل جزعاً وقيل حزناً قال الشاعر:

إذا رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كفيه كشحاً مخضبا

قوله تعالى : {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا(٧)} يعني لنختبرهم في الاعتبار بها وبتحامي الحرام منه.

قوله تعالىٰ: {..وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا(٨)} والجرز البلقع اليابسة التي لا نبات فيها ولا زرع، والصعيد الأرض المستوية قال الراجز:

وقد حرقتهن السنون الأجارزا

قوله تعالىٰ: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا(٩)} أما الكهف فهو غار في الجبل يأوي إليه الناس. وأما الرقيم ففيه أقاويل أحدها أنه اسم الكتاب الذي كتب فيه صفاتهم وقيل: هو اسم جبل الكهف، وقيل: هو اسم لقريتهم، وقيل: هو اسم الوادي واسم ملكهم دقيانوس، وقيل: الكتب علىٰ لوح من رصاص وكان في خزائن الملوك لعجيب أمرهم.

قوله تعالىٰ: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ} في سبب إيوائهم إلىٰ الكهف قولان أحدهما: أنهم قوم فروا بدينهم إلىٰ الكهف وقالوا: {رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠)} والثاني: أنهم كانوا من أبناء الأشراف وعظماء الناس خرجوا من المدينة فاجتمعوا علىٰ غير موعد فقال أسنّهم إني أجد في نفسي شيئاً ما أظن أن أحداً يجده أن ربي رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً فقالوا جميعاً: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا(١٤)} والشطط الكذب والعلو.

قوله تعالىٰ: {ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(١٢)} والبعث إيقاظهم من رقدتهم، لنعلم أي الحزبين أحصىٰ لما لبثوا أمدا: يعني غاية وأجلاً وأراد بالحزبين حزب المؤمنين وحزب الكفار.

قوله عز وجل: {..لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ} يعني بحجة بينة

وكتاب مبين.

قوله تعالى: {..وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} أي تقطعهم في ذات الشمال أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم من قولك: قرضت الشيء بالمقراض أي قطعته وقيل معناه: تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانقراضها مأخوذ من قرض الدرهم لأنهم كانوا في مكان موحش وقيل في ناحية متسعة.

قوله عز وجل: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} والأيقاظ المنتبهون والرقود النيام وكانوا يتنفسون ولا يتكلمون {وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ} يعني نقلبهم ذات اليمين وهم نيام لئلا تعفر جنوبهم لكثرة ملاقاة الأرض {وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ} وهو الكلب الذي تبعهم والوصيد الفناء وقيل هو الباب وقيل: هو التراب والصعيد قال الشاعر:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

{لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨)} يعني لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم وقيل: لطول ما نبت من شعورهم وأظفارهم فكذلك يأخذهم الرعب منهم، وقيل: إن هذه المعجزة في نومهم كانت لنبي قيل إنه كان كبيرهم الذي اتبعوه وآمنوا به.

{فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} أي أحله وأطيبه {وَلْيَتَلَطَّفْ} في إخفاء أمركم وطلب الحلال مما اشتهوه.

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ} بأيديهم استنكاراً لكم وبألسنتهم غيبة لكم وشتماً {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ} يعني في كفرهم

{وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا(٢٠)} إن أعادوكم في ملتهم.

قوله تعالىٰ: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ} أي أظهرنا أهل بلدهم عليهم {لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} وقيام الساعة وإعادة الخلق حق لأن من أنامهم كالموتىٰ هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر علىٰ إحياء من أماته وأقبره.

{إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} وذلك أنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلىٰ المدينة ليأتيهم برزق منها وطعام استنكروا شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فأحضر إلىٰ الملك وكان صالحاً قد آمن ومن معه فلما نظر قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا علىٰ عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم وسأل الفتىٰ فأخبره فانطلق هو والناس معه فلما دنوا من الكهف وسمع الفتية كلامهم خافوهم ووصىٰ بعضهم بعضاً بدينهم فلما دخلوا عليهم أماتهم الله ميتة الحق فحينئذ كان التنازع الذي ذكره الله تعالىٰ فيهم وكان تنازعهم في دفنهم أو في أن يبنىٰ عليهم مسجداً.

وقيل: إن الملك هم أن يدفنهم في تابوت من ذهب فأتاه آت منهم في المنام فقال: أردت أن تجعلنا في تابوت من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإلىٰ التراب نعود.

قوله تعالىٰ: {سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} في المخلوقين والذي اختلف فيهم أهل الكتاب بعد طول العهد لهم وقوله: {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} أي قذفاً بالظن كما قال زهير:

وما هو عنها بالحديث المرجم

{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ} قال الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح بن الحسين -صلوات الله عليه-: نحن من القليل الذين ذكر الله عز وجل في استثنائهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. {فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} يعني ما قد أظهرناك عليه لا من أمرهم ويجوز أن يكون المراء الظاهر هو الحجة الواضحة والخبر الصدق {وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢٢)} هذا خطاب للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ونهي لأمته.

قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} فهذا وإن كان أمر فهو على وجه التأديب والإرشاد لا يعزم على أمر إلا بمشيئة الله تعالى لأن العزم ربما صد عنه مانع فيصير في وعده مخلفاً وفي قوله كاذباً {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} يعني إذا غضبت لأن الغضب يزول عنده ذكره {وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا(٢٤)}.

قوله تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا(٢٥)} وهذا إخبار من الله بهذه العدة عن مدة مقامهم في الكهف من حين دخلوا إلى أن ماتوا فيه ثم قال بعد ذلك: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} يعني لبثوا بعد موتهم إلى نزول القرآن {أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} معناه أن الله تعالى أبصر وأسمع أي أبصر بما قال وأسمع.

قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا(٢٧)} يعني ملجأ وموئلاً وقيل معدلا.

قوله عز وجل: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} روينا أن هذه الآية نزلت على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في الحديبية فلما نزلت قال: ((الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن

أصبر معهم)).

وفي قوله: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} يعني يدعونه بالغداة والعشي رهبة ورغبة.

{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} أي ولا تتجاوز بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها وقيل: إن عيينة بن حصن أتى إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قبل إسلامه فقال: يا رسول الله اجعل لأصحابك مجلساً لا نجتمع معهم فيه واجعل لنا مجلساً لا يجتمعون معنا فيه فأنزل الله تعالى فيه: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(٢٨)} يعني وجدناه غافلاً عن ذكرنا وكان أمره فرطاً أي متروكاً مضيعا.

قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} هذا كان خارجاً مخرج التخيير فهو على وجه التهديد والوعيد {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} وسرادقها دخانها قبل أن يصلوا إليها وهذا الذي قال الله تعالى: {إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ(٣٠)} [المرسلات].

{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ} وقيل المهل: كلما أُذيب فإمّاع وقيل هو الدم والقيح {بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا(٢٩)} قيل: المرتفق المتكأ مضاف إلى المرفق ومنه قول أبي ذؤيب:

بات الخلي وبت الليل مرتفقاً   كأن عيني فيها الصاب مذبوح

قوله تعالى: {..وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} والسندس ما لطف من الديباج والاستبرق ما غلظ منه، شعراً:

تراهن يلبسن المشاعر مرة   وإستبرق الديباج طوراً لباسها

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} قيل إنها الحجال، وقيل إنها الفرش في الحجال، وقيل: إنها السرر قال الشاعر:

خدود خفت في الستر حتى كأنما تباشر بالمعراء مس الأرائك

{...وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} بفتح الثاء والميم وهو جمع ثمر وقيل بضم الثاء والميم وهو جمع ثمار والثمر هو كل ما أثمر من الأموال وزاد ونما.

قوله تعالى: {...وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ} قيل الحسبان النار ، وقيل هي المرامي الكثيرة وأصله الحسبان وهو السهام التي ترمى بمجرى في طلق واحد {فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا(٤٠)} يعني أرضاً ملساء لا تنبت شيئاً ولا تثبت عليها قدم.

قوله تعالى: {...وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ} والفئة القدر الذي يقام بهم الحق {وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا(٤٣)} يعني ممتنعا.

قوله تعالى: {هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} يعني يوم القيامة أنهم يتولون الله تعالى في القيامة فلا يبقى مؤمن ولا كافر إلا تولاه فاعترف بأنه الولي حقاً.

قوله تعالى: {..الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(٤٦)} يعني أنها الأعمال الصالحة.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} من السير حتى تنتقل من مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظيم الاعتبار، وقيل: يسيرها أن يجعلها هباء {وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} يعني فضاء لا يسترها شيء {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

مِنْهُمْ أَحَدًا(٤٧)} يعني فلم نخلف منهم أحداً ومنه سمي الغدر وهو ما يخلفه السيل ويتركه وقيل إنهم يعرضون صفاً بعد صف كصفوف الصلاة.

قوله تعالىٰ: {وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} والصغيرة من الذنوب هي التي تغفر باجتناب كبائرها، والكبائر فهن الموجبات ويجب علىٰ الإنسان اجتناب الصغائر ولا يتهاون بهن لأن النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- يقول: ((إياكم والمحقرات من الذنوب فإنها تجتمع علىٰ صاحبها حتىٰ تهلكه)) {وَوَجَدُوا} أي أحصىٰ {مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} معلوماً كالمثبت من الكتاب.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} لأن إبليس لم يكن من الملائكة كما ذهب إليه قوم {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} أي خرج عن طاعته من قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها قال رؤبة بن العجاج:

يهوين من نجد وغور غائرا فواسقاً عن قصدها جوائرا

قوله تعالىٰ: {مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ} يعني ما أشهدتهم إياها استعانة منهم في خلقها ولا خلق أنفسهم يعني ما استعنت ببعضهم علىٰ خلق بعض {وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(٥١)} يعني أولياء وأعواناً.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا(٥٢)} يعني مهلكاً {وَرَأَىٰ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ} فيه وجهان أحدهما: أنهم عاينوها في المحشر، والثاني: علموا بها عند العرض {فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} وقد يعبر عن العلم بالظن لأن الظن مقدمة العلم {وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا(٥٣)} يعني معدلاً ولا

منجى ينصرفون إليه.

{وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا(٥٤)}.

قوله تعالى: {أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا(٥٥)} بالضم للقاف والباء وهو جمع قبيل ومعناه ضرب من العذاب وأنواع منه، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه مقابلة ومعاينة.

قوله تعالى: {لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} أي ليذهبوا به الحق ويبطلوا به الصدق، وقيل: ليهلكوا لأن الداحض هو الهالك مأخوذ من الدحض وهو موضع المزلق من الأرض الذي لا يثبت عليها خف ولا حارف ولا قدم قال الشاعر:

وردت ويحيى اليشكري حذاره ... وحاد كما حاد البعير عن الدحض

قوله تعالى: {..بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا(٥٨)} يعني والت نفسه أي نجت قال الشاعر:

لا واليت نفسك خليتها ... للعامرين ولم تكلم

{وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا(٥٩)} يعني أجلاً يؤخرون إليه.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ} يعني يوشع بن نون سمي فتاه لملازمته إياه في العلم والخدمة {لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ} يعني بحر الروم وبحر فارس أحدهما قبل المشرق والآخر قبل المغرب، وذكر لنا أنه ليس في الأرض مكان هو أكثر ماء منه {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(٦٠)} والحقبة ثمانون سنة وقيل: سبعون سنة، ولا أبرح يعني لا أفارقك..... أن نلقى الخضر عنده.

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا} لأنهما كانا تزودا حوتاً مملوحاً فتركاها حين جلسا، وفي قوله: {نَسِيَا حُوتَهُمَا} وجهان أحدهما: أنه ضل عنهما حتى اتخذ سبيله في البحر سربا، فسمي ضلاله عنهما نسياناً منهما. والثاني: نسيان منهما وقيل الناسي كان يوشع بن نون نسي الحوت أن يحمله ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

{فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(٦١)} يعني مسلكا {فَلَمَّا جَاوَزَا} يعني مكان الحوت {قَالَ لِفَتَاهُ} يعني موسى لفتاه يوشع {ءَاتِنَا غَدَاءَنَا} والغداء طعام الغداة كما أن العشاء طعام العشاء والإنسان إلى الغداء أشد حاجة منه إلى العشاء {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا(٦٢)} والنصب التعب والوهن.

{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ} وهي على ساحل بحر أيلة {فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ} يعني حمل الحوت {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} يعني وسوسته وشغله شبهه بالشيطان {وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(٦٣)} يعني أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع إلى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري منها عجب منه {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ} أي نطلب وذلك لأنه قيل لموسى -عَلَيْه السَّلام- إنك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه بعض متاعك ، فعلم أن مكان الحوت هو موضع الخضر فقال: {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا(٦٤)} فرجعا على آثارهما يقصان أثر الحوت ويتبعانه.

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(٦٥)} قيل: لما اقتص موسى -عَلَيْه السَّلام- من أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد قد سجى عليه ثوبه فسلم عليه موسى -عَلَيْه السَّلام- فكشف ثوبه عن وجهه فرد عليه السلام وقال: من أنت؟ قال: موسى،

قال: صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: وما كان لك في بني إسرائيل شغل؟ قال: أردت أن آتيك وأصحبك، والخضر كان ملكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله إياه من علم الأرض وقيل: سمي خضراً لأنه كان كلما صلى في مكان اخضرّ منه ما حوله.

قوله تعالى: {...لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا(٧١)} أي عجباً منكراً مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح ومنه رجلا إمراً إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى.

قوله تعالى: {..قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا(٧٣)} يعني لا تلحقني.

قوله تعالى: {قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زاكيةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} والنفس الزاكية التي لا ذنب لها الطاهرة من العيوب، وقرئ (زَكِيَّةً) أي نامية لأنها كانت صغيرة لم تبلغ حد التكليف {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا(٧٤)} وهو الذي ينبغي أن ينكر.

قوله تعالى: {...فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا} قيل: إنها أنطاكية {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ} يعني يقارب أن ينقض وذلك التشبيه بحال من [شارف أو داني] كما قال الشاعر:

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب في دماء بني عقيل

وقيل: كاد الجدار يسقط فأقامه بيده فاستقام؛ فعجب موسى من الخضر وكانا قد استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فلما أقام الجدار قال: {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(٧٧)} وإنما قال ذلك لما رأى أهل القرية تهاونوا

بأمرهم فلم يضيفوهم لأن أشر القرى التي لا تقري الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه.

قوله تعالى: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٧٨)} فيه وجهان أحدهما: لما تسطع على المشاهدة له صبراً. والثاني لم تستطع على الإمساك عنه صبرا.

قوله تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} وفي المساكين ثلاثة أقوال أحدها: لفقرهم وحاجتهم. والثاني: لشدة ما يعانوه في البحر كما يقال لمن عانا شدة قد لقي هذا المسكين جهداً. والثالث: لزمانة كانت بهم وعلة.

{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} أي أحدث فيها عيباً {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(٧٩)} وكان وراءهم فيه تأويلان أحدهما: أنه كان خلفهم لأنه كان رجوعهم عليه، ولم يعلموا به. والثاني: أنه كان أمامهم.

وفي استعمال وراء موضع أمام ثلاثة أقاويل أحدها: يجوز استعماله بكل حال في كل مكان وهو من الأضداد قال الله عز وجل: {مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} [الجاثية:١٠]، يعني من أمامهم وقدامهم. والثاني أن يستعمل في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فيصير وراءها ولا تجوز في غيرها. والثالث: أنه يجوز في الأجسام التي لها وجه كحجرين متقابلين كل واحد وراء الآخر ولا يجوز في غيرها.

قوله تعالى: {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(٧٩)} وروينا عن زيد بن علي -عَلَيْه السَّلام- أنه كان يقرأ: (كل سفينة صالحة غصبا) لأنه كان يأخذ كل سفينة جيدة فلذلك عابها الخضر لتسلم من الملك.

{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا

وَكُفْرًا(٨٠)} قيل إن الخضر وجد غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً جميل الصورة فأضجعه وذبحه، قيل إن الغلام في عشر سنين وفرح أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو عاش كان به هلاكهما {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(٨١)} يعني خيراً منه إسلاماً وكانت أمه حبلى فولدت غلاماً قيل هدى الله على يده أمة من الأمم وأقرب رحما: أي أبر بوالديه من أخيه المقتول.

قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ} وكان اسم الغلامين أصرم وصريم، وقيل إن الكنز كان صحفاً فيها العلم.

وروينا أن الكنز كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالعدل كيف يحزن، عجبت لمن يوقن بالدنيا وزوالها وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا} لطفاً بهما ورأفة.

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣)} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن ذا القرنين لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله وناصح لله فنصره الله فضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر، وإنما سمي ذو القرنين لأنه المضروب على جانب رأسه على ما روينا عن أمير المؤمنين وقيل: سمي بذلك لأنه بلغ قرن الشمس مطلعها ومغربها.

قوله تعالى: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

سَبَبًا(٨٤)} قيل السبب هو العلم الذي يتسبب به على إرادته وقيل: هو ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد.

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٨٥)} يعني منازل الأرض ومعالمها وطرقها إلى ما أريد منه {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} وقرئ (حامية) أي حارة، وقيل حمِيّة يعني في طينة سوداء أي أنه وجد الشمس تغرب في نفس العين كما نراها تغرب في وسط بحر {وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا(٨٦)} يعني إما أن تعذبهم بالقتل من معاصيهم ومقامهم على الشرك، وإما أن تتخذ فيهم حسناً بأن تعفو عنهم وتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى، قيل: لم يؤمن منهم إلا رجل واحد.

قوله تعالى: {...حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا(٩٠)} يعني من دون الشمس ما يسترهم من جبال وأشجار وغيرها من الساترات والأبنية فإذا طلعت عليهم رجعوا إلى أسراب لهم فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش وسمك.

قوله تعالى: {...حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ} بالضم، من فعل الله عز وجل والسَّد بالفتح من فعل الآدميين قيل إنهما جبلان جعل الردم بينهما.

{قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} وهما من ولد يافث بن نوح وقد ذكرنا اشتقاق أسمائهما فيما تقدم، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((لا يموت الواحد حتى يولد من صلبه ألف رجل)).

{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا} وقرئ (خراجاً) والخراج الغلة والخرج الأجرة وقيل الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج هو ما يخرج من

المال.

{قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} يعني من الأجر الذي تبذلونه {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} يعني بآلة {أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(٩٥)} والردم الحجاب الشديد وقيل هو المتراكب بعضه على بعض.

قوله تعالى: {ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} يعني قطع الحديد وفلقه ومنه الزبور لاجتماع حروفه في الكتابة {حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} والصدفان جبلان كل واحد منهما منعزل عن صاحبه كأنه قد صدف عنه ومعنى قوله: {حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} يعني سوى بينهما بما جعل بينهما حتى ورى رؤوسهما وساوى بينهما {قَالَ انْفُخُوا} يعني في الحديد {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا} يعني ليناً كالنار {قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(٩٦)} والقطر النحاس وقيل الرصاص وقيل هو الحديد المذاب قال الشاعر:

حسام كلون الملح صاف حديده   حراراً من أقطاع الحديد المتعب

قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} يعني يعلوه {وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(٩٧)} يعني من أسفله، وقيل: إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك مؤخرهما البحر المحيط قيل إن ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع وعرضه خمسون ذراعاً وأنه من حديد.

قوله تعالى: {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي} يعني عمله رحمة من ربي لعباده ويجوز أن قدرته على عمله رحمة من الله {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ} يعني ما وعد به من أشراط الساعة وعلامات الآخرة عند نزول عيسى -عَلَيْه السَّلام-.

وروينا أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال: ((إنهم يَدْابون في حفرهم

نهاراً حتى إذا أمسوا وكادوا ينظرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً فنحفر بقيته فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء أمر الله قالوا: غداً إن شاء الله ننقب بقيته فيرجعون إليه فينقبونه بإذن الله فيخرجون منه على الناس فيتحصن الناس في حصونهم ثم يرمون بنبالهم إلى السماء فترجع إليهم فيقولون قد ظهرنا على أهل الأرض وقهرنا أهل السماء فيرسل الله عليهم عذاباً يهلكهم به)).

{فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي} يعني الأجل الذي يخرجون فيه {جَعَلَهُ دَكَّاءَ} يعني السد يجعلونه دكاً أي مثل الأرض المستوية.

قوله تعالى: {...الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي} يحتمل وجهين أحدهما: أن الضلال كالغطاء لأعينهم عن تذكر الانتقام، والثاني: أنهم قد غفلوا عن الاعتبار {وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا(١٠١)} استثقالاً به.

قوله تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا(١٠٢)} يعني منزلا.

قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(١٠٣)} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: إنهم القسيسون والرهبان، وقيل إنهم أصحاب الكتب. وروينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: هم الخوارج.

والآية عامة في كل من رفض الأئمة من آل الرسول -عليهم السلام- الذين أمر الله عز وجل باتباعهم وطاعتهم ولو تسلخ جبينه من طول العبادة لأن ذلك لا ينفعه مع رفضه لأولياء الله.

قوله تعالى: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(١٠٥)} يعني لهوانهم على الله عز وجل لمعاصيهم التي ارتكبوها يصيرون محقورين لهم يعني لا قدر لهم.

قوله تعالى: {..كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا(١٠٧)} قيل: الفردوس أعلى الجنة وأحسنها وأطيب موضع فيها،وهو الذي فيه الأعناب {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا(١٠٨)} أي متحولا.

قوله تعالى: {..فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ} يعني من كان يخاف لقاء ربه وفي لقائه وجهان أحدهما معناه لقاء ثوابه، والثاني معناه: من كان يرجو لقاء ربه إقراراً منه بالبعث والوقوف بين يديه {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} أي يتجنب المعاصي ويعمل الطاعات {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠)} والشرك الكفر وهو أن يعبد معه سواه، والإخلاص أن لا يريد بعمله أحداً غيره.

وروينا عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية)).

قيل: أتشرك أمتك بعدك؟ قال: ((لا أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكنهم يراؤن بعملهم)).

فقيل: يا رسول الله وذلك شرك؟ قال: ((نعم)).

قيل: وما الشهوة الخفية؟ قال: ((يصبح أحدكم صائماً فتعرض له الشهوة من شهوات الدنيا فيفطر بها ويترك الصيام)).

وهذه الآية نزلت في جندب بن زهير العامري أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال: إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله فيثنى به علينا فيعجبنا وإني لأصلي الصلاة فأطولها رجاء أن يثنى بها علي فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إن الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن شاركني في عمل يعمله لي أحداً من خلقي تركته وذلك الشريك)) ونزلت فيه هذه الآية: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا(١١٠)}.

تم الجزء الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن بمنِّ الله وتوفيقه ولطفه والحمد لله على ذلك ونسأل الله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتاب البرهان
مما ولي تأليفه
الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين: أبو الفتح بن الحسين بن الناصر بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
صلوات الله عليهم أجمعين وعلى أبيهم الأمين محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وشرف وكرّم ومجّد وعظّم إلى يوم الدين

تحقيق
هادي بن حسن بن هادي الحمزي

منشورات
مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية
اليمن – صعدة ت(٧١١٦٦٠٦٣٠)، ص ب (٩٠٠٠٥)

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م

تم الصف والإخراج
بمكتبة أهل البيت(ع)
اليمن – صعدة، ت(٧١١٦٦٠٦٣٠)، ص ب (٩٠٠٠٥)

www.azzaidiah.com

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح بن الحسين بن رسول الله – صلوات الله عليهم–: هذا ما بدأنا بتفسيره من النصف الأخير من كتاب الله عز وجل:

سورة مريم -عَلَيْها السَّلام- مكية

قوله تعالى: {كهيعص(١)} قد روي عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: هو اسم من أسماء الله عز وجل فالكاف من كبير والهاء من هادي والياء حكيم والعين من عليم والصاد من صادق.

قوله تعالى: {..إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(٣)} وإنما أخفى لأن الله سبحانه يعلم القلب التقي ويسمع الصوت الخفي وأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب فيه إلى الريا وإلى الهزء فيقولون: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد.

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} أي ضعف ورق {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} وهذا من أحسن الاستعارة لأن الشيب قد انتشر في الرأس مثل ما انتشر في الحطب شعاع النار {وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(٤)} أي خائباً كنت تجيبني إذا دعوتك ولا تحرمني الإجابة.

قوله تعالى: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} والموالي هم بنو العم وسموا موالي لأنهم يلونه في النسب بعد الصلب أي خفتهم بعد موتي {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(٥)} أي ولداً يليني من بعدي {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ} يرث مالي وعلمي ويرث من آل يعقوب النبوة.

قوله تعالى: {لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا(٧)} أي لم نسم به أحداً قبله {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا} أي لا تلد {وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا(٨)} أي الذي غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف وقيل إنه كان له خمس وتسعون سنة وقرئ: (وقد بلغت من

الكبر عسيا) من قولهم الشيخ إذا كبر قد عسى وعتا ومعناهما واحد.

قوله تعالى: {..قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا(١٠)} أي من غير مرض ولا خرس.

قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} والمحراب مأخوذ من مجلس الأشراف الذي تحارب به ذباً عن أهله فكان الملائكة كانت تذب عن الأنبياء وهم في محاريبهم {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ} أي أوحى إليهم وأشار وقد يكون الوحي بمعنى الكتابة قال الشاعر:

بقية وحي في بطون الصحائف

قوله تعالى: {أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(١١)} أي صلوا وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة وسمي به لأن الصلاة لا تخلو منه.

قوله تعالى: {يَايَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} أي خذ الكتاب بجد واجتهاد والكتاب هو التوراة {وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا(١٢)} أي الحكمة لأن الصبيان قالوا له: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقنا وكان يومئذ ابن ثلاث سنين.

قوله تعالى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} أي رحمة من عندنا لا يملك إعطاؤه غيرنا ويحتمل أن يكون الحنان بمعنى التحنن على العباد {وَزَكَاةً} أي للعمل الزاكي الصالح ويحتمل أن يكون من التزكية التي هي المدح والثناء الحسن {وَكَانَ تَقِيًّا(١٣)} أي مطيعاً لله عز وجل باراً بوالديه.

قوله تعالى: {...وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦)} أي انفردت واتخذت مكاناً شرقياً أي في ناحية المشرق.

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} أي اتخذت مكاناً تعتزل فيه أيام حيضها

{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(١٧)} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام- وفي تسمية الله عز وجل روحنا وجهان أحدهما: أنه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح وإضافته إليه. والثاني: أنه يأتي من قبل الله تعالى بما تحيا به الأرواح وسبب الحمل أنه ما كان إلا أن حملته فولدته بعد ستة أشهر.

قوله تعالى: {...فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} هو وألجأها كما قال زهير:

وجار سار معتمداً علينا أجاءته المخافة والرجاء

{قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا(٢٣)} أي استحياء من الناس أن يظنوا بها سوءاً أي لم أخلق ولم أك شيئاً، وقيل النسي المنسي هو السقط.

قوله تعالى: {فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا} أي عيسى -عَلَيْه السَّلام- كان المنادي وقيل إن المنادي جبريل -عَلَيْه السَّلام- كأنها كانت على رابية وأكمه وهو أسفل منها {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤)} يعني عيسى -عَلَيْه السَّلام- ويحتمل أن يكون السري النهر الصغير.

قوله عز وجل: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(٢٥)} وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان ذلك في الشتاء فجعله الله آية روي أنها اخضرت وهي تنظر وحملت وهي تنظر ثم نضجت وهي تنظر.

قوله تعالى: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} يعني من الرطب الجني واشربي من السري وقري عيناً بالولد {فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا} إما للإنكار عليك وإما للسؤال عنك {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} أي صمتاً ويجوز أن يكون صوماً عن الطعام والشراب والكلام {فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(٢٦)} وإنما كان امتناعها عن الكلام ليتكلم عنها ولدها

فيكون فيه براءة ساحتها، وقيل إن من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس فأذن لها في ذلك المقدار من الكلام.

قوله تعالى: {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا(٢٧)} قيل إنه القبيح من الافتراء وقيل إنه الأمر العجيب وهو العظيم من الأمر.

قوله تعالى: {يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ} قيل إن هارون الذي نسبت إليه كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ينسب إليه كل من يعرف بالصلاح {وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(٢٨)} أي زانية وسميت الزانية بغياً لأنها تبغي الزنا أي تطلبه.

قوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} أي كلموه وأشارت بالجواب إليه استكفافاً وليكون كلامه لها برهاناً {قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(٢٩)} يعني من هو فـ(كان) في هذا الموضع زائدة صلة. وفي المهد وجهان أحدهما: أنه كان سرير الصبي المعهود لمنامه فلما تكلم قال: إن هذا الأمر عظيم {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ} أي سيؤتيني {وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠)} أي سيجعلني نبياً والكلام في المهد من مقدمات نبوته.

قوله تعالى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} أي نفاعاً أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر معلماً للخير {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ} أي الصلاة ذات الركوع والسجود ويجوز أن تكون الصلاة بمعنى الإخلاص والدعاء {وَالزَّكَاةِ} أي زكاة الأموال ويجوز أن يكون لتطهير الذنوب.

قوله تعالى: {..وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣)} أي السلامة لي من الخطايا والذنوب يوم أموت ويوم أبعث من الضلالة ومن العمى.

قوله عز وجل: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ

يَمْتَرُونَ(٣٤)} أي كلمة الحق والحق هو الله عز وجل، والذي فيه يمترون: أي يشكون ويختلفون لأنهم اختلفوا في الله تعالى وفي عيسى فقال بعضهم: هو الله تعالى، وقال آخرون: هو ابن الله، وقال آخرون: هو ثالث ثلاثة، وهذه الأقوال الثلاثة للنصارى فقلنا لهم: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، ونسبته اليهود إلى غير رشدة فهذا الذي فيه يمترون.

قوله تعالى: {...أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ} فيه وجهان أحدهما [لأن كانوا في الدنيا صماً وعمياً عن الحق فما أسمعهم وأبصرهم به يوم القيامة]. والثاني: أسمع بهم اليوم وأبصر كيف نصنع بهم غداً يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} أي يوم القيامة إذ قضي عليهم العذاب وانقطعت التوبة واستحقوا العقاب.

قوله تعالى: {...لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا(٤٦)} أي لأرجمنك بالحجارة حتى تتباعد مني واهجرني مليا أي طويلا.

قوله تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ} قابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق أبيه وشكراً لسالف التربية ثم قال: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} أي سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان وأدعو لك بالهداية التي تقتضي الغفران {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا(٤٧)} أي مقرباً مكرماً.

قوله عز وجل: {...وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا(٥٠)} أي جعلنا لهم ذكراً حسناً وثناء جميلا.

قوله تعالى: {..وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} والطور جبل في الشام نادى الله تعالى أي خلق الله النداء من ناحية الجبل اليمنى {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا(٥٢)} أي شرفناه وعظمناه في المناجاة وسماع الكلام والنجوى هو الكلام في الخلوة.

قوله تعالى: {...وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا(٥٧)} أي في أعلى المكان والمنزلة، {خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا(٥٨)} أي جمع باك.

قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} والخلْف بتسكين اللام في الذم والخلَف بتحريك اللام في المدح والحمد وأضاعوا الصلاة تأخيرها عن وقتها والغي الذي يلقونه هو الخسران والخيبة قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم عن الغي لائما

قوله تعالى: {...وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(٦٢)} وإن كان في الجنة ليس فيها ليل ولا نهار وهذا على مذهب العرب في إكرام الضيف وهو أن يغدى ويعشى.

قوله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا(٦٤)} قيل: إنه جبريل تأخر عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- اثنتي عشرة ليلة فلما جاءه قال: ((لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن)) فنزلت: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا(٦٤)} أي ناسيك فما بين أيدينا هي الدنيا وما خلفنا هو الآخرة وما بين ذلك من إحياء الموتى ونفخ الصور.

قوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا(٦٥)} أي لم يتسم أحد بالله عز وجل وأيضاً فلا يستحق العبادة إلا الله.

قوله تعالى: {...ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا(٦٨)} أي بروكاً

على الركب. {أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا(٦٩)} أي جرأة وتمرداً وكفراً {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا(٧٠)} أي دخولاً فيها ولزوماً بها {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا(٧١)} وورودها هو النظر إليها من بعيد كما يقال: وردنا البلد إذا نظرناه كقول زهير:

ولما وردن الماء زرقاً حمامة وضعن عصا الحاضر المتخيم

حتماً مقضياً أي أمراً واجباً.

قوله تعالى: {..أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا} أي منزل إقامة في الجنة أو في النار {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا(٧٣)} أي مجلساً وهو جمع ناد.

قوله تعالى: {أَثَاثًا وَرِئْيًا(٧٤)} والأثاث المتاع والرئي المنظر.

قوله تعالى: {...وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} يزيدهم هدى بالمعونة على طاعته والتوفيق لمرضاته.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا(٧٧)} هذه الآية نزلت في العاص بن وائل السهمي، والوُلْد بضم الواو وسكون اللام ويقال: الوَلَد بفتح الواو وتحريك اللام قال الحارث بن حلزة:

فلقد رأيت معاشراً قد أثمروا مالا وولدا....

وذكر ذلك أي لأوتين في الدنيا مالاً وولداً لإقامتي على دين آبائي ويحتمل أن يكون لو كنت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ} أي علم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالاً وولداً {أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا(٧٨)} يعني عملاً صالحاً وقولاً عهد الله به إليه.

قوله تعالى: {...سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} أي سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما عاينوا من سوء عاقبتها {وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا(٨٢)} أي على خصومتهم وأن يكونوا لهم قرناء في النار.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا(٨٣)} أي تزعجهم إزعاجاً {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا(٨٤)} أي نعد أعمالهم عداً ونعد وقت انتظارهم إلى وقت الانتقام منهم بالسيف والجهاد.

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا(٨٥)} أي مجتمعين {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا(٨٦)} أي عطاشا أفرادا.

قوله تعالى: {...لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(٨٩)} أي منكراً عظيماً قال الراجز:

في لعب منه وختل إدا

قوله عز وجل: {...إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا(٩٦)} أي حباً يحبهم ويحببهم إلى خلقه.

قوله تعالى: {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا(٩٧)} أي جدلاً بالباطل مأخوذ من اللدد وهو شدة الخصومة وقال الله عز وجل: {وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤)} [البقرة]، ومنه قول الشاعر:

أخاصم أقواماً ذوي جدل لدا

قوله تعالى: {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا(٩٨)} والركز الصوت والحس.

سورة طه مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {طه(١)} قيل: إنه بمعنى يا رجل على لغة طي قال الشاعر:

إن السفاهة طه من خلائقكم لا قدس الله أرواح الملاعين

ويحتمل أن يكون اسماً من أسماء الله تعالى وقسماً أقسم به {مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى(٢)} أي بالتعب والسهر في قيام الليل.

قوله تعالى: {...وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ} أي لحاجتك إلى الجهر لا لأن الله تعالى لا يعلم إلا بالجهر {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى(٧)} قد صح عندنا في اللغة أن السر ما حدّث الإنسان به غيره وأخفى ما أضمر في نفسه ولم يحدث به غيره ويجوز أن يكون المعنى أنه يعلم إسرار عباده وإخفاء سر نفسه.

قوله تعالى: {...لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ} أي ناراً تصطلونها {أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى(١٠)} أي هادياً يهدي إلى الطريق.

قوله تعالى: {..فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٢)} وإنما أمر بخلعهما ليباشر بركة الوادي المقدس بقدمه وهذا رويناه عن أمير المؤمنين، المقدس: المبارك المطهر قال الشاعر:

كما استرق الولدان ثوب المقدس

طوى: قيل إنه اسم الوادي، وقيل إنه مر بواديها ليلاً فطواه.

قوله تعالى: {...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(١٤)} أي لتذكرني فيها قال رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها قال الله عز وجل: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي(١٤)}.

قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} أي لا أظهر عليها أحداً من خلقي كما قال الشاعر:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبغو الحرب لا نقعد

قوله تعالى: {...وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} قال الشاعر:

أهش بالعصا على أغنامي من ناعم الإبل والشاء

{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى(١٨)} أي حاجات أخر.

قوله تعالى: {...وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} أي إلى جنبك وقيل إلى عضدك قال الراجز:

أضمه للصدر والجناح

قوله تعالى: {...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} أي حببتك إلى العباد بما خلقت فيك من الجمال والحسن {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩)} أي لتصنع أمك بك ما صنعت على عيني أي بعلمي ومشاهدتي.

قوله تعالى: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} أي اختبرناك اختباراً حتى صلحت للرسالة وبلوناك بلاء بعد بلاء وخلصناك تخليصاً من محنة بعد محنة أولها أنها ولدته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم ألقاه في اليم، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله.

قوله عز وجل: {ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى(٤٠)} أي على قدر

الرسالة والنبوة ويجوز أن يكون جئت على موعد قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدر كما أتى ربَّهُ موسى على قدر

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي(٤١)} أي لرسالتي.

قوله تعالى: {وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي(٤٢)} أي لا تفترا في أمري ولا تضعفا في رسالتي.

قوله تعالى: {..فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا} أي لطيفاً رفيقاً ليكون أكمل للحجة عليه وأبلغ في الإنذار وكنية فرعون أبو الوليد.

قوله تعالى: {إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا} أي يعجل قال الراجز:

قد فرط التعجيل علينا وعجل

والثاني: عذاب الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه {أَوْ أَنْ يَطْغَى(٤٥)} في قتلنا.

قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(٥٠)} من الاستطاعة والقدرة والآلات ثم هدى أي سن طريق الخير وطريق الشر.

{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى(٥١)} وهذا جمع قرن والقرن أهل كل عصر مأخوذ من اقترانهم وهو عبارة عن كل عصر يكون فيه نبي أو إمام يقترن بهم أهل ذلك الوقت وإنما سأل فرعون موسى -عَلَيْه السَّلام- عن القرون هل كانوا على ما دعاه إليه موسى من الإقرار بالله وتصديق رسله أو كانوا بخلافه.

قوله تعالى: {...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى(٥٤)} يعني لأولي العقول وإنما سموا بذلك لأنهم ينهوا النفوس عن القبيح ويهلون إلى أوامر

الله عز وجل.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى(٥٦)} يعني التي آتاها الله موسى فكذب الخير وأبى الطاعة.

قوله عز وجل: {..لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى(٥٨)} أي عدلاً وسطاً، وقيل: وهذا الوعد بطن الوادي قال الشاعر:

وجدنا أبانا كان حل ببلدة ... سوى بين قيس قيس غيلان والقرن

ويجوز أن يكون مستوياً يبين للناس ما بينا فيه.

قوله تعالى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ} أي يوم عيد كان لهم وقيل يوم سوق كانوا يتزينون بها.

قوله تعالى: {..قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ} أي لا تكذبوا عليه فيسحتكم بعذاب أي يستأصلكم ويهلككم كما قال الفرزدق:

و... زمان بابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحت أو مخلف

قوله تعالى: {فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى(٦٢)} حيث قال لهم: {وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} قالوا: هذا ليس بكلام ساحر، وقيل: إن النجوى كانت في قولهم: {إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} أراد بهما موسى وهارون {يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ} وقيل إنهم أسروا النجوى بأن قالوا: إن غلبنا موسى تبعناه. {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى(٦٣)} أي يذهب بأهل الشرف والعقل والتقدم والمثلى تأنيث الأمثل.

قوله تعالى: {..قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦)} وفي أمر موسى -عَلَيْه السَّلام- للسحرة بالإلقاء قولان أحدهما: أن الأمر وإن جاء بلفظه فإن معناه الخبر وتقديره ألقوا إن كان إلقاؤه عندكم حجة.

والثاني: أمرهم على وجه الاعتبار ليظهر لهم صحة نبوته ووجوب حجته وإنما أبطل السحر لم يكن سحراً وعدد السحرة كانوا ثلاثمائة ألف ساحر.

قوله تعالى: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ} أي إلى من حضره {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧)} لما رأى أن يلتبس أمرهم على عامة الناس فيحسبون ذلك صحيحاً.

{قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨)} تثبيتاً لنفسه وإزالة لما أشفق منه {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا} أي تأخذها بفيها ابتلاعاً قيل كان عدد الحبال والعصي حمل ثلاثمائة بعير، ثم أخذها موسى ورجعت في يده إلى ما كانت.

{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا} طاعة لله عز وجل تصديقاً لموسى فيما جاء به {قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى(٧٠)} أي بالرب الذي دعا إليه هارون وموسى لأنه رب لهما ولجميع أهل الخلق.

{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ} أي لا نختارك على ما عند الله تعالى لنا من الثواب في طاعتنا لرسوله من بعدما أظهر من الآيات ما عجزنا عن مثلها، وقيل: إن امرأة فرعون كانت تسأل عمن غلب فقيل لها موسى وهارون فقالت: آمنت برب موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون فقال: خذوا أعظم صخرة تجدونها فإن أقامت على قولها فألقوه عليها فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء وتشهدت وخرج روحها إلى الجنة

وألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح.

قوله تعالى: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} أي اصنع ما أنت صانع واحكم بما أنت حاكم.

{وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(٧٣)} أي خير منك إن أطيع ثواباً وإن عُصي عقاباً.

قوله تعالى: {...لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى(٧٧)} أي دركاً من فرعون أن يضلك، ولا تخشى غرقاً في البحر إن غشيك.

قوله تعالى: {...فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} قرئ بضم الحاء وكسرها؛ فمن ضم أراد وينزل، ومن كسر فإنه أراد ويجب {وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى(٨١)} في النار.

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى(٨٢)} أي غفار لمن تاب من الكفر وآمن يعني بالله ورسوله وعمل صالحاً يريد العمل بأوامره والوقوف عند نواهيه ثم اهتدى أي لم يشك في إيمانه حتى يموت ملتزماً بالهداية، وقيل: ثم اهتدى أي إلى ولاية أهل بيت محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالى: {...فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} والأسف أشد الغضب والندامة والحزن على محزون فائت {قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا} وهو الوعد بالنصر والظفر وما قال بأنه غفار لمن تاب {فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي(٨٦)} وكان وعدهم أن يقيموا على أمره فاختلفوا.

{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} أي بطاقتنا ويحتمل لم يملك المؤمنون السفهاء {وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ} أي حلي من حلي آل فرعون لأن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم والأوزار هي الأثقال

لأنها كانت كثيرة.

قوله تعالىٰ: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} قيل إن السامري قال لهم حين استبطأ القوم موسىٰ إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحلي فجمعوه ودفعوه إلىٰ السامري فصاغ منه عجلاً جسداً ثم ألقىٰ عليه قبضة قبضها من أثر الرسول يعني جبريل حين تقدمهم في البحر، والخوار: الصوت وذلك الصوت إنما كان من خروق عملها في العجل وكانت الريح تدخل فيه فيخور فيشتبه بالصوت، قال: {هَذَا إِلَهُكُمْ} يعني السامري قال بعد فراغه منه قال : {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ(٨٨)} يعني نسي السامري إسلامه وإيمانه.

{...وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي(٩٦)} أي حدثت لي وزينت لي {قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} ومعنىٰ ذلك أن موسىٰ قال لبني إسرائيل لا تواكلوه ولا تخالطوه فكان لا يمس أحد ولا يمسه أحد قال الشاعر:

يتم كرهط السامري وقوله ... ألا يريد السامري مساس

{وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ} أي موعد في الإمهال إلىٰ وقت العذاب أن تؤخر.

قوله تعالىٰ: {...وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا(١٠٢)} يعني تشويهاً لخلقهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم {يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ} أي يتشاورون بينهم من قوله: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء:١١٠]، أي لا تسرها {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا(١٠٣)} أي إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً علىٰ التقليل لما شاهدوه من سرعة الجزاء والأهوال.

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} أي يتخافتون به بينهم وقدر ما لبثوا {إِذْ

يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً} أي أوفرهم عقلاً وأكبرهم وأمثلهم سداداً {إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا(١٠٤)} لأنه كان عنده أقصر زماناً وأقل لبثاً.

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا(١٠٥)} أي يجعلها كالرمل تنسفها الرياح وتذريها {فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا(١٠٦)} والقاع الموضع المستوي الذي لا نبات فيه كأنه على صفة في استوائه.

{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا(١٠٧)} والعوج الذي يكون له وادياً أو صدعاً أو ميلاً، والأمت يكون كالرابية والأكمة.

قوله تعالى: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا(١٠٨)} أي خضعت بالسكون والهمس الصوت الخفي.

قوله تعالى: {...وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} أي ذلت وخشعت والقيوم القائم بتدبير الخلق كلهم والقائم على كل نفس بما كسبت.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا(١١٢)} بالانتقاص من حقه والبخس من حسناته.

قوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا(١١٣)} يعني شرفاً بإيمانهم.

قوله تعالى: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} أي لا تعجل بتلاوته من قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه، ويحتمل لا تلقه إلى الناس من قبل أن يجيئك تأويله وبيانه {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا(١١٤)} أي من علم ما أحتاج إليه لنفسي ولأمتي وزدني صبراً على طاعتك وجهاد أعدائك لأن الصبر يسهل بوفور العلم.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ} أي فترك العهد

للسهو والنسيان {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥)} أي حفظاً لما عهد إليه وتماماً وصبراً عليه.

{..فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(١١٧)} بأن تأكل من كسب يدك وقوله: فتشقى أي تشقى أنت وزوجتك ولم يقل فتشقيا لأمرين أحدهما: أنه المخاطب دونها، والثاني: أنه الكاد عليها والكاسب لها فكان بالشقاء أخص.

قوله تعالى: {...فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣)} روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: ضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} أي إنفاق عليه ما لا يوفر عليه بالخلف في دار الدنيا وطعام الضريع والزقوم في الآخرة في جهنم والضنك في كلام العرب الضيق قال عنترة:

إن المنية لو تمثل مثلت ... داده لو بضنك المنزل

{وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)} أي عن الحجة وجهات الخير.

{...وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} بأن جعل الجزاء يوم القيامة {لَكَانَ لِزَامًا} أي لكان عذاباً لازماً وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً.

قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} يعني من الأذى والافتراء وهذه منسوخة بآية السيف {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} قبل طلوع الشمس صلاة الفجر، وقبل غروبها صلاة العصر {وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ} أي من ساعاته واحدها آناء وهي كل صلاة صليت بالليل {وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} صلاة الظهر لأنها آخر النصف الأول وأول

النصف الثاني.

قوله تعالىٰ: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} أشكالاً مأخوذ من المزاوجة {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} يعني فيما متعناهم به من هذه الزهرة والفتنة هنا بمعنى الاختبار {وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ(١٣١)} مما متعناهم به أي ثوابه وكرامته.

وسبب نزولها ما روينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه استسلف من يهودي طعاماً فأبىٰ أن يسلفه إلا برهن فحزن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقال: ((إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض احمل درعي إليه)) فنزلت هذه الآية.

وروينا أنه -عَلَيْه السَّلام- لما نزلت هذه الآية أمر مناديه فنادىٰ من لم يتأدب بأدب الله تقطعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات.

سورة الأنبياء

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: سورة الأنبياء مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} أي اقترب وقت حسابهم لأن الساعة قريبة وكل آت قريب {وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ(١)} أي هم في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة.

قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ} أي أحدث منه سورة بعد سورة وآية {إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٢)} أي يلهون.

قوله تعالى: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} أي غافلة باللهو عن الذكر ومشتغلة بالباطل عن الحق ومنه قول امرئ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

أي شغلتها عن ولدها {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} وأسروا أي أخفوا كلامهم الذي يتناجون به ويحتمل أن يكون بمعنى أظهروه لأن السر يستعمل في الأمرين جميعاً في الإظهار والإخفاء والإظهار يستعمل في الإخفاء {هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} وإنكاراً منهم ولتميزه عنهم بالنبوة {أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ(٣)} أفتعتقدون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر وتنحرفون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق.

قوله تعالى: {..بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ} والأضغاث هي أهاويل المنام وتخاليط الأحلام ومنه قول الشاعر:

كضغث حلم عز منه حالمه

والأحلام هي ما لم يكن لها تأويل ولا تفسير وهي الرؤيا الكاذبة ومنه قول الشاعر:

سورة الأنبياء

أحاديث طسم أو سراب بفدفد ترقرق للساري وأضغاث حالم

قوله عز وجل: {..فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٧)} وهم العلماء من آل الرسول -عليهم السلام-.

قوله تعالىٰ: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} أي وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام فنجعلك كذلك، وذلك لقولهم: ما هذا إلا بشر مثلكم. {وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ(٨)} في دار الدنيا، والجسد ما لا يأكل ولا يشرب فما يأكل ويشرب يكون نفساً.

قوله تعالىٰ: {..لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٠)} أي شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه.

{..فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا} أي عاينوا عذابنا {إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ(١٢)} أي من القرية والركض هو الإسراع {لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ} قيل: ذلك لهم توبيخاً وأترفتم نُعّمتم والمترف المنعّم {لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ(١٣)} أي لعلكم تقتفون بالمسألة.

قوله تعالىٰ: {..فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ} يعني ما تقدم ذكره من قولهم يا ويلنا إنا كنا ظالمين {حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ(١٥)} أي بالعذاب والحصيد قطع الاستئصال كحصاد الزرع والخمود كخمود النار إذا طفيت.

قوله تعالىٰ: {..لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا} هو مما يتلهىٰ به من النساء والأولاد وذلك بأنهم قالوا: مريم صاحبته وعيسىٰ ولده وحقيقة اللهو هو أن يكون داعياً للهوىٰ ونازعاً للشهوة كما قال الشاعر:

وتلجينني في اللهو ألا أحبه وللهو داع دائب غير غافل

{لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا} أي من عندنا أي من أهل السماء لا من أهل الأرض {إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ(١٧)} أي ما كنا فاعلين.

قوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} أي بالحق المتبوع على الباطل المدفوع فيدمغه أي يهلكه كالمشجوج دماغه في أم رأسه لهلاكه {فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} أي ذاهب هالك.

قوله تعالى: {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١٩)} أي لا يستنكفون ولا يعيون، ولا يستحسرون أي لا ينقطعون مأخوذ من الحسر وهو التغير والانقطاع بالإعياء كما قال الشاعر:

بها حيث الحسرا فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

قوله تعالى: {..أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِنَ الْأَرْضِ} أي مما خلق من الأرض {هُمْ يُنْشِرُونَ(٢١)} أي يخلقون ويحيون بعد الموت ويقال: أنشر الله الموتى فنشورهم مأخوذ من النشر بعد الطي قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ} يعني في السماء والأرض {إِلَّا اللَّهُ} أي سوى الله {لَفَسَدَتَا} أي هلكتا والمقصود بهذا الكلام إبطال عبادة غيره عن أن يكون إلهاً لعجزه عن قدرة الله عز وجل.

قوله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(٢٣)} أي لا يسأل الخالق عن فعله في خلقه لأنه لا يفعل إلا العدل ويسأل الخلق عن أعمالهم وأفعالهم.

سورة الأنبياء

قوله تعالى: {هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي} هذا ذكر من معي لما يلزمهم من الحلال والحرام، وذكر من قبلي من الأمم من نجا بالإيمان وهلك بالشرك، ويجوز: هذا ذكر من معي من إخلاص التوحيد في القرآن وذكر من قبلي في التوراة والإنجيل.

{...يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم.

قوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} أي لا يشفعون إلا لمن ارتضى عنه ورضي عنه.

{..أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا} لا تنبتّ ففتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، والرتق السد والفتق الشق قال عبدالرحمن بن حسان:

يهون عليهم إذا يغضبون ... سخط العداة وإرغامها

ورتق الفتوق وفتق الرتوق ... ونقض العداة وإبرامها

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} أي خلق كل حيوان يدب على الأرض أو يتحرك شيء من الأشجار من الماء وجعل حياته منه وحفظ صحته به.

قوله تعالى: {أَفَلَا يُؤْمِنُونَ(٣٠)} أي أفلا يصدقون بما يشاهدون.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ} والرواسي إنما سميت بذلك لرسو الأرض بها أي لثباتها أن تميد بهم أي لئلا تزول بهم وتضطرب والميد الاضطراب {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا} والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين قال الكميت:

تضيق بها العجاج وهن فيح ويطرب ماؤها السلم الدفينا

والسبل مسالك السابلة {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(٣١)} إلى طرق بلادهم ويحتمل أن يكون المعنى يعتبرون فيؤديهم الاعتبار إلى الهداية وأمر الدين.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} أي مرفوعاً محروساً من أن يسقط على الأرض.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(٣٣)} والفلك هو الفلك المستدير الدائر بما فيه من الشمس والقمر والنجوم قال الشاعر:

باتت تناجي الفلك الدوارا

وللفلك دورة كدور الرحى وهي استدارة كدور النجوم.

{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ} أي بما تحبون وتكرهون وبالشدة والرخاء لنعلم شكركم على ما تحبون وصبركم على ما تكرهون، و {فِتْنَةً} اختباركم.

قوله تعالى: {..خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} أي على جهة العجلة في أمره والفرق بين العجلة والسرعة أن العجلة تقديم الشيء قبل وقته والسرعة تقديم الشيء في أكثر أوقاته.

قوله تعالى: {...قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} أي يحفظكم قال ابن هرمة:

إن سلمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

{وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ(٤٣)} أي يجارون يقال: إن لك من فلان

سورة الأنبياء

صاحباً أي مجاراً، ويجوز أن يكون بمعنى ينصرون.

قوله تعالىٰ: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} أي بالسبي والقتل ونقصان أهلها وقلة بركتها.

قوله تعالىٰ: {...وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} وهو البرهان الذي فرق بين حق موسىٰ وباطل فرعون.

قوله تعالىٰ: {...وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} والرشد النبوة ومن قبل أي من قبل نبوة موسىٰ وهارون {وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ(٥١)} أنه أهل لإيتاء الرشد والنبوة.

{...فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا} بضم الجيم أي قطعاً مقطعة، وقرئ بكسر الجيم أي حطاماً من الجذّ وهو القطع.

قوله عز وجل: {...قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ(٦١)} أي يشهدون عقابه ويسمعون حجته {قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ(٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(٦٣)} فجعل إضافة الفعل إليهم مشروطاً بنطقهم تنبيهاً لهم علىٰ فساد اعتقادهم وهذا السؤال من إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- خرج مخرج الخبر وليس بخبر ومعناه أن من اعتقد أن هذا إلهه لزمه سؤاله فلعله فعله أن يجيبه إن كان إلهاً وهذا منه إلزام لهم قاطع.

قوله عز وجل: {إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(٦٣)} أي يخبرون كما قال الأحوص:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف   لمنطق حق أو لمنطق باطل

{فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ} أي رجع كل واحد منهم إلىٰ نفسه متفكراً فيما

قال له إبراهيم وحاروا عما أرادوه من الجواب فأنطقهم الله تعالى بالحق قالوا: {إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ(٦٤)} يعني في سؤاله لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم إلى كسرها ولو صحبهم التوفيق لآمنوا مع هذا الجواب لظهور الحق فيه على ألسنتهم.

{ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ} أي أنهم رجعوا إلى شكهم بعد اعترافهم بالحق. والثاني: أنهم خفضوا رؤوسهم لأمرين أحدهما: انكساراً بانقطاع حجتهم وما فكروا في جوابهم فأنطقهم الله تعالى بعد ذلك بالحجة إذعاناً لها وإقراراً بها لقولهم: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ(٦٥)} فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة: {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ(٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(٦٨)}.

وقيل: لما أوثق -عَلَيْه السَّلام- ليلقى في النار قال: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين يا رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك) فما أحرقت النار إلا وثاقه وألقي في النار وهو ابن ست وعشرين سنة.

وقيل: إنهم عملوا مستوقد وأوقدوا عليه سبعة أيام ثم أطبقوا عليه وفتحوه من الغداة فإذا هو عرق أبيض يجري من وجهه لم يحرق.

{قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(٦٩)} جعل الله سبحانه فيها برداً يدفع حرها وحراً يدفع بردها فصار سلاماً ولو لم يقل: وسلاماً؛ لكان بردها أشد عليه من حرها.

قوله تعالى: {..وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا} قيل: إن لوطاً كان ابن أخ لإبراهيم فآمن به كما قال تعالى فلذلك نجاهما إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

سورة الأنبياء

لِلْعَالَمِينَ(٧١)} أي أرض بيت المقدس، وفي بركتها وجوه منها: أن الله بعث أكثر الأنبياء منها. والثاني: كثرة خصبها ونباتها. والثالث: عذوبة مائها لأن الماء يهبط من السماء إلى الصخرة ثم يفترق إلى الأرض.

قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} فيها وجهان أحدهما: أن النافلة الغنيمة ومنه قول لبيد:

لله نافلة الأجل الأفضل

وقيل: إنها الزيادة في العطاء لأن يعقوب هو النافلة لأنه دعا بالولد فزاده الله ولد الولد ويجوز أن يكونا جميعاً النافلة لأنهما زيادة على ما تقدم من النعمة عليه.

قوله تعالى: {..وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} أي القضاء بالحق بين الخصوم، وعلماً أي فقهاً في الدين {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ} والقرية هي سدوم، والخبائث التي كانوا يعملونها اللواط.

{..وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ} أي دعا على قومه من قبل إبراهيم {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٧٦)} أي الغرق بالطوفان {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} يعني نصرناه عليهم بإجابة دعائه وخلصناه منهم بسلامته دونهم.

قوله تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ(٧٨)} والنفش : رعي الغنم بالليل ، والهشم رعي النهار .

{وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ(٧٨)} أما حكم داود فإنه قضى بالغنم لصاحب الحرث وأما حكم سليمان فإنه رأى أن تدفع الغنم إلى صاحب

الحرث لينتفع بدرها ونسلها ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ويؤخذ بعمارته فإذا عاد في السنة القابلة إلى مثل حاله ردت الغنم إلى صاحب الغنم ورد الحرث إلى صاحب الحرث فرجع داود إلى قضاء سليمان فحكم به.

قال الله تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} فجعل الحق معه وفي حكمه ثم قال: {وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} وأثنى الله عز وجل على سليمان في قضائه وعذر داود باجتهاده.

فإن قيل: فكيف يجوز أن يفهّم سليمان الحكم ويغبى على داود؟ الجواب في ذلك: أنه يجوز أن يكون داود أفتى على قدر ما رأى وسليمان نزل عليه الوحي فلما ذكر سليمان أنه أوحي إليه رجع داود إلى حكم سليمان فأما في شرعنا اليوم لو وقع مثل هذا الحكم فهو على ما روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائطاً فقضى -عَلَيْه السَّلام- على أهل المواشي بحفظ مواشيهم ليلاً، وقضى على أهل الحوائط بحفظ حوائطهم نهاراً فصار ما أفسدته البهائم بالليل مضموناً وما أفسدته بالنهار غير مضمون لأن حفظ الزرع ليلاً شاق على أربابها وحفظ الدواب نهاراً شاق على أصحابها فصار حفظ المواشي واجب بالليل على أصحابها وحفظ الزروع واجباً بالنهار على أصحابها فما وقع من التقصير في الحفظ بالليل لأصحاب الدواب وبالنهار لأصحاب البهائم فهم الضمناء، وهذا من أعذر قضاء وأصح حكم لأنه رفق بالفريقين وتسهيل على الطائفتين.

قوله تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} وذلك لأن الله سبحانه سخر له الجبال والأرض تسير معه وتنطوي له إذا سار فكذلك الطير فسيرها معه هو تسبيحها لأن التسبيح لا يكون إلا من المطيع الممتثل فلما امتثلت الأرض في انطوائها له جرت مجرى المطيع المسبح.

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ} واللبوس هي الدروع الملبوسة

سورة الأنبياء

{لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} أي من بأس عدوكم.

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً} أي سخرنا لسليمان الريح عاصفة والعصوف شدة حركتها {تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} أي أرض الشام التي هي أرض المحشر وكانت الريح تجري لسليمان وأصحابه إلى حيث شاء.

{..وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} روينا أن أيوب أتاه المال والولد فتلف ماله وهلك ولده فقال: رب قد أحسنت إلي الإحسان كله كنت قبل اليوم يشغلني حب المال بالنهار وحب الولد بالليل والآن فدع لي سمعي وبصري وليلي ونهاري؛ ثم ابتلاه الله بما ابتلاه من الدود واشتدت به الحال وكان له أخوان فأتياه يوماً ووجدا ريحه فلم يستطيعا أن يدنوا منه فقالا: لو كان لأيوب عند الله خير ما بلغ به هذا البلاء فجزع من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء مثله فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني، قال: فصدق وهما يسمعان. قال: اللهم إن كنت تعلم أني ألبس قميصي وأنا أعلم مكان عار فصدقني، قال: فصدق وهما يسمعان. ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي ، قيل: فما رفع رأسه حتى كشف الله عز وجل ما به وهو قوله: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٨٣)} الضر المرض الذي كان به والدود الذي كان في بدنه، وقيل له: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ} [ص:٤٢]، فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فذهب ظاهر دائه ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فذهب باطن دائه، وعاد إليه حسنه وجماله وقام صحيحاً.

ثم إن الله سبحانه رحم امرأته لصبرها معه على البلاء فأمره أن يضربها

بضغث ليبر في يمينه {فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ} قيل إنه كان لأيوب سبعة بنين وسبع بنات وكان الله قد أماتهم قبل آجالهم فلما كشف الله عنه الضر أحيا له بنيه وبناته وولد له بعد ذلك مثلهم ورزق من نسلهم.

{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ(٨٥)} وذا الكفل كان نبياً كفل بأمر ووفى به فضوعف ثوابه.

قوله تعالى: {وَذَا النُّونِ} وهو يونس بن متى لأن النون ابتلعه ومنه قول الشاعر:

يا حبذا القصر نعم القصر والوادي ... وحبذا أهله من حاضر بادي
يرقى قراقيره والوحش راتعة ... والضب والنون والملاح والحادي

يعني أنه يجتمع فيه صيد البر والبحر وأهل الماء والظهر وأهل البدو والحضر. {إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} أي من قومه ومراغماً للجبار الذي كان في وقته وكان خروجه بغير إذن من الله تعالى لأنه اعتقد أن فعله طاعة {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} أي لن نضيق عليه رزقه من قوله : {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ} [الطلاق:٧]، أي ضيق عليه.

{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ} أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة جوف الحوت {أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧)} أي لنفسي في الخروج بغير إذن ربي ولم يكن ذلك من الله تعالى له عقوبة لأن الأنبياء -عليهم السلام- لا يجوز أن يعاقبوا بما كان تأديباً وقد يؤدب نم لا يستحق العقاب كالصبيان.

قوله تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} والاستجابة ثواب من الله للداعي {وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} أي من بطن الحوت. وروينا أنه لبث في بطن الحوت

ثلاثة أيام، وروي أنه لبث أربع ساعات ثم فتح الحوت فاه فرأى ضوء الشمس فقال: {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧)} فلفظه الحوت.

قوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا} أي وحيداً بغير ولد {وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(٨٩)} أي خير من ترث العباد من الأهل والأولاد ليجعل رغبته في الولد لا ضناً بالمال ولكنه يكون له خلفاً صالحاً وفي النبوة تالياً {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} أي أنها كانت عاقراً فجعلها ولوداً لأنها ولدت وزكريا ابن اثنتين وسبعين سنة وهي قريبة السن منه {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} أي يبادرون بالأعمال الصالحة يعني زكريا وامرأته ويحي {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} أي رغباً في ثوابنا ورهباً من عقابنا {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ(٩٠)} أي متواضعين.

قوله عز وجل: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} أي عفت فامتنعت من الفاحشة {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ وأضاف الروح إليه تشريفاً له {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ(٩١)} لأنها حملت به من غير مسيس ذكر، وولد عيسى من غير ذكر مع كلامه في المهد تنزيهاً لها من الفاحشة فكانت هذه هي الآية.

قوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي دينكم دين واحد وتقطعوا أمرهم بينهم أي اختلفوا وتفرقوا.

قوله تعالى : {...وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(٩٥)} إلى الدنيا .

قوله تعالى: {...حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ} أي فتح لها السد وهو من أشراط الساعة، وروينا عن أم سلمة زوج النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله

وسَلَّم أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قام قائماً في بيتها فقال: ((لا إله إلا الله -ثلاثاً- ويل للعرب من أمر قد اقترب قد فتح اليوم من سد يأجوج ومأجوج مثل هذا -وأشار بيده إلى عقد التسعين-)).

ويأجوج ومأجوج هما أخوان لأب وأم وهما من ولد يافث بن نوح وفي اشتقاق اسمهما قولان: أنه مشتق من أججت النار، والثاني: من الماء الأجاج.

{وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ(٩٦)} أي يخرجون قال امرئ القيس:

فسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي

ويجوز أن يكون بمعنى يسرعون قال الشاعر:

عسلان الذئب يمشي عارثا　　　برد الليل عليه فنسل

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} حطبها ويجوز أن يكون المعنى يرمون فيها كما يرمى بالحصى حتى كأن جهنم تحصب قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا　　　بحاصب كنديف القطن منثور

يعني البلح وقرئ بالضاد معجمة يقال (النار حضب) بالضاد المعجمة إذا خبت فألقت فيها ما يشعلها من الحطب.

قوله تعالى: {...إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} أي الطاعة لله عز وجل سعد بها {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(١٠١)} يعني من جهنم وهذه الآية عامة في كل من سبقت لهم الحسنى.

قوله تعالى: {..لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} أي أهوال الآخرة وحين

سورة الأنبياء

تضيق جهنم على أهلها.

قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتاب} والسجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ} والزبور هو الذي نزل على داود، والذكر التوراة المنزلة على موسى {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(١٠٥)} والعباد الصالحون رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأهل بيته الطاهرين الذين حكم الله لهم بالأرض ووراثتها إلى يوم القيامة إذا مضى منهم حجة جاءت حجة حتى يملك أولاده المشارق والمغارب.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ(١٠٦)} أي في القرآن بلاغ إليهم عن المعصية ويبعثهم على الطاعة ويبلغهم بعد ذلك إلى رضوان الله عز وجل وجزيل ثوابه.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)} أي نعمة على المحتاجين وهو صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم رحمة على الكافر والمسلم إلا أن يحرم الكافر نفسه من الثواب والطاعة.

قوله تعالى: {..فَإِنْ تَوَلَّوْا} يعني أعرضوا {فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ} أي من الإعلام فلم يظهر لبعضهم ما كتمه عن بعض ويجوز أن يكون من كفر به فهو سواء في قتالهم وجهادهم.

قوله تعالى: {...وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ} أي امتحان واختبار {وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(١١١)} أي إلى يوم القيامة أي إلى الموت.

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ} أي عجل الحكم وافصل بيننا وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع {وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا

تَصِفُونَ(١١٢)} أي على ما تكتمون وتكذبون.

قال الإمام الناصر(ع):

سورة الحج

مدنية كلها إلا أربع آيات مكيات من قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ} [٥٢]..إلى آخر الأربع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١)} وزلزلتها هي أشراط ظهورها وأيام مجيئها. {يَوْمَ تَرَوْنَهَا} أي الزلزلة {تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} أي تشتغل كل مرضعة عن ولدها وهو يوم تذهل الأم عن ولدها بغير فطام وتلقي الحامل ما في بطنها لغير تمام {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى} أي هم سكارى من الخوف وغير سكارى من الشراب.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} يعني آدم -عَلَيْه السَّلام- {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} يعني ولده {ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} يعني أن النطفة في الرحم تصير علقة {ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ} يعني أن العلقة تصير مضغة وذلك مقدار ما يمضغ من اللحم {مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} والمخلقة ما صار خلقاً وغير المخلقة ما دفعته الأرحام ولم يصير خلقاً كالسقط {لِنُبَيِّنَ لَكُمْ} يعني في القرآن بدء خلقكم وتنقل أحوالكم {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي إلى تمام {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} وقد مضى تفسير الأشد {وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى} أي قبل بلوغ الأشد {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} أي إلى الهرم حتى يشبه الطفل عند حال خروجه من بطن أمه في الضعف {لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} أي لا يستفيد علماً وينسى ما قد علم {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً} أي غبراء منهشمة يابسة لا تنبت شيئاً دارسة والهمود الدروس ومنه قول الأعشى:

قالت قبيلة ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات همدا

{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} أي استبشرت واهتز نباتها واهتزازه شدة حركته كما قال الشاعر:

تثنى إذا قامت وتهتز إن مشت كما اهتز غصن البان في ورق خضر

وقوله: ربت : ضعف نباتها {وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٥)} من ألوان النبات بالخضرة والصفرة والحمرة، وبهيج حسن الصورة.

قوله تعالى: {...ثَانِيَ عِطْفِهِ} أي لاوي عنقه إعراضاً عن الله ورسوله، وعدولاً بجانبه كبراً عن الإجابة والعطف الجانب، وقيل: فلان ينظر في أعطافه أي في جوانبه.

قوله تعالى: {..وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} أي على ضعف في العبادة كالقائم على حرف وهو المنافق يعبده بلسانه ويعصيه بقلبه {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} وقيل إن قوماً من قبائل العرب من حول المدينة من أهل القرى كانوا يقولون نأتي محمد فإن صادفنا خيراً تبعناه وإلا لحقنا بأهلنا {خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} خسر الدنيا بانقلابه وانصرافه وخسر الآخرة بنفاقه {ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(١١)} أي البين الفاسد عاجلته وذهاب آجلته.

قوله تعالى: {..لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ(١٣)} المولى الناصر والعشير الصاحب والخليط وقيل للزوج عشير لخلطته.

قوله تعالى: {..مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ} أي لن ينصر الله محمد على أعدائه وكون معنى لن ينصره الله أي لن يرزقه الله النصر والنصر الرزق قال الأعشى:

أبوك الذي أجرى علي بنصره   فانصب عن عيني كل غافل

ويقال: الأرض المطورة منصورة، والنصر في الدنيا بالغلبة وفي الآخرة بظهور الحجة {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ(١٥)} أي فليمدد بحبل ثم ليقطع النصر والجزاء عن محمد ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ من زوال الوحي والنصر عنه.

قوله تعالى: {...وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} يعني ومن يهن الله فيدخله النار ويشقيه بها فما له من مكرم يدخله الجنة ويسعده بها {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(١٨)} من الإشقاء والإسعاد والثواب والعقاب.

قوله عز وجل: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} وهذه الآية نزلت في ثلاثة نفر من المسلمين قتلوا ثلاثة من المشركين يوم بدر ومنهم أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- قتل الوليد بن عتبة، وحمزة بن عبدالمطلب قتل عتبة بن ربيعة وعبيدة بن الحارث قتل شيبة بن ربيعة.

وفي قوله: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ} أي ينضج ويشوى كما قال العجاج:

شق الشقافيف السوي المصطهر

ومنه صهرت الشحم إذا أذبته قال ابن أحمد:

تروي لقاء الفتى في صفصف   تصهره الشمس فلا ينصهر

قوله تعالى: {...وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} والطيب من القول هو الإيمان والقرآن وذكر الله عز وجل.

{وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ} أي جعلناه قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم {سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ} المقيم {وَالْبَادِ} هو الطارئ إليه أي سواء في حكم المسجد {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٢٥)} والإلحاد الميل عن الحق والباء زائدة كزيادته في قوله: {تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ} [المؤمنون:٢٠]، أي الدهن كما قال الشاعر:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

قوله تعالىٰ: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} والإلحاد والظلم هو الإشراك بالله عز وجل وأن يعبد فيه غير الله عز وجل واستحلال المسجد الحرام متعمد.

وروينا أن هذه الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدّوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم عن عمرته عام الحديبية.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ} وطأنا له مكان البيت أي عرفناه بمكانه بعلامة استدل والعلامة قيل إن الله عز وجل بعث ريحاً فكشفت ما حول البيت {أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا} أي لا تعبد معي إلهاً {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ} أي من الشرك وعبادة الأوثان وسائر الأنجاس من الدماء والأقذار {لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦)} أما الطائفين فالمراد به بالبيت، والقائمون في الصلاة أو بجميع ما أمرهم الله تعالىٰ من الطاعات، والركع السجود يعني المصلين.

قوله تعالىٰ: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ} أي أعلمهم وناد فيهم بالحج، قيل: إن هذا خطاب لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن يأمر الناس بحج البيت {يَأْتُوكَ رِجَالًا} يعني مشاة علىٰ أقدامهم، والرجال جمع راجل {وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ} أي وعلىٰ كل جمل ضامر لأنه لا يصل إلا وقد ضمر

{يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٢٧)} أي بعيد قال الشاعر:

ولعب أيديهن بالحريق مدى نياط نازح عميق

قوله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} أي شهود الموقف وقضاء المناسك والتجارة في الدنيا والآخرة {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ} هي عشر ذي الحجة وآخرها يوم النحر {عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} يعني على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهي الضحايا والهدايا {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ(٢٨)} الأكل منها مستحب والإطعام واجب، وهذا فيما كان تطوعاً من الدماء فأما واجباته فلا يجوز أن يؤكل منها شيئاً، والبائس الفقير الذي به زمانة.

قوله عز وجل: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ} هو إزالة شعث الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب {وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} أي ما نذروه في حجهم من بر {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٢٩)} يعني طواف الإفاضة وهو الركن في الحج والعمرة، وسمي البيت عتيقاً لأن الله عز وجل أعتقه من الجبابرة وقيل سمي عتيقاً لقدمه وأنه أول بيت وضع للناس فقيل عتيق لأنه لم يملكه أحد.

قوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} أي هو فعل ما أمر به من المناسك واجتناب ما نهى عنه في إحرامه.

قوله تعالى: {وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} وقوله: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} [المائدة:١]، ويجوز إلا ما يتلى وهي: {وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [المائدة:٣].

{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} وتقدير الكلام واجتنبوا الأوثان الرجس ورجسها عبادتها أي فاجتنبوا عبادة الأوثان فإنها من الرجس. {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣٠)} أي الكذب وشهادة الزور وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((عدلت شهادة الزور الشرك بالله مرتين ثم قرأ: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣٠)})).

{حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} يعني مسلمين لله مستقيمين على دينه.

قوله تعالى: {..ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ} أي معالم دينه وقد ذكرنا تفسيره فيما تقدم {فَإِنَّهَا} أي تعظيم الشعائر {مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(٣٢)} أي من إخلاص القلوب {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} الأجر، والأجل المسمى: يوم القيامة {ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٣٣)} أي محل الحج والعمرة إلى البيت العتيق بالطواف به.

قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} أي حججاً والمنسك هو الموضع المعتاد ومنه سميت مناسك الحج لاعتياد مواضعها.

قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(٣٤)} هم المتواضعون المطيعون المخلصون.

قوله تعالى: {..وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} والبدن هي الإبل وسميت بدناً لأنها مبدنة بالسمن، وشعائر الله معالم دينه {لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} أي أجر {فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ} يعني مصطفة وقرئ (صوافن) أي مصفوفة وهي أن يعقل إحدى يديها حتى تقف على ثلاث مأخوذ من صفون الخيل وهو وقوفها على ثلاث يقال: صفن الفرس إذا وقف على إحدى يديه حتى وقف على ثلاث ومنه قوله: {الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١)} [ص]، قال الشاعر:

أَلِفَ الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

قوله تعالى: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} أي إذا سقطت جنوبها إلى الأرض ومنه قولهم: وجب الحائط إذا سقط ووجبت الشمس إذا غربت قال أوس بن حجر:

ألم نكشف الشمس شمس النهار والبدر بالجبل الواجب

{فَكُلُوا مِنْهَا} والأكل منها مستحب إذا تطوع بها وإنما ورد هذا الأمر بعد حظر لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمونها على نفوسهم {وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} فالقانع السائل والمعتر الذي يتعرض للسؤال ولا يسأل قال الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغني مفارقه أعف من القنوع

أي من السؤال.

قوله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا} أي لا يتقبل الله الدماء ولكن يتقبل التقوى وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا إذا ذبحوا رفعوا أيديهم فاستقبلوا الكعبة بدمائها فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله تعالى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا}.

{كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ} أي ذللها لكم يعني الأنعام {لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} يعني التسمية عند الذبح على ما هداكم أي أرشدكم إليه من حجكم {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ(٣٧)} أي بالقبول والجنة.

قوله تعالى: {...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} أي ولولا دفع الله عن الدين بالأئمة والمجاهدين من أوليائهم {لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ

وَبِيَعٌ} أي صوامع الرهبان، وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((صومعة الرجل بيته))، وبيع: وهي كنائس اليهود {وَصَلَوَاتٌ} أي وتركت صلوات {وَمَسَاجِدُ} أي مساجد المسلمين.

قوله تعالى: {...وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ(٤٥)} والمشيد الحصين ومنه قول الشاعر:

ويتما لم تترك بها جذع نخلة ... ولا أطما إلا مشيد بجندل

وقد يكون بمعنى الرفيع قال عدي بن زيد:

شاده مرمراً وجلله كلساً ... فللطير في ذراه وكور

والبئر المعطلة الذي غار ماؤها وهلك أهلها وإنما هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن النافع بالقصر المشيد للانتفاع به وللكافر الضار بالبئر المعطلة التي لم تنفع.

قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} هذا يدل على أن العقل علم وعلى أن محل ذلك العلم القلب، وفي قوله: يعقلون بها أي يعتبرون بها {أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} أي يفهمون بها ما سمعوه من أخبار القرون السالفة {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(٤٦)} القلوب لا يصح عليها العمى ولكن إذا لم تحفظ ما ينفعها صارت بمنزلة العيون العمي التي لا تنفع في النظر.

قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} أي يستبطئون نزوله استهزاء منهم {وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} أي لن يؤخر الله عذابه عن وقته {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ(٤٧)} أي أن طول يوم واحد من

أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا مما تعدون وأن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألم ألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك النعيم.

قوله تعالى: {...وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} أي تكذيبهم بالقرآن وقرئ (معجزين) فمن قرأ معجزين أي متبطئين في اتباع النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ومن قرأ معاجزين فمعناه متسارعين يظنون أنهم يعجزون الله هرباً.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} أي إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرة لاقى حمام المنابر

والرسول والنبي معناهما مختلف فالرسول أعلى مرتبة من النبي لأن الرسول هوالذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبيء هو الذي يوحى إليه في نومه، وقيل: إن الرسول هو المبعوث بالشرائع والنبي الذي يحفظ الشرائع.

وسبب نزول هذه الآية ما روينا أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لما نزلت عليه سورة النجم قرأها في المسجد الحرام حتى إذا بلغ إلى قوله: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(٢٠)} [النجم]، قرأ بعض المشركين من ورائه: تلك الغرانيق الأولى عندهن شفاعة ترتجى. أراد بذلك إضلال من سمع قراءة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من المشركين لأنهم لما سمعوا تلك الغرانيق الأولى سجدوا ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه فأنزل الله تعالى جبريل بذلك إنكاراً على من زاد في القرآن ما ليس فيه فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} أي يرفعه {ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً} ومحنة واختباراً {لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي شرك ونفاق {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ(٥٣)}.

قوله تعالىٰ: {..وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ} أي في شك من القرآن {حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} أي ساعة القيامة {أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ(٥٥)} أي يوم القيامة والعقيم الشديد وهو الذي لا مثل له ولا عديل.

قوله تعالىٰ: {...ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ} وهذه الآية نزلت في قوم من المشركين قتلوا بقوم من المسلمين قتلوهم بواحد فعاقبهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بمثله فنزل قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أي ذو الحق وعبادته وطاعته طاعة ذي حق {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}.

قوله تعالىٰ: {...لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} وهو الموضع المعتاد للعبادة في مناسك الحج والعمرة.

قوله تعالىٰ: {...يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ }لأن حجج الله سبحانه عليهم بضرب الأمثال لهم أقرب إلىٰ أفهامهم {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} من الرؤساء والأوثان الذين تعبدونهم من دون عبادة الله {لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} ليعلم أن العبادة تكون للخالق المنشيء دون المخلوق المنشأ وخص الذباب لضعف خلقه ولكثرته ومهانته وسمي ذباباً لأنه يُذب استقذاراً {وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} شيئاً : أي ألمه في قرض أبدانهم حتىٰ يسلبهم الصبر عليها والوقار معها فإذا كان هذا الذي هو أحقر الحيوان وأضعفه لا يقدر من

عبدوه من دون الله على خلق مثله ثم دفع أذيته فكيف يجوز لهم أن يكونوا آلهة معبودين وأرباباً مطاعين وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان.

ثم قال: {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣)} أي العابد والمعبود ومعنى الكلام ضعف الطالب عن القدرة والمطلوب عن النصرة.

قوله تعالى: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} أي ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته.

قوله تعالى: {..يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} أي ما بين أيديهم ما كان من خلق الأنبياء والملائكة وما يكون من بعد خلقهم، ويجوز أن يكون أول أعمالهم وآخرها، وما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا.

قوله تعالى: {..وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ} أي اختاركم لدينه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} أي من ضيق {مِلَّةَ أَبِيكُمْ} وهذه الآية نزلت في رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ومن كان على منهاجه من عترة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ملة أبيكم وهي دينه لازمة لأمة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} قولان أحدهما: معناه أن الله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل القرآن، ويجوز أن يكون إبراهيم سماكم {لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا} في إبلاغ رسالة ربه إليكم {وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} بأن رسلهم قد أبلغوهم رسالة ربهم {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} المفروضة {وَءَاتُوا الزَّكَاةَ} الواجبة {وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ} أي تمسكوا بدين الله {هُوَ مَوْلَاكُمْ} أي وليكم {فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(٧٨)} فنعم المولى حين لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة المؤمنين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)} أي قد سعدوا ومنه قول لبيد:

فاعقلي إن كنت لمّا تعقلي ولقد أفلح من كان عقل

وقيل: الفلاح البقاء على ما ذكرناه ومنه قوله في الأذان (حي على الفلاح).

وقوله: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)} وهو أن ينظر إلى موضع سجوده من الأرض لا يجوز ببصره مصلاه.

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(٣)} واللغو الباطل والكذب، وقيل اللغو في هذا الموضع الشتم لأن كفار مكة كانوا يشتمون المسلمين فنهوا عن الإجابة.

قوله تعالى: {...أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ(١٠)} ثم بين ما يرثون فقال: {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} والفردوس هو حضائر العنب.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢)} والمعنى أن الإنسان لا يرجع إلا إلى آدم خلق من سلالة من طين والسلالة صفوة كل شيء التي تسيل منه قال الشاعر:

وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل

وقد سمي الولد سلالة والنطفة سلالة {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣)} أي متمكن {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} وإنما بين تعالى

للإنسان تنقل أحواله حتى استكمل خلقه ليعلم نعمته عليه وحكمته فيه وأن بعثه بعد الموت أهون من إنشائه ولم يكن شيئاً.

قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ} أي نفخ الروح فيه وإنبات الشعر والتذكير والتأنيث.

قوله تعالى: {...وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ} أي سبع سماوات وإنما سميت بذلك لأن كل طبقة طريقة للملائكة، وهي مع ذلك بعضها فوق بعض أي متطابقة {وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ(١٧)} أي عن حفظهم من سقوط السماء عليهم.

قوله تعالى: {...وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} هي شجرة الزيتون وخصت بالذكر لكثرة منافعها وقلة تعاهدها ومعنى طور سينا أي الكثير الشجر وقيل معنى السيناء كثير البركة {تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ} والباء زائدة {وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ(٢٠)} أي ما يصطبغ به الآكلون، وقد روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((الزيت شجرة مباركة فائتدموا به وادهنوا)).

قوله تعالى: {...مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ(٢٤)} ما سمعنا بهذا بمثله بشراً في آبائنا الأولين.

قوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ(٢٥)} أي حتى يموت أو يستبين أمره.

قوله تعالى: {وَفَارَ التَّنُّورُ} أي تنور الخابزة، وقد روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن قوله وفار التنور والمراد الفجر.

قوله تعالى: {...وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(٢٩)} بضم الميم وفتح الزاي وقرئ بفتح الميم وكسر الزاي فالمنزل بالضم فعل النزول والمنزل بالفتح موضع النزول، وأنت خير

المنزلين. وروينا أن نوحاً -عَلَيْه السَّلام- قال ذلك عند نزوله في السفينة، وروينا أنه قال وقت نزوله من السفينة.

قوله تعالىٰ: {...إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} أي يموت منا قوم ويحيىٰ منا قوم {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ(٣٧)}.

قوله تعالىٰ: {...فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً} أي هلكىٰ كالغثاء وهو ما جاء فوق السيل من هشيم الورق وبالي الشجر قال الأخطل:

كنت الغثاء في لج أخضر مزبد — قذف الإناء فيه فضل ضلالا

{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤١)} أي فبعداً لهم من الرحمة.

قوله تعالىٰ: {...ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ} أي متواترين بعضهم يتبع بعضاً بين كل اثنين دهر طويل واشتقاق تترىٰ من وتر القوس لاتصاله منه وقيل إنه مشتق من الوتر وهو الفرد لأن كل واحد بعد صاحبه يجيء فرداً.

قوله تعالىٰ: {...وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ(٤٦)} أي قاهرين ظالمين لأن بني إسرائيل كانت تعبد فرعون وفرعون كان يعبد الأصنام.

قوله عز وجل: {...وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً} وآيته أنه خلق من غير ذَكَر وآيتها أنها حَمَلت من غير فحل ثم تكلم في المهد فكان كلامه آية له وبراءة لها {وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ(٥٠)} والربوة ما ارتفع من الأرض قيل إنها دمشق، وقيل إنها بيت المقدس، وروينا أنها أقرب البقاع ذات قرار أي استواء والمعين الماء الظاهر وقيل إنه الجاري ومنه قول الشاعر:

إن الذين غدوا بليلك غادروا — وشلاً بعينك لا يزال معينا

أي ظاهراً.

قوله تعالىٰ: {..وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي جماعتكم جماعة واحدة.

قوله تعالىٰ: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا} أي قطعاً وقرئ زبراً بضم الباء أي كتباً فأخذ كل فريق منهم كتاباً آمن به وكفر بما سواه.

قوله تعالىٰ: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ(٥٤)} أي حتىٰ الموت وحتىٰ يأتيهم ما وعدوا به.

قوله تعالىٰ: {...وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا} يعني الزكاة {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} أي خائفة {أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ(٦٠)} أي يخافون أن لا ينجو من عذابه إذا قدموا عليه.

قوله تعالىٰ: {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} أي يستكثرون منها لأن المسارع إلىٰ الشيء مستكثر {وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ(٦١)} أي سابقون إلىٰ الجنة.

قوله تعالىٰ: {..بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا} أي في غطاء وغفلة من الحق {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ(٦٣)} من خطايا من دون الحق.

قوله تعالىٰ: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ} المترف الموسع عليه بالخصب والمال والولد {إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ(٦٤)} أي يضجون وهذه الآية نزلت في قتلىٰ بدر.

{فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ(٦٦)} فيه وجهان أحدهما تستأخرون وتقهرون مستكبرين بمحمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وآله- أن تصفوه بالقرآن سامراً وهو من السمر هو الحديث ليلاً وقيل إن سامراً هو ظل القمر {تَهْجُرُونَ(٦٧)} أي تهجرون الحق بالإعراض عنه، ويحتمل أن

سورة المؤمنين

يكون بالهجر من الكلام القبيح وهذا إنكار من الله تعالىٰ عليهم حين تسامروا علىٰ الحق علىٰ ظهور.

قوله تعالىٰ: {...وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} والحق هو الله عز وجل أي لو اتبع الله ما يشتهون لفسدت السماوات والأرض {وَمَنْ فِيهِنَّ} هو ما بينهما من خلق.

قوله تعالىٰ: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} أي بيان الحق لهم {فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ(٧١)} ويجوز أن يكون الذكر بمعنىٰ الشرف أي فهم عن شرفهم معرضون.

قوله تعالىٰ: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا} يعني أجراً {فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ} أي فرزق ربك خير في الدنيا والفرق بين الخرج والخراج أن الخراج من الرقاب والخرج من الأرض.

قوله تعالىٰ: {...وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ(٧٤)} أي لحائرون معرضون.

قوله تعالىٰ: {...حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ} قيل إن النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- دعا عليهم فقال: ((اللهم اجعل عليهم سنين كسنين يوسف)) فأقحطوا سبع سنين وقيل قتلهم بالسيف يوم بدر {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ(٧٧)}.

{..وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} أي خلقكم.

قوله تعالىٰ: {وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فيه تأويلان أحدهما تدبيرهما بالزيادة والنقصان، والثاني: تكررهما يوماً بعد ليلة، وليلة بعد يوم.

{...وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} أي يمنع ولا يمنع منه فاحتمل ذلك وجهين أحدهما: في الدنيا لمن أراد هلاكه لم يمنعه منه مانع، ومن أراد نصره

لم يدفع من نصره دافع.

قوله تعالى: {...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} أي ادفع المنكر بالموعظة وامح السيئة بالحسنة وهذا وإن كان خطاباً للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فالمقصود به جميع الأمة.

قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(٩٧)} أي إغوائهم {وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ(٩٨)} أي يشهدون ويقاربون في أحوالي وتصرفاتي.

قوله تعالى: {..وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٠٠)} والبرزخ هو الحاجز بين الموت والبعث وحاجز بين الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ} أي إذا نفخت الأرواح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ أي لا يتعارفون للهول الذي قد أذهلهم ولا يتواصلون فيه وذلك هو اليوم الذي ذكره الله عز وجل بقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦)} [عبس]. {وَلَا يَتَسَاءَلُونَ(١٠١)} أي لا يسأل بعضهم عن خبره لاشتغال كل واحد منهم بنفسه.

{...قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ(١٠٨)} أي ابعدوا بعد الكلب.

قوله تعالى: {..فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} قرئ بضم السين وبكسرها فمن ضمها أراد السخرة والاستعباد وبالكسر أراد السخرة والاستهزاء.

قوله تعالى: {...فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ(١١٣)} أي الحُسّاب.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة النور مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا} وإنما خصت بهذا الافتتاح لأن المقصود بها الذكر والوعيد فافتتحت بالرهبة كسورة التوبة والسورة اسم المنزلة الشريفة.

قوله تعالى: {وَفَرَضْنَاهَا} قرئ بالتشديد والتخفيف أي قدرنا فيها الحدود مأخوذ من قوله: {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} [البقرة:٢٣٧]، أي قدرتم. ومن شدّد أراد بتمييز ما فيها من الحلال والحرام.

قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} وإنما قدم أمر الزانية على الزاني لأن الشهوة منها أغلب وأكثر ، وحد الجلد مائة جلدة مع الحرية والبكارة وهو أكثر حدود الجلد لأن فعل الزنا أغلظ وأشد من القذف بالزنا.

وأما المحصنات فحدهما الرجم بالسنة والجلد بالكتاب فنسخ خطه وبقي حكمه وكان في سورة الأحزاب. {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهو أن تدعوه الرحمة إما إلى تخفيف الضرب أو إسقاط الحد حتى لا يقام عليه {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢)} مع الإمام وشهود الزنا ليكون ذلك زيادة في نكاله وبينة في إقامة حده.

قوله عز وجل: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣)} فالناكح هنا بمعنى الزاني أي الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا تزني إلا بزان {وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣)} أي حرم الزنا على المؤمنين.

قيل: إن هذه الآية نزلت في رجل من المسلمين استأذن على رسول الله

صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في نكاح امرأة من بغايا الجاهلية من ذوات الزانيات وشرطت له أن تنفق عليه فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية فيه.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ} يعني بالزنا {ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} يعني بينة على الزنا {فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} وهذا حد أوجبه الله تعالىٰ على القاذف للمقذوف يجب بطلبه ويسقط بعفوه وهو من الحقوق المشتركة بين حقوق الله ولا يكمل القذف إلا بعد البلوغ والعقل إلا بحريتهما وإسلام المقذوف وعفافه فإن كان المقذوف كافراً أو عبداً عزر قاذفه ولم يحد وإن كان القاذف كافراً حد حداً كاملاً، فإن كان عبداً حد نصف الحد.

{وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٤)} وهذا مما غلظ الله تعالىٰ به القذف وحتىٰ علق به من التغليظ ثلاثة أحكام وجود الحد والتفسيق وسقوط الشهادة.

قوله تعالىٰ: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٥)} والتوبة من القذف ترفع الفسق ولا تسقط الحد وتقبل شهادته بعد التوبة والحد، وإنما نفى قبول الشهادة على التأبيد للتغليظ وإذا كان الله تعالىٰ يقبل توبته فالخلق أولىٰ أن يقبلوا شهادته.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} يعني بالزنا {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ} يعني يشهدون بالزنا {إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(٦)} وهذا حكم خص الله تعالىٰ الأزواج به في قذف نسائهم أن يلاعنوا فيسقط الحد عنهم.

وسبب ذلك أن هلال بن أمية أتىٰ رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وهو جالس مع أصحابه فقال: يا رسول الله إني رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ما أتىٰ به وثقل عليه حتىٰ أنزل

سورة النور

الله فيه هذه الآية فإذا قذف الرجل زوجته بالزنا كان له اللعان منها إن شاء وإن لم يكن ذلك لقاذف سواه لأن الزوج ينفي نسباً ليس منه ورفع حكم فراش... مضطراً إلى لعانها دون غيره.

فإذا قال ذلك لاعن بينهما الإمام أو الحاكم من قبله ويستحب أن يكون في مسجد يجمع فيه للصلاة ويبدأ بالزوج وهي حاضرة فيقول: أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما قذفت به زوجتي هذه من الزنا بفلان إن ذكره وإن لم يذكره نفذ لعانه وإن أراد نفي ولدها قال: وأن هذا الولد من زنا وليس هو مني فإذا كمل ما وصفناه أعاده أربعاً كما قال: {فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(٦)} والشهادة في هذا الموضع اليمين لأن العرب تسمي الحلف بالله شهادة وقال قيس بن الملوح:

وأشهد عند الله أني بحبها وهذا لها عندي فما عندها ليا

أي أحلف بالله؛ فإذا فرغ من الرابعة قال: وعلي لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا فإذا فرغ من الخامسة فقد أكمل لعانه.

.... على المرأة بعده فتقول وهو حاضر: أشهد بالله إن زوجي فلان هذا من الكاذبين فيما رماني به من الزنا وأن هذا الولد -إن كان الزوج قد نفاه منها- ولده والده هذا ما هو من زنا تقول ذلك أربعاً وهو تأويل قوله: {وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ(٨)} ثم تقول في الخامسة: أن علي غضب الله إن كان زوجي فلاناً هذا من الصادقين فيما رماني به من الزنا وهو تأويل قوله: {أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٩)} والغضب في لعانها بدل من اللعنة في لعان زوجها، وان استبدل الزوج باللعن غضباً واستبدلت هي بالغضب

لعنة لم تجز وإذا وفع اللعان وقعت الفرقة المؤبدة فإن أكذب الزوج نفسه لحق به الولد حياً فإن قد مات لم يلحق به.

قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ(١٠)} وفضل الله منّه، ورحمته نعمته وفي الكلام تقدير ومعناه، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم لنال الكاذب منكم عذاب عظيم، وأن الله تواب حكيم فيكون المحذوف على القول الأول الجواب وبعض الشرط وعلى القول الثاني الجواب وحده بعد استيفاء الشرط.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ} يعني الكذب ومنه قول الشاعر:

شهيد على الإفك غير الصواب وما شاهد الإفك كالأحنف

{عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} وزعماء الإفك: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة وعبدالله بن أبي سلول وسبب إفكهم أن عائشة سارت مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في غزاة المرسيع فضاع عقد لها من جزع ظفار وقد توجهت لحاجتها فعادت في طلبه ورحل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من منزله ورفع هودجها ولم يشعر بها أنها ليست فيه وعادت فلم تر في المنزل أحداً فأبركها صفوان بن المعطل فحملها على راحلته وألحقها برسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عليه فتكلم فيها وفي صفوان من تكلم.

{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} أي له عقاب ما اكتسب بقدر إثمه {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ} أي معظمه وهو عبدالله بن أبي سلول.

قوله تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ} أي هلا إذ سمعتم الإفك {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} أي ظن بعضهم ببعض خيراً كما

سورة النور

يظنون بأنفسهم.

قوله تعالى: {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} أي هلا جاءوا عليه بأربعة شهداء يشهدون بما قالوا {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ(١٣)}.

قوله تعالى: {..إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} هو أن يتحدث به الإنسان ويلقيه بين الناس حتى ينتشر وفيه وجه آخر وهو أن يلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره وقرئ: (إذ تلقونه) بكسر اللام مخففة أي تسرعون في الكذب من قوله: ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره قال الراجز:

جاءت به ريح من الشام تلق

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي آثاره وتخطيه الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ} وقرئ (ولا يتأل) وفي اختلاف القراءتين قولان أحدهما: أن معناهما واحد وهو بمعنى لا يحلف، والثاني: أن معناهما مختلف فمعنى يأتل أي يألوا ويقصر، ومعنى يتأل أي يحلف مأخوذ من الألية وهي اليمين {أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي لا يحلفون أن لا يبروا وهذه عامة في كل من حلف لا يفعل فعلاً من أفعال الخير فعليه أن يفعل وأن يكفر.

قوله تعالى: {...الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} أي الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من الأعمال، والطيبات من

الأعمال للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبين من الأعمال {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} أي أن الطيبين والطيبات مبرؤن من الخبيثين والخبيثات.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا} أي حتى تستأذنوا لأن الاستئذان مؤنس فعبر عنه بالاستئناس والثاني حتى تأنسوا أهل البيت بالتنحنح فيعلموا بالدخول عليهم ويحتمل وجهاً ثالثاً أي يستأنسون أي يعلمون فيها أحد يستأذنونه ويسلمون عليه ومنه قوله تعالى: {فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا} [النساء:٦]، أي علمتم فيه.

والإذن يكون بالقول والإشارة فقد روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((تنحنح الرجل إذنه)) فإن استأذن ثلاثاً ولى ولم يراجع لأن روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((من استأذن ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)) لأن الاستئذان الأول أذن والثانية مؤامرة والثالثة عزمة إن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا.

{وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا} والسلام ندب والاستئذان حتم وهو مسنون بعد للسلام والأولى أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم السلام على الاستئذان فإن لم تقع العين على العين قيل فالأولى تقديم الاستئذان على السلام.

فأما الاستئذان على منازل الأهل فإن كانوا غير ذوي محارم لزم الاستئذان عليهم كالأجانب، وإن كانوا ذوي محارم فإن كان المنزل مشتركاً هو فيه وهم ساكنون لزم في دخوله إيذانهم إما بوطي مسموع أو بحنحنة منبهة إلا الزوجة فلا يلزم ذلك في حقها بحال لارتفاع العورة بينهما، وإن لم يكن المنزل مشتركاً كان الإذن عليهم كالاستئذان على الأجانب.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن رجلاً قال له: استأذن

سورة النور

على أمي؟ قال: ((نعم)) قال: إني أخدمها قال: ((استأذن عليها)) فعاوده ثلاثاً قال: ((تحب أن تراها عريانا؟)) قال: لا، قال: ((فاستأذن عليها)).

{فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا} يعني يأذن لكم {فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ} ولا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه إذا كان الباب مغلقاً لقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إنما جعل الاستئذان لأجل البصر فإذا كان الباب مفتوحاً فيجوز إذا كان خارجاً منه أن ينظر لأن صاحبه بالفتح قد أباح النظر)) {وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ} وهذا ينظر فإن كان بعد الدخول عن إذن لزم الانصراف وحرم اللبث وإن كان قبل الدخول فهو رد الإذن ومنع من الدخول فيرجع من فوره إذا كان بغيا باب المانع.

قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} هي دور النزول في منازل الأسفار ومناخاة الترحال التي يرتفق بها مارة الطرق في أسفارهم {فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ} أي عروض الأموال التي هي متاع التجار.

قوله عز وجل: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} ومن في هذا الموضع صلة وتقديره وقل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عما لا يحل لهم من النظر ويجوز أن تكون (من) للتبعيض لأن غض البصر عن الحرام واجب وعن الحلال ليس بواجب. وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((ابن آدم لك أول نظرة فما بال الثانية)).

ثم قال: {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} يعني بحفظ الفرج العفاف يكون عن الحرام دون المباح فكذلك لم يدخل فيه حرف التبعيض كما دخل في غض البصر.

قوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} والزينة هي كلما أدخلته المرأة على بعلها حتى زانها كالحلي والثياب والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف:٣١]، قال الشاعر:

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن غير عواطل

والزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة ليس يمكن سترها والباطنة مثل أبعاض البدن والحلي وما جانسه مما يجب ستره ويحرم النظر وأما هذه الزينة الباطنة فإنها تحرم على الأجانب وأما ذووا المحارم والزوج فيجوز لهم النظر إليه.

وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن الحسن والحسين كانا يدخلان على أختهما أم كلثوم وهي تمشط.

ثم قال: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} والخُمُر هي المقانع أمرن بإلقائهن على صدورهن تغطية لنحورهن فقد كن يلقينها على ظهورهن بادية نحورهن هذه وقيل كانت قمص مفرجة الجيوب كالدراعة تبدو عنهن صدورهن فأمرن بإلقاء الخمر عليهن لسترها وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها.

ثم قال: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} يعني الزينة الباطنة يجوز إبداؤها للزوج استدعاء لميله وتحريكاً لشهوته فلذلك لعن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من النساء السلتاء والمرهاء والسلتاء التي لا تختضب والمرها التي لا تكتحل وتفعل ذلك لانصراف شهوة الزوج عنها فأمرها بذلك استدعاء لشهوته، ولعن -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- المسوفة والمفسلة فالمسوفة هي التي إذا أرادها زوجها قالت سوف أفعل ولم تطاوعه

سورة النور

والتسويف التأخير والمطل، والمفسلة هي التي إذا طلبها زوجها للوطء قالت: إني حائض وهي غير حائض فتفسل زوجها من الفسولة وهي الفتور في الأمر.

ثم قال: {أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ} وهؤلاء كلهم ذو محارم بما ذكر من الأنساب والأسباب، ويجوز إبداء الزينة لهن ويجوز لهم النظر إليهن {أَوْ نِسَآئِهِنَّ} المسلمات لأنه لا يحل للمسلمة أن تبدي زينتها الباطنة أو شيئاً من جسدها للكافرة {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} يعني من صغار العبيد الذين لم يطلعوا على عورات النساء وأما الكبار منهم فليس يجوز لهن أن ينظرن إليهم أو يبدين لهم من زينتهن الباطنة شيئاً، وحكم الكبار من العبيد حكم الأجانب.

قوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} فمحمول على الإماء والصغار الذين ذكرناهم دون من بلغ الحلم {أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} يعني الشيخ الهم الذي رجع إلى حال الطفولية في ذهاب العقل والتمييز وضعف السمع والبصر وزوال الشهوة.

وفي معنى الإربة قولان أحدهما: أنها مأخوذة من العقل من قولهم: رجل أريب إذا كان عاقلاً. والثاني: من الأرب وهو الحاجة.

وأما المجبوب والخصي فليس يجوز أن يظهرن لهما وأن أحكامهما في تحريم النظر كأحكام غيرهما ممن هو صحيح الآلة. وأما العورة فإنها سميت عورة لقبح ظهورها وغض الأبصار عنها مأخوذ من عور العين.

ثم قال: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ} قيل إن المرأة كانت إذا مشت ضربت برجلها ليسمع قعقعة خلخالها فنهين عن

ذلك، ويحتمل فعلهن ذلك أمرين إما أن يفعلن ذلك فرحاً بزينتهن مرحاً، وإما تعريضاً بالرجل وكلا الأمرين فالمنع منه واجب.

قوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ} وهو جمع أيم يقال: رجل أيم إذا لم يكن له زوجة وامرأة أيم إذا لم يكن لها زوج، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه نهى عن الأيمة يعني العرية قال الشاعر:

فإن كنت أحيا فيكم أتأيم وإن تنكحي أنكح وإن تتائمي

والأيم الحية وفي هذا الخطاب قولان أحدهما خطاب للأولياء أن ينكحوا أياماهم من أكفائهن إذا دعون إليه لأنه خطاب خرج مخرج الأمر الحتم فلذلك توجه الأمر إلى المولى دون الزوج. والثاني: أنه خطاب للأزواج أن يتزوجوا الأيامى عند الحاجة وهذا الأمر للمحتاج على الاستحباب.

ثم قال: {وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} وهذا أمر بإنكاح العبيد والإماء إذا كانوا صالحين كما أمر بإنكاح الأيامى لاستحقاق السيد لولاية عبده وأمته فإن دعت الأمة لزوجها وسيدها لم يلزمه لأنها فراش له {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} إما بعقيدة الصالحين وإما باجتماع الرزقين، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((اطلبوا الغنى في هذه الآية: {إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ})). {وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٣٢)} أي واسع الرزق عليم بالخلق.

قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا} وليعف والعفة في العرف الامتناع من الزنا وإن... أن يستعمل في الامتناع من كل فاحشة قال الراجز:

فعف من إسرارها بعد الغسق

سورة النور

{الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا} أي لا يقدرون عليه مع الحاجة إليه لإعسار إما بصداق أو نفقة {حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} أي حتى يغنيهم الله عنه بقلة الرغبة فيه أو بمال حلال يتزوجون به.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} أما الكتابة المبتغاة هنا فهي كتابة العبد والأمة على مال أدياه عتقا به وكانا بعده مالكين في الكسب ليؤدي في العتق فإن تراضى السيد والعبد عليهما جاز وإن دعا السيد إليها لم يجبر العبد عليها، وإن دعا العبد عليها وعلم السيد فيه خيراً أجبر السيد عليها فإذا انعقدت الكتابة لزمت من جهة السيد وكان المكاتب فيها مخيراً بين المقام أو الفسخ.

وفي قوله: {إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} والخير هو الوفاء والأمانة والصدق والكسب {وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ} من مال الزكاة من سهم الرقاب يعطاه المكاتب ليستعين به في أداء ما عليه للسيد ولا يكره للسيد أخذه وإن كان غنياً، ويحتمل أن يكون من مال الكتابة معونة من السيد لمكاتبه كما أعانه غيره من الزكاة وهو واجب.

وروينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قدره بالربع فإن امتنع منه طوعاً قضى الإمام أو الحاكم عليه كرهاً، والمكاتب يعتق بقدر ما أدى من مال الكتابة ويرق بقدر ما بقي عليه.

وسبب نزول هذه الآية أن عبد الخويطب بن عبد العزى سأله أن يكاتبه فامتنع خويطب فأنزل الله تعالى فيه قوله: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} والفتيات الإماء والبغاء الزنا، والتحصن التعفف، ولا يجوز إكراههن سواء أردن التعفف أو لم يردن.

وسبب نزول هذه الآية ما روي أن عبدالله بن أبي سلول كانت له أمة يقال لها مسكة فكان يكرهها على الزنا لأن ذلك كان مستفيضاً في الجاهلية يريدون بذلك الكسب والولد فجاءت الجارية فشكت إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: {...اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي منورهما بما خلق من الكواكب والشمس والقمر مَثَلُ نور الله في قلب كل مؤمن {كَمِشْكَاةٍ} المشكاة الكوة التي لا منفذ لها والمصباح السراج فصدر المؤمن مشبه بالمشكاة والإيمان والإخلاص فيه مشبه بالمصباح {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ} أي القنديل لأنه فيها أضوأ وعنى بالزجاجة قلب المؤمن {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} بضم الدال وترك الهمزة وتأويله أنه يشبه الدر لصفائه ونقائه، وقرئ دري والهمزة أي أنه مضيء وقرئ دري بكسر الدال وتأويلها أنه متدافع لأنه بالتدافع يصير منقضاً فيكون أقوى لضوءه مأخوذ من الدار إئداري أي دفع يدفع،والرابعة (دري) بكسر الدال من غير همزة وتأويلها أنه جار كالنجوم الدراري الجارية مأخوذ من درى الوادي إذا جرى.

{يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ} وروينا أن المراد بالشجرة المباركة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وخيار ولده، والمصباح أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- يشتعل من دهن شجرة أي ينتفع الناس بالعلم ويهديهم إلى الرشد كما يهدي المصباح الذي يشعل الضلال إلى الطريق والتوقد من شجرة أي من علم شجرة فجعل العلم بمنزلة الدهن الذي يشتعل منه المصباح {لَا شَرْقِيَّةٍ} أي أنها مؤمنة لا تصلي إلى المشرق كما يفعل النصارى {وَلَا غَرْبِيَّةٍ} أي ليست يهودية تصلي إلى الغرب {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ} أي علمها يكاد ينبث وينتشر كانتشار الضياء ولو لم يطلبه طالب وهذا معنى قوله:

سورة النور

{وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ} أي نبي من نسل نبي أراد النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من نسل إبراهيم والحسن والحسين من نسله والأئمة الهداة من نسلهما فنور على نور نبي من نبي وإمام من إمام {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} من أوليائه {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٣٥)} وهذا مثل ضربه الله تعالى في وضوح الحق لأهله وفيهم.

قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} أي المواضع الشريفة مثل المساجد وغيرها أذن الله أي أمر الله أن ترفع من الأنجاس والمعاصي وتعظم {وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} أي يتلى فيها كتابه وتذكر فيها أسماؤه الحسنى وذكر البيوت يعود إلى ما تقدم من قوله: كمشكاة.

{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا} والتسبيح التنزيه ويكون التسبيح بمعنى الصلاة {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(٣٦)} وفي العشايا {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ} فالتجار هم الجلاب المسافرون والباعة هم المقيمون عن ذكر الله أي عن ذكره بأسمائه الحسنى {وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ(٣٧)} وتقلبها على جمر جهنم بأن تلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها وتقلب القلوب يحتمل أن يكون وحسها وتقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال.

قوله تعالى: {..وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} أما السراب فهو الذي يخيل لمن يراه بالفلاة كأنه الماء الجاري ومنه قول الشاعر:

فلما كنفنا الحرب كانت عهودكم ... كلمح سراب بالفنا متألق

والآل كالسراب إلا أنه يرتفع عن الأرض في وقت الضحى حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء، وقيل إن السراب بعد الزوال والآل قبله،

والرفراف بعد العصر. وأما القيعة فهي جمع قاع مثل حيرة وحار والقاع ما انبسط من الأرض واستوى {يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ} يعني العطشان يحسب السراب ماء {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} وهذا مثل ضربه الله للكافر يعول على عمله وأنه يثاب عليه فإذا قدم على الله تعالى وجد عمله بالكفر محبطاً {وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} أي وجد الله عند عمله فجازاه على كفره بما أوعده عليه {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(٣٩)} أي حسابه آت وكل آت سريع وقيل إن هذه الآية نزلت في سبب ابن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس الصوف ويطلب الدين فكفر بالإسلام.

قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ} وعنى بالظلمات ظلمات البحر وظلمات السحاب وظلمة الليل، وفي قوله: لجي أي البحر الواسع الذي لا يرى ساحله ولجة البحر وسطه. وروينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال: ((من ركب البحر إذا ريح فقد برئت منه الذمة)) يعني إذا توسطه.

{يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ} أي يغشاه موج من فوق الموج ريح من فوق الريح سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب ويجوز أن يكون المعنى يغشاه موج من بعده موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضاً حتى كأن بعضه فوق بعض وهو أخوف ما يكون إذا توالى موجه وتقارب من فوق هذا الموج سحاب وهو أعظم الخوف من وجهين أحدهما: انه قد غطى النجوم التي يهتدي بها. والثاني: الريح ينشأ من السحاب.

ثم قال: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} أي أنه رآها بعد أن كاد لا يراها {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ(٤٠)} أي من لم يجعل الله له سبيلاً إلى النجاة في الآخرة فما له من سبيل إليها، وهذا مثل ضربه الله تعالى

سورة النور

للكافر بالظلمات ظلمة الشرك وظلمة الشك وظلمة المعاصي والبحر اللجي هو قلب الكافر، ويغشاه موج من فوقه موج وهذا عذاب الدنيا من فوقه عذاب الآخرة.

قوله عز وجل: {وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ} يعني المصطفة الأجنحة في الهواء {كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} أي كل من ذوي العقول قد علم إذا أبصرها كيف يسجد لله ويسبحه على ما فطرها.

قوله تعالى: {..أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} أي يسوقه إلى حيث شاء قال النابغة:

إني أتيتك من أهلي ومن وطني   أزجي حشاشة نفس ما بها رمق

{ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} أي يجمعه وهو متفرق عند إنشائه ليقوى ويتصل {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} أي يركب بعضه بعضاً {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} قيل: إنه البرق وقيل إنه المطر قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها   ولا الأرض أبقل إبقالها

{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} أي ينزل من السماء برداً إلى السحاب سمي السحاب سماء لعلوه وارتفاعه فتكون كالجبال على الأرض فتكون (من) في برد زائدة ويجوز أن تكون من في الجبال أيضاً زائدة وتقدير الكلام: وينزل من السماء جبالاً إلى الأرض من برد في السماء {فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ} ويكون إصابته نقمة وصرفه نعمة {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(٤٣)} أي ضوء برقه ولمعانه والضوء حادث عن اللمعان كما قال امرئ القيس:

يضيء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل

{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} هو أن يأتي بالنهار بعد الليل وبالليل بعد النهار.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} أي أن أصل الخلق من ماء ثم قلب إلى النار فخلق منها الجن ثم إلى الريح فخلق منها الملائكة ثم إلى الطين فخلق منه من خلق وما خلق {فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ} كالحية والحوت {وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ} كالإنسان والطير {وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ} كالمواشي والخيل ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لأنه في حكم من يمشي على أربع.

قوله تعالى: {...وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ(٤٨)} وهذه الآية نزلت في بشر رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة فدعاه اليهودي إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ودعاه بشر إلى كعب بن الأشرف لأن الحق كان إذا كان متوجهاً على المنافق دعا إلى غير رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ليسقط عنه وإذا كان له حاكم إليه ليستوفيه منه فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم قال: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ(٤٩)} أي خاضعين وهذا دليل على أن من دعي إلى حاكم عدل وتأخر جرح، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((من دعي إلى حاكم من المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له)).

قوله تعالى: {أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي شك.

قوله تعالى: {...وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} وهذه الآية نزلت في رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه

وآله- وأمير المؤمنين وخيار أهل بيتهما ومن سار بسيرتهما وتبع طريقتهما إلى يوم القيامة لأنهم ورثة الكتاب والعالمون به ولهم الخلافة في الأرض إلى يوم العرض.

والأرض أراد بها أرض العرب والعجم، وذلك لما روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز وذل ذليل إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدنون بها)).

{كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يعني داود وسليمان -عليهما السلام- {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} يعني دين الإسلام وذلك عند ظهور حجة الله القائم، وتمكينه: أن يظهره على الدين كله {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} لأنهم كانوا مطلوبين فيطلبون ومقهورين فقهروا {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} أي لا يعبدون إلهاً غيري ولا يراءون بعبادتي أحدا.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} وهم العبيد والإماء يجب على العبيد أن يستأذنوا على ساداتهم وعلى الإماء أن يستأذن على سيداتهن {وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ} هم الصغار الأحرار فمن كان منهم غير مميز لا يصف ما رأى فليس من أهل الاستئذان ومن كان مميزاً يصف ما يرى أو يخفي ما شاهد فهو المعني بالاستئذان {ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ} وهو وقت الخلوة لنومة القائلة.

ثم ذكر الوقت الثالث فقال: {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} يعني الآخرة وقد سمتها العامة العتمة، وسميت العشاء لأن الظلام يعشي البصر وإنما

خص هذه الأوقات الثلاثة لأنها أوقات خلوات الرجال مع نسائهم ولأنه ربما بدا منه فيها عند خلوته ما يكره أن يرى من جسده.

ثم قال: {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ} يعني أن هذه الساعات الثلاث هي أوقات العورات فصارت من عورات الزمان فجرت مجرى عورات الأبدان فلذلك خصت بالإذن.

ثم قال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} أي ليس عليكم جناح في منعهن من هذه الأوقات ولا يدخل العبد على مولاه إلا بإذنه ولا الجارية على سيدتها إلا بإذنها وما عدا هذه الأوقات فيدخل العبيد على مواليهم بغير الاستئذان والإماء على سيداتهن بغير استئذان فكذلك الصغار، وقوله: {طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} يعني أنهم طوافون عليكم للخدمة لكم فلم ينلهم حرج في دخول منازلكم.

ثم إنه أوجب على من بلغ من الصبيان الاستئذان حين احتلموا وبلغوا لأنهم صاروا بالبلوغ في حكم الرجال فقال: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يعني الرجال.

قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا} والقواعد جمع قاعدة وهي التي قعدت بالكبر من الحيض والحمل ولأنهن يكثرن القعود إذا كبرن لا يرجون نكاحاً أي لا يردن الرجال ولا يرَدن {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} أي الأردية التي فوق الخمر كما سترها باقي ثيابها {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} والتبرج أن يظهر من زينتها ما يستدعي النظر إليها فإنه في القواعد وغيرهن محظور، وإنما خص القواعد بوضع الجلباب لانصراف النفوس عنهن ما لم يبد شيء من عوراتهن والشباب المشتهيات يمنعهن من وضع جلباب أو خمار ويؤمرن بلبس كثف الجلابيب لئلا يضعن ثيابهن {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} أي

سورة النور

يستعففن عن وضع جلابيبهن خير لهن من وضعها وإن سقط الحرج عنهن فيه.

قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} هذه الآية نزلت في إسقاط عمن هو بهذه الصفة وقيل إنها نزلت لأن الأنصار كانوا يتحرجون أن يأكلوا مع هؤلاء إذا دعوا إلى طعام ويقولون الأعمى لا يبصر أطيب الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام عند الطعام، والمريض يضعف عن مشاركة الصحيح في الطعام فكانوا يعزلون طعامهم مفرداً ويرون أنه أفضل من أن يكون شركاً فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ورفع الحرج عنهم.

قوله تعالى: {وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} يعني من أموال عيالكم وأزواجكم لأنهم في بيوتكم ويجوز أن يكون المراد به الأولاد فليست بيوت الأولاد فنسب بيوت الأولاد إلى أنفسهم لقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((أنت ومالك لأبيك)) ولهذا لم يذكر الله تعالى بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء والأقارب اكتفاء بهذا الذكر.

ثم قال: {أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ} فأباح الله الأكل في بيوت هؤلاء لمكان النسب من غير استئذانهم في الأكل إذا كان الطعام مبذولاً فإن كان محرزاً دونهم لم يكن لهم هتك حرزه ولا يجوز أيضاً أن يتجاوزوا الأكل إلى الادخار والإطعام ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلا بإذن منهم.

ثم قال: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ} عنى به أكل السيد من منزل عبده

وماله لأن مال العبد لسيده {أَوْ صَدِيقِكُمْ} ويأكل من منزل صديقه بشرط ما يأكل من منزل أبيه وأمه لأن الصديق في الله إذا صحت صداقته أنفع من الأبوين ألا ترى إلى الجهنميين لم يستغيثوا بالآباء والأمهات ولكن قالوا: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ(١٠١)} [الشعراء]، وهذا للأكل يصح بعد الاستئذان على ما ذكرناهم والطعام حاضر.

ثم قال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} قيل إن هذه الآية نزلت في بني كنانة كان الرجل منهم يرى أن محرماً عليه أن يأكل في الجاهلية حتى أن الرجل ليسوق الذود الحقل وهو جائع حتى يجد من يواكله ويشاربه فأنزل الله تعالى فيهم ذلك وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف تحرجوا أن يتركوه وحده حتى يأكلوا معه.

قوله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أي إذا دخلتم بيوت أنفسكم فسلموا على أهليكم وعيالكم ، ويحتمل أن يكون إذا دخلتم بيوتاً أو مساجد فارغة فسلموا على أنفسكم فيقولون: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإذا سلم الواحد من الجماعة أجزى عن الجماعة ناب عن جميعهم ولا يسلم الرجال على النساء ولا النساء على الرجال بل الرجال يسلمون على الرجال والنساء يسلمن على النساء {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً} أي أن التحية بالسلام أمر من أوامر الله عز وجل ثم قال: مباركة لما يرجو من قبول دعاء المجيب {طَيِّبَةً} تحتمل وجهين أحدهما: لما فيها من طيب العيش بالتواصل، والثاني: لما فيها من طيب الذكر بالثناء.

قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} والأمر الجامع هو الجهاد وسائر طاعات الله عز وجل التي تجمع بين المؤمنين {لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى

سورة النور

يَسْتَأْذِنُوهُ} أي لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} هذا بحسب ما كان يرى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من أعذارهم والأئمة بعده لأن المنافقين كانوا إذا استأذنوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نظر إليهم ولم يأذن لهم فكان يقول بعضهم لبعض إن محمداً يزعم أنه بعث بالعدل وهكذا يصنع بنا {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٦٢)} يعني لمن أذن له من المؤمنين ليزول عنهم باستغفاره ملامة الانصراف.

قوله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} وهذا نهي من الله عز وجل عن دعاء رسوله بالغلظة والجفاء وليدع بالخضوع والخشوع والتذلل فيقال: يا رسول الله يا نبي الله ولا يقال يا محمد ويا ابن عبدالله. والثاني: أنه نهي من الله عز وجل عن الإبطاء عن أمره والتأخر عن استدعائه لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون عنه كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا} أي يلوذ بعضهم ببعض وينضم بعضهم إليه استتاراً من رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأنه لم يكن على المنافقين أثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة والجهاد فنزل فيهم ذلك لأنهم كانوا يتسللون فيه ويحتمل أن يكون معنى قوله: لواذاً أي فراراً من الجهاد، ومنه قول حسان:

وقريش تفر منكم لواذا ... لم تحافظ وخف منها الحلوم

{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} أي عن أمر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأن مخالفة أمره مخالفة لأمر الله عز وجل وأمره جميع ما أمر به من أمور الدنيا والآخرة {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} أي بلية تظهر ما في قلوبهم من

النفاق {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦٣)} أي القتل في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الفرقان

مكية كلها إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ} [٦٨]..إلى قوله: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٧٠)}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} وتبارك هو تفاعل من البركة والفرقان هو القرآن وهو كل ما فرق بين الحق والباطل وقيل إنه اسم لكل كتاب منزل كما قال: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ} [الأنبياء:٤٨]، {عَلَى عَبْدِهِ} يعني محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقرئ: نزل الفرقان على عبده {لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا(١)} أي ليكون محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نذيراً، والنذير المحذر من الهلاك قال الشاعر:

فلما تلاقينا وقد كان منذر   نذيراً فلم تقبل نصيحة ذي النذر

{...وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني مشركي قريش والقائل لذلك هو النضر بن الحارث {إِنْ هَذَا} أي القرآن {إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ} أي كذب اختلقه {وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ} أي اليهود.

قوله تعالى: {...انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ} يعني فيما تقدم من قولهم {فَضَلُّوا} يعني عن الحق {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا(٩)} يعني مخرجاً من الأمثال التي ضربوها.

قوله تعالى: {...وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ} قيل إن جهنم لتضيق على الكافرين كضيق البرج على الرمح، وفي قوله: مقرنين وجهان أحدهما: مكتفين، والثاني: يقرن كل واحد منهم مع شيطانه {دَعَوْا هُنَالِكَ

ثُبُورًا(١٣)} يعني ويلاً وهلاكاً وتأسفاً على ما فاتهم من طاعة الله عز وجل.

قوله تعالى: {...لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} من النعيم فأما المعاصي فشهواتهم عنها مصروفة {خَالِدِينَ} يعني في الثواب كخلود أهل النار في العقاب {كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا(١٦)} أي ما سألوا الله في الدنيا من الجنة ورغبوا إليه بالدعاء فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا فأعطاهم ما طلبوا.

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ} هو يوم البعث {وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} هم عيسى وعزير والملائكة {فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ} وهذا تقرير لإكذاب من ادعى ذلك عليهم وإن خرج مخرج الاستفهام وهذا القول يقال لعيسى ولعزير {أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ(١٧)} أي أخطأوا الطريق في قصد الحق.

فأجابوا بأن قالوا: {سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} أي ما كنا نواليهم على عبادتهم {وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ} أي تركوا القرآن وغفلوا عن طاعة الله عز وجل وتناسوا الإحسان إليهم والإنعام عليهم {وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا(١٨)} يعني هلكى مأخوذ من البوار وهو الهلاك،وقيل اشتقاقها من بور الأرض وهو تعطيلها من الزراعة وقيل البوار الكساد مأخوذ من بارت السلعة إذا كسدت ومنه الأثر المروي: ((اللهم إني أعوذ بك من بوار الأيم)) قال الزبعرى:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت دابا بوارا

قوله تعالى: {فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ} أي الملك والرسل فقد كذبوا

سورة الفرقان

الكفار فيما يقولون أنهم ما اتخذوهم أولياء من دونه {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا} يعني صرف العذاب عنهم ولا ينتصرون، ويحتمل أن يكون المعنى ما يستطيعون صرفك يا محمد عن الحق ولا نصر أنفسهم من عذاب التكذيب.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} أي بالعذاب في الدين ويحتمل أن يكون معنى الفتنة هو افتتان الفقير بالغني أن يقول لو شاء لجعلني غنياً والأعمى بالبصير والسقيم بالصحيح {أَتَصْبِرُونَ} على محبتهم به من هذه الفتنة وفيه اختصار وتقديره أم لا تصبرون {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا(٢٠)} بمن يصبر ممن يجزع.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} أي لا يخشون ومنه قول الشاعر:

إذا لسعته النوب لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

وقيل: معناه لا يبالون قال الشاعر:

لعمرك ما أرجو إذا كنت مسلما على أي حال كان في الله مصرعي

والثالث: معناه ما يأملون قال الشاعر:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

{لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} المعنى ليخبرونا أن محمداً نبي ويكونوا رسلاً إلينا من ربهم {أَوْ نَرَى رَبَّنَا} فيأمرنا باتباع محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وتصديقه {لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا(٢١)}

والعتو السرف في الظلم والتجبر والعصيان وقيل إن هذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة وفي جماعة من قريش قالوا: لولا أنزل علينا الملائكة أي يوم القيامة.

{لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ} بالجنة لأنه إذا كان يوم القيامة يلقى المؤمن بالبشرى فإذا رأى الكافر ذلك تمناه فلم يره من الملائكة {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا(٢٢)} أي حراماً أن تكون لكم البشرى يومئذ ومنه قول المتلمس:

جئت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام إلى تلك الدهاريس

والقائل بذلك الملائكة.

قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا(٢٣)} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلامٌ- أنه قال: الهباء هو ريح الدواب.

قوله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا} يعني منزلاً في الجنة من مستقر الكفار في النار {وَأَحْسَنُ مَقِيلًا(٢٤)} يعني بالمقيل موضع القائلة للدعة وإن لم يقيلوا.

قوله تعالى: {...وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ} قيل هو عقبة بن أبي معيط {يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(٢٧)} أي طريقاً إلى النجاة ووصلة إلى الرسول {يَاوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨)} أي أمية بن خلف وذكر أن سبب ذلك أن عقبة وأمية كانا خليلين وكان عقبة يغشى مجلس رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال له أمية بن خلف بلغني أنك صبوت إلى محمد فقال: ما صبوت فقال: وجهي عليك حرام حتى تأتيه وتتفل في وجهه فأتى عقبه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه

سورة الفرقان

وآله- فتفل في وجهه وتبرأ منه فاشتد ذلك على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأنزل الله تعالى فيه مخبراً عنه بما هو صائر إليه: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} والتي بعدها.

قوله تعالى: {..وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا(٣٠)} بإعراضهم عنه وقولهم القبيح فيه.

قوله عز وجل: {..وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} في تأويل ذلك من الكفار قولان أحدهما: أنهم كفار قريش والثاني أنهم اليهود قالوا حين رأوا نزول القرآن مفرقاً هلا نزل عليه القرآن جملة واحدة {كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} معناه كذلك أنزلناه مفرقاً لنثبت به فؤادك فيه وجهان أحدهما أنه كان أمياً ولم ينزل القرآن مكتوباً فكان نزوله مفرقاً أثبت في فؤاده وأعلق بقلبه. والثاني: لنثبت به فؤادك باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن فلا تصير بانقطاع الوحي مستوحشاً {وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا(٣٢)} أي ورسلناه ترسيلا أي شيئاً بعد شيء وقد يكون بمعنى فصلناه تفصيلا بيناه تبيينا.

قوله تعالى: {...وَأَصْحَابَ الرَّسِّ} قيل: إن الرس قرية من قرى اليمامة ويقال لها الفلح وقيل إنها اسم بئر إذا حفرت فلم تطوى فهي الرس قال زهير:

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة ... فهن ووادٍ الرس كاليد في الفم

وقيل: إنهم قوم أرسل إليهم رسول فأجلوه وهم أول من علم نساؤهم السحر.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ}

وهي سدوم قرية لوط ومطر السوء الحجارة التي رموا بها والذين أتوا عليها قريش {أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا} أي يعتبرون بها {بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا(٤٠)} أي لا يخافون بعثاً.

قوله عز وجل: {...أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} ومعنى الكلام أن الجاهلية أن الرجل يعبد حجراً قد استحسنه فإذا رأى أحسن منه عبده وترك الأول والآية عامة في كل من اتبع هواه في كل ما دعاه إليه {أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا(٤٣)} أي حفيظاً، ويجوز أن يكون بمعنى كفيلا.

قوله تعالى: {..أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والفرق ما بين الظل والفيء من جهتين أحدهما: أن الظل ما قبل طلوع الشمس، والفيء ما بعد طلوعها. والثاني: أن الظل الزوال، والفيء ما بعده {وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا} أي دائماً {ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا(٤٦)} أي سهلا.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا} يعني غطاء لأنه يستر كما يستر اللباس {وَالنَّوْمَ سُبَاتًا} فيه وجهان أحدهما أنه مسبوت بالنوم لا يعقل كالميت والثاني يعني راحة لقطع العمل فيه ومنه سمي يوم السبت لأنه يوم راحة بترك العمل {وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا(٤٧)} فيه وجهان أحدهما لانتشار الروح باليقظة مأخوذ من نشور البعث، والثاني: لانتشار الناس في معائشهم.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ} وهي الجنوب والشمال والصبا لأنها لواقح وريح العذاب واحدة وهي الدبور لأنها لا تلقح {بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} قرئت (نشرا) بالنون وقرئت (بشرا) بالباء فمن قرأ نشراً بالنون فمعناه حياة لخلقه كحياتهم بالنشور، وقرئ بالباء ففيه وجهان أحدهما لأنها بشر بالمطر، والثاني: لأن الناس يستبشرون بها، وقوله: {بَيْنَ

يَدَيْ رَحْمَتِهِ} يعني المطر لأنه رحمة من الله لخلقه {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(٤٨)} أي طاهر في نفسه مطهر لغيره.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ} يعني قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن مكان فيهلك. والثاني: أنه يصرفه في كل عام من مكان إلى مكان.

وروينا عن بعض السلف أنه قال: ليس عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه بين عباده {لِيَذَّكَّرُوا} أي ليذكروا النعمة بنزوله، والثاني ليذكروا النعمة بانقطاعه {فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٥٠)} وهو قولهم مطرنا بنو كذا.

وروينا في الخبر أن الناس مطروا على عهد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ذات ليلة فلما أصبح قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((أصبح الناس فيها رجلين شاكر وكافر فأما الشاكر فيحمد الله على سقياه وأما الكافر فيقول مطرنا بِنَوٍّ كذا وكذا)).

قوله تعالى: {...وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} وهو إرسال أحدهما في الآخر وأصلة من التخلية من قولهم: مرجت الشيء إذا خليته، ومرج الوالي الناس إذا تركهم وأمرجت الدابة إذا تركتها ترعى ومنه قول العجاج:

رعى بها مرج ربيع ممرجا

والبحران بحر العذب وبحر المالح {هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} الفرات : العذب ، والأجاج الملح وقيل إنه المر {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا} والبرزخ هو كلما بين الشيئين {وَحِجْرًا مَحْجُورًا(٥٣)} أي مانعاً أن يختلط العذب بالمالح قال قرب ذي سراق:

محجور سرت عليه من أعالي الستور

قوله تعالىٰ: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ} يعني النطفة {بَشَرًا} يعني إنساناً {فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} فالنسب هو من يناسبك بوالد أو ولد وكل شيء أضفته إلىٰ شيء عرفته به فهو مناسبه والصهر فيه وجهان أحدهما: أنه الرضاع، والثاني أنه المناكح، وأصل الصهر الاختلاط فسمي المناكح صهراً لاختلاط الناس ومنه قوله: {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ(٢٠)} [الحج].

قوله تعالىٰ: {...وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً} وإنما سميا خلفة لأنه جعل ما فات من أحدهما خلفة تقضىٰ في الآخر، والثاني أنه جعل كل واحد منهما مخالف لصاحبه فجعل أحدهما أبيض والآخر أسود. والثالث: أنه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا مضىٰ هذا جاء ذاك، ومثله قول زهير:

بها العِيْنُ والآرام يمشين خِلْفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

قوله تعالىٰ: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} علماء حلماء أعفاء أتقياء هوناً أي بالسكينة والوقار أي غير متكبرين علىٰ عباده {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا(٦٣)} والجاهلون السفهاء، وقوله سلاماً أي سداداً.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا(٦٥)} أي لازماً ومنه سمي الغريم لملازمته قال الأعشىٰ:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يعـ ـط جزيلاً فإنه لا يبالي

سورة الفرقان

وسميت شدة المحبة غراما وقيل إنه الثقيل لقوله: {فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ(٤٠)} [الطور].

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا} أي لم ينفقوا في معصية الله والإسراف الإنفاق في المعاصي وكل نفقة في غير حق إسراف {وَلَمْ يَقْتُرُوا} أي لم يمنعوا حقوق الله عز وجل فإن منع حق الله إقتاره {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧)} أي عدلاً لا تبذير فيه ولا تقتير وأن ينفق في طاعة الله عز وجل ويكف عن محارمه.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ} يعني أنهم لا يجعلون لله تعالى شريكاً ولا يجعلون في العبادة بينهم وبينه وسطاء {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} يعني التي حرم قتلها وهي نفس المؤمن والمعاهد {إِلَّا بِالْحَقِّ} والحق المستباح قتلها ما روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس)) {وَلَا يَزْنُونَ} والزنا إتيان المحرمات فجمع في هذه الآية بين ثلاث كبائر فحكم من أتى البهيمة كحكم الزاني.

وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه سئل فقيل له: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك)) قال: ثم أي؟ قال: ((أن تقتل ولدك خيفة أن يأكل معك)) قال: ثم أي؟ قال: ((أن تزني بحليلة جارك)) فأنزل الله تعالى تصديق ذلك في كتابه: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} يعني هذه الثلاثة أو بعضها {يَلْقَ أَثَامًا(٦٨)} والأثام العقوبة ومنه قول... بن قيس:

جزى الله ابن عقبة حيث أمسى عقوقاً والعقوق له أثام

{يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذلك استدامة الخلود بالعذاب من المضاعفة {وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا(٦٩)} يعني يخلد مهاناً فيه أي في العذاب {إِلَّا مَنْ تَابَ} يعني من الزنا {وَءَامَنَ} من الشرك {وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا} يعني بعد السيئات {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} أي يثبت حسناته {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} لما تقدم قبل التوبة {رَحِيمًا(٧٠)} بعدها.

قوله تعالى: {..وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} والزور المجلس الذي كان يشتم فيه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وكذلك يحتمل أن يكون بمعنى الكذب، واللغو: المعاصي كلها، ومرهم بها كراما: أي في تركهم لها وإعراضهم عنها.

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا(٧٣)} أي سمعوا الوعظ لم يصموا عنه وأبصروا الرشد ولم يعموا عنه بخلاف من أصمه الشرك عن الوعظ وأعماه عن الرشد. لم يخروا: لم يتغافلوا.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} أي أهل طاعة تقر بهم أعياننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٧٤)} أي أئمة هدى يهتدى بنا.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} والغرفة أعلى مراتب الجنة {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً} أي بشارة بالبقاء الدائم والملك العظيم والسلام اجتماع السلامة والخير.

قوله تعالى: {..قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} لولا طاعتكم له

سورة الفرقان

وإيمانكم به {فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا(٧٧)} واللزام قيل إنه القتل يوم بدر وقيل إنه عذاب الآخرة.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة الشعراء مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {طسم(١)} هي من الفواتح التي افتتح الله بها كتابه، وقد ذكرنا في تفسير (الم) تخريجه في هذا الموضع.

قوله تعالى: {..لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ} أي قاتلها والبخع القتل قال ذو الرمة:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر

قوله تعالى: {إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٤)} أي أصحاب الأعناق فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والأعناق الرؤساء أيضاً ويحتمل أن تكون الأعناق الجماعات.

قوله تعالى: {...أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(٧)} أي نوع معه قرينة من أبيض وأحمر وحلو وحامض والكريم هو الحسن وهو مما يأكل الناس والأنعام وقيل المراد به الناس لأنهم نبات الأرض كما قال الله عز وجل: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)} [نوح]، فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم.

قوله تعالى: {...وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} معناه وأخاف أن يضيق صدري وقلبي للعقدة التي كانت به {فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(١٣)} أي ليكون معي رسولا.

{وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ} وهو قتل النفس {فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(١٤)} وإنما خاف أن يقتلوه بالنفس التي قتلها لا بإبلاغ الرسالة لأنه يعلم أن الله تعالى إذا بعثه رسولاً تكفل بمعونته على تأدية رسالته.

قوله تعالى: {..فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)} معنى إنا

سورة الشعراء

رسول رب العالمين ويحتمل أن يكون المعنى كل واحد منا رسول رب العالمين، وقد ورد الرسول بمعنى الرسالة قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة.

قوله تعالى: {..أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} أي صغيراً لأنه كان في داره لقيطاً التقطته امرأة فرعون {وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(١٨)} قيل ثلاثين سنة قال ذلك امتناناً عليه بإحسانه إليه {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ} يعني من قتل النفس {وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(١٩)} أي لإحساني إليك وفضلي عليك {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(٢٠)} أي من الناسين كما قال: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} [البقرة:٢٨٢].

قوله تعالى: {..وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٢)} اتخذتهم عبيداً قد أحبطت نعمتك التي تمن بها علي ولم تكن بالحقيقة لفرعون على موسى نعمة لأن الذي رباه بنو إسرائيل بأمر فرعون لاستعباده لهم فأبطل موسى نعمته لبطلان استرقاقه والتعبد الاسترقاق لما فيه من الإذلال مأخوذ من قولهم طريق معبّد أي مذلّل.

قوله تعالى: {...فَأَلْقَى عَصَاهُ} وكانت من عوسج وكان طولها عشرة أذرع {فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(٣٢)} وهي الحية الذكر وهي من أعظم الحيات. مبين: أي أنه ثعبان آية وبرهان، وكان فرعون هم بموسى فلما صار العصا ثعباناً قصده فاغراً فاه فخافه فلاذ بموسى مستجيراً وولى قومه هرباً حتى وطئ بعضهم بعضا.

وقله عز وجل: {...قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} أي أخره وأخاه، وإنما أشاروا

عليه أن يقتله ونهوه عن ذلك لما شاهدوا من فعله ما بهر عقولهم فخافوا الهلاك من قتله والإقدام عليه ومع ذلك فإن الله عز وجل صرفهم عنه تثبيتاً لدينه وتأييداً لرسوله.

قوله تعالى: {...إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)} والشرذمة العصبة القليلة من عصب كثيرة، وشرذمة كل شيء بقيته القليلة وكان عد بني إسرائيل حين قال لهم فرعون: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعد ابن عشرين لصغره ولا ابن ستين لكبره وإنما استقل هذا العدد لكثرة ما كان معه، وروي أنه كان على مقدمته هامان في ألف ألف حصان وسبعمائة ألف.

قوله تعالى: {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥)} أي لخروجهم من رقهم وخلوصهم من إذلالهم واستخدامهم {وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حذرون} وقرئ {حَاذِرُونَ(٥٦)} ومعناهما واحد قال الشاعر:

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه يحاذره

وقيل: إن الحذر المطبوع على الحذر والحاذر الفاعل للحذر. {..وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٥٨)} أي المنابر ومواضع الأئمة.

قوله تعالى: {..فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ(٦٠)} أي حين أشرقت الأرض بالضياء، والسبب في تأخر فرعون وقومه عن موسى وبني إسرائيل حتى أشرقوا أن الله سبحانه أظلهم بظلام فخافوه فلما أصبحوا انقشع عنهم.

{قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(٦١)} أي ملحوقون لأنهم رأوا البحر أمامهم وفرعون وراءهم {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢)} أي سيرشدني إلى الطريق ويكفيني ما يهم من الأمور.

وحكي أن موسى -عَلَيْه السَّلام- لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم

عليهم القمر فقال لقومه: ما هذا فقال علماؤهم إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا ؛ فقال لهم موسى: وأيكم يدري قبره؟ قالوا: ما تعلمه إلا عجوز في بني إسرائيل فأرسل إليها فقال: دليني على قبره فقالت: والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال لها: وما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فأعطاها حكمها ؛ فدلته عليه فاحتفره واستخرجوا عظامه، فلما أقلوها إذا الطريق مثل ضوء النهار.

وروينا أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- نزل بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((ما حاجتك؟)) قال: ناقة أرحلها وعنز أحتلبها، فقال له رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل)) فقال له أصحابه من عجوز بني إسرائيل؟ فذكر لهم حال هذه العجوز التي أحكمت على موسى أن تكون معه في الجنة.

قوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ} وروي أن موسى لما بلغ البحر فأتبعه فرعون قال فتاهُ يوشع بن نون: أين أمرك ربك؟ قال: أمامك نسير إلى البحر ثم ذكر أنه أمر أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق له اثني عشر طريقاً وكانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط طريق.

وروينا أن موسى ضرب البحر بعصاه وقد مضى من النهار أربع ساعات وكان يوم الاثنين العاشر من المحرم وهو يوم عاشوراء، وقيل: إن البحر هو نهر النيل ما بين إيلة ومصر، وقطعوه في ساعتين فصارت ست ساعات {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(٦٣)} أي كالجبل العظيم وكان الأسباط لا يرى بعضهم بعضاً فقال كل سبط: هلك أصحابنا فدعا موسى

ربه فجعل في كل حاجز مثل الكوى لينظر بعضهم بعضاً، وقيل كان طول الطريق فرسخاً وعرضها فرسخين.

قوله تعالى: {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ(٦٤)} أي قربنا فرعون وقومه إلى البحر. وقرئ (وأزلقنا) من زلق الأقدام وأغرق الله قوم فرعون حتى أزلقهم في طينه الذي في قعره.

قوله تعالى: {...رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(٨٣)} أي النبوة والرأي الصائب والعلم.

{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(٨٤)} أي ثناء حسناً وذكراً جميلاً في الأمم وولداً يقوم بعده بالحق.

قوله تعالى: {...إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(٨٩)} أي سليم من الشرك والريب فخلص في طاعة الله نفي من الشرك.

قوله تعالى: {...فَكُبْكِبُوا فِيهَا} أي طرحوا في النار على وجوههم منكسين على رؤوسهم {وَالْغَاوُونَ(٩٤)} يعني الآلهة التي يعبدون وفي الغاوين قولان أحدهما: المشركون، والثاني أحبار المشركين ورؤساؤهم.

قوله تعالى: {...فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ(١٠١)} والحميم القريب والشقيق أيضاً يقال: حم الشيء إذا قرب ومنه الحُمّى لأنها تقرّب من الأجل، وإنما سمي القريب حميماً لأنه يحمي لصاحبه ويغضب لغضبه فجعل مأخوذاً من الحمية.

قوله تعالى: {...وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ(١١١)} أي سفهاء الناس وأراذلهم من المرجومين أي بالشتم والقتل.

{...فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا} أي اقض بيني وبينهم قضاء.

قوله تعالى: {...أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ(١٢٨)} ومعنى الريع الطريق ومنه قول المسيب بن غلس:

سورة الشعراء

والآل يخفظها ويرفعها ريع يلوح كأنه سجل

والسجل الثوب الأبيض والمكان، وقيل هو الفج بين الجبلين آية تعبثون والآية هي البنيان والأعلام، والعبث اللهو واللعب.

قوله تعالى: {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ} أي القصور المشيدة قال الشاعر:

تركن ديارهم منهم قفارا وهدمنا المصانع والبروجا

وقيل إنها مأخذ للماء تحت الأرض ومنه قول لبيد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

{لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ(١٢٩)} أي كأنكم تخلدون باتخاذ هذه الأبنية.

قوله تعالى: {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ(١٣٠)} أي أقوياء والبطش الضرب والقتل بغير حق من الجبارين.

قوله تعالى: {...إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ(١٣٧)} أي عبادة الأولين، ويحتمل أن يكون كذب الأولين.

قوله تعالى: {...وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ(١٤٨)} أي المتلاصق بعضه ببعض الأطين والطلع مشتق من الطلوع وهو الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات.

قوله تعالى: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ(١٤٩)} وقرئ (فارهين) فمعنى فرهين بمعنى بطرين الأشرين ومعنى فارهين حاذقين عارفين أي ممن يأكل ويشرب قال لبيد:

فإن سألتنا نحن فيما فإننا عصافير من هذا الأنام المسخر

أي المعلل بالطعام والشراب، وقيل البحر المسجون بالقسطاس المستقيم أي العدل من الأشياء وهو عربي وأصله من القسط ومنه قوله: {قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [آل عمران:١٨]، أي بالعدل.

قوله تعالى: {...وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(١٨٣)} أي لا تمشوا فيها بالمعاصي وتفسدوا فيها بعد إصلاحها. {وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ(١٨٤)} يعني بالجبلة الخليقة وبالأولين الأمم الخالية.

قوله تعالى: {...فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} أي عذاباً من السماء، وقيل إن الكسف القطيع.

قوله تعالى: {...نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(١٩٣)} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام- {عَلَى قَلْبِكَ} يعني يا محمد {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(١٩٤)} يعني لأمتك {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(١٩٥)} يعني أن لسان القرآن عربي مبين لأن المنزل عليه عربي والمخاطبون عرب، ولأنه تحدى بفصاحته العرب وهو لسان قريش.

{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ(١٩٦)} أي في كتب الأولين من التوراة والإنجيل أي القرآن وبعث محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- في كتب الأولين.

قوله تعالى: {...كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(٢٠٠)}.

قوله تعالى: {...الَّذِي يَرَاكَ يعلمك حِينَ تَقُومُ(٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ(٢١٩)} أي قائماً وجالساً وعلى سائر حالاتك في الصلاة والركوع والسجود.

قوله تعالى: {...وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(٢٢٤)} أي إذا غضبوا سبوا وإذا قالوا كذبوا يتبعهم الغاوون من المشركين والمنافقين {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(٢٢٦)} أي

سورة الشعراء

في كل فن من الكلام يأخذون وفي كل لغو يخوضون ومنه قول الشاعر:

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

لأنهم يمدحون قوماً بباطل ويدعونهم باطل، {وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(٢٢٦)} يعني ما يذكرونه في أشعارهم من الكذب في مدح أو ذم أو تشبيه أو تشبيب.

{إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} تقديره فإنهم لا يتبعونهم ولا يقولون ما لا يفعلون، قيل: لما نزلت هذه الآية أتى عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان فبكوا عنده وقالوا: هلكنا يا رسول الله فأنزل الله: {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فقرأ الآية عليهم فلما بلغ إلى قوله: {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فقال: ((أنتم)).

{وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} يعني في كلامهم {وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(٢٢٧)} أي وانتصروا بمعنى ردوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين فقابلوهم على نصرة المؤمنين وانتقاماً من المشركين.

قوله: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(٢٢٧)} وهذا وعيد لكل كافر وشاعر وغير شاعر وسيعلمون يوم القيامة أي منقلب ينقلبون يعني أي مصير يصيرون أي مرجع يرجعون لأن مصيرهم إلى النار وهو شر مصير ومرجعهم إلى جهنم شر مرجع.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة النمل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ} أي هذه آيات القرآن {وَكِتَابٍ مُبِينٍ(١)} والكتاب هو القرآن فجمع له بين الصفتين فإنه قرآن وإنه كتاب، والمبين الذي بين لنا فيه أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده.

{هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(٢)} يعني هدى إلى الجنة وبشرى بالثواب، ويحتمل هدى من الضلال وبشرى بالجنة.

{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يعني المفروضة وفي إقامتها وجهان أحدهما: إقامة شرائطها واستيفاء فرائضها وسننها، والثاني: المحافظة على مواقيتها {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} وهي زكاة الأموال المفروضة.

{فَهُمْ يَعْمَهُونَ(٤)} يعني يترددون وقد مضى تفسيره.

قوله تعالى: {..وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ(٦)} يعني تؤتى القرآن من عند حكيم في أمره عليم بخلقه.

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا} أي أحسست ناراً والإيناس الإحساس من جهة أنه يؤنس بها {سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ} يعني سأخبركم عنها بعلم {أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ} والشهاب الشعاع المضيء ومنه قيل للكوكب الذي يمد ضوءه في السماء شهاب، شعراً:

في كفه صعدة مثقفة فيها شعاع كشعلة القبس

والقبس هو القطعة من النار، ومنه اقتبست النار إذا أخذت منها قطعة واقتبست علماً إذا أخذت منه علماً لأنك تستضيء به كما تستضيء بالنار {لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ(٧)} أي لكي تصطلوا وكان شاتياً.

سورة النمل

قوله تعالىٰ: {فَلَمَّا جَاءَهَا} يعني التي ظن أنها نار وهي نور فلما رأىٰ موسىٰ النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع الشجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق لأنها لا تزداد النار إلا عظماً وتضرماً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً ؛ فعجب منها وهوىٰ إليها بضغث فمالت إليه فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلىٰ أن وضع أمره إلىٰ أنها مأمورة مسخرة إلىٰ أن {نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا} يعني من البركة قال الشاعر:

فبورك في بيتك وفي بيتهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء

وتقدير الكلام: بوركت النار و(من) زائدة، ومن حولها يراد به موسىٰ {وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٨)} استعانة بالله عز وجل وتنزيهاً له وأما الكلام فإن الله تعالىٰ خلق في الشجرة كلاماً حتىٰ سمعه موسىٰ -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالىٰ: {..وَأَلْقِ عَصَاكَ} قيل إن موسىٰ -عَلَيْه السَّلام- ظن أن الله تعالىٰ أمرها برفضها فرفضها {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ} والجان الحية الصغيرة سميت بذلك لاجتنانها واستتارها وكانت العصا قد أعطاها إياه ملك من الملائكة حين توجه إلىٰ مدين وكانت من عوسج واسمها ماشا {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} وهو مأخوذ من العقب أي لم يلتفت ولم يقف.

قوله تعالىٰ: {...وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا} يعني فهماً وفصل القضاء بين الخصوم ومعرفة منطق الطير {وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ(١٥)} وحمدهما شكراً لله علىٰ نعمه والذي فضلهما به علىٰ كثير من عباده المؤمنين النبوة والملك والعلم.

قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ} ورثه بنبوته وملكه وكان لداود سبعة عشر ولداً ذكراً وإنما خص سليمان بالوراثة لأنها وراثة نبوة وملك فلو كان وراثة المال لكان جميع أولاده فيه سواء وكان داود -عَلَيْه السَّلام- استخلفه في حياته على بني إسرائيل.

قوله تعالى: {..فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٧)} يعني يرد أولهم إلى آخرهم مأخوذ من وزعه عن الظلم أي كفه عنه، وقيل: لا بد للدين من وزعة ممن يمنع الناس عنه قول النابغة:

على حين عاينت المشيب على الصبى فقلت ألما نصح والشيب وازع

قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ} وهو واد بأرض الشام {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ} قيل كان للنملة جناحان فكانت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك ما علم {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} أي لا يهلكنكم {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١٨)} تعني سليمان وجنوده لا يشعرون بهلاك النمل وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها أكثر جنسه حساً لأنه إذا التقط الحبة من البر والشعير للادخار قطعها نصفين لئلا تنبت، وإن كانت كزبرة قطعها أربع قطع لأنها تنبت إذا قطعت قطعتين قال لهم بحسه فرق ما بين الأمرين فلهذا الحس قالت: {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ}.

{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} يعني تبسم من حذرها بالمبادرة واستبقائها للنمل فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ} معناه ألهمني أن أشكر نعمتك.

قوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ} قيل إن سليمان

سورة النمل

كان إذا سافر أظله الطير من الشمس فأخل الهدهد بمكانه فبان بطلوع الشمس بعده عنه وكان دليلاً لهم على الماء فكانوا إذا سافروا نقر لهم الهدهد عن أقرب الماء في الأرض فعند زوال الهدهد عن مكانه قال: {فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠)} أي انتقل عن مكانه أم غاب.

{لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا} يعني بالعذاب نتف ريشه حتى لا يمتنع عن شيء {أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} أي أقام غير طويل فيجوز أن يكون المراد به سليمان أي مكث سليمان غير بعيد، ويجوز أن يكون المكث غير بعيد للهدهد {فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} أي بلغت ما لم تبلغه وعلمت ما لم تعلمه {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢)} أي بخبر صدق وفي سبأ قولان أحدهما هو مدينة بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسير ثلاث ليال.

ورويناً أن الله تعالى بعث إلى سبأ اثني عشر نبيئاً، شعراً:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون سيله العرما

والثاني أن سبأ حي من أحياء اليمن.

قوله تعالى: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ} وهي بلقيس ابنة شرحبيل، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} يعني من كل نوع من أنواع الدنيا كلها {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)} يعني سرير عظيم وقيل كان مرصعاً بالجواهر مستر بالديباج والحرير.

قوله تعالى: {..أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ} وخبء السماوات المطر وخبء الأرض النبات وقرئ: ألا، وألاَّ؛ بالتخفيف والتثقيل.

وفي قول الهدهد لذلك وجهان أحدهما: أنه وإن لم يكن ممن علم وجوب التكليف بالعقل فهو ممن قد تصور بما لهم من طاعة سليمان أنه نبي مطاع لا يخالف في قول ولا فعل، والثاني: أنه كان كالصبي منا إذا راهق فرآنا على طاعة الله عز وجل تصور أن ما خالفها باطل، وكذلك الهدهد في تصوره أن ما خالف فعل سليمان باطل.

قوله تعالى: {..قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ} فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره فأتى مجلسها فجعل يدور فيه حتى ألقى الكتاب إليها {ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ} أي قريباً منهم {فَانْظُرْ} وفيه تقديم وتأخير ومعنى الكلام: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩)} الكريم صاحبه وتسخير الطير له .

قوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣١)} وقيل إنه أول من استفتح بهذا الابتداء،وأما قوله: أن لا تعلوا علي فهكذا كانت كتب الأنبياء موجزة مختصرة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط ولا إسهاب.

أن لا تعلوا علي: أي لا تتكبروا علي ولا تمتنعوا مني وأتوني مسلمين أي موحدين لله عز وجل، ويجوز أن يكون بمعنى طائعين مخلصين.

{قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} أي أشيروا علي في هذا الأمر الذي نزل بي وقيل: هي أول من وضعت المشاور {مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا} أي ممضية أمراً، وقرئ: قاضية.

سورة النمل

{حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ(٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ} أي أهل عَدَد وعُدد {وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} وكان تحت يدها اثنى عشر ألف قيل: تحت كل قبيل خمسون ألف مقاتل {وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ(٣٣)} عرضوا عليها الحرب.

قوله تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} يعني أخذوها عنوة وأخربوها {وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً} يعني أشرافهم وعظماؤهم أذلة يعني بالسيف والعنف.

قوله تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} قيل: أهدت إليه صحائف الذهب في أوعية الديباج وغلماناً لباسهم لباس الجواري وجواري لباسهن لباس الغلمان {فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥)} وفي هديتها قولان أحدهما: أرادت به الملاطفة والاستنزال نبوته من ملكه.

وفي معنى اختبارها قولان أحدهما: أنها اختبرته بالقبول والرد فقالت: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه على ملككم، وإن لم يقبل الهدية فهو نبي لا طاقة لكم بقتاله. والثاني: أنها اختبرته بتمييز الغلمان من الجواري.

وفي تمييز سليمان -عَلَيْه السَّلام- قولان أحدهما: أنه أمرهم بالوضوء فاغترف الغلام بيده واغترفت الجارية على يديها فميزهم بهذا. والثاني: أنهم لما توضئوا بدأ الغلام من كفه إلى مرفقه وبدأت الجارية من مرفقها إلى كفها فميزهم بهذا.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ} يعني فلما جاءت هداياها إلى سليمان ووصلت رسلها إليه لأن الهدهد قد سبق إلى سليمان فأخبر بالهدية والرسل فتأهب سليمان لهم وقيل إنها أنفذت مع رسلها بعصي كانت ملوك حمير يتوارثونها وقالت: أريد أن تعرفني رأس هذه من أسفلها، وبقدح قالت

تملأوه ماء ليس من ماء الأرض ولا من ماء السماء فقال سليمان للرسل حين وصلوا: {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} معناه أتزيدوني مالاً إلى ما تشاهدونه من أموالي {فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ} أي ما آتاني الله من النبوة والملك خير مما آتاكم من المال {بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ(٣٦)} فرد عليهم المال وميز الغلمان من الجواري وأرسل العصا إلى الهواء وقال أي الرأسين سبق فهو الأصل، وأمر الخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال: ليس هذا من ماء الأرض ولا من ماء السماء فهال الرسل ما شاهدوا.

قوله تعالى: {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ} وإنما قال ذلك للرسول أرجع ذلك إليهم بما جئت به من الهدايا {فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} أي لا طاقة لهم بها ثم قال: {وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ(٣٧)} إخباراً لهم عما يصنعه بهم ليسارع إلى الإيمان من وفق له وهذه سنة كل نبي.

قوله تعالى: {قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ} قيل لما عاد رسلها بالهدايا قالت: والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ثم بعثت إليه: أني قادمة عليك بملوك قومي ثم أمرت بعرشها فجعلته في سبعة أبيات بعضها في بعض وغلقت عليه الأبواب، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن فقال سليمان حين علم بقدومها عليه {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣٨)} وإنما أراد أن يجعل ذلك دليلاً لها على صدق نبوته لأنها خلفته في دارها وأوثقته في حرزها ثم جاءت إلى سليمان فوجدته قد تقدمها.

قوله تعالى: {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ} والعفريت المارد القوي وقيل المانع في كل شيء مأخوذ من قولهم فلان عفرته إذا كان مبالغاً في الأمور وقيل هو من العفر وهو الشديد زيدت فيه التاء فقيل عفريت {أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ} أي مجلسك وسمي مقاماً لإقامة صاحبه فيه

سورة النمل

كما قال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ(٥١)} [الدخان]. {وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(٣٩)} أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر.

قوله تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ} وهو جبريل -عَلَيْه السَّلام- {أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ} أي بالعرش {قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} يعني قبل أن يعود إليك طرفك من مجلسك {فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ} قبل أن يرتد إليه طرفه قال: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} يعني وصول العرش إلي قبل أن يرتد إلي طرفي {لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} يعني أأشكر على العرش الذي أوتيته في سرعته أم أكفر فلا أشكر إذا رأيت من هو أعلى مني في الدنيا ثم أمره الله تعالى بالشكر فقال: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} لأن في الشكر تأدية حق واستدعاء مزيد {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ(٤٠)} أي غني عن الشكر كريم في النقصان وهذا معجزة لسليمان -عَلَيْه السَّلام- أجراها سبحانه على يد من اختصه من أوليائه وكان العرش باليمن وسليمان بالشام فقيل إن الله خرق به الأرض حتى صار بين يدي سليمان -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا} أي غيروه يعني بما كان عليه من اللباس غير الأول فجعل مكان الأحمر أبيض ومكان الأبيض أسود {نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي} يعني إلى الحق بعقلها {أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ(٤١)} أي لا يعقلون.

{فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} وإنما قالت ذلك لأنها خلفته فوجدته أمامها وكان معرفتها له تمنع من إنكارها وتركها له وراءها يمنع من إثباته، وقيل إنها وجدت فيه ما بدل وغير فلذلك لم تثبته {وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا} هذا قول سليمان والعلم معرفة الله وتوحيده

والنبوة {وَكُنَّا مُسْلِمِينَ(٤٢)} أي طائعين لله بالاستسلام مخلصين له بالتوحيد.

قوله تعالى: {..قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ} والصرح صحن الدار يقال صرحة الدار وباحة الدار وساحة الدار وقاعة الدار كله بمعنى واحد وهو مأخوذ من التصريح ومنه صرح الأمر إذا أظهره، وقيل هو القصر قال الهذلي:

بهن مقام بناه الرجال تحسب أعلامهن الصروحا

{فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً} أي ماءً وكانت فيها أمثال الحيتان من الزجاج وإنما أراد بما فعل سليمان يختبر عقلها ومعرفتها وهل هي تعلم بها قد علموه من الصرح والممرد المملس ومنه الأمرد لملوسة خده وقيل هو الواسع في طوله وعرضه قال الشاعر:

غدوت صباحاً باكراً فوجدتهم قبيل الضحى في البابلي الممرد

قوله تعالى: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} يعني بالشرك الذي كانت عليه والثاني: بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها لما أمرت بدخول الصرح حسبته لجة وأن سليمان يريد يغرقها فلما بان له أنه صرح ممرد من قوارير علمت أنها ظلمت نفسها بذلك الظن {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤)} يعني استسلمت طائعة لله رب العالمين.

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥)} يعني كافر ومسلم ومصدق ومكذب. {قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} يعني العذاب قبل الرحمة {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ} أي تشاءمنا بك وبمن معك وفي تطايرهم

سورة النمل

به وجهان أحدهما: لافتراق كلمتهم، والثاني: الشر الذي نزل بهم {قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ} أي مصائبكم عند الله {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ(٤٧)} يعني تبتلون بطاعة الله عز وجل وبمعصيته.

قوله تعالى: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ} يعني من ثمود قوم صالح وهم عاقر الناقة وكانوا بأرض الحجر وهي أرض الشام وكانوا من أشراف قومهم {يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(٤٨)} يعني يفسدون بالمنكر ولا يصلحون بالمعروف، والثاني: يفسدون بالمعاصي ولا يصلحون بالطاعة.

قوله تعالى: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} أي لنقتلنه وأهله قبل البيات {ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ} ووليه رهط صالح وما شهدنا مهلك أهله أي قتله {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٤٩)} في إنكارنا لقتله.

{وَمَكَرُوا مَكْرًا} وهموا بما هموا به من قتل صالح {وَمَكَرْنَا مَكْرًا} وهو أن رماهم الله بالحجارة فأهلكوا بها {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٥٠)} بمكرنا قد شعرنا بمكرهم وقيل: وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزلهم الله تعالى على صالح ليحفظوه من قومه حتى دخلوا عليه ليقتلوه فرمي كل واحد منهم بحجر حتى قتلوا جميعاً وسلم صالح من مكرهم.

قوله تعالى: {...فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ} يعني ذات غضارة وحسن {مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا} أي ما كان في قدرتكم أن تخلقوا منها {أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} يعني أن ليس مع الله إله، والثاني: أئله مع الله يفعل مثل هذا الفعل {بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(٦٠)} عن الحق ويشركون بالله عز وجل فيجعلون له عدلاً أي مثلاً.

قوله تعالى: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا} أي جعلها مستقراً {وَجَعَلَ

خِلَالَهَا أَنْهَارًا} أي في مسالكها ونواحيها أنهاراً جارية ينبت به الزرع ويحيى به الخلق {وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ} يعني جبالاً هي ممسكة والأرض بها ثابتة {وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا} يعني البحر العذب والمالح، الحاجز المانع من اختلاطهما لا يبغي أحدهما على صاحبه {أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٦١)} يعني لا يعقلون ولا يعلمون توحيد الله عز وجل ولا يفكرون في خلقه.

قوله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} وإنما خص إجابة المضطر وإن كان قد يجيب غير المضطر لأمرين أحدهما أن رغبته أقوى وسؤاله أخضع، والثاني: لأن إجابته أعم وأعظم لأنها تتضمن كشف بلوى وإسداء نعماء {وَيَكْشِفُ السُّوءَ} يحتمل أن يكون عمن تولاه فلا ينزل به {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} يعني خلفاً بعد خلف لأن الأولاد خلف الآباء، ويجوز خلفاً من الكفار بنزول أرضهم وطاعة الله بعد كفرهم {أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٦٢)} أي ما أقل تذكركم لنعم الله عز وجل.

قوله تعالى: {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} يعني يرشدكم في مسالك البر والبحر ويخلصكم من أهوالهما والبر الأرض والبحر الماء {وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نشراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} يعني ملقحات، وقرئ بالباء ومعناها مبشرة بين يدي رحمته، والرحمة المطر {أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٣)} أي عما أشركوا به من عبادة الأوثان.

قوله تعالى: {...بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ} يعني تلاحق عليهم واجتمع في الآخرة.

قوله تعالى: {...قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ} ومعنى ردف يعني دنا واقترب وقيل معناه تبعكم قال أبو ذؤيب:

عاد السواد بياضاً في مفارقه ... لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردفا

سورة النمل

{بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ(٧٢)} يعني يوم بدر.

قوله تعالى: {...وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} والغائبة هو كل ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض وقيل: الغائبة القيامة وهي عامة في كل ما غيبه عن خلقه وأخفاه.

قوله تعالى: {...وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ} والدابة القائم بالحق المهدي الذي بشر به والأئمة -صلوات الله عليهم- ونرجو أن يكون النصر قد اقترب والعلو والظفر قد أرفى ومن الأرض: يعني بقاع اليمن فيكلمهم من الكلم وهو الجرح.

روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم)) وخروجه إظهار كفر الكافر وإبانة نفاق المنافق لأنهم يكونون قبله متسترين بالإيمان حتى يكشف سوأت نفاقهم ويبدي عورات كفرهم تبينهم تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر، وهو معنى قوله: {أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ(٨٢)}.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا} وهم الكافرون المكذبون برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وآياته وبراهينه {فَهُمْ يُوزَعُونَ(٨٣)} أي يجمعون ويرد أولهم على آخرهم.

قوله تعالى: {...وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} يعني يوم تعاد الأرواح إلى الصور {فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} يعني من الملائكة وقيل من الشهداء في سبيل الله تعالى.

قوله تعالى: {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} يعني أحكم كل شيء

وأحسنه.

قوله تعالىٰ: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} يعني بالحسنة التوحيد والإخلاص بطاعة الله، وقوله: خير منها لأنه يعطى بالحسنة عشراً. {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ} يعني الشرك.

قوله تعالىٰ: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا} يعني مكة.

قوله تعالىٰ: {..وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} على ما قال في الدنيا. والثاني: يريكم في الدنيا وهو ما ترون من الآيات في السماء والأرض فتعرفونها أنها حق {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٩٣)} من خير وشر فيجازي عليه.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة القصص

مكية إلا آية منها نزلت بين مكة والمدينة، قيل بالجحفة وهي: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ} [٨٥].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {...إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ} فيه وجهان ببغيه في استعباد بني إسرائيل، وقيل أولادهم. والثاني: كفره وادعائه الربوبية {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} أي فرقاً لأنه فرق بين بني إسرائيل والقبط {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} وهم بنو إسرائيل بالاستعباد والأعمال المضعة {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ} قيل إن فرعون رأى في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه عن تأويلها فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمرهم بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأسرع الموت في مشائخ بني إسرائيل فقال القبط لفرعون إن مشائخ بني إسرائيل قد فنيوا بالموت وصغارهم بالقتل فاستبقهم لعملنا وخدمتنا ؛ فأمر أن يستبقوا في عام ويقتلوا في عام ؛ فولد هارون في عام الاستحياء وموسى في عام القتل.

قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} يعني يوسف وولده، روينا ذلك عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- والآية عامة في كل من استضعف من صاحب ويدخل فيه الأئمة من آل الرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥)} والأئمة هم ولاة الأمر القادة المتبوعون ونجعلهم الوارثين أي نحكم لهم بحكم الأرض والميراث زوال الملك عمن كان له إلى من صار إليه.

قوله تعالى: {..وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ} والوحي هنا هو الإلهام من الله

تعالىٰ في قلبها وليس بوحي نبوة، وقيل إن الوحي كان رؤيا منام {أَنْ أَرْضِعِيهِ} فالوحي بالرضاع كان قبل الولادة {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} واليم البحر وهو النيل {وَلَا تَخَافِي} يعني الغرق والضيعة {وَلَا تَحْزَنِي} لفراقه وأن يقتل، فقيل إنها جعلته في تابوت وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في البحر بعد أن أرضعته ثمانية أشهر.

وقيل: لما ألقته قالت لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من إلقائه في البحر بيدي إلىٰ دوابه وحيتانه قال الله تعالىٰ: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧) فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ} يعني التقطنه جواري امرأة فرعون حين خرجن لاستقاء الماء فوجدن تابوته فحملنه إليها {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} أي ليكون لهم في عاقبة أمره عدواً وحزناً فاللام لام العاقبة لأنه لم يكن لهم عدواً في الحال وحزنا، وامرأة فرعون أحبته حباً شديداً وفرحت به فذكر الحال بالمال كما قال الشاعر:

وللمنايا تربي كل مرضعة ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قوله تعالىٰ: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ} قيل إن أصحاب فرعون لما علموا بموسىٰ جاءوا ليذبحوه فمنعتهم وجاءت به إلىٰ فرعون وقالت: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} فقال فرعون: قرة عين لك وأما لي فلا.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((والذي نحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنه حرم نفسه ذلك)). {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٩)} أن هلاكهم علىٰ يديه وفي زمانه.

قوله عز وجل: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا} من كل شيء إلا من

سورة القصص

ذكر موسى وقيل الفارغ الوالد ومعنى أصبح أي صار كما قال الشاعر:

أصبحت المذمة للوليد

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي تبدي أنه ابنها {لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} يعني بالإيمان والعصمة {لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(١٠)} وقد كانت من المؤمنين ولكن تكون من المصدقين بـ{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧)}.

قوله تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ} أي استعلمي خبره وتتبعي أثره {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ} فيه قولان أحدهما: عن جانب، والثاني: عن بعيد ومنه قول علقمة:

من عبده نائلاً في جنابه فإني امرء وسط القباب غريب

قوله تعالى: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(١١)} أنها أخته ؛ لأنها كانت تسير على ساحل البحر حتى رأتهم قد أخذوه.

قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} لأن المراضع عرضن عليه فأباهن ولم يقبلهن {فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ(١٢)} وهذا قول أخته حين رأته لا يقبل المراضع فقالوا لها عند قولها لهم وهم له ناصحون: وما يدريك لعلك تعرفين أهله؟ فقالت: لا، ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ويرغبون في محبوبه.

قوله عز وجل: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ} قيل إن أخته انطلقت إلى أمه فأخبرتها فجاءت فلما وضعته في حجرها نزل إلى ثديها فمصه حتى امتلأ

جنباه ريا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون: أن قد وجدنا لابنك ظئراً، وقيل إن فرعون كان يعطي أم موسى على إرضاع موسى كل يوم دينار، وقيل إنه قال لأم موسى حين ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ قالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني. وكان من لطف الله تعالى أن جعل إلقاء موسى في البحر سبباً لنجاته وسخر فرعون لتربيته وهو يقتل الخلق من أبناء بني إسرائيل لأجله وهو في بيته وتحت كنفه.

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} في قوله: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧)} {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} يعني من قوم موسى {لَا يَعْلَمُونَ(١٣)} كيف علمها.

قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} قيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة، وقيل عشرون سنة، وقيل أربعون سنة {وَاسْتَوَى} يعني اعتدل القوة وانتهى الشباب {ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} والعلم الفهم والفقه فيما في دينه من الشرائع والحدود.

قوله عز وجل: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} وهي مصر {عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} قيل دخلها وهم قائلون، وقيل: دخلها ما بين المغرب والعشاء، وقيل على غفلة منهم لبعد عهده به {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} والذي كان من شيعته إسرائيلي والذي كان من عدوه قبطي {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} قيل إن القبطي سخر الإسرائيلي حطباً لمطبخ فرعون فأبى عليه واستغاث بموسى وكان القبطي خبازاً لفرعون {فَوَكَزَهُ مُوسَى} قيل وكزه بعصاة وقيل وكزه بكفه أي دفعه والوكزة واللكزة واحدة، وقيل الوكزة في الصدر واللكزة في الظهر ففعل موسى ذلك وهو لا يريد قتله وإنما يريد دفعه

سورة القصص

{فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} أي قتله {قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} وقيل: لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ في تلك الحال لأنها كانت حال كف عن القتال.

قوله تعالىٰ: {..قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} من النبوة والمعرفة {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ(١٧)} أي عوناً قال ذلك فابتلي لأن صاحبه الذي أعانه دل عليه.

قوله تعالىٰ: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا} من قتل النفس أن يؤخذ بها {يَتَرَقَّبُ} يعني يتربص وينتظر {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ} يعني الإسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز من أجله حتى قتله استصرخه فاستصرخه علىٰ رجل آخر من القبط خاصمه {قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ(١٨)} وإنما قال ذلك للقبطي فظن الإسرائيلي أنه عناه فجاءه {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} وهو القبطي لأن موسىٰ -عَلَيْه السَّلام- أخذته الرقة علىٰ الإسرائيلي قال الإسرائيلي: {يَامُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ} فيه قولان أحدهما: أن الإسرائيلي رأىٰ غضب موسىٰ عليه وقوله: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ(١٨)} فخاف أن يقتله قال: {أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ} والثاني أن الإسرائيلي خاف أن يكون موسىٰ يقتل القبطي فيقتل به الإسرائيلي فقال ذلك دفعاً لموسىٰ عن قتله فانطلق وأشاع أن المقتول قتله موسىٰ بالأمس.

{إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} يعني قتالاً في الأرض فإن الجبابرة القتل بغير حق {وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ(١٩)} أي ما هكذا يكون الصلاح.

قوله تعالىٰ: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ} وهو: مؤمن آل

فرعون واسمه شمعون {قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} يعني يتشاورون في قتلك قال النمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شبهة وفي كل حادثة تؤمر

وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ومنه قوله تعالى: {وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق:٦]، أي ليأمر به بعضكم بعضا.

قوله تعالى: {...وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} قيل إنه عرض لموسى أربع طرق فلم يدر أيتها يسلك {قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(٢٢)} أي قصد الطريق إلى مدين ومدين كان عليه قوم شعيب.

قوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} قيل لما خرج موسى من مصر وبينه وبينها ثلاث(١٠٤) ليال ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر خرج حافياً فما وصل حتى وقع خف قدميه {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} أي جماعة يسقون غنمهم ومواشيهم {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} يعني تحبسان قال الشاعر:

أذود على باب القوافي كأنما أذود بها سرباً من الوحش ترعى

ويجوز أن يكون بمعنى تمنعان كما قال الشاعر:

لقد سلبت عصاك بنو تميم فما تدري بأي عصا تذود

وفي ذودهما ثلاثة أقاويل أحدهما: يعني أنهما تحبسان عنها عن الماء لضعفهما عن زحام الناس. والثاني: أنهما تذودان الناس عن غنمهما عن أن

(١٠٤)- نخ : ثمان .

سورة القصص

تختلط بأغنام الناس {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} أي ما شأنكما، وفي الخطب تفخيم الشيء ومنه الخطبة لأنها من الأمر المعظم.

{قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} والصدر الإنصراف عن الماء ومنه الصدْر لأن التدبير يصدر عنه والمصدر لأن الأفعال تصدر عنه والرعاء جمع راع {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ(٢٣)} وفي قولهما ذلك وجهان أحدهما قالت ذلك اعتذاراً إلى موسى من معاناتهما بسقي الغنم بأنفسهما، والثاني: وهو الأولى أنهما قالتا ذلك لموسى ترقيقاً ليعاونهما {فَسَقَى لَهُمَا} وفيه قولان أحدهما أنه زاحم القوم حتى سقى لهما، والثاني: أتى بئراً عليه صخرة لا يقلها من أهل مدين إلا عشرة فاقتلعها بنفسه وسقى لهما وقيل: لم يسق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم.

{ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ} يعني شجرة يقال لها السمرة {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤)} قال ذلك وقد لصق بطنه بظهره من الجوع فعرض لهما لحاله فقال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤)} وتمنى شبعة من طعام.

قوله تعالى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} قيل إن أباهما استنكر سرعة عودهما وصدرهما بغنمهما حفلاً بطاناً فقال لهما: إن لكما اليوم لشأناً فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فجاءته تمشي على استحياء قيل إنها كانت مستترة بحيث لم يبين من وجهها ولا قدمها شيء {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} يعني ليكافيك على ما سقيت لنا، فقيل إن موسى -عَلَيْه السَّلام- قال لها: امشي خلفي ودليني الطريق إن أخطأنا {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} أي أخبره بخبره مع آل فرعون {قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ(٢٥)} يعني أن ليس لفرعون وقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته.

قوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} والقائلة لذلك هي التي دعته وهي الصغرى يعني استأجره لرعي الغنم {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦)} أي القوي فيما ولي الأمين فيما استودع.

يروى أن أباها لما قالت له ذلك قال لها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان وكان لا يكشفها إلا دون عشرة نفر، وأما أمانته فإنه خلفني خلف ظهره حين مشى.

قوله تعالى: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} فقال له موسى أيهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك فزوجها منه {عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} أسقط ذكر العمل واقتصر على المدة لأنه مفهوم بينهما والعمل رعي الغنم وهذه الثماني الحجج هي شرط للأب والمهر غيرها {فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} قيل إنه كان على نبي الله موسى ثمان حجج واجبة وكانت سنتان عدة منه فقضى الله عدته فأتمها عشرا.

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٢٧)} في حسن الصحبة والثاني فيما وعده به {قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ} يعني لا سبيل علي {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ(٢٨)} يعني شهيد وحفيظ.

وروينا عن أبينا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((موسى أجر نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه فقال: {أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ} قال أبرهما وأوفاهما)).

قوله تعالى: {أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ} فيها ثلاثة أوجه أحدها: أنها شعلة من النار قال الشاعر:

سورة القصص

وألقى على قيس من النار جذوة شديداً عليها حميها والتهابها

والثاني: شهاب من نار. والثالث: عود فيه نار ليس له لهب.

قوله تعالى: {...فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا} أي معيناً وزيادة، قال الشاعر:

وأسمر خطي كأن كعوبه نوى القشب قد أردى ذراعاً على العشر

قوله تعالى: {...وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} قيل كان بينها وبين قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى(٢٤)} [النازعات]، أربعين سنة {فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ} وقيل هو أول من طبخ الآجر {فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} والصرح القصر الكبير العالي وهو أول من صنع له الصرح {لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨)}.

قوله: {..فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} واليم البحر يقال له أسناف من وراء مصر غرقهم الله فيه.

{..وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ(٤٢)} أي من المشوهين بالعذاب وقيل من المهلكين.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} يعني التوراة وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ} وقيل : ما أهلك الله أمة من الأمم ولا قرناً من القرون ولا قرية من القرى بعذاب من السماء والأرض منذ أنزلت التوراة على وجه غير القرية التي مسخهم الله قردة ألم تر إلى قوله : {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٤٣)}.

قوله تعالىٰ: {...وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} وهو خطاب للنبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- وما كنت يا محمد بجانب الطور إذ نادينا موسىٰ.

قوله تعالىٰ: {...قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا} وقرئ سحران تظاهرا، ومن قرأ ساحران فالمراد به موسىٰ وهارون ومن قرأ سحران فالمراد به التوراة والقرآن.

قوله تعالىٰ: {...وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} معناه بينا لهم وقيل معناه تممنا كطلبك الشيء بالشيء، والثالث: أتبعنا بعضه بعضاً، والقول: هو ما أخبر الله به عز وجل من أخبار الدنيا والآخرة وخبر من أهلك من قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا وقوم هود بكذا {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٥١)} ومعنىٰ يتذكرون أي يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم، ويجوز أن يكون المعنىٰ يتعظون بالقرآن عن عبادة الأوثان.

{الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ(٥٢)} يعني الذين آتيناهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن هم بالقرآن يؤمنون. وفيه وجه ثان: وهو أن يكون المعنىٰ والذين آتيناهم الكتاب من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون.

وفي سبب نزولها قولان أحدهما: أنها نزلت في عبدالله بن سلام وتميم الرازي والجارود العبدي وسلمان الفارسي أسلموا فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها .

والثاني : أنها نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مؤمنين بالنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه، وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرىٰ

سورة القصص

وأبرهة والأشرف وعامر وإدريس ونافع ؛ فأنزل الله فيهم هذه الآيةوالتي بعدها إلى قوله: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} لإيمانهم بالكتاب الأول وإيمانهم بالكتاب الآخر، ومعناه بما صبروا على طاعته واجتناب معصيته واحتمال الأذى من قومهم على الإيمان.

{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} يعني يدفعون بالمعروف الذي هو الحسنة المنكر الذي هو السيئة وتحملهم جهل الجاهل وسفاهة السفيه ويجيرهم من شر الأشرار ومكيدة الكفار {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٥٤)} يعني بإيتاء الزكاة وإنفاق الرجل في الجهاد وعلى الأهل والأولاد.

قوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} وهذه الآية في كل من سمع أو رأى المنكر فلم يقدر على دفعه وإنكاره وأن يعرض عنه ولا يقرب منه، وقيل: إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم، وإذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوه من نعت النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصفته أعرضوا عنه وذكروا تبديله.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم لم يكونوا يهوداً ولا نصارى وكانوا على دين أنبياء الله تعالى وكانوا ينتظرون بعثة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فلما سمعوا بظهوره بمكة قصدوه فعرض عليهم القرآن وأسلموا فكان أبو جهل ومن تبعه من كفار قريش يلقونهم فيقولون لهم: إنكم قوم منظور إليكم تبعتم غلاماً قد كرهه قومه وهم أعلم به منكم فإذا قالوا لهم ذلك أعرضوا عنهم وقالوا: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} يعني لنا ديننا ولكم دينكم ولنا أحكامنا ولكم أحكامكم {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ(٥٥)} يعني لا نجاريهم على ما يقولون ولا نتبعهم فيما يفعلون.

قوله تعالىٰ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} يعني من أحببت هدايته {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(٥٦)} يعني من يهتدي إلىٰ الدين.

قوله تعالىٰ: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} وهذه الآية نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي – صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله–: إنا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدىٰ معك ونؤمن بك مخافة أن تخطفنا العرب من أرضنا يعني مكة وإنما نحن أكلة رأس العرب ولا طاقة لنا بهم فأجاب الله تعالىٰ عما عنىٰ قال: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا} بما في النفوس عليه من السكون إليه حتىٰ لا تنفر الغزال والذئب والحمام والحدا. والثاني: أنه جعله آمناً بالأمر الوارد من جهته بأمان من دخله من الجبارين {يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} أي تجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد، وذكر لنا أن كتاباً وجد عند المقام فيه: (أنا الله لا إله إلا أنا، وبكة صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر وحرمتها يوم خلقت السماوات وحففتها بسبعة أملاك يأتيها رزقها من ثلاث سبل مبارك لأهلها في الماء واللحم أول من يحلها أهلها). {رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} أي عطاء من عندنا {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٥٧)} لا يعقلون ويتدبرون.

قوله تعالىٰ: {..وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا} يعني في معظم القرىٰ وقيل المراد بها مكة.

قوله تعالىٰ: {..أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ} قيل إن الآية نزلت في حمزة بن عبدالمطلب والوعد الحسن الجنة وملاقاتها دخولها {كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} هو أبو جهل {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(٦١)} يعني من المحضرين للجزاء.

قوله تعالىٰ: {...فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ} فيه وجهان أحدهما:

سورة القصص

الحجج، والثاني: الأخبار {فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ(٦٦)} يعني بالأنساب، ويجوز لا يسأل بعضهم بعضاً أي يحمل من ذنوبه شيئاً.

قوله تعالى: {..وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} أي وربك يخلق ما يشاء من الخلق ويختار ما يشاء للنبوة والإمامة {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} أي ما كان لهم فيه الخيرة فيكون ذلك إثباتاً. والثاني: معناه ما كان للخلق على الله تعالى الخيرة فيكون ذلك نفياً وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال ما حكى الله تعالى في سورة الزخرف: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ(٣١)} [الزخرف]، يعني نفسه وأبا مسعود الثقفي، فقال الله تعالى: {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} أن يتخيروا على الله الأنبياء {سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٨)}.

قوله تعالى: {...وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} فيه وجهان أحدهما: معناه أخرجنا من كل أمة رسولاً مبعوثاً إليها. والثاني: أحضرنا من كل أمة رسولاً يشهد عليها أن قد بلغ رسالة ربه إليها {فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} أي حجتكم وبينتكم {فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ} أي العدل لله {وَضَلَّ عَنْهُمْ} يعني يوم القيامة {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٧٥)} في الدنيا من الكذب.

قوله تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} وكان ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان قارئاً للتوراة ولكن كان عدواً لله نافق كما نافق السامري {فَبَغَى عَلَيْهِمْ} يعني كفر وتجبر عليهم بكثرة أمواله وأولاده وتعدى على بني إسرائيل وظلمهم {وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ} قيل إنه وجد كنزاً تحت الأرض {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ} يعني مفاتيح خزائنه لتنوء بالعصبة أي لتثقل العصبة وقيل إنه مأخوذ من النائي وهو البعيد قال الشاعر:

ينأون عنا وما ننسى مودتهم فالقلب منهم رهين حيث ما كانوا

والعصبة فيها أقاويل أحدها: أنها عشرة لقول أخوة يوسف: {وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف:٨]، وقيل إنها سبعون رجلاً، وقيل إنها أربعون رجلاً، وقيل ما بين العشرة إلى خمسة عشر {أُولِي الْقُوَّةِ} يعني أولي الشدة {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} فيه قولان أحدهما أنه قول المؤمنين منهم، والثاني: أنه قول موسى {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦)} أي لا ينظر إليهم.

قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} يعني اعمل ما أنت عامل للجنة {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أن تعمل لآخرتك والنصيب الحظ {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} أي وأحسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في إنعامه عليك ويجوز أن يكون المعنى اعط فضل مالك كما زادك على قدر الحاجة {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} أي لا تعمل فيها بالمعاصي {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)}.

قوله تعالى: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} أي على علم بوجه المكاسب.

قوله: {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨)} وهذا في بعض المواقف لأن من المواقف ما لا يسأل أحد فيه عن ذنبه.

قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} أي في حشمه وتبعه عليهم المعصفرات وكان أول يوم رؤيت المعصفرات فيه {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ} تمنوا مثل ما له رغبة في الدنيا {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٧٩)} أي لذو درجة عظيمة وجد عظيم.

قوله تعالى: {..فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} وذلك لأن موسى شكا على الله تعالى من قارون وشيعته وفسادهم فخسف الله بقارون وكنوزه

سورة القصص

وأهل ولايته.

قوله تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ} وتقدير الكلام وكأن الله والياء زائدة صلة غير أن الياء جعلت للتثنية وقيل معناه (ويك أن الله) يفصل بين الكاف والألف وجعل ويك بمعنى ويح ومنه قول الشاعر:

ولقد سقى نفسي وأبرى سقمها قتل الفوارس ويك عنترة أقدم

{يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} معناه بخير فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره.

قوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ -يعني الجنة- نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} يعني بغياً وتكبراً وظلماً وتجبراً فلا يجزعون من ذلها ولا يتنافسون في عزها ولا فساداً الأخذ بغير حق وارتكاب المعاصي {وَالْعَاقِبَةُ} يعني الجنة {لِلْمُتَّقِينَ(٨٣)}.

قوله تعالى: {..إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ} أي أوجب عليك العمل به وحملك تأديته وكلفك إبلاغه {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} يعني مكة.

قوله تعالى: {...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} يعني إلا هو لأن العرب تعبر عن الوجه وتريد به نفس الشيء تقول: هذا وجه الرأي وقيل: الوجه العمل، شعراً:

أستغفر الله ذنباً لست محصية رب العباد إليه الوجه والعمل

أي القضاء في خلقه بما يشاء من أمره. والثاني ليس لعباده أن يحكموا إلا بأمره {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٨٨)} فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.

[سورة العنكبوت]

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

روينا عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- أن هذه السورة سورة العنكبوت نزلت بين مكة والمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢)} معناه أظن الذين آمنوا أن يتركوا فلا يختبروا أصدقوا أم كذبوا وأن لا يؤذوا ولا يقتلوا وهذه الآية نزلت في ناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم المشركون فرجعوا فنزلت الآية فيهم ؛ فلما سمعوها خرجوا للهجرة فقتل منهم من قتل وخلص منهم من خلص فنزلت فيهم: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(٦٩)}. وقيل: إنها نزلت في عمار بن ياسر ومن كان يعذب في الله بمكة.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} فيه وجهان أحدهما: بما افترضه عليهم، والثاني: بما ابتلاهم الله {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)} معناه فليظهرن الله تعالى لرسوله صدق الصادقين بما ابتلاهم الله.

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} يعني الشرك وهم اليهود والنصارى {أَنْ يَسْبِقُونَا} أن يعجزونا {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٤)} أي ساء ما يقضون ويظنون.

قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ} ويرجو يعني يأمل ويجوز أن يكون بمعنى يخشى ولقاء الله ثوابه ورحمته {فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} يعني الجزاء في القيامة {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٥)} يعني السميع لمقالتهم العليم بمعتقدهم.

سورة العنكبوت

قوله تعالى: {...وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} أي ألزمناه يفعل بهما براً {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} أي ألزماك {لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي أن تجعل له شريكاً لأنه ليس لأحد بذلك علم {فَلَا تُطِعْهُمَا} فأمره الله بطاعة الوالدين في الواجبات وفي المباحات ندباً، ونهى عن طاعتهما في المحظورات، وقد جاء في الأثر عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)).

{إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} يعني يوم القيامة {فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٨)} يعني في الدنيا من خير يستحق به ثواب أو شر يستوجب به عقاب وحكم هذه الآية عام.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((أول نبي أرسل نوح وبعث من الجزيرة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاماً)).

قوله تعالى: {....فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} يعني آمن لوط بإبراهيم وكان ابن أخيه وآمنت به سارة وكانت ابنة عمه {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} يعني مهاجراً للظالمين وهاجر مركوبي وهي من سواد الكوفة إلى الشام.

{وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} أي العمل الصالح الذي استحق به الأجر في الآخرة، وقيل الذي أوتي في الدنيا هو الولد الصالح.

قوله تعالى: {..أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} أي تنكحوا الرجال {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} أي وتقطعون على المسافرين الطريق {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} أي في مجالسكم المنكر.

وروينا عن أم هانئ ابنة أبي طالب أنها روت عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه

وآله- أنهم كانوا يخذفون من مر بهم ويسخرون منه.

قوله تعالى: {...مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} يعني آلهة من الأصنام والأوثان التي يعبدونها {كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا} يعني أنهم عبدوا ما لا يغني عنهم شيئاً كبيت العنكبوت الذي لا يدفع عنه شيئاً وهو من أبلغ الأمثال فيهم {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} لأنه لا يستر الأبصار ولا يدفع الإيذاء.

قوله تعالى: {...اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يعني القرآن، وهذا خطاب للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن يتلو ما نزل منه على أمته {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} هي الصلاة المفروضة {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} وهي كل ما فحش فعله وقبح مسموعه، ،المنكر هو الشرك وكلما أنكره العقل والشرع من المحظورات.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((من لا تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا)) {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} أي أفضل وأجل من كل ذكر.

قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وذلك أن الله تعالى أمر بالكف عنهم عند بذل الجزية منهم وقتالهم إن أبوا {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} وهم أهل الحرب ومن منع الجزية منهم وأقاموا على كفرهم بعد قيام الحجة عليهم والآية التي فيها النهي عن المجادلة منسوخة بآية السيف {وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(٤٦)}.

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((كان أهل التوراة يقرأون الكتاب بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: لا تصدقوا أهل الكتاب وقولوا: {ءَامَنَّا

سورة العنكبوت

بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(٤٦)} أي مخلصون.

قوله تعالى: {..وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} أي لا تكتبه بيمينك، ومعنى ذلك أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته {إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ(٤٨)} وهم مشركو العرب من اليهود وغيرهم {بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} والمراد بالذين أوتوا العلم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- فإنه أمي لا يقرأ ولا يكتب {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ(٤٩)} أي المشركون.

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ} وهذا قول المشركين لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- ومعناه هلا أنزل عليه آيات من ربه وذلك أنهم كانوا يسألونه آيات يقترحونها عليه كما كان يفعله مشركو قريش أن يجعل الصفا ذهباً ويجري بمكة نهراً {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} أي أن الله تعالى هو الذي يعطي ما يشاء من الآيات من الأنبياء بحسب ما يرى من المصلحة ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بنوع منها {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ(٥٠)} يعني أن النبي مندوب للإنذار والبيان لا لما يقترح عليه من الآيات وإنما يلزم أن يأتي بما يشهد بصدقه من المعجزات وقد فعل الله تعالى ذلك وأجابهم به فقال: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} يعني القرآن {يُتْلَى عَلَيْهِمْ} آية لك ودليلاً على صدقك لما فيه من الإعجاز في نظمه وصدق خبره وصحة وعده {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً} يعني القرآن لرحمة {وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٥١)} يعني بالرحمة استنقاذهم من الضلال وبالذكر إرشادهم به إلى الحق، لقوم يؤمنون أي يريدون الإيمان

ولا يقصدون العناد.

قوله تعالى: {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} أي شهيداً على الصدق والإبلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لأنهم قد أقروا لعلمه فلزمهم أن يقروا بشهادته {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ} يعني بعبادة الأصنام والأوثان {وَكَفَرُوا بِاللَّهِ} لتكذيبهم برسله وجحدهم بكتبه، والثاني بما أشركوه من الآلهة وأضافوه إليه من الأولاد والأنداد {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٥٢)} يعني خسروا أنفسهم بإهلاكها وخسروا في الآخرة بالمعاصي نعيم الجنة.

قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} واستعجالهم شدة عنادهم لنبيه. والثاني: أنه استهزاؤهم بقولهم: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٢)} [الأنفال].

{وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى} أي يوم القيامة، والثاني: انه الوقت الذي قدره الله عز وجل لعذابهم وهلاكهم {لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} الذي استعجلوه {وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} أي فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(٥٣)} أي لا يعلمون بنزوله بهم.

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((تقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى جوفه حتى تقوم الساعة)).

قوله تعالى: {...يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ} أي جانبوا أهل المعاصي بالخروج من أرضهم واطلبوا أولياء الله بالخروج إليهم {فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ(٥٦)} أي بالهجرة وأن لا تطيعوا أحداً في معصيتي.

قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} يعني أن كل حي ميت وأن أنبياء الله وإن اختصوا بكرامته وتفردوا برسالته فحلول الموت بهم كحلوله

سورة العنكبوت

بغيرهم حتى لا يظنوا الموت ممن مات منهم.

وروينا عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن زين العابدين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- قال: (لما توفي رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب). {ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ(٥٧)} يريد به البعث يوم القيامة بعد الموت في الدنيا.

قوله تعالى: {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا} قرئ ولنثوينهم بالثاء من الثوى وهو المقام فأما لنبوئنهم فمعناه لنسكننهم والغرف أعالي البيوت وإنما خصهم بالغرف لأمرين أحدهما أن الغرف لا تستقر إلا على البيوت فصار فيهما جميعاً جمعاً بين الأمرين. والثاني: لأنها أنزه من البيوت السفلى لإشرافها.

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله عز وجل لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام)).

قوله تعالى: {..وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} يعني تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئاً، وقيل: تأكل ولا تدخر لغدها {اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} يعني يسوي بين الحريص والمتوكل وبين الراغب والقانع في رزقه وكذلك بين الحيول والعاجز حتى لا يعتبر الجلد أنه من رزق بجلده ولا يتصوره العاجز أنه ممنوع لعجزه.

قوله تعالىٰ: {...وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} يعني الحياة الدائمة، والحيوان والحياة بمعنىً واحد.

قوله تعالىٰ: {...أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا} أراد به مكة وقريشاً أمنهم الله تعالىٰ بها {وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} يعني أن بعضهم يقتل بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فذكرهم الله تعالىٰ بهذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة {أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ} الباطل المراد به الشرك {وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ(٦٧)} والنعمة العافية والصحة والإحسان والهداية إلىٰ طريق الجنة وهذا تعجب وإنكار خرج مخرج الاستفهام.

قوله تعالىٰ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} بأن جعل له شريكاً وولداً {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ} يعني بالتوحيد وجميع ما جاء به محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(٦٨)} أي مستقراً.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} أي جاهدوا أعداءنا وقاتلوهم في نصرة أوليائنا واجتهدوا في العمل في الطاعة والكف عن المعصية رجاء في ثوابنا وحذراً من عقابنا {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} أي الطريق إلىٰ الجنة والتوفيق لدين الحق {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(٦٩)} في العون.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة الروم مكية بالاتفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الم(١) غُلِبَتِ الرُّومُ(٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} وسبب ذلك أنه كان بين الروم وفارس حروب وكان المسلمون يومئذ يحبون ظهور الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب وكان المشركون يحبون أن يظهروا فارس على الروم لأنهم كانوا عبدة الأوثان ونيران فغلب فارس الروم فسر بذلك المشركون وقالوا للمسلمين: إنكم تزعمون أنكم ستغلبونا لأنكم أهل كتاب وقد غلبت فارس الروم والروم أهل كتاب ؛ فأخبر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- فساءه فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين فلما قال: {وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ} سر بذلك المسلمون.

والبضع ما بين ثلاث إلى عشر وفي السنة التي غلبت فيها الروم قولان أحدهما: عام بدر ظهر الروم فيه على فارس وظهر المسلمون فيها على قريش وكان في يوم بدر، والثاني: عام الحديبية. وأما ظهور فارس على الروم فقد كان قبل الهجرة بسنتين، وأما قوله: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} وأدنى الأرض طرق الشام.

قوله تعالى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} والبضع من العدد ما بين الثلاث والعشر، روينا ذلك عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأما النيف ففيه قولان أحدهما: أنه ما بين الواحد والتسعة. والثاني: أنه ما بين الواحد والثلاثة.

{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} من قبل ما غلبت الروم ومن بعد أن غلبت، {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} يعني ينصر الروم على فارس وفي سرورهم على ذلك أقاويل: أحدها: لتصديق خبر الله وخبر الرسول أن الروم تظهر على فارس. والثاني: لأنهم أهل كتاب

مثلهم. والثالث: لأنهم مقدمة لنصرهم على المشركين ينصر من يشاء من أوليائه لأن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه.

قوله تعالى: {..يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فيه وجهان أحدهما: يعلمون أمر معايشهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف يبنون. والثاني: ظاهر الحياة الدنيا ما لا يسعهم جهله من التكاليف من غير تحقيق منهم لها {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ(٧)} أي عما أعد الله لهم في الآخرة من ثواب على طاعة وعقاب على معصية. والثاني: عما أمرهم الله به من طاعة وألزمهم إياه من عبادة.

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} يحتمل ثلاثة أوجه أحدها: إلا بالعدل. والثاني: إلا بالحكمة. والثالث: إلا بأن استحق عليهم الطاعة والشكر وفيه وجه رابع معناه: إلا بالحق بالثواب والعقاب {وَأَجَلٍ مُسَمًّى} فيه وجهان أحدهما: قيام الساعة. والثاني: أجل كل مقدور له على ما قدر فدل بذلك على أمرين دل به على الفناء، ودل على أن لكل مخلوق أجلاً.

قوله تعالى: {...ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى} أي كفروا السوء عذاب جهنم وكلما يسؤهم من أليم العقاب {أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} أي لأن كذبوا بآيات الله وفي تكذيبهم وجهان أحدهما: تكذيبهم لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وما أنزل عليه من القرآن، والثاني: تكذيبهم بما أوعده أهل المعاصي من النار والعذاب {وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ(١٠)} أي بالآيات يبلس المجرمون قيل إن الإبلاس الإياس وقيل هو الندامة والحسرة، وقد مر الاستشهاد فيه.

قوله تعالى: {...فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ(١٥)} يعني يكرمون وينعمون، والحبرة عند العرب السرور والفرح قال العجاج:

سورة الروم

الحمد لله الذي أعطى الحبر

وأما الروضة فهي البستان المتناهي منظراً وحسناً وطيباً ولم يكن عند العرب أحسن منها منظراً ولا أطيب منها ريحاً قال الأعشى:

يا روضة من رياض الحسن معشبة   خضراء جال عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق   موزر بنعيم النبت مكتحل
يوما بأطيب منها نشر رائحة   ولا بأحسن منها إذ دنى الأصل

قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ(١٦)} أي نازلون مخلدون فيه.

قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ(١٧)} فيه قولان أحدهما: فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون. والثاني: معناه فصلوا لله، وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان أحدهما: لما تضمنتها من التسبيح والركوع والسجود. والثاني: مأخوذ من السبحة والسبحة الصلاة لقول رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((يكون لكما سبحة)) وقوله: {حِينَ تُمْسُونَ} عنى به صلاة المغرب والعشاء {وَحِينَ تُصْبِحُونَ(١٧)} صلاة الصبح {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي الحمد لله على نعمه. والثاني: الصلاة لله لاختصاصها بقراءة الحمد والفاتحة {وَعَشِيًّا} يعني بعد صلاة العصر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ(١٨)} يعني بعد صلاة الظهر وإنما خص صلاة الليل بالتسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في أحوال توجب حمد الله عليها، وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد في ا لنهار أخص فسميت به

صلاة النهار، والتسبيح بالليل أخص فسميت به صلاة الليل.

والفرق بين المساء والعشاء أن المساء بدو الظلام بعد المغيب، والعشاء آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب، وهو مأخوذ من عشى العين وهو نقص النور من الناظر لنقص نور الشمس فكأن هذه الآية جامعة لأوقات الصلوات الخمس.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: كل صلاة ذكرت في كتاب الله عز وجل قبل الليلة التي أسري برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فيها فليست من الصلوات الخمس لأنها فرضت في الليلة التي أسري به فيها وذلك قبل الهجرة بسنة وهذه الآية نزلت بعد ليلة الإسراء وقبل الهجرة.

قوله عز وجل: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} قد ذكرنا ما فيه من التأويلات في سورة آل عمران {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني بالنبات لأنها حياة أهلها فصار كالحياة لها {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ(١٩)} كما أحيى الأرض بإخراج النبات كذلك يحييكم بالبعث والنشور.

قوله تعالى: {..وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني آدم خلقت من طينته حواء. والثاني: أنه خلق سائر الأزواج من أمثالهم من الرجال والنساء {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} أي لتستأنسوا إليها لأنه جعل بين الزوجين من الأُنْس ما لم يجعله بين غيرهما {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} المودة المحبة والرحمة الشفقة والرحم بين الزوجين {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢١)} في البعث بعد الموت.

قوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي دلالات يعجز الخلق عن إحداث مثلها {وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} اختلاف الألسنة المراد به الكلام وللعرب كلام وللفرس كلام وللروم

سورة الروم

كلام، وألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وقيل اختلاف ألسنتكم النغمة والصوت حتى لا يشتبه صوتان مع التشاكل وإنما فعل ذلك حكمة دل بها على قدرته حتى لا يشتبه الناس في المعارف والمناكح والحقوق {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(٢٢)} روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: الجن والإنس، وقد قرئ للعالِمين بكسر اللام وهو جمع عَالِم وهم علماء العترة -عليهم السلام-.

قوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} وتقدير الكلام ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، وابتغاء الفضل التصرف والعمل فجعل النوم بالليل دليلاً على الموت والتصرف في النهار دليلاً على البعث {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ(٢٣)} أي يسمعون الحق فيتبعونه ويمر بهم الوعظ فيخافونه.

{وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا} من الصواعق {وَطَمَعًا} في الغيث وقيل: خوفاً من البرق وطعماً في المطر.

{وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} يعني بتدبيره وحكمته وإذنه أن تقوم بغير عمد {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ} أي وأنتم في الأرض موتى في قبوركم {إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ(٢٥)} أي من قبوركم مبعوثين للقيامة فصار إخراجهم بمنزلة دعائهم وإن لم يكن هناك دعاء كقوله: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٨٢)} [يس].

قوله تعالى: {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ(٢٦)} أي مطيعون، وروينا عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة)). والثاني: يقرون بالعبودية قانتون بالشهادة أنهم عباد الله تعالى.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} معناه أن إعادة الخلق أهون على الله من ابتداء الخلق على ما قد استقر في عقول الخلق أن إعادة الشيء أهون من ابتدائه وأن جميعه على الله هين.
والثاني: معناه أهون عليه أي هين عليه كما قال الشاعر:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي دعائمه عزيزة طويلة،ومعنى أهون أي أيسر وأسهل قال الشاعر:

وهان على أسماء أن شطت النوى ... يحن إليها والهٌ ويتوق

أي سهل عليها {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أي الصفة العليا {وَهُوَ الْعَزِيزُ} يعني في قدرته وانتقامه {الْحَكِيمُ(٢٧)} في تدبيره لأمره وإعذاره للخلق وإنذاره.

قوله تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ} وهذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين الذين أشركوا به في العبادة وجعلوا معبوداً سوى الذي خلقهم ورزقهم وتأويل ذلك: أنه لما يشارككم عبيدكم في أموالكم لأنكم مالكون لهم فالله سبحانه وتعالى أولى أن لا يشاركه أحد من خلقه في العبادة له لأنه مالكهم وخالقهم {تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} ومعنى ذلك تخافون أن يشاركوكم في أموالكم تخافون ذلك من شركائكم.

قوله تعالى: {..فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} أي مستقيماً مخلصاً {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والفطرة الدين. وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((من فطرة إبراهيم السواك)) قال كعب بن مالك:

سورة الروم

إن يقتلوه فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل

{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أي لا تغيير لدينه {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} يعني المستقيم.

قوله تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} أي مقبلين إليه تائبين، قال قيس بن الأسلب:

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد أنابوا

وفي أصل الإنابة قولان أحدهما: أن أصله القطع ومنه أخذ الناب لأنه قاطع فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله تعالى بالطاعة. والثاني: أن أصله الرجوع مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة، ومنها: النوبة لأنه الرجوع إلى عادة.

قوله تعالى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} أي أوقعوا فيه الاختلاف حتى صاروا فيه فرقاً وقرئ (فارقوا دينهم) أي تركوه وهذه القراءة رويناها عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- وهذه في الروافض لأئمة الحق -عليهم السلام- وفي الخوارج {وَكَانُوا شِيَعًا} أي فرقاً {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(٣٢)} أي بما عندهم من الضلالة مسرورون.

قوله تعالى: {...أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} يعني رسولاً {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ(٣٥)} أي يحتج به.

قوله تعالى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} والرحمة هنا النعمة والمطر {فَرِحُوا بِهَا} أي بالرحمة {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي بلاء وعقوبة واختلاف المطر {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} أي بذنوبهم {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ(٣٦)} والقنوط الإياس من الرحمة والفرج.

قوله تعالىٰ: {..فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} وهم ذوو قربى الرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الذين لهم الخمس وقد مر ذكرهم {وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} يعني من ذوي القربى وقد مر تفسيرهما.

قوله تعالىٰ: {وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} فيه تأويلان أحدهما: أنه الرجل يهدي هدية ليكافأ عليها بأفضل منها. والثاني: أنه في رجل يهب هبة رجلاً من ذوي قرابته مالاً ليصير به غنياً ذا مال ولا يفعله طلباً لثواب الله تعالىٰ، ومعنى: {فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} أي فلا يكون له ثواب عند الله {وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} يعني الصدقة المفروضة {فَأُولَئِكَ} عند الله {هُمُ الْمُضْعِفُونَ(٣٩)} فيه وجهان أحدهما: يضاعف لهم الحسنات لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. والثاني: يضاعف أموالهم في الدنيا بالزيادة فيها.

قوله تعالىٰ: {..ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي في كفران نعم الله عز وجل وارتكاب المعاصي والمراد بالبر أهل البر وبالبحر أهل البحر، والبر الفيافي والبحر الأمصار وأهل الريف لأن العرب تسمي القرى البحر، وقيل: الفساد هو القحط والجدب {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} أي بذنوبهم وسيئات أعمالهم {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} أي بعض عقاب الذي عملوا من المعاصي لأن للمعصية جزاء معجلاً في الدنيا وجزاء مؤجلاً في الآخرة فصار عذاب الدنيا بعض الجزاء {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١)} أي عن المعاصي إلى الحق والطاعة.

قوله تعالىٰ: {..فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} أي استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ} يعني يوم القيامة {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ(٤٣)} معناه يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله تعالىٰ: {فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ(٤٤)} أي يواطئون مقاعدهم

سورة الروم

بالأعمال الصالحة.

قوله تعالى: {..وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} يعني بالغيث قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهي عذاب، والرياح ثمانية: أربع منها رحمة، وأربع منها عذاب؛ فأما الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات. وأما العذاب: فالعقيم، والصرصر وهما في البر، والعاصف، والقاصف وهما في البحر.

{وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} يعني المطر {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ} يعني السفن {بِأَمْرِهِ} يعني بقدرته في تسييرها {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٤٦)} يعني ما عدده من النعم فتطيعوه لأن طاعة العبد لربه من شكره لنعمته إذ ليس مع المعصية شكر ولا مع كفر النعمة طاعة.

قوله تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧)} يعني نصر الأنبياء والأئمة -عليهم السلام- بإجابة دعائهم على المكذبين لهم من قومهم.

قوله تعالى: {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} أي قطعاً قد تواكب بعضه على بعض {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} أي من خلال السحاب وقرئ: يخرج من خلله. وفي الودق تأويلان أحدهما: أنه البرق. والثاني: أنه المطر، ومنه قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا الأرض أخرجت أثقالها

قوله تعالى: {..فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ} يعني المطر {كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني بالماء حين أنبتت شجراً ومرعى بعد أن كانت

بالجدب مواتاً {إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ} لأن القادر على إحياء الأرض الموات قادر على إحياء الأموات استدلالاً بالشاهد على الغائب.

قوله عز وجل: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} يعني فرأوا السحاب مصفراً لأن السحاب إذا كان كذلك لم يمطر، ويجوز فرأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره {لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ(٥١)} ومعنى ظل أنه أوقع الفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل لأنه وقت يختص بأهم الأمور لتقديمه على نية من الليل وكذلك قولهم: أضحى يفعل لكن قد يعبر بقولهم ظل يفعل عن فعل أول النهار وآخره تسامحاً واتساعاً وقلما يستعمل قوله: أضحى يفعل إلا في صدر النهار دون آخره.

قوله عز وجل: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ} والموتى هم الذين يموتون على كفرهم وهم الصم الذين تولوا عن الهدى فلم يسمعوه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر بالميت فكما أن الميت إذا خوطب لم يسمع والأصم إذا دعي لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع الوعظ لأن الكفر قد أماته والضلال قد أصمه.

قوله عز وجل: {وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(٥٢)} والأصم لا يسمع الدعاء لا مقبلاً ولا مدبراً ولكن إذا دعي مقبلاً فقد يفهم الإشارة وإن لم يسمع الصوت وإذا دعي مدبراً لا يفهم الإشارة ولا يسمع الصوت فلذلك حاله مدبراً أسوأ فذكر بأسوأ حاله.

قوله عز وجل: {..اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} يعني من نطفة {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} يعني شباباً {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا} يعني هرماً {وَشَيْبَةً} لأن بياض الشعر نذير بالفناء كما قال الشاعر:

رأيت الشيب من نذر المنايا ... بصاحبه وحسبك من نذير

سورة الروم

قوله تعالىٰ: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} يعني الكفار إلىٰ النار {مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} يعني استقلالاً لأجل الدنيا لما عاينوا....

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ} وهم الشهداء الأئمة من آل الرسول -عليهم السلام- {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ} أي فيما بيانه وتفسيره في كتاب الله وفي لبثهم أي في إقامتهم في دار الدنيا {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} يعني الذي كذبتم في دار الدنيا {وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٥٦)} في الدنيا أن البعث حق وقد علمتم الآن أنه حق. {فَيَوْمَئِذٍ} يعني يوم القيامة {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} يعني عذرهم الذي اعتذروا به في تكذيبهم {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(٥٧)} أي لا يستتابون ويحتمل ولا يطلب منهم العتبىٰ وهو أن يردوا إلىٰ دار الدنيا ليعتبوا أو ليتوبوا.

{..فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} هذا خطاب لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ومعناه : إن وعد الله حق في نصرك وتأييدك والانتقام من أعدائك حق {وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ(٦٠)} أي لا يستفزنك ولا يستعجلنك.

وروينا أن أمير المؤمنين علياً -عَلَيْه السَّلام- كان في صلاة الصبح وكان خلفه رجل من الخوارج فقال له الخارجي: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٦٥)} [الزمر]، فقال أمير المؤمنين: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ(٦٠)}.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة لقمان -عَلَيْه السَّلام- مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الم(١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(٢)} والحكيم الذي أتقن فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه {هُدًى} أي من الضلالة، ويجوز هدى إلى الجنة {وَرَحْمَةً} فيها وجهان أحدهما: رحمة من العذاب لما فيه من الزجر عن استحقاقه. والثاني: نعمة بالثواب لما فيه من البعث على استحقاقه ثم قال: {لِلْمُحْسِنِينَ(٣)} وهم الذين أحسنوا إلى نفوسهم بخلاصها من النار.

{..أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} أي بيان من ربهم {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥)} يعني السعداء الناجون.

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} وهي الملاهي كلها التي تلهي عن طاعة الله عز وجل، والآية نزلت في النضر بن الحارث كان يجلس بمكة فإذا قالت قريش إن محمداً قد قال كذا وكذا؛ فضحك منهم ويحدثهم بحديث رستم وإسقنديار ويقول: إن حديثي هذا أحسن من القرآن الذي جاء به محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

{بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي بغير حجة وروية {وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} يعني يكذب بها، وسبيله دينه {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(٦)} أي مذل.

قوله تعالى: {...خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} يعني أنه خلقها بغير عمد يقوم عليها {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} يعني جبالاً {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} أي لئلا تميد بكم أي تزول ورأينا في الآثار أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تميع فلما رأت الملائكة ما تفعل الأرض قالوا: يا ربنا هل يقر لك على ظهرها خلق وأصبح قد وتدها بالجبال فلما رأت الملائكة التي أرسيت به الأرض عجبوا قالوا: يا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟

سورة لقمان

قال: نعم الحديد. قالوا: هل خلقت أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالوا: هل خلقت خلقاً هو أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالوا: هل خلقت خلقاً هو أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالوا: هل خلقت خلقاً هو أشد من الريح؟ قال: نعم هوا ابن آدم.

{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} أي فرق فيها من كل دابة وهي الحيوان سمي بذلك لدبيبه على الأرض ودبيبه حركته {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(١٠)} يعني أن الناس نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم. والثاني أن النبات أشجارها وزرعها، والزوج هو النوع، والكريم الحسن.

قوله تعالى: {..وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} ولقمان كان عبداً لله صالحاً هداه الله فاهتدى ووفقه للمعرفة والحكمة، وكان عبداً حبشياً راعياً فرأى رجلاً يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس؟ قال: بلى، قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طاعة الله عز وجل وأداء الأمانة وصدقي في الحديث وتركي ما لا يعنيني.

وقيل: إن سيده أمره أن يذبح شاة ويأتيه بأطيبها فأتاه باللسان والقلب؛ فقال له: ما كان فيها شيء أطيب منهما؛ ثم أمره فذبح شاة فقال: ائتيني[١٠٥] بأخبثها؛ فألقى اللسان والقلب؛ فقال له: أمرتك تأتيني بأطيب مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثها مضغتين فألقيت باللسان والقلب. فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

---

[١٠٥]- نخ : إلق .

والحكمة التي أوتيها هي الفهم والعقل والإصابة في القول {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} يعني نعمه وفي شكره وجهان أحدهما: هو حمده على نعمه. والثاني: هو طاعته على ما أمره به {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} أي يعود نفع شكره إلى نفسه لأن يزداد من النعمة إذا زاد من الشكر {وَمَنْ كَفَرَ} يعني بنعمة الله عز وجل {فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ} عن خلقه {حَمِيدٌ(١٢)} في فعله، ويجوز أن يكون المعنى غني عن شكره مستحمداً إلى خلقه.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ} وقيل كان اسم ابنه أنعم وقيل مشكم {وَهُوَ يَعِظُهُ} أي يذكره ويؤدبه {يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣)} يعني عند الله وسماه ظلماً لأنه قد ظلم به نفسه.

قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} يعني براً بهما وتحنناً عليهما، وهذه الآية عامة وإن جاءت بلفظ خاص والمراد به جميع الناس {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} أي جهد على جهد، شعراً:

قل للعواذل من ناه فيزجرها إن العواذل فيها الأفن والوهن

يعني الضعف ضعف الولد حالاً بعد حال فضعفه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم سوياً ثم مولوداً ثم رضيعاً ثم فطيماً {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} يعني بالفصال الفطام من رضاع اللبن واختلف في حكم الرضاع بعد الحولين هل يكون في التحريم كحكمه في الحولين فعندنا أنه لا يحرم بعد الحولين لتقدير الله تعالى بالحولين ولقول رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((لا رضاع بعد الحولين)).

{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} أي واشكر لله بالحمد والطاعة واشكر الوالدين بالبر والصلة إن الله تعالى قرن بين حقه وحق الوالدين فقال اشكر لي ولوالديك {إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤)} يعني إلى الله تعالى فيجازي المحسن على

سورة لقمان

إحسانه بالجنة والمسيء بالنار، وقد روينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((رضىٰ الرب مع رضىٰ الوالدين وسخط الرب مع سخط الوالدين)).

قوله عز وجل: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ -أي أراداك- عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} معناه أنك لا تعرف لي شريكاً {فَلَا تُطِعْهُمَا} يعني في الشرك والكفر {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} أي إحساناً تعودهما إذا مرضا وتتبعهما إذا ماتا وتواسيهما مما أعطاك الله عز وجل {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} يعني أقبل إلي بقلبه مخلصاً.

قوله تعالىٰ: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ بمثقال حبة من خردل في الوصف المراد به تقليل العمل من خير أو شر {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} أي يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير وشر يعلمه الله فيجازي عليه {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(١٦)} باستخراجها خبير بمكانها.

قوله تعالىٰ: {..وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} وهو إعراض الوجه عن الناس تكبراً، قال الشاعر:

وكنا إذا الجبار صعّر خده ... أقمنا له من داره فيقوما

قوله تعالىٰ: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي بالخيلاء والعظمة والبطر والأشر {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨)} المختال المتكبر والفخور المتطاول علىٰ الناس بنفسه المفتخر عليهم بما يصنعه في مناقبه.

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي لا تسرع فيه وذلك لما روينا عن رسول الله –

صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أنه قال: ((سرعة المشي يذهب بهاء الوجه)) {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أي اخفض صوتك، والصوت هو أرفع من كلام المحاسنة {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)} أي أشدها وأبعدها.

روينا عن جعفر بن محمد الصادق -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: هي العلية المرتفعة وهي تخصيصه بذلك من دون الحيوان أنه أقبح في النفس وأنكر في السمع لأن أوله زفير وآخره شهيق، وهو عند العرب مضروب به المثل، والسبب في أن ضرب الله تعالى صوت الحمار مثلاً لما روي عن الحسين بن علي -عليهما السلام- أن المشركين كانوا في الجاهلية يتجاهرون ويتفاخرون برفع الأصوات فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز ومن كان منهم أخفض صوتاً كان أذل فقال الله تعالى: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)} أي إن شيئاً يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل بمنزلته.

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} وقرئ: نعمه على الجمع بغير تنوين فمن قرأ بالتنوين أراد بها الإسلام والإيمان فجعلها واحدة وفيها وجه ثان: وهو أنه قصد التكثير بلفظ الواحد كقول العرب: كثير الدينار والدرهم والأرض سيف وفرس وهو أبلغ في التكثير من لفظ الجمع وفي قوله: ظاهرة وباطنة فالظاهرة ما ظهر على اللسان والباطنة ما استطر في القلب. والثاني أن الظاهر الخلق وتسويته وحسن تركيبه والباطن إنشاء الروح فيه {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(٢٠)} وهذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وكان يقول: الملائكة بنات الله تعالى.

قوله تعالى: {..وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ} يعني تصديق جهة طاعة

سورة لقمان

الله ويخلص بدينه إليه {وَهُوَ مُحْسِنٌ} يعني في عمله {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} هي كتاب الله عز وجل والهداة من ولد الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لأنهما السبب بين الله تعالى وبين الخلق {وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(٢٢)} معناه وعند الله ثواب ما صنعوا.

قوله تعالى: {...وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} وفي سبب نزولها قولان أحدهما: أن المشركين قالوا إنما هو كلام يعني القرآن يوشك أن ينفد فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني أنه لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً لانكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفد عجائب ربي وحكمته وعلمه.

والثاني: ما روي أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما قدم المدينة قال له أحبار اليهود: يا محمد أرأيت قولك: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(٨٥)} [الإسراء]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال: ((كل لم يؤت من العلم إلا قليلاً أنتم وهم)) قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك من الله فإنا قد أوتينا التوراة وفيها بيان كل شيء، فقال رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-: ((إنها في علم الله قليل)) فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} الآية يقال إنها نزلت في أبي بن خلف وأبي الأسد بن عبد يغوث ومنبه ونبيه ابني الحجاج قالوا للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: إن الله خلقنا أطواراً ثلاثة علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول أنا نبعث خلقاً جديداً ونجمع في ساعة واحدة فأنزل الله تعالى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(٢٨)}.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي

اللَّيْلِ} أي ما ينقص من النهار يجعله في الليل وما ينقصه من الليل يجعله في النهار. والثاني: يسلك الظلمة مسلك الضياء، ويسلك الضياء مسلك الظلمة فيصير كل واحد منهما مكان الآخر {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} يعني ذللها في طلوعه والأفول تقديراً للآجال وإتماماً للمنافع {كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى} يعني إلى وقته في طلوعه وأفوله لا يعدوه ولا يقصر عنه {وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢٩)} يعني بما تعملون بالليل والنهار.

قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أي هو الحق الذي لا إله إلا هو {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} يعني ما تشركون به من الأصنام والأوثان هو الباطل {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ(٣٠)} في سلطانه.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ} فيه وجهان أحدهما برحمة الله لكم في خلاصكم منه. والثاني: بنعمة الله عليكم في فائدتكم منه {لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ} يعني جري السفن فيه وقيل: مفتاح البحر السفن ومفتاح الأرض الطريق ومفتاح السماء الدعاء. والثاني: ما يرون فيه من قدرة الله تعالى {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٣١)} يعني صبار على البلوى شكور على النعماء. والثاني: صبور على الطاعة شكور على الجزاء.

قوله عز وجل: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ} فيه وجهان أحدهما الجبال. والثاني: السحاب {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} يعني موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} أي عدل في الوعد وأن يفي في البر بما عاهد الله عليه في البحر {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ(٣٢)} والختار الغدار قال عمرو بن معدي كرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من مكر وختر

سورة لقمان

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ} يقال جزيت عنك أي أغنيت عنك، والثاني: لا يحمل قال الراعي:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليجزىٰ إلا كامل وابن كامل

{وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} هو البعث والجزاء {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} لا يغرنكم الإمهال عن الانتقام {وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(٣٣)} يقرأ بفتح العين وضمها فمن ضمها أراد غرور الدنيا وخدعها ومن فتحها أراد بها الغار من الأمل وغيره.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} يعني وقت مجيئها {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} أي العلم بنزول الغيث في زمانه ومكانه {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} من ذكر أو أنثىٰ سقيم أو سليم {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} يعني من خير أو شر {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} يعني في أي أرض يكون موته، وروينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة)).

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة السجدة[١٠٦] مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الم(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ} يعني القرآن {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} يعني كفار قريش يقولون إن محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- افترى القرآن {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} يعني أن القرآن حق نزل عليك من ربك {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} يعني قريشاً لم يأتهم من نذير قبل رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى: {..يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} يعني تدبيره بخلقه فيما يأمرهم به من الطاعات والمنافع وينهاهم عن المعاصي والمضار وينزله على أنبيائه من فرائضه وحدوده وأحكامه وشرائعه وينزل به ملائكته {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام- بعد نزوله بالوحي {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ(٥)} يعني أن صعود الملك ونزوله في يوم واحد مقداره ألف سنة فيكون مقدار الصعود خمسمائة ومقدار نزوله خمسمائة سنة.

{..الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} فكأنه خلقه إحساناً إليه {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ(٧)} عنى بالإنسان آدم -عَلَيْه السَّلام-، روينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إن الله سبحانه خلق آدم من قبضة أمر جبريل -عَلَيْه السَّلام- أن يأخذها من جميع الأرض فجاءوا بنو آدم على قدر الأرض منهم الأبيض والأسود

---

[١٠٦]- نخ (ح) : سورة الحرز السجدة مكية.

سورة السجدة

والأحمر، وبين ذلك الحزن والسهل والخبيث والطيب)).

و{جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ} أي ذريته والسلالة الصفوة التي تنسل من غيرها فسمي ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه.

قوله تعالى: {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(٨)} يعني ضعيف {ثُمَّ سَوَّاهُ} أي خلقه كما شاء {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} أي من أمره.

{وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} أي هلكنا وصرنا تراباً ورفاتاً، والعرب تقول لكل شيء غلب عليه غيره حتى غاب قد ضل قال الأخطل:

كنت القذى في موج أكدر مزبد قذف الإناء به فضل ضلالا

وقال النابغة

فآب مصلاه بغير جنية وغودر بالحولان حزم ونائل

{أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} أي تعاد أجسامنا وأرواحنا للبعث خلقاً جديداً تعجباً من إعادتهم وإنكاراً لبعثهم {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ(١٠)} وهذه الآية نزلت في أبي بن خلف.

قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} أي يقبض أرواحكم والتوفي أخذ الشيء على تمام مأخوذ من توفية العدد، ومنه قولهم: استوفيت ديني. وهو الأمين على قبض الأرواح ومعه أعوان من الملائكة.

وروينا عن آبائنا عن جعفر بن محمد –عليه وعلى آبائه السلام- عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه نظر ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له: ((أرفق بصاحبي فهو مؤمن)) فقال ملك الموت: يا رسول الله طب نفساً وقر عيناً فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات

حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا رسول الله لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها. وعنى بخمس مرات أوقات الصلوات. {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(١١)} يعني إلى من لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً إلا هو.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} من الغم والندم على ما كان من تفريطهم في أمر الله وطاعته {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} يعني أبصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسولك {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ(١٢)} أي فارجعنا إلى دار الدنيا نعمل بعمل يكون لنا فيه قربة إليك.

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} وهذه المشيئة مشيئته في الإجبار أي لو أردنا إجبار النفوس على الهدى لفعلنا {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} أي وجب {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١٣)} على عصيانهم وتركهم لطاعة خالقهم الذي خلقهم وأقدرهم ومكنهم من الأفعال.

{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} يعني فذوقوا عذابي بترككم طاعتي وتكذيبكم لبعثي وجزائي {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} يعني تركناكم في العذاب والنسيان من الله بمعنى الترك {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(١٤)} يعني من المعاصي في دار الدنيا، وقد تعبر في الذوق عما يطرى على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسهم به كإحساس المطعوم بالذوق قال عمرو بن أبي ربيعة:

فذق هجرها إن كنت تزعم أنه ... رشاد ألا يا رب ما كذب الزعم

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} أي يصدق بحجتنا ومعجزاتنا {الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا} أي سجدوا لله خاضعين طائعين وكل من سقط على شيء فقد خر عليه قال الشاعر:

وخر على الالاه لم يوسد ... كأن جنبيه سيف صقيل

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أي سبحوا بمعرفته وطاعته {وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(١٥)} عن عبادته.

قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} أي ترتفع جنوبهم عن مواضع الاضطجاع قال عبدالله بن الزبعرى:

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا اشتغلت بالمشركين المضاجع

وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عَلَيْه السَّلام-: ((إن شئت أخبرتك بأبواب الخير كله: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل)) وإنما هذه الصلاة المرغب فيها هي صلاة الليل وهي ثمان ركعات بأربع تسليمات بعد التهجد إما في ثلث الليل أو نصفه أو ثلثه في طلوع الفجر.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(١٦)} وهذا الإنفاق في وجوه البر كله سوى الزكاة {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} روينا عن آبائنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: يقول الله تعالى: ((إني أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بيد ما اطلعتم عليه فاقرأوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ})). {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٧)} من فعل الطاعات

واجتناب المعاصي.

قوله تعالىٰ: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ(١٨)} والمؤمن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- والفاسق عقبة بن أبي معيط، وذلك لما روينا أن عقبة سب أمير المؤمنين علياً -عَلَيْه السَّلام- فقال له: أنا أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً، وأملأ منك حشواً؛ فقال له أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام-: ليس كما تقول يا فاسق فنزل تصديق قول أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- من السماء.

{...وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} والعذاب الأدنىٰ هو الانتقام في دار الدنيا، والعذاب الأكبر عذاب جهنم.

{..وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ} يعني التوراة {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} يعني من لقاء أذىٰ قومه كما لقي موسىٰ -عَلَيْه السَّلام- من قومه.

قوله تعالىٰ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} والجعل هنا بمعنىٰ الحكم أي حكمنا لهم بالإمامة والأئمة هم الرؤساء في الخير البراء من الشر القادة إلىٰ الهدىٰ والمانعون من الهلكة والردىٰ. لما صبروا: يعني علىٰ إظهار الحق واحتمال أذىٰ الخلق فاستحقوا بجميل صبرهم منزلة الإمامة ودرجة الزعامة.

قوله تعالىٰ: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي يقضي بين الأنبياء والأئمة وخلقهم ومعنىٰ يفصل يعني يقضي أي يحكم بتبليغهم ما أمروا به وجحدان قومهم لما دعوا إليه.

{..أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الْجُرُزِ} والأرض الجرز التي لا يأتيها الماء من السيول لأنها تكون منقطعة عن سائر المياة، وأصل الجرز الانقطاع يقال: سيف جرازي قطاع، وناقة جراز إذا كانت تأكل كلما

وجدت وتقطع بفيها كلما صادفت، ورجل جروز أي أكول قال الراجز:

خب جروز فإذا جاع بكى

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٢٨)} والفتح المراد به فتح مكة يعني من قَتَله رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من كفار كنانة.

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ(٢٩)} أي لا يؤخرون بالعذاب إذا جاء الوقت {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ(٣٠)} وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة الأحزاب مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} وهذا وإن كان معلوماً من حاله ففي الأمر به ثلاثة أوجه أحدها: استدامة التقوىٰ والاستكثار منها علىٰ ما قام فيه من جهاد أعداء الله. والثاني: أن هذا خطاباً للنبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- والمراد به الأمة.

والثالث: أن الآية سبباً وذلك ما روينا أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة ليجددوا خطاب رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في عقود كانت بينهم وعرضوا عليه أموراً فكره جميعها ونزلوا علىٰ عبدالله بن أبي سلول والجد بن قيس ومغيث بن قشير فنهىٰ الله تعالىٰ نبيه عن طاعة الكفار من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة، وجاء النهي تأكيداً لمخالفة أمرهم وإن كان المعلوم من رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه لا يطيعهم.

قوله تعالىٰ: {...مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ لنبيئه حين نهي عن طاعة الكافرين أنه لا يكون لرجل قلب مؤمن معنا وقلب كافر علينا لأنه لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب رجل واحد {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي فهذا ظهار كان يحرمون به في الجاهلية النكاح ويبينون به الزوجات ويجعلونهن كالأمهات فأبطل الله تعالىٰ ذلك أن تصير محرمة كالأم فبين كفارة ذلك، وقد ذكرناها في سورة المجادلة ومنع المظاهرين من مقاربتها حتىٰ يكفر.

{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} عنىٰ بذلك التبني لأن الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي ذا القوة فيقول ابني نعم فإذا قبله فيقول: نعم

سورة الأحزاب

واتخذه أباً أصبح أعز أهله وكان زيد بن حارثة قد تبناه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم؛ فلما نزلت هذه الآية أمرهم الله تعالى أن يلحقوهم بآبائهم {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} ومن جعل من تبنوه كمن أولدتموه {ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} أن امرأته بالظهار أمه وأن دعيه بالتبني ابنه {وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ} في أن المرأة لا تصير بالظهار أماً ولا الدعي بالتبني ابناً {وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ(٤)} في إلحاق النسب بالأب وفي الزوجة أنها لا تصير كالأم.

قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} ويقال إنه ما كان يسمى زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد؛ حتى نزل قوله: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} فدعي زيد بن حارثة وعرفت كلب نسبه وأقروا به {هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} أي أعدل عند الله قولاً وحكماً {فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} يعني إن لم يعرف لهم أب ينسبون إليه كانوا إخواناً في الدين إذا كانوا أحراراً وموالي إذا كانوا عتقاء كما فعل المسلمون فيمن عرفوا نسبه وفيمن لم يعرفوا فإن المقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث الزهري فرجع إلى المدينة وممن لم يعرف له نسب سالم مولى أبي حذيفة فنسب إلى ولاء أبي حذيفة، {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} قبل النهي ولكن الجناح فيما تعمدتم به بعد النهي في هذا أو غيره.

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لما أرد غزوة تبوك أمر الناس بالخروج معه فقام قوم منهم فقالوا: نشاور آباؤنا وأمهاتنا نستأذنهم فأنزل الله تعالى في ذلك فيهم وينزلهم أنه أولى به منهم وكذلك من قام مقامه من خيار عترته فهو أولى بأمته {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} وأراد بالأزواج من بانت خيريتها

وصلحت سريرتها كخديجة بنت خويلد أم الأئمة -عليهم السلام- وكأم سلمة ابنة أبي أمية -رضي الله عنهما-، وأما من عَنَد منهن عن الحق وشقت عصا الإسلام فليست بأمهات المؤمنين ولا هن أهل كرامة عند رب العالمين فإن الله تعالى قطع نسب الآباء عن الأبناء بالعصيان فكيف لا يقطع سبب الزوجية بالكفران لأن حكم البنوة آكد وسبيله أمهد وحبله أوثق ورحمته أعلق من زوجة أجنبية بعيدة قال الله سبحانه تأديباً لنبيه نوح أقر ببنوة ابنه فقال: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} [هود:٤٥]، فقال خير القائلين: {يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} [هود:٤٦]، فنفى أن يكون من أهله لما كان من عصيانه وجهله.

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} في هذه الآية تأويلان أحدهما: أنها ناسخة للتوارث بالهجرة والمنسوخة في سورة الأنفال قوله: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال:٧٢]، فكان التوارث بين المسلمين بالهجرة حتى نسخ بقوله: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}.

والثاني: أن ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمؤاخاة في الدين وذلك لما بلغنا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: نزلت فينا خاصة يا من صحت هجرته لأنا لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا بها فوجدنا الأنصار نعم الأخوان فتوارثوا هم والمسلمون إلى أن نزل قوله تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} وهو القرآن.

وقوله: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} المراد أن التوارث بالأسباب أولى من التوارث بمؤاخاة المؤمنين وهجرة المهاجرين ما لم يختلف بالمناسبين دين فإن اختلف بينهما دين فلا توارث بينهما لقول النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لا توارث بين أهل ملتين مختلفتين)) {إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى

سورة الأحزاب

أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} يعني أهل دينكم وإخوانكم من المسلمين فإن الواجب الإحسان إليهم والمعروف لديهم {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(٦)} وهو موالاة الأولياء ومعاداتهم والكتاب أراد به القرآن لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المائدة:٢].

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ} والميثاق هو العهد إليهم وأن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغ الكل منهم ما أرسل به من أحكام الله تعالى وشرائعه {وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} وإنما قدم ذكره -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لشرفه عليهم.

{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} يعني ليسأل الأنبياء عما أجابوا به قومهم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} يعني به يوم الأحزاب حين أنعم الله عليهم بالصبر ثم النصر إذ جاءتكم جنود أبي سفيان بن حرب وعيينة بن حصن وطلحة بن خويلد وأبو الأعور السلمي وبنو قريظة {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} والريح كانت الصبا أرسلت عليهم يوم الخندق حتى كفأت قدورهم ونزعت فساطيهم ولذلك روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((نصرت بالصبا وخذلت عاد بالدبور)). {وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة.

{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ} يعني من فوق الوادي وهو أعلاه من قبل المشرق جاءت عوف بن مالك من بني النضير وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وأبو الأعور السلمي ومعه حيي بن أخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه

الخندق.

{وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ} يعني شخصت ومالت {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} وهن الحلاقيم يعني بزوالها عن أماكنها بلغت الحلاقيم.

وروي أنه قيل لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: يا رسول الله هل من شيء نقوله قال قد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: ((نعم قولوا: اللهم آمن روعتنا واستر عورتنا)) فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزموا بها.

{وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا(١٠)} فظن المنافقون أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقومه يستأصلون وأيقن المسلمون أن ما وعد الله سبحانه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

قوله تعالى: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} في ابتلائهم تأويلان أحدهما بالحصار. والثاني: امتحنوا في الصبر على إيمانهم وتميز المؤمن من المنافق، وهنالك يستعمل للبعيد من المكان وهناك للوسط وهنا للقريب {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(١١)} يعني حركهم الأمن بالثبات والصبر.

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} يعني شكاً وشركاً {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(١٢)} وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كان يحفر الخندق لحرب الأحزاب فبينما هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صفا فطارت منه لهبة الشهاب من نار في السماء فضرب الثانية فخرج منه مثل ذلك فضرب الثالث فخرج مثل ذلك فرأى ذلك سلمان فقال له النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((رأيت ما خرج من كل ضربة ضربتها؟)) قال: نعم يا رسول الله فقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((يفتح لكم بيض المدائن وقصور الشام ومدائن اليمن)) قال: ففشا ذلك في أصحاب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وتحدثوا به فقال بعض المنافقين: أيعدنا محمد أن تفتح لنا مدائن

سورة الأحزاب

اليمن وبيض المدائن وقصور الشام وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجة إلا فشل، هذا والله الغرور؛ فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالىٰ: {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ} يعني من المنافقين منهم عبدالله بن أبي ومن رأىٰ رأيه {يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ} بفتح الميم المكان الذي يقام فيه والمقام المقامة بضم الميم يعني لا مقام لكم علىٰ القتال {فَارْجِعُوا} إلىٰ طلب الأمان والمدينة في ناحية من يثرب.

والذي استأذن هم المنافقون {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ} أي خالية ليس فيها إلا العورة من النساء والصبيان مأخوذ من قولهم: قد أعور الفارس إذا كان فيه موضع للضرب فيه خلل ومنه قول الشاعر:

له الشبه الأولىٰ إذا القرب أعورا

ويقال: منزل معور إذا كان فيه خلل من سقوط جدار واضمحلال {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ} تكذيب للمنافقين فيما ذكروه، وروينا أن قبيلتين من الأنصار بني حارثة وبني سلمة هموا أن يتركوا منزلهم يوم الخندق وفيهم نزل قوله تعالىٰ: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا} [آل عمران:١٢٢]، فلما نزلت هذه الآية قالوا: والله ما سرنا مكاناً هممنا به إن كان الله ولينا.

قوله تعالىٰ: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا} أي لو دخلت علىٰ المنافقين من أقطارها ونواحيها {ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا} ثم سئلوا الشرك لأتوه ولأجابوا إليه {وَمَا تَلَبَّثُوا} بالمدينة {إِلَّا يَسِيرًا(١٤)}.

{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ} يعني قبل الخندق وبعد بدر {وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا(١٥)} عنه ليجزي عليه.

{..قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} والمراد بالسوء العذاب وبالرحمة الخير والنعمة.

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} يعني المثبطين من المنافقين منهم عبدالله بن أبي وأصحابه {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} والقائلين لإخوانهم هم اليهود من بني قريظة قالوا للمنافقين هلم إليناأي ارجعوا إلينا وفارقوا محمداً فإنه هالك وإن أبا سفيان إن ظفر بكم لم يبق منكم أحد {وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ} أي القتال {إِلَّا قَلِيلًا(١٨)} لأن إيمانهم ليس على وجه البر والتطوع فصار قليلا وكل فعل لم يكن لله تعالى وإن كثر فهو قليل.

{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} يعني أشحة بالخير والإنفاق في سبيل الله تعالى {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ} من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه غلب {رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة، ويحتمل أن يكون المعنى تدور أعينهم لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} يعني رموكم بألسنة ردية حداد ومنه قول النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((لعن الله السالقة والخارقة والحالقة)) فالسالقة هي التي ترفع صوتها بالنياحة، والخارقة هي التي تخرق ثوبها في المصيبة والحالقة هي التي تحلق شعرها، والمعنى في سلقهم بألسنة حداد أنهم يجادلون في أنفسهم جدال الباطل {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} يعني به المال لأنهم شحوا بإنفاقه في سبيل الله وعمل الخير {أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ} أي أحبط حساب أفعالهم وإنما الإحباط للثواب على الحقيقة في الحسنات لا لنفس الحسنات لأنهم لم يعملوا أعمالهم ابتغاء وجه الله {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا(١٩)} أي كان إحباط ثواب حسناتهم على الله يسيرا.

قوله تعالى: {يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} يعني أن المنافقين يحسبون

أن أبا سفيان وأحزابه من المشركين حين تفرقوا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- مغلوبين لم يذهبوا عنهم وأنهم قريب وإنما في حسابهم وجهان أحدهما: أنهم كانوا على ذلك لنفاقهم وشدة جزعهم. والثاني: تضييعاً للريا واستدامة للتحرز {وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ} يعني أبا سفيان وأصحابه من المشركين {يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ} يعني يود المنافقون لو أنهم بادية مع الأعراب حذاراً من القتل وتربصاً للدوائر {يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ} يعني عن أخباركم للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأصحابه ويتحدثون أما هلك محمد أما غلب أبو سفيان {وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا(٢٠)} يعني رياء وسمعة.

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} فيه تأويلان أحدهما مواساة في القتال، والثاني: قدوة فيها يتبع، والأسوة المشاركة وفي ذلك وجهان أحدهما: الصبر مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في حروبه، والثاني: التسلية لهم فيما أصابهم وأن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم شج وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(٢١)} أي استكثر من ذكر الله خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه.

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد وعدهم في سورة البقرة فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا} [البقرة:٢١٤]..إلى قوله: {أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(٢١٤)} [البقرة]. {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا(٢٢)} يعني إيماناً بما وعد الله

{وَتَسْلِيمًا} لأمره.

قوله تعالىٰ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} يعني عاهدوا علىٰ أن لا يفروا من الزحف فصدقوا في لقائهم العدو {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ} وهو حمزة قتل يوم أحد {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} وهو أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(٢٣)} أي ما غيروا تغييرا، والنحب: الموت قال الشاعر:

وكانت ركابي كلما شئت تتنحي إليك فتقضي نحبها وهي ضمر

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} يعني الذين صدقوا ما عاهدوا عليه مما ذكرناه {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} يعني يعذبهم في الدنيا والآخرة إذا أصروا علىٰ نفاقهم ولم يتوبوا أو يتوب عليهم إن تابوا {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا(٢٤)} بالهداية.

قوله تعالىٰ: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} يعني أبا سفيان وجنوده من الأحزاب وفي قوله: بغيظهم وجهان أحدهما: بغمهم، والثاني: بحقدهم ولم يصيبوا من رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأصحابه ظفراً ولا مغنماً {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} بأمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام-، وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن زيد بن علي -عليهم السلام- أنه قرأ (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي).

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ} هم بنو قريظة من اليهود ظاهروا أبا سفيان وجموعه علىٰ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أي عاونوه والمظاهرة المعاونة وكان بينهم وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم عهد فنقضوه فغزاهم بعد ستة عشر يوماً من الخندق.

وروينا أن جبريل -عَلَيْه السَّلام- نزل وهو في بيت زينب بنت جحش

يغسل رأسه فقال: (عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهض إلى بني قريظة فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وهم في زلزال وبلبال) فسار إليهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الذي نزل به جبريل في أن يقتل مقاتلهم ويسبي ذراريهم وعلى أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فأرسل بهذا الحكم سعد بن معاذ ولم يكن لسعد فيهم حكم فقال قوم لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لم آثرت المهاجرين بالعقار وكان القائل من الأنصار فقال: ((إن المهاجرين قوم لا عقار لهم وأنتم ذوو العقار)) وقوله: من صياصيهم أي من حصونهم، شعرا:

وأصبحت النسوان عقراً وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وسمي بذلك لامتناعهم بها واحد صيصية {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} بما فعل بهم جبريل -عَلَيْه السَّلام- {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٢٦)} عُرضوا على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأمر بقتل كل من احتلم أو أنبتت عانته فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً وهم الذين عناهم الله بقوله: {فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٢٦)}.

{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} أراد بالأرض المزارع والنخل والديار المنازل، وبالأموال المنقولة والماشية {وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا} وهي كلما يستفتح إلى يوم القيامة من أرض الكفار {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا(٢٧)} من نصر أوليائه وخذلان أعدائه.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} وهذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يخير نساءه بين اختيار الدنيا

فيفارقهن وبين اختيار الآخرة فيمسكهن، والمعنى في أمره بالتخيير هو أن الله سبحانه وتعالى خير نبيه بين ملك الدنيا وبين نعيم الآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وقال: ((اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين)) فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكن على مثل حاله إن كان اختيارهن مثل اختياره فمنهن من اختارت الدنيا ومنهن من اختارت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالى: {...يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} والفاحشة المبينة هي الكبيرة الموجبة {يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} والضعفان أن يجعل الواحد ثلاثة فتكون الثلاثة حدود لأن ضعف الواحد اثنان وضعفاه ثلاثة {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا(٣٠)} أي هيناً.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا} أي تطع الله ورسوله وتعمل صالحاً فيما بينها وبين خالقها {نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} كما قال كان عذابها ضعفين {وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا(٣١)} يعني في الجنة.

قوله تعالى: {يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ} المراد نساء الأمة {إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ} أي لا تكلمن بالرفث {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} أي شك ونفاق، وكان أكثر من يصب الحدود في زمان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم المنافقون {وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٣٢)} يعني حسناً جميلا.

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} يقرأ بفتح القاف وكسرها فمن فتح أراد قرن في بيوتكن من القرار، ومن كسر أراد به كن أهل وقار وسكينة {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} أي لا تظهرن للرجال ولا تبدين لهم من محاسنكن ما أوجب الله سترها عليكن، والمراد بالجاهلية الأولى ما بين آدم -عَلَيْه

سورة الأحزاب

السَّلام- وبين نوح على جميع أنبياء الله عليكم ففي تلك الفترة كانت الرجال والنساء يختلطن في طرقاتهم وسائر متصرفاتهم من غير أن يكون للمرأة ساتر يسترها عن الرجال.

قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} والرجس الشرك وخبث الولادة وهذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- وسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله -صلوات الله عليها- والحسن والحسين -صلوات الله عليهم أجمعين- وهم في بيت أم سلمة ورسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- معهم على منام لهم في البيت وكان قد جللهم كساء خيبرياً في البيت.

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} يعني القرآن والحكمة يعني به الحلال والحرام والحدود والأخبار {إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا(٣٤)} يعني لطيفاً بما أنعم على الخلق من معرفتها خبيراً بوضعها وشرعها.

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} والإيمان أعم من الإسلام لأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن {وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ} يعني المطيعين والمطيعات {وَالصَّادِقِينَ} في إيمانهم {وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ} على أمر الله {وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ} يعني المتواضعين {وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ} يعني المؤدين الزكاة المفروضة {وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} يعني صوم شهر رمضان {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ} من الفواحش {وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} الذين يذكرونه ويستغفرونه بقلوبهم وألسنتهم.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا

أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} وهذه الآية نزلت في شأن زينب ابنة جحش حين خطبها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبدالله بن جحش لنسبها من قريش وأنها ولد عمة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأمها آمنة بنت عبدالمطلب، وقال: إن زيداً بالأمس كان عبداً إلى أن نزل فيه قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} فقالت زينب: أمري بيدك يا رسول الله فزوجها إياه.

قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} يعني زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش، والسبب في ذلك أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أتى منزل زيد وزينب قائمة وراء بابها فسبقت منه نظرة إليها من غير تعمد وانصرف رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وجاء زيد وأخبرته زينب بوصول النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إلى الباب وقصت عليه الحال فأتى زيد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقال: ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبراً وإنها لتؤذيني بلسانها، فقال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((اتق الله وأمسك عليك زوجك)).

{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} والذي أخفى في نفسه هو ما أعلمه الله سبحانه في أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} وذلك أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- خشي قالة الناس وكتم من أمرها ما أعلمه الله تعالى به من أنه يتزوج بها من بعد طلاق زيد لها، والله أحق أن تخشاه وتراقبه فيما أمرك به من زواجتها وأطلعك عليه من حكمة ما غيبه عن غيرك {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} الوطر الحاجة المشتهاة، ولما طلقها زيد زوجها وبانت منه نزل قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} وكان تزويجها من

سورة الأحزاب

رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بأمر من الله تعالى للحكمة التي نذكرها ونشرحها لئلا يتوهم الجاهل ويحسب الغر الغافل أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- دعته شهوة نفسه إلى نكاحها أو نظر إليها متعمداً لتحرم على زيد بعد نظره إليها حاشا لله ولرسوله مما يقول الجاهلون الضالون والله سبحانه أنزه وأعلا من أن يأمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إلا بفعل يكون فيه حكمة باهرة ومصلحة في دينه وافرة.

والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يبطل تزويج رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بزينب بنت جحش ما كان عليه أهل الجاهلية من أن ابن التبني وابن الصلب حكمهما واحد، وأن حليلة الابن المناسب محرمة على أبيه، وأن حليلة ابن التبني محرمة ولذلك أنكر المشركون الجاحدون أن حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت بحليلة ابنك زيد فبين الله بقوله تعالى: {لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا(٣٧)} أن حليلة ابن التبني غير محرمة بخلاف ابن النسب ونفى الحرج عن آباء التبني إذا تزوجوا بحلائل أبنائهم ولولا فعل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من هذا التزويج بأمر من الله لما عرف هذا الحكم العظيم الخطر فسبحان الذي نزه رسله عن مقال الكاذبين وافتراء المبطلين {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا(٣٧)} يعني أمره عند رسوله مطاعاً مقبولاً بتزويج زينب ابنة جحش بعدما طلقها زيد للغرض الذي أوضحناه.

قوله تعالى: {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} يعني فيما أحله من تزويج زينب بنت جحش {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} والسنة الطريقة المعتادة أي ليس على الأنبياء حرج فيما أحله تعالى لهم

كما أحل لداود في المرأة التي سبقت منه النظرة إليها فتزوجها، وزينب بنت جحش هي أول من مات من نساء رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعده وأمرت أسماء بنت عميس لها بنعش فحملت فيه.

قوله تعالى: {..مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ} يعني زيد بن حارثة فإن المشركين قالوا إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى بقوله ونفى البنوة بينه وبين زيد وهذا خطاب خاص في زيد وليس بعام لأن الحسن والحسين ابنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بقوله تعالى: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ} [آل عمران:٦١]، وكتاب الله يعضد بعضه بعضا.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا(٤١)} يعني اذكروه بالقلب واللسان ذكراً مستديماً يؤديكم إلى طاعته ويجنبكم معصيته.

{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} فالصلاة من الله سبحانه وتعالى الرحمة والكرامة، ومن الملائكة الاستغفار {لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} يعني بذكركم له وتوبتكم إليه ليخرجكم من الضلالة والعمى إلى الرشاد والهدى.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا} يعني على أمتك {وَمُبَشِّرًا} بالجنة لمن أطاع {وَنَذِيرًا(٤٥)} من النار لمن عصى {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ} أي بأمره {وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦)} يعني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم مثل السراج المضيء في الهداية للخلق إلى طريق الحق كما يهدي السراج من ضل عن الطريق.

{..وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} يعني الكافرين من أهل مكة كأبي سفيان بن حرب وعكرمة وأبي الأعور السلمي، والمنافقون مثل عبدالله بن أبي سلول وعبدالله بن سعد وهذا وإن كان خطاباً للنبي -صَلَّى

الله عَلَيْه وآله- ونهيه عن طاعتهم فالمراد بالنهي الأمة {وَدَعْ أَذَاهُمْ} أي اصبر على أذاهم وهي منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: إن الطلاق إذا كان لها قبل المسيس والخلوة فلا عدة فيه وليس للمطلقة إلا نصفه إن كان لها مهر مسمى ولا رجعة للمُطَلِّق ولكنه كأحد الخُطَّاب إذا كان طلاقه دون الثلاث وإن كان ثلاثاً حرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا الحكم في المطلقة التي لم يدخل بها زوجها ثم راجعها بنكاح جديد ومهر مستأنف ثم طلقها ثم راجعها بنكاح جديد حتى بانت منه بثلاث تطليقات في رجعتين.

{فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٤٩)} معنى قوله: متعوهن متعة الطلاق بدلاً من الصداق لأن المطلقة قبل الدخول إذا كان لها صداق مسمى فليس لها متعة وإن لم يكن لها صداق مسمى فلها بدل نصف المسمى متعة تقوم مقام المسمى تختلف باختلاف اليسار والإعسار أكثرها نصف المسمى وأقلها عند العترة ما لها ثمن فأما المدخولة إذا لم يسم لها مهراً فإنه يجب لها المتعة بالطلاق والصداق بالدخول والسراح الجميل دفع المتعة على قدر اليسار والإعسار.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ} وهذه الآية ناسخة لقوله: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ}. {اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ} أي مهورهن {وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} يعني الإماء {مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ} من الغنيمة {وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ} وهذه الآية من أدل الدليل على

أن هذه الآية ناسخة لأنه لما نزل قوله تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} ولم يكن عنده يومئذ في حباله من بنات عمه ولا من بنات خاله امرأة فلما جاء إحلال مَنْ ذكرنا كان ذلك حكماً مستجداً ناسخاً لنهي تحليل النساء له.

وقوله: {اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ} يعني من المسلمات {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} روينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن زين العابدين علي بن الحسين -عليهما السلام- أنها أم شريك ابنة جابر وهبت نفسها لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فتزوجها من وليها.

وقوله: {خَالِصَةً لَكَ} يعني لم تطلب من رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- صداقاً ولا رغبت منه في جهاز، وقد ينعقد اسم النكاح بلفظ الهبة فيقول الولي للزوج: قد وهبتك كريمتي، وتقول المرأة: قد وهبت نفسي لفلان أي رضيته.

قوله تعالى: {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ} من الفرض الذي فرض الله تعالى ألا تتزوج المرأة إلا بولي وشاهدين وأن لا يتجاوز الرجل الأربع والنفقة لهن والقسم بينهن بالسوية {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} يعني أنهن يحللن من غير عدد مخصوص ولا قسم مستحق {لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} وهو راجع إلى قوله {إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ}.

{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} حتى تطلق من تشاء من نسائك وتمسك من تشاء {وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ} وعنى بالعزل هنا الطلاق والمراد فمن ابتغيت أن تؤويه وتراجعه بعدما عزلت بالطلاق فلك الرجعة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} في ذلك فيمن ابتغيت وفيمن عزلت {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ} يعني إذا علمت أن لهن رد إلى فراشه بعد عزله وطلاقه قرت أعينهن فلا يحزن.

سورة الأحزاب

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ} وهذا حكم من الله تعالى في منع الداخل منزل غيره إلا بإذنه وهو موافق له في سورة النور مما ذكرنا حكمه من وجوب الاستئذان {إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} أي غير متوقعين حينه ووقت نضجه {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا} فدل هذا على حظر الدخول بغير إذن {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} أي فاخرجوا فدل على أن الدخول للأكل يمنع من المقام بعد الفراغ من الأكل {وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} وذلك أنهم كانوا إذا أكلوا عند رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- جلسوا يتحدثون حتى جاء النهي من الله تعالى عن ذلك {فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} أي يخبركم به {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} أي لا يترك الأمر بالحق {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} يعني حاجة أمرن وسائر النساء بالاحتجاب عن أبصار الرجال وأمر الرجال بغض أبصارهم عن النساء {ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} يعني أطهر من الشهوة والريب {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} وروينا أن رجلاً من قريش قال عند نزول آية الحجاب: حجبنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لئن حدث عليه حدث الموت لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت هذه.

قوله تعالى: {..لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ} يعني في ترك الحجاب {وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ} ولم يذكر العم لأنه بمنزلة الأب {وَلَا نِسَائِهِنَّ} يعني المسلمات {وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} من الإماء وصغار العبيد الذين لم يطلعوا بعد على عورات النساء.

وسبب هذه ما روينا أنه لما نزلت آية الحجاب قام الآباء والأبناء فقالوا: يا رسول الله ونحن فلا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب فنزل قوله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ}.

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} وقد مر الكلام في تفسير صلاة الله تعالى وصلاة الملائكة وقولنا: اللهم صل على محمد وآل محمد أي زد محمداً بركة ورحمة {وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٥٦)} أي سلموا لأمره بالطاعة تسليما.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ويبهتونه ويكذبونه، ومعنى قوله: يؤذون الله يعني يؤذون رسوله فجعل أذى رسوله أذى له تشريفاً لمنزله وتشييداً لكلمته، ولعنة الدنيا القتل والجلاء، ولعنة الآخرة النار.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٥٨)} وهذه الآية نزلت في كل من كان يؤذي أمير المؤمنين علياً -عَلَيْه السَّلام- وفاطمة بنت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وعليها أجمعين- ويكذبون عليهما.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} والجلباب كل ثوب تكتسيه المرأة فوق ثيابها وإنما أمرت بذلك لتغطي به وجهها وبدنها حتى لا يبدو غير عينها اليسرى {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} يعني يعرفن من المتبرجات بالصيانة فلا يؤذين بالكلام والتعرض لأن قوله عز وجل: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} ومعنى قوله لئن لم ينته عن إظهار النفاق والشرك الذي في قلوبهم {وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} وهم الذين

سورة الأحزاب

يذكرون من الأخبار ما يضعفون به قلوب المؤمنين ويقوون به قلوب المشركين والإرجاف التماس الفتنة وسميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها {لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} يعني لنسلطنك عليهم {ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا(٦٠)} يعني في المدينة لأنه ينفيهم عنها.

قوله تعالى: {..سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} وسنة الله في الذين خلوا من قبل هو من أشرك بالله قبل ومن نافق بعد {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا(٦٢)} يعني تغييراً وتحويلا.

قوله تعالى: {...وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا} عنوا بهم من كانوا [يأمرونهم] بالضلال وينهونهم عن الرشاد {فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(٦٧)} يعني طريق الإيمان والهداية، وهذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من كفار قريش هم المطعمون يوم بدر.

قوله تعالى: {رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} يعني أضعف عليهم الانتقام في الدنيا والعذاب في الآخرة.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} يعني لا تؤذوا محمداً فتكونوا كالذين آذوا موسى، والذي آذوا به رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قسم قسماً فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فغضب فقال: ((رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا)).

والذي أوذي به موسى فصبر ما رويناه عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أن موسى وهارون -عليهما السلام- صعد هو وهارون الجبل فمات هارون فقال بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حباً فآذوه في

ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته وليس يعرف موضع قبره {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا(٦٩)} واشتقاقه من الوجه لأنه أرفع ما في الإنسان أي كان عند الله رفيع المنزلة والمقدار.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠)} يعني صواباً عدلا.

قوله تعالى: {..إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعني على أهل السماوات وأهل الأرض بشروطها فأبوا أن يقوموا بشرائطها {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} يعني جنس الناس.

قوله تعالى: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} وعذابهم بالشرك والنفاق والعصيان والشقاق.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة سبأ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} يعني الذي خلق ما في السماوات وما في الأرض وملكه {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} وهو حمد أهل الجنة من غير تكليف سروراً بالحمد كقوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ} [الزمر:٧٤]، و{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر:٣٤]، {وَهُوَ الْحَكِيمُ} في فعله {الْخَبِيرُ(١)} بخلقه.

قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني من مطر وغيره من الموتى {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} يعني من النبات والكنوز والمعادن {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} يعني الملائكة تنزل بالوحي وترجع إلى أماكنها.

{...وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} يعني لا يعجزوننا هرباً ولا يفوتوننا طلباً، وقرئ (معجزين) أي مبطئين مثبطين الناس عن اتباع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ(٥)} والرجز العذاب والمؤلم الموجع.

قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} والذين أوتوا هو أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- وورثة الكتاب من آل الرسول -صلى الله عليهم أجمعين- {الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} يعني القرآن المنزل كله حق وصدق {وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ(٦)} يعني إلى طاعة الله تعالى وسبيل مرضاته.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني بالبعث {هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ} يعني سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والقائلين هم كفار قريش {يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} يعني يخبركم إذا أكلتكم الأرض

وصرتم عظاماً ورفاتاً وتقطعكم السباع والطير {إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ(٧)} أي أنكم ستحيون وتبعثون.

قوله تعالىٰ: {..أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} يعني أفلم يعلموا ما بين أيديهم ممن أهلكهم الله من الأمم في أرضه وما خلفهم من أمر الآخرة في سمائه {إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ} يعني كما خسفنا بمن كان قبلهم {أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} ليعلموا أنه قادر علىٰ أن يعذب بسمائه إن شاء وبأرضه إن شاء {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(٩)} وهو المقبل بتوبته والمخلص في توحيد الله وطاعته.

قوله تعالىٰ: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا} والفضل النبوة وفصل الخطاب والحكم والزبور {يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ} والتأويب السير وكانت الجبال والأرض تنطوي لداود ولسليمان إذا ساروا قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلىٰ الأعداء تأويب

{وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(١٠)} وهذا من معجزاته فكان يعمل به كما يعمل بالطين لا تدخله النار ولا يضربه بمطرقة.

{أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} أي دروعاً تامة ومنه إسباغ النعمة يعني إتمامها وكان أول من صنعها داود وإنما كانت قبل ذلك صفائح {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} قال قدر المسامير لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها فتنقبض الحلقة والسرد المسامير ومنه قولهم: سرد الكلام سرداً إذا تابع بينه، ومنه قوله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- في الأشهر الحرم: ((ثلاثة سرد وواحد فرد)).

وروينا في الآثار أن داود -عَلَيْه السَّلام- كان يرقع كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم فألفان له ولأهله وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل.

ورويناأن لقمان -عَلَيْه السَّلام- حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيما يريد بها ولا يدري ما يريد فلم يسأله حتى فرغ منها داود ثم قام فلبسها فقال: نعم جنّة الحرب هذه؛ فقال لقمان عند ذلك: الصمت زين وقليل فاعله.

قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} أي وسخرنا لسليمان الريح تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار؛ فهي تسير في اليوم الواحد مسير شهرين {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ} أسال له عين القطر من صنعاء ثلاثة أيام كما يسيل الماء، والقطر النحاس المذاب {وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} أي يطيعه لأنه نبي مطاع مبعوث إليهم مسخر له كفار الجن بإذن ربه يعني بأمر ربه {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ} أي يعدل {عَنْ أَمْرِنَا} يعني عن طاعتنا وطاعة سليمان -عَلَيْه السَّلام- {نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(١٢)} يعني عذاب النار المسعورة.

قوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ} وهي المساجد {وَتَمَاثِيلَ} وهي الحصون والقصور {وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ} يعني كالحياض وهي كالجوبة من الأرض {وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} يعني ثابتات لا يزلن عن مكانهن مأخوذ من الجبال الرواسي لثبوتها وثبوت الأرض بها، وتلك القدور باليمن أبقاها آية وعبرة {اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا} وحين قال اعملوا آل داود شكراً قال داود: وكيف أشكرك والشكر نعمة منك؟ قال: (فالآن شكرتني حيث عرفت أن النعمة مني). {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣) }يعني الشاكر للنعمة.

روينا عن أبينا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال حين تلا هذه

الآية أنه قال: ((ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود: العدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السر والعلانية)).

قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ} وروينا عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أن سليمان كان في محرابه متوكياً على عصاه فمات وبقي على حاله قائماً على عصاه سنة والجن لا تعلم بموته وقد كان سأل الله تعالى أن لا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة وإنما سأل الله تعالى ذلك لأن الإنس كانت تقول في زمان سليمان إن الجن تعلم الغيب فلما مات سليمان مكث قائماً على عصاه ميتاً حولاً {فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(١٤)} وذلك أن سليمان -عَلَيْه السَّلام- جعل الله له أعواناً من الملائكة فكان يعذب بهم الجن في الهواء من أخطأ منهم وخالف أمره ويأمر لهم بقيود من نار وأسواط من نار، فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا معذبين خائفين سطوته وعقابه، وتقرأ دابة الأرض وهي جمع أرضة وهي التي تأكل الخشب والمنسأة العصا قال الشاعر:

إذا دنيت على المنساة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال عبدالمطلب:

أمن أجل حبل لا أبا لك صدته ... بمنسأة قد جر حبلك أحبلا

وأصلها من نسأت الغنم إذا سقتها. وروينا أن سليمان -عَلَيْه السَّلام- ابتدأ بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه واستكمل بناه في السنة الحادية عشر من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين

ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ من بنائه عيداً وأقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء فقال: (اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني أسألك لي ولمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا أمنته، ولا مريض إلا شفيته ولا فقير إلا أغنيته، والخامسة أن لا تصرف نصرك عمن يدخله حتى لا يخرج إلا من أراد إلحاداً أو ظلماً يا رب العالمين).

قوله عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ} وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن سبأ اسم رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير. وأما الشاميون: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة. وبعث إلى سبأ اثني عشر نبياً.

وأما الجنتان فكان أحدهما عن يمين الوادي والأخرى عن شماله وأن المرأة كانت تمشي فيهما وعلى رأسها مكتل فيمتلئ وما مسته بيدها {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ} يعني الذي رزقهم من جنتهم {وَاشْكُرُوا لَهُ} أي على ما رزقهم {بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ} وهي مأرب لأن أرضها عذبة وليست بسبخة ولأن ما بها ما يؤذي من الهوام وثمارها هنية موفرة.

فإن قيل: فكيف خصهم بالامتنان بأنه غفور للذنوب، وهذه نعمة من نعم جميع الخلق فعنه جوابان أحدهما: يجوز أن يكون امتنانه عليهم بعفوه من عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سائر الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار واستؤصلوا. والثاني: لأنه جمع لهم بين طيب البلد الذي هم فيه

ومغفرة ذنوبهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه فلذلك صاروا مخصوصين من بينهم.

قوله تعالى: {فَأَعْرَضُوا} يعني عن أمره واتباع رسله {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} والعرم الذي له عرامة وشدة ويقال إنه كان ماء أحمر أرسله في السد فشقه وهدمه {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ} ولم يكن ما بدلوا به من جنتيهم حسن وإنما سماها بذلك على وجه المقابلة كما قال تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} [البقرة:١٩٤]، وليس الثاني اعتداء وإنما سمي اعتداء على اتساع الكلام وسمى شجر القوم من خير الشجر إذ صيره من شر الشجر عقوبة بأعمالهم.

قال الله تعالى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ} بكفرهم {بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(١٧)}.

{ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ} والأكل البرير ثمر الخمط والخمط كل شجر له شوك وقيل إنه كل نبت فيه مرار لا يمكن أكله.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} والقرى المبارك فيها قرى بيت المقدس والبركة في الشجر والثمر والماء، قرئ طاهرة وكانت القرى متصلة ينظر بعضها إلى بعض، وكانت بين مأرب والشام {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} يعني وقدرنا فيها المقيل والمبيت {سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ(١٨)} يعني آمنين من الجوع والظمأ وبعد المراحل لأنها مقدرة بالقرب وزوال الخوف وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحركه.

قوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} قالوا لأنهم ملوا النعم فملتهم النعم وأحبوا أن تكون ثمارهم أبعد مما هي لتكون أشهى في نفوسهم وأحلى في عيونهم وذلك من فرط البطر {وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}

لكفرانهم للنعم وجحدانهم للرسل الذين بعثوا إليهم {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} أي يتحدث الناس بما كانوا فيه من نعيم وما صاروا إليه من هلاك حتى ضرب بهم المثل فقيل: تفرقوا أيدي سبأ {وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} يعني مزقوا بالتفرق والتباعد أما غسان فلحقوا بالشام وأما خزاعة فلحقوا بمكة وأما الأوس والخزرج فلحقوا بيثرب، وأما الأزد فلحقوا بعمان {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(١٩)} صبار على البلوى شكور على النعماء.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} وإبليس هو يمدهم في الضلال وإمدادهم على غوايتهم فلما تبعوه على ضلاله صدق ظنه فيهم وظنه أن يغويهم وفي الضلال يرديهم {فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٠)} يعني فاتبعوه على كفره إلا القليل وهم المؤمنون.

{...وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} يعني أنه ليس أحد من الأنبياء والأوصياء يشفع في العصاة المذنبين وإنما الشفاعة لمن أذن له وهم الأنبياء والأوصياء في المطيعين لله المؤمنين {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} يعني إخراج ما فيها من الخوف والفزع {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ} يعني أن ما قيل لنا في دار الدنيا من الوعد والوعيد والبعث والنشور والجنة والنار هو حق [و]قول صدق.

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فرزق السماوات المطر ورزق الأرض النبات {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢٤)} وأو بمعنى الواو.

قوله تعالى: {..قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا} يعني يوم القيامة {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا} أي يقضي بيننا لأنه بالقضاء يفتح وجه الحكم قوله: {بِالْحَقِّ} يعني بالعدل

{وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ(٢٦)} والقاضي العالم بما تخفون وما تبدون.

قوله تعالىٰ: {...وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني كفار العرب {لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} من الأنبياء والكتب.

{...بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} يعني بل مكرهم في الليل والنهار {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} يعني أشباهاً.

قوله تعالىٰ: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا} وهم ذوو النعمة والبطر.

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} قالوا ذلك للأنبياء والفقراء أي أنهم أولىٰ بما أنعم عليهم من الغنىٰ أن يكونوا علىٰ طاعة {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٣٥)} فيه تأويلان أحدهما أي ما عذبنا بما أنتم فيه من الفقر، والثاني: أي ما أنعم علينا بهذه النعم وهو يريد عذابنا فرد الله تعالىٰ عليهم ما احتجوا به فقال لنبيه: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} أي فيوسعه {وَيَقْدِرُ} أي فيقتره {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٣٦)} أي أن الله تعالىٰ يوسع علىٰ من يشاء ويقتر علىٰ من يشاء.

قوله تعالىٰ: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ} أي قربىٰ والزلفة القربة {إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا} يعني أن أضعاف الحسنة بعشرة أمثالها {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ(٣٧)} يعني غرفات الجنة آمنون من انقطاع النعمة.

{..وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} بالأجر في الآخرة إذا أنفقه في طاعة الله عز وجل.

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} يعني المشركين ومن عبدوه من الملائكة {أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ(٤٠)} وهذا السؤال للملائكة تقرير

وليس باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} يعني أنت الذي نواليه بالطاعة دونهم {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ(٤١)} يعني أنهم أطاعوا الجن في عبادتنا فصاروا بطاعتهم عابدين لهم دوننا وعنا بالجن رؤساء الكفر المبالغين فيه كما يشبه المبالغ في السر بالجن {أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ(٤١)} أي أكثر المشركين بشياطينهم وأحبارهم مطيعون.

قوله تعالى: {...وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} يعني مشركي قريش ما أنزل الله عليهم كتباً يدرسونها فيعلمون بدرسها أن ما جئت به حق وإنما أنزلنا الكتب على الأنبياء فكذبوا بك وبمن كان قبلك من الكتب والأنبياء.

{وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ} يعني أنهم ما عملوا معشار ما أمروا به المعشار هو عشر العشر والعشر عشر العشر فيكون جزء من ألف جزء والمراد المبالغة في التقليل {فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ(٤٥)} أي عقابي وفي الكلام إضمار محذوف وتقديره فأهلكناهم فكيف كان نكير.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ –أي بطاعة الله- أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى} أي أن تقوموا لله بالحق ولم يرد القيام على الأرجل كما قال: {وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} [النساء:١٢٧]، والمراد بالمثنى مشاور العترة والفرادى هو المنفرد برأيه {ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ} أي ليس برسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من جنون {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ(٤٦)} يعني الانتقام بالسيف والعقاب في الآخرة.

{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(٤٧)} أي نذير لكم بين يدي عذاب

شديد وسبب ذلك أن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- سأل قريشاً أن لا يؤذوه ويمنعوا منه لقرابته منهم حتىٰ يؤدي رسالة ربه فسمعوه يذكر اللات والعزىٰ في القرآن فقالوا: يسألنا أن لا نؤذيه لقرابته منا ويؤذينا بسب آلهتنا.

قوله تعالىٰ: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} والحق هو ما أنزله الله علىٰ رسله من صدق وعده ووعيده وأمره وزجره ويقذف: يلقي {عَلَّامُ الْغُيُوبِ(٤٨)} يعني الخفيات.

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ} والحق هو ما أظهره الله سبحانه علىٰ يدي نبيه من آياته ومعجزاته وشرائعه وأحكامه، وزهق الباطل، والباطل هو كل ما عبد من دون الله عز وجل من أوثان وأصنام.

{..وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ} وفزعهم يوم القيامة إذا رأوا أهوال الآخرة فلا فوت أي لا يفوت أحد العقاب ولا يهرب منه {وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ(٥١)} وهو موقف القيامة لأنه قريب إلىٰ النار.

{وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ(٥٢)} يقال نشته نوشة إذا تناولته من مكان وتناوش القوم إذا دنا بعضهم من بعض ولم يلتحم القتال بينهم قال الشاعر:

وهي تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به نقطع أجواب الفلا

وقوله: من مكان بعيد أي هو طلبهم إلا من حيث لا ينال {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ} يعني بالله سبحانه وكتبه ورسله {وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ(٥٣)} معناه يرجمون بالظن فيقولون في الدنيا لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار.

قوله تعالىٰ: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} يعني حيل بينهم وبين

التوبة والإيمان لأن الآخرة ليست بدار تكليف {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} يعني أمثالهم من أوليائهم الذين مضوا على الكفر {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ(٥٤)} يعني في اختلاط من أمرهم.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة فاطر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} والفطر الشق للشيء بإظهار الحسن يقال: فطر ناب البعير إذا طلع وفطر دمه إذا أخرجه وفطر البئر إذا ابتدأها وفي فاطر السماوات تأويلان أحدهما: خالقها ومنشئها. والثاني: شاقها بما ينزل منها وما يعرج فيها {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} يعني إلى الأنبياء والخلق بإنعام وانتقام {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} لأن بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له أربعة {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} يعني يزيد في خلقه ما يريد وينقص ما يريد. {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} والرحمة المطر.

قوله تعالى: {...أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} وهذه الآية عامة في جميع الكفار الذين صدوا عن طريقة الحق واتبعوا أهواءهم، وفي الكلام محذوف وتقديره: فإنه يتحسر يوم القيامة.

قوله تعالى: {..مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} العزة المنعة أي من كان يريد أن يعتز فليعتز بطاعة الله عز وجل.

وسبب نزول هذه الآية أن المشركين عبدوا الأوثان لتعزهم كما وصف الله تعالى عنهم في قوله: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا(٨١)} [مريم]، فأنزل الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} وهو توحيده عما أشرك به الجاحدون الكافرون {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} يعني أن العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ} يعني يشركون في الدنيا {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} يعني في الآخرة {وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ(١٠)} يعني

يهلك والبوار الهلاك.

قوله تعالىٰ: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} يعني آدم {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} يعني نسله {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} يعني ذكراناً وإناثاً فالواحد الذي معه آخر من شكله زوج والاثنان زوجان قال تعالىٰ: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ(٤٥)} [النجم].

{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} أي بأمره {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} معناه ما يمد في عمر معمر حتىٰ يصير هرماً ولا ينقص من عمره حتىٰ يموت طفلاً إلا في كتاب أي في علم الله سبحانه {إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(١١)} يعني إن زيادة المعمر ونقصان عمر الآخر علىٰ الله يسير.

قوله تعالىٰ: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ} يعني ما يستويان في انتفاع الناس بهما {هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ} والفرات هو العذب وذكره تأكيداً لاختلاف اللفظين كما يقال: هذا حسن جميل {سَائِغٌ شَرَابُهُ} أي ماؤه {وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} أي مر مأخوذ من أجت النار كأنه يخرج من شدة المرارة {وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا} يعني اللحم الحيتان {وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} يعني اللؤلؤ والمرجان {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ} وهي التي تمخر الماء أي تشقه بجريها شقاً {لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} يعني بالتجارة في الفلك {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢)} علىٰ ما آتاكم من نعمه.

قوله تعالىٰ: {...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} أي لا تحمل نفس ما عملته نفس أخرىٰ من ذنوبها ومنه الوزير لأنه يتحمل أثقال الملك بتدبيره {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ} والمثقلة هي التي أثقلتها الذنوب، ومعنىٰ الكلام أن النفس المثقلة بالذنوب إذا دعت يوم القيامة من

يتحمل عنها شيئاً من ذنوبها لم تجده {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} ولو كان المدعو للتحمل قريباً مناسباً {إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} يعني بالتصديق بالآخرة.

قوله تعالىٰ: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ(١٩)} وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كما أنه لا يستوي الأعمىٰ والبصير ولا تستوي {الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ(٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ(٢١)} وكذلك لا يستوي المؤمن ولا الكافر، والحرور الريح الحارة كالسموم والحرور يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون إلا بالنهار {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} والأحياء هم المؤمنون الذين أحياهم الإيمان والأموات الذين أماتهم الكفر {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ} أي يسمع الوعظ من يشاء من خلقه {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(٢٢)} وهذا مثل وتقديره كما أنك لا تسمع الموتىٰ في القبور كذلك لا تسمع الكافر.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ} أي بالقرآن {بَشِيرًا وَنَذِيرًا} بشيراً بالجنة للمطيعين ونذيراً من النار للمذنبين {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ(٢٤)} أي سلف فيها نبي.

{...أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} وفيه مضمر محذوف وتقديره مختلف ألوانها ومطعومها وروائحها فاقتصر منها علىٰ ذكر اللون لأنه أظهر {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ} والجدد الخطط واحدها جُدَّة ومنه قول زهير:

كأنه أشفع الجدين ذو جدد ... طاف تربع بعد الطيف عريانا

{بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ(٢٧)} والغرابيب الشديد السواد الذي لونه كلون الغراب ومنه قوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-:

((إن الله يبغض الشيخ الغربيب)) يعني الذي يخضب بالسواد وفيه تقديم وتأخير وتقديره: وسود غرابيب.

{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ} كذلك مختلف أحوال العباد ثم قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ومن لم يخش الله فليس بعالم، قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: إن فاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله تعالى.

قوله تعالى: {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ(٢٩)} يعني بالتجارة الجنة ولن تبور لن تكسد ولن تفسد.

قوله تعالى: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ} يعني ثواب أعمالهم {وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} لمضاعفة حسناتهم {إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(٣٠)} أي غفور للذنب بالتوبة شكور للطاعة ووصفه بأنه شكور مجاز معناه أنه مقابل بالإحسان مقابلة الشكور.

{..ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} وهذه خاصة في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وخيار أهل بيته من كان منهم على طريقه ومتبعاً لسنته فإن الله سبحانه اصطفاهم لوراثة الكتاب وائتمنهم عليه وحكم لهم به إلا من ظلم بفسقه وقطع إرثه وبخس حظه فلا وراثة له {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} والمقتصد المتوسط في الطاعات {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} وهو صاحب المنزلة العليا في الطاعات، وإنما بين بهذه الآية درجاتهم وأوضح وراثتهم.

{..وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} يعني تعب الدنيا وهمومها ومحنها وغمومها.

{الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} ودار المقامة في الجنة {لَا

يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ} أي تعب {وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ(٣٥)} واللغوب الإعياء.

{..وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} يعني يستغيثون فيها {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} أي نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} روينا عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- أن التعمير في هذا المكان ستون سنة.

قوله تعالى: {..هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} والخلف هو التالي للمتقدم وهذه الآية نزلت في الحجج من ولد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كلما مضى منهم إمام خلفه إمام آخر وهذا دليل على ن الله تعالى لا يخلي أرضه من حجة أو إمام {فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} أي فعليه عقاب كفره.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وأراد بالشركاء ما عبد من دون الله من صنم ووثن لأنهم أشركوا في العبادة {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ} يعني في خلق السماوات أي حتى صاروا شركاء في خلقها {أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ} فيه تأويلان أحدهما: أم أنزلنا عليهم كتاباً بأن الله تعالى لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به، والثاني: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما هم عليه من الشرك فهم على احتجاج به {بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا(٤٠)} يعني يغرر بعضهم بعضاً بما لا ينفعهم من الأعمال.

قوله تعالى: {..وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} هم قريش أقسموا قبل أن بعث الله رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إليهم حين بلغهم أن أهل الكتب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وحلفوا بالله جل اسمه

يميناً {لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} أي نبي {لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} عنى به سيدنا محمد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا(٤٢)} يعني عن الحق واتباع الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالى: {اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ} يعني أنهم استكبروا عن طاعة الله عز وجل {وَمَكْرَ السَّيِّئِ} وهو ما مكروه برسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كما قال: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الأنفال:٣٠]، {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} ومعنى يحيق ينزل قال الشاعر:

وقد رفعوا المنية واستقلت ذراعاً بعدما كادت تحيق

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ} يعني سنة الله في الأولين، وفيها وجهان أحدهما: نزول العذاب بهم عند إصرارهم على التكذيب. والثاني: لا تقبل التوبة عند نزول العذاب بهم.

قوله تعالى: {..وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} يعني من حيوان كله الذي دب على الأرض ودرج وقد فعل ذلك في زمن نوح -عَلَيْه السَّلام- {وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} يعني إلى الأجل الذي ضرب لهم في الانتقام منهم بالسيف أو نزول العذاب بهم {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا(٤٥)} بصيراً بأعمالهم عالماً بآجالهم.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة يس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {يس(١)} روينا عن آبائنا عن أمير المؤمنين علي -صلوات الله عليه- أنه قال: معناه يا محمد. وروينا عنه -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إن الله سبحانه سماني في القرآن بسبعة أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبدالله)).

{...لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ} يعني لتنذرهم كما أنذر آباؤهم {فَهُمْ غَافِلُونَ(٦)} يعني عن الإنذار وقبوله ووقوع العذاب بهم عند إصرارهم.

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ} الذي وجب عليهم العذاب {لَا يُؤْمِنُونَ(٧)} يعني أكثرهم الذي وجب عليهم العذاب لا يؤمنون، وهؤلاء هم الذين عاندوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من كفار قريش وأكثرهم قتل كافراً أو مات فكان المخبر كالخبر.

{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا} والجعل بمعنى الحكم في هذا المكان وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار في امتناعهم من الإيمان كامتناع المغلول من التصرف وقوله في الأعناق حقيقة لأن الغل تجمع فيه الأيدي إلى الأعناق {فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ} والأذقان الأمكنة المنحدرة عن الشفة السفلى لأن أيديهم تماسها إذا غلت {فَهُمْ مُقْمَحُونَ(٨)} ويقال: بعير مقمح وهو أن يرفع رأسه ويطبق أجفانه إذا ورد الماء في الشتاء وقيل المقمح هو أن يحدر ذقنه إلى صدره ثم يرفعه مأخوذ من القمح وهو رفع الشيء إلى الفم.

{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} ما صنعه الله تعالى فهو السد بالضم وما صنعه بني آدم فهو سد بالفتح والسد الذي كان من بين أيديهم ومن خلفهم هي ما حال الله تعالى بين نبيه صَلَّى الله عَلَيْه وآله

وسَلَّم وبين أعدائه حتى لم يقدروا عليه فكأن بينهم وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم سداً لم يصلوا إليه بمكروه حين منعه الله منهم {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(٩)} يعني أغشيناهم أبصارهم ظلمة حين أصروا على الكفر مكافأة لإيثارهم المعصية على الطاعة.

قوله تعالى: {..إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} والغيب هو ما يغيب به عن أعين الناس من أسرار علمه {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ} يعني غفران لذنبه حين أخلص لله عمله.

قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} فيه تأويلان أحدهما نحييهم بالإيمان والثاني نحييهم عند البعث للجزاء {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا} أي نعلم ما قدموا من خير أو شر {وَءَاثَارَهُمْ} وهو ما سنوه من سنة حسنة أو ابتدعوه من بدعة مستهجنة {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ(١٢)} يعني في علم واضح يتبع كما يتبع الإمام في المشكلات.

قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} هي أنطاكية.

{إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا} وهما شمعون ويوحنا {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} فقوينا مأخوذ من العزة وهي القوة المنيعة واسم هذا الثالث سكرم.

{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} هذا منهم على جهة الإنكار لرسالتهم ومعناه أن مثلنا من البشر لا يجوز أن يكونوا رسلاً {وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ} فيه تأويلان أحدهما: أن يكون ذلك منهم إنكار للرحمن أن يكون إلهاً مُرْسِلاً. والثاني: أن يكون ذلك إنكار أن يكون للرحمن رسل إلى خلقه {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ(١٥)} يحتمل وجهين أحدهما: تكذبون في أن لنا إلهاً، والثاني: تكذبون في أن تكونوا رسلاً.

قوله تعالى: {قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ(١٦)} فإن قيل: فعلم الله بهم لا يكون حجة عند الكفار لهم؟ قيل: يحتمل ذلك وجهين أحدهما: يعلم إنا إليكم لمرسلون بما يظهر لنا من المعجزات. والثاني: معناه تمكين ربنا لنا إنما هو لعلمه بصدقنا {وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(١٧)} يعني الإعجاز الدال على صحة الرسالة إعلاماً للقوم أن الذي على الرسل إليهم إبلاغ الرسالة وليس عليهم الإجابة وإنما الإجابة على المدعوين دون الداعين.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} أي تشآمنا بكم {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} يعني لنرجمنكم بالحجارة ويحتمل أن يكون الرجم في هذا المكان بمعنى الشتم {وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٨)} يعني التعذيب المؤلم {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} أي الشؤم معكم إن أقمتم على الكفر {أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(١٩)} في تطيركم وكفركم.

قوله عز وجل: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} وهو حبيب النجار {قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(٢٠)} وإنما علم صدق نبوتهم لأنهم لما دعوه قال: أتأخذون على هذا أجراً؟ قالوا: لا، فاعتقد صدقهم وآمن بهم. {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ(٢١)} يعني فاهتدوا بهدايتهم.

قوله تعالى: {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} أي خلقني {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٢)} أي تبعثون. فإن قيل: فكيف أضاف إلى نفسه إليهم وهو معترف أن الله تعالى قد فطرهم جميعاً ويبعثهم إليه جميعاً؟

قيل: لأن خلق الله تعالى نعمة عليهم يوجب الشكر والبعث في القيامة وعند تقتضي الزجر فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً وإضافة الزجر إلى الكافر أبلغ أثراً.

ورويـنا أنه لما قال لهم: {وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢٢)} وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه وهو يقول: يا رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

قوله تعالى: {...إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ(٢٥)} وخاطب بهذا الكلام قومه ومعناه إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي.

قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي} في هذا تأويلان أحدهما أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآبه وحميد عاقبته. والثاني: أنه تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله وهذه غاية النصيحة لأنه نصحهم حياً وميتاً.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} والجند الملائكة الذين ينزلون بالوحي على الأنبياء {وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ(٢٨)} أي فاعلين.

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} والصيحة العذاب {فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ(٢٩)} أي ميتون {يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} يعني يا حسرة العباد على أنفسهم {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٣٠)} واستهزاؤهم قبل العذاب.

{..وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ(٣٢)} يعني الماضين والباقين محضرون للثواب والعقاب.

قوله: {..وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ(٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ(٣٥)} أي وما تعمله أيديهم من الأنهار التي أجراها الله لهم ويحتمل وما لم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله تعالى.

قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} يعني الذكر والأنثى {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ} وفي هذا دليل على مشاكلة العذاب لهم في أنها زوج وأنثى {وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ(٣٦)} مما تفرد الله سبحانه بمعرفته ولم يحط بعلمه أحد من خلقه وذلك كثير في السماوات والأرض.

قوله تعالى: {وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} أي يخرج منه النهار يعني ضوءه مأخوذ من سلخ الشاة إذا خرجت من جلدها {فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ(٣٧)} أي داخلون في ظلمة.

قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} يعني لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا والرواية التي رويناها عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- والشمس لا مستقر لها {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٣٨)} وتأويل ذلك أنها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار.

قوله عز وجل: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} يعني أنه يطلع كل ليلة في منزل {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ(٣٩)} وهو العذق اليابس.

قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} يعني لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر أي ضوء القمر ليلاً والشمس نهاراً فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر {وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} يعني أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار لأنه لا يأتي بعد ليل متصل حتى يكون بينهما نهار متصل {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(٤٠)} لأن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملتصق بالسماء ولو كانت ملتصقة ما جرت وفي قوله: يسبحون تأويلان أحدهما يجرون والثاني: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة.

قوله تعالى: {وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(٤١)} والفلك السفن الكبار والمشحون المملو والمحمول هم الآباء حملهم الله

تعالىٰ في سفينة نوح. والثاني: ما روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن الذريات النطف والسفن أرحام الأمهات {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ(٤٢)} يعني أنه خلق مثل سفينة نوح ما يركبونه من السفن والثاني أنها الإبل خلقها لهم في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تشبه الإبل بالسفن قال طرفة:

كأن خدوج المالكية غدوة حلايا سفين بالنواضح من ددِ

قوله تعالىٰ: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ} يعني فلا مغيث لهم {وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ(٤٣)} يعني من العذاب {إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ(٤٤)} يعني إلىٰ الموت ويجوز إلىٰ يوم القيامة.

قوله تعالىٰ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} فيه تأويلان أحدهما : ما مضى بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم ما يأتي من الذنوب، والثاني: ما بين أيديكم من الدنيا وما خلفكم من الآخرة وعذابها. والثالث: ما بين أيديكم من عذاب الله لمن تقدمكم من عاد وثمود وما خلفكم من أمر الساعة {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٥)} أي لكي ترحموا ولا تعذبوا ولهذا الكلام جواب محذوف تقديره: وإذا قيل لهم أعرضوا عنه.

قوله تعالىٰ: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ} يجوز أن يكون المراد بالآية القرآن، ويجوز أن يكون المراد بها المعجزة.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ} هذه الآية في كل كافر وجاحد لنعم الله إذا أمروا أن يطعموا الفقراء والمساكين قالوا: {أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ} استهزاء وكفراً {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٤٧)}

يعني في ضلال من قول الله سبحانه حين ردوا بهذا الجواب.

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٤٨)} يعني ما وعد الكفار من العذاب، ويجوز أن يكون الوعد ما وعد به المسلمون من الظفر بهم.

قوله تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} والصيحة ظهور أمارات القيامة وبيان أشراط الساعة التي تأخذ الناس منها الصيحة.

روينا عن سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوباً يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم)).

{يَخِصِّمُونَ(٤٩)} يعني يتكلمون ويجوز أن يكون اختصامهم في دفع النشأة الآخرة {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} أي لا يستطيع أن يوصي بعضهم إلى بعض بما في يده من حق {وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ(٥٠)} أي إلى منازلهم لأنهم قد عجلوا عن ذلك.

قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} يعني تعاد الأرواح إلى الصور كما كانت في دار الدنيا {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ(٥١)} والأجداث القبور واحدها جدث ومعنى ينسلون يسرعون قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى ثاوياً   برد الليل عليه فنسل

قوله تعالى: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ(٥٢)} هذا قول المؤمنين.

{...إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ(٥٥)} يعني في شغل مما يلقى أهل النار فاكهون، وقرئ (فكهون) يعني بغير ألف، وفي

اختلاف القولين وجهان أنه سواء ومعناهما واحد يقال: فاكه وفكه كما يقال حاذر وحذر. والثاني: معناهما في اللغة مختلف والفكه الذي يتفكه بالطعام وبأعراض الناس قال الشاعر:

فكه إلى جنب العرايا إذ غدت فكما تبلغ ثابت الأطناب

وفيه أربعة أوجه: أحدها: ناعمون. والثاني: معجبون. والثالث: فرحون. والرابع: ذو فاكهة كما يقال: شاحم ولاحم أي ذو شحم ولحم كما قال لبيد:

وغررتني وزعمت أنك لابنٌ بالصيف تامرُ

أي ذو لبن وذو تمر.

قوله تعالى: {..لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ(٥٧)} يعني ما يشتهون ويتمنونه مأخوذ من الدعاء.

قوله تعالى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ(٥٨)} فيه تأويلان أحدهما أنه سلام الله تعالى عليهم إكراماً لهم. والثاني: تبشير الله لهم بسلامتهم.

قوله تعالى: {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ(٥٩)} لأن أهل النار يميزون من أهل الجنة.

{...وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا} يعني الهوى المتبوع، وروينا الكفر والجبل الجماعة ومنعها من الكلام وهو الختم عليها لأن أعضاءه التي كانت له أعواناً في حق نفسه صارت عليه شهوداً في حق ربه.

{...وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٦٥)} وفي كلامهم ثلاثة تأويلات أحدها: أن تظهر منها سمة تقوم مقامها كما قال

الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة حدرتا كالدر لما يثقب

والثاني: أن الموكلين بها يشهدون. والثالث: أن الله سبحانه خلق فيها كلاماً وذلك لما روينا عن سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((يقال لأركانه انطقي فتنطق بعلمه ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل)).

فإن قيل: فلم قال: {وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ} فجعل ما كان من اليد كلاماً وما كان من الرجل؟ قيل: لأن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة على غير شهادة وقول الفاعل على نفسه إقرار ولذلك عبر عما صدر عن الأيدي بالقول وما صدر عن الأرجل بالشهادة.

وروينا عن سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((أول عضو من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى)) فاحتمل أن يكون تقديم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء لأن معاصيه يدركها بحواسه التي هي في الشطر الأعلى من جسده وأقرب أعضاء الشطر منها الفخذ فجاز لقربه فيها أن يتقدم في الشهادة، وتقدمت اليسرى لأن الشهادة ميامن الأعضاء أقوى منها في سائرها فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى.

قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ} يعني أعمينا أبصار المشركين في الدنيا فضلوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم، ويحتمل أن يكون التأويل لأعمينا قلوبهم لما أصروا على الذنوب فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه والمطموس مأخوذ من طمس الكتاب وهو محو أثره ومن الناس وهو الذي لا يكون بين جفنيه شق.

قوله تعالىٰ: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} يعني غيرنا خلقتهم الحسنة إلىٰ الخلق المشوهة عذاباً وانتقاماً {فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ(٦٧)} يعني فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا أو يتأخروا، ويجوز فما استطاعوا مضياً في الدنيا ولا رجوعاً فيها.

قوله تعالىٰ: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} يعني نرده في الضعف والكبر إلىٰ حال الصغر لا يعلم شيئاً {أَفَلَا يَعْقِلُونَ(٦٨)} أن من فعل هذا بكم قادر علىٰ بعثكم.

قوله تعالىٰ: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ} أي ليس الذي علمناه من القرآن شعراً {وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ(٦٩)} يعني هذا الذي يتلوه عليكم هو ذكر وقرآن من الله عز وجل.

{لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} يعني لتنذر يا محمد بالقرآن من كان حياً وهذه قراءة تأويل من قرأ بالتاء، وفي قوله من كان حياً أربعة تأويلات أولها: عاقلاً. والثاني: حي النظر حي القلب، والثالث: من كان مؤمناً. والرابع: من كان مهتدياً {وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧٠)}معناه ويجب العذاب علىٰ الكافرين.

قوله تعالىٰ: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} يعني عملناه بقدرتنا وقوتنا كما قال: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات:٤٧]، أي بقوة ويجوز أن يكون من فعلنا وعملنا من غير أن نكله إلىٰ غيرنا والأنعام الإبل والبقر والغنم {فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(٧١)} يعني مقتنون وضابطون.

{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} فالركوب بالضم المصدر من قولك ركب يركب ركوباً والركوب بالفتح الدابة التي تصلح أن تركب {وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(٧٢)} يعني لحوم المأكول منها.

{وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} يعني ما يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها {وَمَشَارِبُ} يعني يشرب ألبانها {أَفَلَا يَشْكُرُونَ(٧٣)} يعني رب هذه النعم بتوحيده وطاعته.

قوله تعالىٰ: {..وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ(٧٥)} يعني أن المشركين عون لأوثانهم محضرون يعني إلىٰ النار لأنهم غضبوا لآلهتهم وآلهتهم لم تنصرهم.

قوله تعالىٰ: {..أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ} في هذه الآية قولان أحدهما أنها نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي أتىٰ النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- يجادله في بعث الموتىٰ. والثاني: أنها نزلت في العاص بن وائل أخذ نطفاً من البطحاء ففتها في يده ثم قال للنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: أيحيي الله هذا بعدما أرىٰ؟ فقال النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله-: ((نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)) {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(٧٧)} أي مجادل في الخصومة مبين بالحجة يريد أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً فاحتمل ذلك أمرين أحدهما أن ينبه الله بذلك علىٰ نعمه عليه.

والثاني : أن يدله بذلك علىٰ إحياء الموتىٰ كما ابتدأه بعد أن لم يكن شيئاً .

قوله تعالىٰ : {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} وهو من قدمنا ذكره ، ويحتمل قوله ونسي خلقه وجهين ؛ أحدهما : أي ترك خلقه أن يستدل به . والثاني: تنبيهاً علىٰ الاعتبار به.

{قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨)} استبعاد أن يكون خلقاً جديداً فأمر الله تعالىٰ نبيه أن يجيبه بما فيه دليل لأولي الألباب: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} أي فمن قدر علىٰ إنشائها أول مرة من غير شيء فهو قادر علىٰ إعادته في النشأة الثانية من شيء {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(٧٩)} أي كيف يبدئ ويعيد.

قوله تعالىٰ: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} أي الذي جعل النار المحرقة في الشجر الرطب المطفى وجمع بينهما مع ما فيهما من المضادة لأن النار تأكل الحطب وأقدركم علىٰ استخراجها هو القادر علىٰ إعادة الأموات وتجميع الرفات، ويحتمل ذلك منه وجهين أحدهما: أن ينبه الله سبحانه وتعالىٰ بذلك علىٰ قدرته الذي لا يعجز بها شيء. والثاني: أن يدل بها علىٰ إحياء الموتىٰ كما أحيت النار بالإذكاء.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٨٢)} فيه تأويلان أحدهما: أن يؤمر فيؤخذ. والثاني: أن ليس أخف من كلام العرب من ذلك ولا أهون فجعله الله تعالىٰ مثلاً لأمره في السرعة {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} يعني خزائن كل شيء ويجوز ملك كل شيء وفيه مبالغة {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٨٣)} يوم القيامة.

قال الإمام الناصر لدين الله:

سورة الصافات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا(١)} هم الملائكة وإنما سميت الصافات لأنها تصطف في صلاتها وعبادتها وتنتظر أوامر الله عز وجل فيما يأمرهم به بإنعام على خلقه أو انتقام منه أو قبض أرواح أو إرسال قطر ورياح أو إنزال كتب أو حمل شرائع وأحكام واصطفافهم دال على الخضوع واشتغال بالعبودية وانتظار الأمر.

{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا(٢)} يعني بها تعالى الملائكة، وتحتمل الآية أن يكون كل من زجر عن معصية الله سبحانه وأمر بطاعته وإنما اسم الملائكة لأنهم يردون بالنهي والأمر ويزجرون عن معاصي العلي الذكر.

{فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا(٣)} يعني الملائكة تقرأ كتب الله عز وجل {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ(٤)} هذا قسم بأن الإله لواحد والقسم على تقدير رب الصافات {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} يعني مالك السماوات والأرض وما بينهما من خلقه لأن الله في آجالهم وأرزاقهم ومصالحهم {وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)} يعني مشارق الشمس في الشتاء والصيف لأنها ثلاثمائة وستون مشرقاً والمغرب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب.

قوله تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦)} يحتمل تخصيص السماء الدنيا بالذكر وجهين أحدهما: لاختصاصها بالزينة. والثاني: لاختصاصها بالمشاهدة، وقوله: بزينة الكواكب لأن من الكواكب ما خلق للزينة ومنها ما خلق لغير الزينة.

وروينا عن سيدنا رسول الله أنه قال: خلقت النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين، وأدلة يهتدى بها في العبادات ويستدل بها على مرور الأيام

سورة الصافات

والأوقات، وزينة السماء الدنيا)). {وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ(٧)} المتجرد من الخير.

قوله تعالى: {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى} لأن الجن منعت بها أن تسمع أخبار السماء وكلام الملائكة والملأ الأعلى الملائكة {وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ(٨)} أي يرمون من كل مكان {دُحُورًا} والدحر الدفع بعنف.

قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} يعني إلا من استرق السمع مأخوذ من الاختطاف وهو الاستلاب بسرعة {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ(١٠)} والثاقب المستوقد من قولهم أثقب زندك أي استوقد نارك قال الشاعر:

بينما المرء شهابٌ ثاقب ضرب الدهر سناه فخمد

قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ} يعني فاسألهم وحاججهم {أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} يعني أيهم أشد خلقاً أهم أم من خلقته من السماوات والأرضين والملائكة {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ(١١)} وفي اللازب أربعة تأويلات: أحدها لاصق. والثاني: لزج. والثالث: لازق. والفرق بين اللاصق واللازق أن اللاصق الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي يلزق بما أصابه والرابع: لازم والعرب تقول طين لازب ولازم،

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

قوله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ(١٢)} وفي عجبت قرآتان أحدهما بضم التاء وتكون عجبت مضافاً إلى الله سبحانه، وإن كان لا

يتعجب من شيء لأن التعجب من حدوث العلم والله سبحانه وتعالى عالم بالأشياء قبل كونها وفي هذا التعجب وجهان أحدهما: بل أنكرت. والثاني: أنهم قد حلوا محل من يتعجب منه.

والقراءة الثانية: بفتح التاء كأنه قال: بل عجبتَ يا محمد. وفيما عجبت منه تأويلان أحدهما من الحق حين جاءهم ولم يقبلوه. والثاني: من القرآن حين أعطيه.

قوله: {وَيَسْخَرُونَ(١٢)} من النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- حين دعاهم ويجوز أن يكون من القرآن حين تلي عليهم.

قوله تعالى: {وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ(١٣)} يعني لا يبصرون ولا يتفكرون {وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ(١٤)} أي يستهزئون.

قوله تعالى: {...وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ(١٨)} أي صاغرون.

قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} يعني إعادة الأرواح في الصور {فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ(١٩)} يعني ينظرون سوء أعمالهم ويحتمل ينظرون البعث الذي كذبوا به {وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ(٢٠)} يعني يوم الجزاء والحساب {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢١)} وإنما سمي يوم الفصل لأنه يفصل به بين الحق والباطل.

قوله تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} يعني نساءهم الموافقات لهم في الكفر ويحتمل أن يكون المعنى وأشباههم يعني يضم أهل الكفر بعضهم إلى بعض في النار {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ} من الرؤساء المتبوعين في الكفر، ويجوز ما كانوا يعبدون من الأصنام والأوثان {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(٢٣)} أي إلى طريق النار ومعنى فاهدوهم أي دلوهم.

قوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ(٢٤)} ولما كان وقوفهم لسؤال

سورة الصافات

فيه تقريع وتوبيخ كان نوعاً من العذاب.

قوله تعالى: {...وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٢٧)} من التابعين والمتبوعين، ومعنى يتساءلون يتلاومون.

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ(٢٨)} وهذا قول الضعفاء التابعين للمتبوعين في ضلالهم وكفرهم ومعنى تأتوننا عن اليمين يعني من قبل النصيحة والعرب تيمن بمن جاء عن اليمين لأنهم كانوا يلبسون الأمر على أتباعهم ويشبهون الباطل بالحق والكفر بالإيمان والغش بالنصيحة.

{....يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(٤٥)} والكأس الإناء الذي فيه شراب أهل الجنة، والمعين فيه تأويلان أحدهما: الظاهر للعين،والثاني: الشديد الجري مشتق من قولك أمعن في كذا إذا اشتد دخوله فيه {بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ(٤٦)} يعني أن شراب أهل الجنة أبيض في اللون وله لون بخلاف هذا المسكر الذي يذهب العقول ويحسن القبيح ويورث العداوة والبغضاء ويصد شاربه عن طاعة خالقه نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه {لَا فِيهَا غَوْلٌ} أي أن شراب أهل الجنة لا يزيل عقولهم ولا يذهب أحلامهم {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ(٤٧)} يعني لا تفنى معارفهم ولا تزول علومهم.

قوله تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ(٤٨)} معنى قاصرات الطرف أي اللاتي قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم مأخوذ من قولهم اقتصر على كذا إذا قنع به وعدل عن غيره قال امرئ القيس:

من القاصرات الطرف لو ذب محول ... من الذُّب فوق الأنف أبرأت

والعين: العظام الأعين {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ(٤٩)} والمراد به البيض

المعروف في قش، وفي المكنون ثلاثة تأويلات أحدها أن يكون التشبيه ببطن البيض إذا لم تمسه يد والثاني: تشبيها حين بنزع قشرته والثالث: يكون تشبيهاً بالسخاء الذي يكون من القشرة العليا ولباب البيضة.

.........بياض.....

{...تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦)} وفي قراءة عبدالله: (إن كدت لتغوين) {وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ(٥٧)} أي معك في النار وقرئ مطلعون فاطلع بكسر النون وهو شاذ لأن العرب لا تختار إلا على الإطاقة فاطلع يكون على جهة فعل مثل دعا فأجيب ويكون نصباً فاطلع منصوباً بجواب الفاء وفي قراءة عبدالله: (إن هذا لهو الرزق العظيم) وفي قراءة عبدالله: (إنها شجرة ثابتة في أصل الجحيم).

{...طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(٦٥)} فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يشبه طلعها في قبحه رؤوس الشياطين لأنها موضوعة بالقبح وأنت قائل للرجل كأنه شيطان ذو عرف قال الشاعر وهو يذم امرأة له:

عنجود تحلف حين أحلف   كمثل شيطان الحماط أعرف

ويقال إنه نبت قبيح الرؤس يسمى برؤوس الشياطين، والأوجه الثلاثة ترجع إلى معنى واحد.

{...يُهْرَعُونَ(٧٠)} يسرعون سيرهم شبه بالرعدة الإهراع.

{...وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(٧٨)} ويقال أثنى عليه ثناء حسناً، ويقال: تركنا عليه في الآخرين {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ(٧٩)} أي تركنا عليه هذه الكلمة كما يقول قرأت من القرآن الحمد لله فيكون في الجملة نصباً ولو كان في الكلام وتركنا عليه في الآخرين سلاماً جاز والرفع خبر برفع السلام بعلى في تأويل النصب.

سورة الصافات

{...وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ(٨٣)} عن إبراهيم، عن ابن عباس يقول: من شيعته يعني محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لإبراهيم يقول على دينه وعلى منهاجه فهو من شيعته وإن كان إبراهيم سابقاً له -عَلَيْهما السَّلام- مثل قوله: {وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ} [يس:٤١]، أي في ذرية من هو منهم فجعلناها ذرية لهم وقد سبقتهم عن ابن عباس.

{...فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ(٨٩)} مطعون يقال: إنها كلمة فيها معراض أي أنه كل من كان في عنقه الموت فهو سقيم وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر.

وعن ابن عباس وأبي بن كعب في قوله: {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} [الكهف:٧٣]، قال: لم أنس ولكن من معاريض الكلام.

{...فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا} واغتنم خلوتهم من أهل دينهم وفي قراءة عبدالله: (فراغ عليهم صفقاً باليمين) وكأن الروغ هاهنا أنه اعتل روغاً بآلهتهم ما فعل..

{يَزِفُّونَ(٩٤)} والأعمش يزفون من أزففت ولم أسمع إلا زففت قراءة الأعمش من طردت الرجل أي صيرته طريداً وطردته يزفون جاءوا على هذه الهيئة، ويزفون من وزف يزف ويزفون عن مجاهد قال الوزيف العسلان.

{...رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠)} كما قال: {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠)} [يوسف]، ولم يقل: زاهد من الزاهدين ولم يقل صالحاً من الصالحين.

{بِغُلَامٍ حَلِيمٍ(١٠١)} في كبره {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} يقول أطاق أن يعينه على عمله وسعيه وكان ابن ثلاث عشرة سنة. {مَاذَا تَرَى} وترى

عن إبراهيم فانظر ماذا ترى ماذا تشير ماذا تأمرني روي والله أعلم أنه لم يستشره في أمر الله ولكنه قال: فانظر ماذا ترى من صبرك أو جزعك فقال: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ(١٠٢)} وقد يكون لئن يطلع على ما أمر به لينظر ما رأيه وهو ماض على ما أمر به.

{فَلَمَّا أَسْلَمَا} عن ابن عباس: فوضا، وفي قراءة عبدالله: سلما أي رضيا افعل ما تؤمر ولم يقل ما تؤمر به كأنه قال: افعل الأمر الذي تؤمر ولو كان في الكلام به لكان خبراً وفي قراءة عبدالله: (إني أرى في المنام افعل ما أمرت به) ويقال: أين جواب قوله: فلما أسلما ؟ وجوابها في قوله: وناديناه، والعرب تدخل الواو في جواب حتى ولما وتلغيها وتليهما وذلك قوله: {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر:٧٣]، أيضاً. وفي قراءة عبدالله: (فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية).

{...وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧)} عن ابن عباس قال: رعى في الجنة أربعين خريفاً فأعظم به كبراً. وقال مجاهد: بذبح مقبل والذبح كلما أعدته للذبح فهو ذبح.

{....وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣)} ذكروا أنه نبي وأن هذا الاسم من أسماء العبرانية كقولهم إسماعيل وإسحاق الألف واللام منه ولو جعلته عربياً من الألسن فتجعله أفعالاً مثل الأحراج لجاز وهو عربي.

ثم قال: {...سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ(١٣٠)} بجعله بالنون والعجمي من الأسماء قد يفعل به هذا تقول: ميكان وميكانين وفي بني أسد تقول: إسماعين بالنون وسائر العرب باللام، وقد قرأ بعض الناس: (وإن الياس) بجعل اسمه ياساً دخل عليه ألف ولام ثم يقرؤن: (سلام على آل يسين) وفي التفسير عن الكلبي (على آل يسين) على آل محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وفي قراءة عبدالله: (وإن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين)

سورة الصافات

وقد شهد على صواب هذا قوله: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} [المؤمنون:٢٠]، وطور سينين،وهو بمعنى واحد، ومعنى واحد.

{أَتَدْعُونَ بَعْلًا} أي رباً سوى الله ماذا، ويقال: عن ابن عباس أن ضالة أنشدت فجاء صاحبها فقال: أنا بعلها أنا صاحبها، فقال ابن عباس: هذا قول الله سبحانه: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا} أي رباً، ربكم تقرأ رفعاً ونصباً.

{...الْمَشْحُونِ(١٤٠)} السفينة الممتلي إذا جهزت وملئت، الفلك: يؤنث ويذكر ويذهب بها إلى الجمع بمنزلة الطفل والصيف.

{..مُلِيمٌ(١٤٢)} اكتسب اللؤم والملوم الذي يلوم باللسان وهذا مثل قول العرب: أصبحت محمقا ومعطشاً أي عندك الحمق والعطش. {الْمُدْحَضِينَ(١٤١)} المغلوبين أدحض الله حجته فدحضت وهو في الأصل أي زلقت الرجل.

{...وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ(١٤٦)} قيل لابن عباس وهو ورق القرع فقال: جعل الله من بين يقطينا كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين.

{..فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(١٤٨)} وفي قراءة عبدالله (حتى حين) في الغايات مع الأسماء سوى. {فَاسْتَفْتِهِمْ} أي تسألهم أي تسأل أهل مكة لكاذبون اصطفى استفهام فيه توبيخ لهم وقد يطرح ألف الاستفهام من التوبيخ ومثاله: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} [الأحقاف:٢٠]، فاستفتهم ولا تستفتهم ومعناهما جميعاً واحد التوبيخ.

{...وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ} إن الذين قالوا هذا القول {لَمُحْضَرُونَ(١٥٨)} في النار.

{...فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ(١٦١)} يريد : وآلهتكم التي تعبدون {مَا

أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ(١٦٢)} وأهل نجد يقولون بمفتنين وأهل الحجاز فتنت وأهل نجد افتنت بفاتنين بمضلين إلا من قدر له أنه يصلى الجحيم في السابق من علم الله سليمان بن أرقم عن الحسن كان يقرأ: (إلا من هو صالُ الجحيم) بالرفع فإن كان عرف فيها لغة معلومة مثل عاث وعثا فهو صواب قد قالت العرب جرف هار وشاكٍ السلاح وشاكِ وقيل:

ولو أني رميتك من بعيد لعاقك من دعار الذئب عاق

ولا تعثوا ولا تعيثوا العيثان.

{..وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ(١٦٤)} هذا من قول الملائكة..إلى قوله: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ(١٦٦)} يريد المصلون.

{وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ(١٦٧)} يعني أهل مكة {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ(١٦٩)} قال الله سبحانه: {فَكَفَرُوا بِهِ} والمعنى قد أرسل إليهم محمداً بالقرآن عليه وعلى آله الطاهرين من الله السلام فكفروا بمحمد وبالقرآن وهو مضمر لم يذكر لأن معناه معروف مثل قوله: {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ثم قال: فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠)} [الأعراف]، فوصل فرعون بقوله لأن المعنى بين.

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١)} أي سبقت لهم السعادة وقراءة عبدالله : سبقت كلمتنا على عبادنا، والمعنى مقام معلوم وفي مريم: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(٩٣)} ومعناه إن ضربت كمعنى ما ضربت إلا زيداً.

{...فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ} معناه بهم والعرب تجتزي بالساحة والعقوة من القوم ومعناه واحد نزل بك العذاب وبساحتك {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٧)} فبئس. وفي قراءة عبدالله: فبئس صباح المنذرين.

قال الإمام الناصر لدين الله:

سورة ص مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {ص} جزمها الفراء والأخفش يخفض الدال بلا نون لاجتماع الساكنين ويس ونون ويجوز أن بمنزلة الأداة وخاب بان وتركنا حاب بان خفض لأن الذي يلي آخر الحرف ألف والخفض مع الألف والنصب مع غير الألف فيقولون: حيت بيت وحوتا بوتا وحيص بيص قيل: لم تلتحصني حيص بيص تعافى مثل عاف وعفى رص في معنى وحبا لله نزول والله فهو جواب لقوله: والقرآن كما يقول حقاً والله يزول وإليه ويزعم قوم أن الله جواب والقرآن.

{إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ(٦٤)} وذلك كلام قد تأخر وجرت بينهما قصص مختلفة وكفى من جواب القسم فقال إن قوله: {وَالْقُرْءَانِ} يمين اعترض كلام دون موقع جوابها فصار جواب باليمين جواب للمعترض لليمين فكأنه أراد والقرآن كم أهلكنا فلما اعترض: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ} صارت كم جواباً للغوهم ولليمين ومثله: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(١)} [الشمس]، اعترض دون الجواب {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)} [الشمس]، فصارت {قَدْ أَفْلَحَ} [الشمس:٩]، تابعة لقوله: {فَأَلْهَمَهَا} [الشمس:٨]، وكفى من جواب القسم كلام دون موقع جوابها وكأن والشمس وضحاها لقد أفلح.

{..وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ(٣)} عن ابن عباس قال: ليس بحين فرار والنوص التأخر ، والنوض التقدم قال الشاعر:

أمن ذكر ليلى أن نأتك تنوص ... فتقصر عنها خطوة وتنوض

وناص مذكر وروي عن وهب بن منبه قال: ولات هو وليس بلسان

السريانية إذا أراد أن يقول ليس قال: ولات.

وعن ابن عباس: ولات حين مناص قال: ليس بحين برو ولا فرار عن قتادة: نادوا على غير حين وقيل الرحاء المطيعة وقيل عن الحسن قال: ليس بالعاصف الشديد ولا باهينة اللينة رخاء بين ذلك حيث أصاب حيث أراد وشاء قالوا قال: وأنشدوني:

لات ساعة مندم

والمفضل يذكر حب ألا لات حيناً وأضحى بالكتب قد قطع القرينا

ولآخر:

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين لقاء

{...وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا} فإن في موضع نصب لفقدان الخافض كأنه قيل: انطلقوا مشياً وامضيا على رتبكم وفي قراءة عبدالله: (وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم) ولو لم يكن لجاز كما قال: {وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا} [الأنعام:٩٣]، الآن البتة فيها القول مضمر.

{فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} اليهودية والنصرانية {أُنْزِلَ عَلَيْهِ} وفي قراءة عبدالله: (أم أنزل عليه) {...فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ(١٠)} يريد فليصعدوا في السماوات وليسوا بقادرين على ذلك، ومعناه إذ تصعدون قال: وليسوا بقادرين على الصعود إلى السماوات فما هم فأين يذهبون {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ(١١)} يقول: مغلوب من أن يصعد إلى السماء و(ما) هنا صلة في قراءة عبدالله: (إن كلهم إلا كذبوا الرسل).

{...مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ(١٥)} راحة. الحسن وأهل المدينة {لَنَا قِطَّنَا} حين نزل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧)} [الانشقاق]، فاستهزأوا فقالوا: عجل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب، والقط في الكلام الصك وهو الحظ.

{...وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً} ذكروا أنه إذا سبح أجابته الجبال بالتسبيح واجتمعت له الطير فسبحت فذلك حشره ولو كانت محشورة بالرفع جاز مثل: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} [البقرة:٧]، {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} ومعنى التشديد أن محرابه كان يحرسه ثلاثة وثلاثون ألفاً.

{وَفَصْلَ الْخِطَابِ(٢٠)} مجاهد قال: الشهود والأيمان وقال بعضهم: فصل الخطاب أما بعد {وَلَا تُشْطِطْ} لا تجور، وبعض العرب شططت وأكثرت أشططت ولو قرأ قارئ ولا تشطط لجاز كأنه يذهب به إلى معنى التباعد وشططت وقوله شطت الدار فهي تشط.

الكلبي: {..سَوَاءِ الصِّرَاطِ(٢٢)} قصد الصراط ، يقال: هديتك إلى الحق وهديته السبيل أي إلى السبيل، وإلى طريق مستقيم: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف:٤٣]، ومثله كثير جائز.

وفي قراءة عبدالله: (كان له تسع وتسعون نعجة أنثى) والعرب تؤكد التأنيث بأنثاه والتذكير بمثل ذلك فيكون ذلك كالفصل من الكلام وهذا والله رجل ذكر وأحسب ذلك عشرة كاملة من هذا نعجة أنثى {وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ(٢٣)} ولو قرئت وعازني لجاز.

{لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ} والمعنى بسؤال نعجتك فإذا ألغيت الهاء من السؤال أضيف إلى النعجة ومثله: {لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ

مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} [فصلت:٤٩]، والمعنى من دعائه الخير وقيل:

فلست مسلماً ما دمت حياً على زيد بتسليم الأمير

معنى بتسليمي على الأمير ظن داود -عَلَيْه السَّلام- وكل ظن أدخلته على خبر فجائز أن تجعله علماً لأنه علم غير العيان.

عن الكلبي: {...الصَّافِنَاتُ} يعني الخيل كان يحبها سليمان من جيش قاتله فظفر به فلما صلى الظهر دعا بها فلم يعرضها حتى غابت الشمس ولم يصل العصر وكان عندهم مهيباً لا يبتدى بشيء حتى يأمر به فلم يذكر العصر ولم يكن ذلك عن تجبر منه فلما ذكر قال: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} إني آثرت حب الخير والعرب تسمي الخيل الخير، وفي قراءة عبدالله: (إني أحببت حب الخير) بغير قال، ومما حذف في قراءتنا: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ يقولان رَبَّنَا} [البقرة:١٢٧].

{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ(٣٣)} عن الكلبي قال المسح هاهنا هو القطع والأعناق جسداً يقال صنماً ويقال شيطان.

{..لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} فزيد في ملكه أن سخرت له الريح والشياطين والريح {رُخَاءً} لينة لا تضعف {حَيْثُ أَصَابَ(٣٦)}.

{...هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٩)} يقول فمن به في العطية وأمسك ذاك إليك وفي قراءة عبدالله: (فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب).

{..بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ(٤١)} القراء بضم النون وذكر أبو جعفر المدني أنه كان يقرأ بالنصب نصب النون والصاد، وذكروا أنه المرض وما أصابه من همّ العاقبة.

وروي عن ابن عباس أنه اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل حران امرأة لسليمان كان يحبها فهوى أن يقع القضاء لأهلها ثم قضى بينهم بالحق فأصابه الذي أصابه من أجل ذلك. النصب غاية الحزن والحزن والعدم والرشد والرشد والصلب والصلب إذا خفف وضم أوله لا يثقل لأنهم جعلوها على جهتين إذا فتحوا أوله ثقله.

{...وَاذْكُرْ عِبَادَنَا} قرأه القراء بذلك يريدون إبراهيم وولده صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقرأ ابن عباس (عبدنا إبراهيم) وقال: إنما ذكر إبراهيم ثم ذكرت ذريته من بعده ومثاله: {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ} [البقرة:١٣٣]، على هذا المذهب وفي قراءة ابن عباس والعامة على آبائك.

{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ(٤٥)} أولي القوة والعبادة ، وفي قراءة عبدالله : (أولي الأيد) بغير ياء فيه لغتان حذف الياء مثل الجوار: {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ(٤٦)} على خالصة وهي معرفة وخالصة نكرة كقوله في قراءة مسروق: (بزينة الكواكب) والأبصار أولي القوة والعبادة وفي قراءة عبدالله أولي الأيد.

{وَالْيَسَعَ} أشبه بأسماء الأنبياء من بني إسرائيل وقرأ بعض أهل الحجاز خالصة ذكرى الدار إضافة كذلك: على قلب كل متكبر جبار {وَذَا الْكِفْلِ} إنما سمي كفلاً والكفل أن مائة من بني إسرائيل انفلتوا من القتل آواهم وكفلهم وقال بعضهم: كفل أحد بشيء فوفى به الكفل في كلام العرب الحظ والجد فلو مدح بذلك كان وجهاً على غير المذهبين، الجحيم هي المأوى أي مأواه.

{...وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ(٥٢)} مرفوعة.

{...هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ(٥٧)} وليذوقوه مقدم ومؤخر

وغساق يشدد سينه ويخفف، وذكروا أن الغساق ما يحرق كإحراق الجحيم ويقال إنه ما يغسق ويسيل من صديدهم وجلودهم وقرأ مجاهد {وَءَاخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ(٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ} هي الأمة بعد الأمة يدخل النار ثم قال: {لَا مَرْحَبًا} الكلام متصل كأنه يقول واحد فأما قوله: لا مرحباً بهم من قول أهل النار وهي مثل قوله: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف:٣٨]، وهي أيضاً له، {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠)} [الأعراف]، فاتصل فرعون بقول أصحابه كما قال: {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} [يس:٥٢].

{مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا} معناه من شرع لنا من سن لنا هذا {فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ(٦١)} مجاهد. {..أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا} ولم يكونوا كذلك وقرئ باستفهام وغير استفهام وهو من الاستفهام ويطرحه.

{...إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا} كأنك قلت : ما يوحى إلي إلا ذلك وإن شئت معنى آخر ما يوحى إلي إلا بأني نبي.

يريد {...بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ} اجتمعت القراء على التثنية ولو قرئ : بيدي واحدة لجاز والواحد من هذا يكفي من الاثنين كذلك العينان والرجلان تكفي أحدهما من الأخرى لأن معناهما واحدة.

{...قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(٨٤)} ينصب وقد قرئ بالرفع في الأول والنصب في الثانية، روي عن مجاهد أنه قال: فالحق والحق أقول ثنّى والحق أقول يريد وأقول الحق ورفعه على إضمار والحق له وذكر عن ابن عباس أنه قال: فأنا الحق وأقول الحق.

{...وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ(٨٨)} يريد نبأ القرآن لأنه حق، ونبأ محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعد حين بعد الموت وقبله لما ظهر الأمر غلبوه.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الزمر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} رفع بإضمار هذا مثل: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا} [النور:١]، أي هذه سورة فلو نصبت كان مثل: {كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [النساء:٢٤]، أي الزموا كتاب الله.

{..وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} يقولون {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا} وكذلك في قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا.

{...وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} أي يرضى الشكر لكم وهذا مثل قوله: {فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران:١٧٣]، قول الناس.

فإن قال قائل كيف قال: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ} يريد وقد كفروا؟ قلت: لأنه لا يرضى أن يكفروا فمعنى القرآن يكفروا وليس معناه الكفر بعينه، ومثل مما تبينه لك: لست أحب الإساءة وإني لا أحب أن تسيء.

{نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ} يقول: ترك الذي كان يدعوه إذا مسه الضر يريد الله عز وجل. فإن قيل: فهلا قلت في الكلام نسي كان يدعو. قلت: إنما قد يكون في موضع من قال الله عز وجل: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣)} [الكافرون]، وقال: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ} [النساء:٣]، فهذا وجه وبه جاء التفسير وقد يكون نسي ما كان يدعو نسي دعاءه من قبل وإن شئت جعلت الهاء في إليه لما ، وإن شئت جعلها الله تبارك وتعالى.

{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا} هذا وعيد كذلك قوله: {فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(٥٥)} [النحل].

{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ} قرأ يحيى بن وثاب بالتخفيف وحده يريد بأمن هو قانت وهو حسن لأن العرب تدعي بالألف كما تدعو بالياء: {أَفَمَنْ شَرَحَ

اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الزمر:٢٢]، على مثل هذا {ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ} وقائماً نصب على قوله لبثت ساجداً مرة وقائماً مرة إني مطيع في الحالين، ولو رفع كما رفع قانت جاز والقنوت الطاعة عن الكلبي في قوله: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ(١٩)} يقال: كيف اجتمع استفهامان في معنى واحد؟ يقال: هذا مما يراد به استفهام فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه الذي هو له وإنما المعنى والله أعلم: أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب عليه ومثله من غير استفهام: {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ(٣٥)} [المؤمنون]، والمعنى والله أعلم أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم، ومثله قوله: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٨٨)} [آل عمران].

وقوله: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} وعن ذكر الله ويقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته سواء في المعنى وكأن قوله: قست قلوبهم من ذكر الله لأنهم جعلوه كذباً فأقسى الله قلوبهم زاد قلوبهم قسوة، وكأن من قال: قست عنه.

{كِتَابًا مُتَشَابِهًا} عن الكلبي: متشابهاً أي غير مختلف لا ينقض بعضه بعضاً {مَثَانِيَ} يكرر فيه ذكر الثواب والعقاب {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} من آية العذاب {ثُمَّ تَلِينُ} عند نزول آية الرحمة.

{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يقال إن الكافر ينطلق به إلى الخزنة إلى النار مغلولاً فيقذف به في النار فلا يتقيها إلا بوجهه وجوابه من المضمر الذي ذكرت لك.

{...فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ} هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن

سورة الزمر

والكافر فجعل الذي فيه شركاء متشاكسون الذي يعبد آلهة مختلفين وقوله: {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} المؤمن الموحد القوام سلماً وسلم وسالم متقاربان في المعنى {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} فلم يقل مثلين لأنهما جميعاً ضربا مثل واحد فجرى المثل بينهما بالتوحيد ومثله: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً} [المؤمنون:٥٠]، ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد ولو قيل مثلين وآيتين جاز لأنهما آيتان في اللفظ.

{...وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} الذي غيره وقف فكانت في مذهب أجمل في المعنى وفي حرف عبدالله (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به)، الذي غيره وقف فهذا دليل أن الذي تأويل إجماع يحيى بن وثاب وأبو جعفر المدني.

{...أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عِبَادَهُ} وقرأه الناس عبده وذلك أن قريشاً قالت للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: إنا نخاف آلهتنا لسبك إياها فأنزل الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كيف يخوفونك بمن دونه والذين جمعوا فقالوا: عباده قد همت أمم الأنبياء بهم ووعدوا بمثل هذا فقالوا لشعيب النبي -صَلَّى الله عَلَيْه-: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود:٥٤]، فقال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} محمد والأنبياء قبله –صلوات الله عليهم أجمعين.

{...هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} و{مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} ونوى فيه وأضيف وقوله: بأن الله بالغ أمره وموهن كيد الكافرين والإضافة معنى مضى من الفعل فإذا رأيت المعنى قد مضى من الفعل فأين الإضافة مثل: أخوك أخذ حقه عن قليل وأخذ كذا حقه عن قليل ألا ترى أنك لا تقول قاتل الله حمزة لأن معناه ماض ففتح لأنه اسم.

{...اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ يتوفى الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} عند انقضاء أجلها ويقال إن توفيها نومها وهو أحب الوجهين إلى قوله: {فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى} ولقوله: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} [الأنعام:٦٠]، ويقرأ: (قُضي عليها الموت).

{...بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ} لتأنيث الفتنة ولو قال في الكلام: بل هو لجاز كما قال: هذا رحمة وفي قراءة عبدالله.

(إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء) نزلت في وحشي قاتل حمزة ودونه.

{...أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ} فيا حسرتا يا ويلتا مضافاً إلى المتكلم، والعرب تحول التاء إلى الألف في كل ما كان معناه الاستغاثة يخرج على لفظ الدعاء وربما قالوا: يا حسرتي كما تقول: يا لهفي ويا لهف علي وأنشد:

تزورونها أو لا تزور نساءكم ... ألهف بأولاد الإماء الخواطب

{...وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} فقال: مسودة نجارة بمفازاتهم وأهل المدينة بالتوحيد مثله قديم وأمر القوم وأمير القوم وارتفع الصوت والأصوات.

{...وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ} فرفع القبضة باليوم ولو نصب لجاز {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ} رفع السماوات بالباء التي في يمينه كأنه قال: صور الآدميين.

{...طِبْتُمْ} زكوتم.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة المؤمن [غافر] مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} ذهب إلى الرجال وفي حرف عبدالله: برسولها وبعضهم يقرأ: وأدخلهم جنة عدن واحدة، كذلك هي في قراءة عبدالله واحدة.

{...لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} يوم القيامة لأنهم مقتوا أنفسهم إذا تركوا الإيمان.

{..يُلْقِي الرُّوحَ} ..الآية ؛ لأن الروح في هذا الموضع النبوة، لتنذر من يلقى عليه الروح {يَوْمَ التَّلَاقِ(١٥)} وقيل التلاق لأنه يلتقي فيه أهل السماوات وأهل الأرض.

{...الْآزِفَةِ} القيامة كما ظهر نصب على القطع {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ(١٨)} أي لا تقبل شفاعته.

ثم قال: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} يعني الله عز وجل يقال إن للرجل نظرتين الأولى مباحة له والثانية محرمة لقوله: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} في النظرة الثانية {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ(١٩)} في النظرة الأولى فإن كانت النظرة الأولى تعمداً كان فيهم الإثم وإن لم تكن تعمد فهي مغفورة، (أو أن يظهر) ويظهر إنا نخاف التبديل على دينكم وأن يتسامع الناس فيصدقوه فيكون فيه فساد على دينكم.

{...يَوْمَ التَّنَادِ(٣٢)} عن الضحاك بن مزاحم قال: تنزل الملائكة من السماوات فتحيط بأقطار الأرض ويجاء بجهنم فإذا رأوها هالتهم فندوا في الأرض كما تند الإبل فلا يتوجهون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا فذلك قوله: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الرحمن:٣٣]،

وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر]، وذلك قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ} [الفرقان:٢٥]. الضحاك مشددة، وعن ابن عباس قال: من قرأها التنادي يوم يدعو أهل الجنة أهل النار.

{...كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ} كبر ذلك الجدال مقتاً ومثله كبرت كلمة أضمر في كلمة كبرت قوله الحمد لله وقوله: {عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ(٣٥)} أضاف القلب إلى المتكبر ومن نون جعل القلب هو المتكبر وفي قراءة عبدالله على كل قلب متكبر جبار على التعجب أكبر بها كلمة خارجة من أفواههم فهذا شاهد لمن أضاف المعنى في التقدم القلب وتأخره سواء قال: سمعت بعض العرب تقول: يرجل شعره يوم كل جمعة وكل يوم جمعة.

{فَأَطَّلِعَ} ترد على أبلغ والنصب جواب للفعل.

{...غُدُوًّا وَعَشِيًّا} ليس في الآخرة غدوٌ ولا عشي ولكنه مقادير عشيات الدنيا وغدواتها لقوله: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} {أَدْخِلُوا} همز الألف يحيى وعاصم والحسن موصولة في الفصل والنصب على النداء وفي الهمز يوقع عليه أدخلوا.

{...وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(٥١)} بالتاء ولو قرئ بالياء جاز.

{...إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} تكبروا أن يؤمنوا بما جاء به محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ببالغي ذلك الكبر أي بنائلي ما أرادوا وفي حرف عبدالله: (ومنكم من يكون شيوخاً) فوجد فعل من.

{...إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ} ولو نصبت يسحبون سلاسلهم في جهنم، وعن ابن عباس: وهم في السلاسل يسحبون.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-:

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وقوله: {...وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ} يقول: بيننا فرقة في ديننا فاعمل في هلاكنا {إِنَّنَا عَامِلُونَ(٥)} في ذلك منك، ويقال: فأيما نعلم من دينك فإنا عاملون بديننا.

{..الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} والزكاة في هذا الموضع أن قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فنزل وأطعم من هذا كفرهم في الآخرة.

{...وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} في قراءة عبدالله: وقسم فيها يقول: جعل في هذه البلدة ما ليس في هذه ليستأنسوا ويتجروا {سَوَاءً} نصبها العوام وخفضها الحسن جعله من نعت الأيام وإن شئت من نعت الآخرة ومن نصب جعلها متصلة بالأقوات وقد ترفع كأنه مبتدأ كأنه قال: ذلك سواء للسائلين يقول لمن أراد عمله.

{..فَقَضَاهُنَّ} خلقهن وأحكمهن {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(١١)} ولم يقل طائعتين ولا طائعات ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن وقد يجوز وإن كانتا اثنتين أتينا طائعين يكونان كالرجال لما تكلمتا. {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} يقول: جعل في كل سماء ملائكة فذلك أمرها.

{...إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} يقول: أتت الرسل إياهم ومن كان قبلهم {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يقول: وجاءتهم أنفسهم رسل بعد أولئك الرسل فيكونون الهاء والميم في خلفهم للرسل وتكون لهم يجعل لما معهم.

{...رِيحًا صَرْصَرًا} باردة تحرق كما تحرق النار {نَحِسَاتٍ} ونحسات أهل المدينة فخفف من خفف بناه على نحس.

{...فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٩)} يحبسون قال: وسمعت أبا ثروان يقول:

لأبعثن عليكم من يرعكم ويحكمكم أخذ من حكمة الدابة وأنشدني أبي ثروان:

فإنكما إن تحكماني وترسلا على عورات الناس إن وتصلعا

{..وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} وأبصارهم وجلودهم في هذا الموضع الذكر وهو مما كنى الله عنه {تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} [البقرة:٢٣٥]، يريد النكاح وكما قال: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} [النساء:٤٣]، والغائط الصحراء والبراري من ذلك أن قضاء أحد حاجة.

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ} لم تكونوا تخافوا {أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ} جوارحكم فتستروا منها ولم تكونوا لتقدروا على الاستتار منها وتكون على التعبير أي لم يكونوا يستترون منها {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} [الجاثية:٣١]، أضمر القول فقال ومثله: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ} [آل عمران:١٠٦]، والمعنى فيقال: وذلك أن لا بد من أن يجاب بالفاء ولكنها سقطت لما سقط الفعل الذي أضمر.

{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ} [الجاثية:٣٤]، نترككم في النار كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم العمل للقاء يومكم.

{فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(٣٥)} [الجاثية] يقول: لا يرجعون القول بعد دخولهم النار.

سورة حم عسق [الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {حم(١) عسق(٢)} ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: (حم سق) لا يجعل فيها عيناً ويقول السين كل فرقة والألف كل جماعة تكون وكذلك رأيتها في مصاحف عبدالله.

{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} حم عسق يقال إنها أوحيت إلى كل نبي كما أوحيت إلى محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قال ابن عباس: وبها كان علي بن أبي طالب يعلم الفتن ويعضهم كذلك فاعل لا يسمى فاعله ثم يرفع الله برد الفعل إليه {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} [الأنعام:١٣٧]، أي زينه لهم شركاؤهم ومثل من قرأ: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(٣٦)} [النور]، ثم قال: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ} [النور:٣٧].

{...لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} مكة {وَمَنْ حَوْلَهَا} من العرب {وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ} ومثله أيضاً: {ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} [آل عمران:١٧٥]، معناه يخوفكم أولياءه {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ} عنى الأنبياء ولو كان نصباً في الكلام جاز.

{...جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يقول: جعل لكم شيئاً {وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا} لتكبروا ذلك معنى قوله: {يَذْرَؤُكُمْ فِيه} يكثركم والمعنى إلى ذلك فيه.

{...فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ} أي فلهذا القرآن والمعنى إلى ذلك فادع، وروي عن ابن عباس.

{...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} ذكر أن الأنصار جمعت للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقالت: إن الله تعالى قد هدانا بك وأنت ابن أخينا فاستعن بهذه النفقة على ما ينوبك؛ فلم يقبلها فأنزل الله تعالى في ذلك: {قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ} أي في قرابتي لكم قال ابن عباس: في قرابتي من قريش.

{...وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٢٥)} ذكر العباد ثم قال: {وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٢٥)} كأنه خاطبهم {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} أي ويجيب الذين آمنوا وجاء في التنزيل: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} [آل عمران:١٩٥]، والمعنى فأجابهم ربهم فإنك إذا قلت: استجاب أدخلت اللام في المفعول فإذا قلت: أجاب حذفتها ويكون معنى استجابتهم بمعنى استجاب لهم.

{...وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا} أي وما بث في الأرض دون السماء بمثله جاء التفسير ومثله مما يثنى ومعناه واحد: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ(٢٢)} [الرحمن]، وإنما يخرج من الملح دون العذب.

{...كَبَائِرَ الْإِثْمِ} في الشرك والعوام كبائر كأنه شيء عام واستحب لمن قرأ كبائر الإثم أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذا كانت جميعاً.

{..وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(٣٩)} نزلت في أبي بكر خاصة وذلك أن رجلاً من الأنصار وقع به عند النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فسبه فلم يرد عليه أبو بكر فقام النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كالمغضب واتبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله ما صنعت بي شيئاً أشد مما صنع بي الأنصاري سبني فلم تنهه ورددت عليه فقمت كالمغضب، فقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((كان الملك يرد عليه إذ سكت فلما رادت عليه وثب الملك فوثبت معه)) فنزلت هذه الآية وفسرها شريك عن الأعمش عن إبراهيم في قوله: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(٣٩)} قالوا: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم للفساق فيتجبروا

سورة الشورى

عليهم ونزل في أبي بكر: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ(٤١)} حبان عن الكلبي وقوله: {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} يخفونه لما بهم من الذل وقال بعضهم: ينظرون إلى النار بقلوبهم ولم يرونها بأعينهم لأنهم يحشرون عمياً.

{...وَإِنْ تُصِبْهُمْ} وذكر الإنسان لأنه يكون واحد في مذهب الجمع برد الهاء والميم على التأويل ومثله: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا(٢٨)} [النساء]، يراد به كل الناس ولذلك جاء فيه الاستثناء وهو مثل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)} [المعارج]، و{لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ} [العصر]، و{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ} [النجم:٢٦].

{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩)} أي يخص بالإناث {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ} فجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات.

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يرى في منامه ويلهمه من وراء حجاب كما كلم موسى -عَلَيْه السَّلام- من وراء حجاب {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا} ملكاً من الملائكة فيكلم النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بما شاء الله ذلك في يرسل رسولاً الرفع والنصب فمن رفع يرسل قال: فيوحي مجزومة.

{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} قال بعضهم: أراد القرآن، وقال بعضهم: القرآن والإيمان.

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {...أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ} عن سليمان (أن) والحسن عاصم (أن) ومثله: {أَنْ صَدُّوكُمْ} [المائدة:٢]، ومثله: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا} [الشعراء:٣]، والعرب تقول: قد أضربت عنك وضربت عنك.

{...لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} يقال القائل: كيف أضاف الظهور إلى واحد؟ يقال: ذلك للواحد في معنى جمع مثل: جند وجيش فيقول: كثرت فينا ورفعت الجند أعينه ولا يقول: عينيه وكذلك كلما أضفت من الأسماء الموضوعة فأخرجها على الجميع فإذا أضفت إليه اسماً في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده مثل قولك: رفع العسكر صوته وأصواته، وجاز أيضاً لأن الفعل لا صورة له إلا كصورة الواحد. {مُقْرِنِينَ(١٣)} أقرنت له أضفته وضربت له قرناً.

{...أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} يريد الإناث خصصتم الرحمن بالبنات وأنتم هكذا يعني: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} [النحل:٥٨]، الفعل الوجه أو من مكانه {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ(١٨)} يقول لا يبلغ من الحجة ما يبلغ الرجل، وفي قراءة عبدالله: (أومن لا ينشأ إلا في الحلية وينشأ وعاصم عباد الرحمن.

روي عن عمر أنه قرأ عبدالرحمن وعاصم وأهل الحجاز وكذلك كأنكم، أخذوا من قوله: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف:٢٠٦]،

{...عَلَى أُمَّةٍ} كسرها الكسائي عن مجاهد كأن الأمة والسنة والأمة والملة الطريقة من أممت المصدر الأمة أيضاً الملك والنعيم قال الشاعر:

ثم بعد الفلاح والملك والأمة   وارتهم هناك القبور

سورة الزخرف

{عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ(٢٣)} ومقتدون لو نصب جاز الوقوف كسر دونها يقول للرجل: ذهب ونحن بالأثر متبعون ومتبعين.

{...إِنَّنِي بَرَآءٌ} مما الواحد والاثنان والجمع من المؤنث والمذكر يقال فيه براء لأنه صدر ولو قال بري الجمع وفي قراءة عبدالله: (إنني بري) بالياء ولو قرأ (باري) بالألف جاز يستهزي بالألف........ وفي مصحفنا وتهيا لكم من ذلك.

{..وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ} اسم الإسلام يقول لازمه لمن اتبعه وكان من ولده لعل أهل ملة يتبعون هذا للذين إذا كانوا من ولد إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- فذلك قوله: {لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ(٢٨)} إلى دينك ودين إبراهيم.

{..لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ(٣١)} عنى نفسه وأبا مسعود الثقفي والقريتين مكة والطائف. {وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ} وهو الوليد بن المغيرة فرفعنا المولى فوق عبده، وجعلنا بعضكم يسبي بعضاً فيكون العدوا الذي يسبي مسخرين لمن فوقها سخرياً وسخرياً والكسر والضم لغتنان في (ص) وفي (قد أفلح) سواء عن الحسن.

{..سُقُفٗا} وأثبتت جعلت واحدتها سقيفة أو سقوفاً عن أبي هريرة قال: لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس إلا لنبيكم كانت ناراً تنزل فتأكله ومنه فمن ثمره، و{فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ} [البقرة:٢٨٣]، واحدها رهان مجاهد سقف كالواحد.

{..وَزُخۡرُفٗا} جاء في التفسير يجعلها لهم من فضة من زخرف وقال

آخرون يجعل لهم مع ذلك ذهباً.

{وَمَنْ يَعْشُ} يريد يعرض عنه ويعش يَعْمَ عنه. {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} يريد الشيطان وفيه مذهب جمع وإن كان لفظه واحد يقول وإن الشيطان... مذهب جمع وإن كان لفظه وإن الشيطان ليصدونهم عن السبيل. {وَيَحْسَبُونَ} يريد أهل الضلالة {أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ(٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا} فيقال جاءنا لأحدهما وجاءنا الإنسان، وقرينه وقراءتنا جاءنا على مذهب الاثنين ومثله من قرأ كلا لينبذان هو وماله.

{يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ويقال: إنه أراد المشرق والمغرب فقال المشرقين وهو أشبه الوجهين بالصواب لأن العرب تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما يقال: جاء الزهرمان واحدهما زهرم.{وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ} يعني إشراككم يعني الشيطان وقرينه.

وقوله: {...وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} أمر أن يسأل رسلاً مضوا فيه وجهان أحدهما: أهل التوراة والإنجيل فإنهم إنما يخبرونهم عن كتب الرسل التي جاءوا بها فإذا سأل الكتب فكأنه سأل الأنبياء فقال بعضهم إنه سيسرى بك يا محمد فتلقى الأنبياء فاسألهم عن ذلك فلم يشك -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ولم يسألهم {أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ(٤٥)} ولم يقل تعبد ولا تعبدون وذلك أن الآلهة تكلم وتعظم فأجريت مجرى المملوك وما أشبههم.

{...وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} التي مضت قبلها.

{...أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ(٥٢)}..الآية أم من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بكلام قبله وإن شئت نعته على البشرى وعن بعض القراء: (أم أنا خير) وقال أحداثه أنه زعم أنه لو

سورة الزخرف

حفظت الأثر فيه لقرأت به على الحسن أسورة.

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ} انتهرهم عن يحيى.

{...سَلَفًا} مضمونة مثقلة، قال: وزعم القاسم أن واحده سليف وقرأ الأعرج: سلفاً كأن واحدهم سلفة وسلفة من الناس مثل أمة عن ابن عباس.

{يَصِدُّونَ(٥٧)} ويصدون مثل شد ويشد هيم وهيم وفي قراءة أبي: لذكر للساعة وابن عباس: لعلم للساعة وعلم متقاربان في المعنى.

{...يَاعِبَادِ} في أهل المدينة يا عباد بإثبات الياء.

{...وَأَكْوَابٍ} واحدها كوب في مصحف أهل المدينة. {مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ}.

{...مُبْلِسُونَ(٧٥)} كما يرى في العذاب ، وفي قراءة عبدالله : (وهم فيها مبلسون)، ذهب إلى جهنم والمبلس الآيس القانط من النجاة تقديراً العابس يقال: أيس مثل عبس وأصل يئس وفعله وجمعه اليأس مثل جذب وجبذ على القلب الآيس أيس فهو يئس مثل جذب وجبذ على القلب.

{كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ(٧٦)} هم عماد، وفي قراءة عبدالله: (ولكن كانوا هم الظالمين) هم اسم.

{..أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا} ينجيهم من عذابنا عند أنفسهم {فَإِنَّا مُبْرِمُونَ(٧٩)} معذبون.

{...وَقِيلِهِ يَارَبِّ} نصب وخفض قال: عنده علم الساعة علم قبله ومن نصب أضمر معها فعلاً كأنه قال: وقال قوله. وفي آخر القراءتين ونصبها يجوز من يسمع مثله ولو رفع قيله مثل يداه جاز وهذه الكلمة يا رب {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ} فوصله بدعاء كأنه قال من قوله وهم من أمر الله

أمره الله أن يصفح قبل أن يؤمر بقتالهم {وَقُلْ سَلَامٌ} مرفوع بمضمر عليكم ولو نصب كما قال: قالوا قال سلام جاز...... محمد للنبي أم أبرموا أم أحكموا حكماً فإنا محكمون.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {.....وَمَقَامٍ} يقال مبارك حسن ويقال: المنازل عن سعيد بن جبير.

{...فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} قال: تبكي على المؤمنين الأرض مصلاة ويبكي عليه من يصعد بعمله قال الفراء: كذلك ذكره وفي قراءة عبدالله.

{مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ(٣٠)} وهذا مما أضيف إلى نفسه لاختلاف الاسمين مثل قولك: {وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ} [الأنعام:٣٢]، ومثل قوله: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(٥)} [البينة].

{...وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ(٣٣)} يريد نعم مبينة منها أن أنجاهم من فرعون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وهو كما تقول للرجل: إن بلاي عندك وقد قيل فيها إن البلاء عذاب وكل صواب.

{...فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣٦)} يخاطبون النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وحده أي ائت بآبائنا يا محمد وهو مثل قوله: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} [الطلاق:١]، وهو كثير في كلام العرب أن تجمع فعل الواحد.

ما خلق الله ذلك إلا بالحق يريد الحق {...إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٠)} يريد الأولين والآخرين ولو نصب ميقاتهم جاز.

{..إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ} فإن المؤمن يشفع بعضهم في بعض.

{..طَعَامُ الْأَثِيمِ(٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ(٤٥)} ويغلي جعلها للطعام أو للمهل ومن أنثها ذهب إلى تأنيث الشجرة ومثله: {أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى} [آل عمران:١٥٤]، وتغشى التذكير النعاس والتأنيث

الأمنة.

{..فَاعْتِلُوهُ} وقرئ فاعتُلوه بضم التاء.

{..ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ} وروي عن الحسن بن علي -عليهما السلام- على المنبر يقول: ذق أنك بفتح الألف والمعنى في فتح الألف ذق بهذا القول الذي قلته في الدنيا، ومن كسر حكى عن قوله، وذلك أن أبا جهل لقي النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأخذه النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فهزه ثم قال: ((أولى لك يا أبا جهل أولى)) فأنزلها الله تعالى كما قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ورد عليه أبو جهل ، فقال : والله ما لقد رأيت ولا ربك على أني لأكرم أهل الوادي على قومه وأعزهم فنزلت كما قالها فمعناه فيما يرى والله أعلم أنه توبيخ بهم أي: ذق فإنك كريم كما زعمت ولست كذلك.

{..إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ(٥١)} ومقام أمين بضم الميم وبالفتح والفتح أحق في العربية لأنه المكان والمقامة بالضم الإقام وكله صواب.

{...وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ(٥٤)} وفي قراءة عبدالله بعيس عين والعيساء البيضاء من الإبل والعظام عظام الأعين.

{..لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ} يقول القائل: كيف استثنى موتي في الدنيا قد مضى من موتي الآخرة وهذا مثل قوله: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} [النساء:٢٢]، وإلا في هذا الموضع بمنزلة سوى كأنه قال: لا تفعلوا سوى ما فعل آباؤكم كذلك قوله: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ} وكذلك قوله: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود:١٠٧]، لهم من الزيادة على مقدار الدنيا من الخلود لله الحمد على نعمائه.

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {...وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ} يقول: في خلق الآدميين وخلق سواهم من كل زوج {ءَايَاتٌ} وفي قراءة عبدالله: وفي اختلاف الليل.

{....قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} نزلت قبل أن يؤمر النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بقتال أهل مكة {لِيَجْزِيَ قَوْمًا} بالياء والنون وقد قيل ليجزى أيضاً وهو لحن فلو كان أضمر في يجزي فعلاً يقع به الرفع كما تقول: أعطني ثوباً لتجزى ذلك الجزاء قوماً فهو وجهه.

{...عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ} على دين ومثله ومناهج كل ذلك.

{...وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} برفع الساعة وإن نصبتها فصواب قرئ به وفي قراءة عبدالله: وإذا قيل إن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها.

{...أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ} وتنصب سواء وترفع والمحيا والممات في موضع رفع بمنزلة قوله: رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم ولو نصب المحيا والممات كان وجهاً نريد أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم.

{...وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} وغشوة وكأن غشاوة اسم وكأن غشية شيء غشيها في وقعة واحدة مثل الرجعة والرحمة والمسرة.

{نَمُوتُ وَنَحْيَا} يقول القائل: كيف قال: نموت ونحيا وهم يكذبون بالبعث وإنما أراد نموت ويأتي بعدنا أبناؤنا فجعل فعل أبنائهم كفعلهم وهو في العربية كثير {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} أي إلا طول الدهر ومرور الليالي والأيام والسنين والشهور وفي قراءة عبدالله وما يهلكنا إلا الدهر كأنه دهر يمر.

{...وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً} كل أهل دين جاثية مجتمعة للحساب ثم قال: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا} إلى حسابها وهو من قول الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الحاقة:١٩]، {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ} [الحاقة:٢٥].

{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ} والاستنساخ ملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره فيثبت الله ما كان من عمله له ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب بقوله: هلم اذهب ويعلل فذلك الاستنساخ.

{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ} [آل عمران:١٠٦]، معناه والله أعلم فيقال: أكفرتم وذلك أن ما لا بد لها من أن تجاب بالفاء ولكنها سقطت لما سقط الفعل الذي أضمر.

{...وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ} نترككم في النار {كَمَا نَسِيتُمْ} أي تركتم العمل لـ{لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}.

{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ(٣٥)} يراجعون الكلام بعد دخولهم في النار.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {...قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ثم قال: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} ولم يقل ماذا خلقت ولأخلقن؛ لأنه إنما أراد الأصنام فعلهم كفعل الناس وأشباههم لأن الأصنام تعبد وتعظم كما يعظم الأمراء وأشباههم فذهب بها إلى مثل الناس وهي في قراءة ابن مسعود: (أفرأيتم من تدعون من دون الله) فجعلها من فهذا تصريح يشبه الناس في الفعل والاسم وفي قراءة عبدالله: (قل أرأيتكم) وعامة ما في قراءته من قول الله عز وجل أرأيت وأرأيتم فهي بالكاف حتى في قراءته أرأيتك الذي يكذب بالدين. فعليك بقراءة العامة.

{...أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} اختلقه من تلقاء نفسه.

{...أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ} قرأها القراء: أثارة {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٤)} وأثره أيضاً قرئ وذكر عن بعض القراء أثرة والمعنى فيه بقية من علم في أثارة وفي أثرة سواء ويقال: أو شيء مأثور من كتب الأولين فمن قرأ أثارة فهو كالمصدر مثل قولك: السماحة والشجاعة، ومن قرى أثرة فأبناه على الأثر كما قيل فترة ومن قرأ أثرة فكأنه أراد مثل حفظة والرجفة.

{...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} عنى به الأصنام والله أعلم وهي في قراءة عبدالله: (ما لا يستجيب له) فهذا مما ذكرت لك في من وما.

{...قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} يقول لم أكن أول من بعث فقد بعث قبلي أنبياء كثيرة {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} نزلت في أصحاب النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، وذلك أنهم شكوا إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ما يلقون من أهل مكة قبل أن يؤمر بقتالهم فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إني قد رأيت في منامي أني

أهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء)) فاستبشروا بذلك ثم أنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ما نرى تأويل ما قلت وقد اشتد علينا الأذى فأنزل الله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} أخرج إلى الموضع الذي رأيت في منامي أو لا، ثم قال لهم: ((إنما هو شيء رأيته ما هو بوحي ما أتبع إلا ما يوحى إلي ما أخبرتكم به ولو كان وحياً لم يقل: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم.

{وَشَهِدَ شَاهِدٌ} من اليهود {عَلَى مِثْلِهِ} على مثل ما شهد عليه عبدالله بن سلام من الإيمان بالنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وتصديق التوارة له وأنه موصوف فيها {فَآمَنَ} ذلك الرجل {وَاسْتَكْبَرْتُمْ}.

وقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} لما أسلم مزينة وجهينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأشجع وأسد: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم فذلك تأويل قوله: {وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا} وقراءة عبدالله: مصدقاً لما بين يديه لساناً عربياً، أي هذا القرآن مصدق التوارة عربياً مبيناً غير عربيه.

{...وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} وحسناً يقال إن الأشد هاهنا هو الأربعون وقيل ثلاث وثلاثون والاستواء الأربعون، وسمع أن الأشد في غير هذا الموضع ثماني عشرة والأول أشبه بالصواب لأن الأربعين أقرب النسق إلى ثلاثة وثلاثين منها إلى ثماني عشرة.

{أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ}..إلى قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} نزلت في أبي بكر يتقبل {وَنَتَجاوَزُ} بالنون والياء.

{...وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ} من القبر اجتمعت القراء على الألف لما لم يسم فاعله ولو قرئت: أن أَخرُج بفتح

سورة الأحقاف

الألف كان صواباً. {وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ} أبو بكر وامرأته يقولا {وَيْلَكَ ءَامِنْ}.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} لم تنزل في عبدالرحمن بن أبي بكر ولكن عبدالرحمن قال ابعثوا إلى جدعان بن عمر وعثمان بن عمر وهما أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أحق أم باطل؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} يعني جدعان وعثمان.

{..أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ} قرئ باستفهام وغير استفهام والعرب تستفهم بالتوبيخ وتترك يقولون: ذهبت ففعلت ويقولون: أذهبت ففعلت وفعلت وكله صواب.

{بِالْأَحْقَافِ} أحقاف الرمل واحدها حقف الحقف الذي فيه طول وليس بكل ذلك فإذا طال أحد فهو الشهور وقيل الأحقاف جبل بالشام ويقال أحقاف الجبل مدره نصبا زمان العرق عن المكان من الجبل بقي أثره والعذاب الهون قيل الشديد تهاون فيه بالعذاب وقيل الهون الهوان والصغارة العذاب {وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} من قبله ومن بعده وفي قراءة عبدالله: (وقد خلت النذر من بين يديه ومن بعده).

{...فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ} أجمعوا أن يكون سحاب ممطر فقالوا: هذا الذي وعدتنا والله المغيث والخير قال الله عز وجل: قل لهم {هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} من العذاب، وفي قراءة عبدالله: قل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم. من قال: هو ذهب إلى العذاب ، ومن قال : هي ذهب إلى الريح. قرأ علي بن أبي طالب -عَلَيْه السَّلام-: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} وقرئ ترى.

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} يقال في الذي يمكنكم أن يتميز له ما في الجحد {وَحَاقَ بِهِمْ} هو في كلام العرب عاد عليهم ما استهزأوا ورجا التفسير أحاط بهم نزل ما كانوا استهزوا به.

{..وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ} وإفكهم وأما الإفك والآفك فمنزلة قولهم الحذر والحذر والنجس وأما من قال: إفكهم فإنه يجعل الهاء والميم في موضع نصب يقال ذلك صرفهم عن الإيمان وكذبهم كما قال: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(٩)} [الذاريات]، أي يصرف عنه من صرف وذكر بعض القراء أقرأ.

{...أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ} كما قال حمزة: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ} [النمل:٨١]، العوام: بهادي العمي من قرأ بهذا وقف عليه ومن قرأ بهادي العمي لم يقف عليه حتى يتم. العمى الضلالة بهذه القراءة.

سورة محمد صَلَّى اللّه عَلَيه وآله وسَلَّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-: سورة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم مدنية كلها.

قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(١)} أي عن دين الله بنهيهم عن الدخول فيه. والثاني: صدوا عن سبيل الله بمنع قاصديه ودفع زائريه أضل أعمالهم أي أحبط ما فعلوا من الخير بما أقاموا عليه من الكفر، وهذه الآية نزلت في اثني عشر من كفار مكة منهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وابن البختري وربيعة بن الأسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- {وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يعني القرآن {وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} أي إيمانهم هو الحق من ربهم بما هداهم الله إليه {كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} أي غفرها بإيمانهم {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ(٢)} يعني أمرهم وحالهم.

{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ} يعني الأصنام والرؤساء الذين أضلوهم وإنما سموا بالباطل لدعائهم إليه {وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} وعنا بالذين آمنوا أمير المؤمنين -صلى الله عليه وسلم- وكل آية في القرآن فيها ذكر المؤمنين فعلي -عَلَيْه السَّلام- سابقها وقائدها والحق القرآن وسمي بإتيانه للحق ولموافقته أحكامه الحق {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ(٣)} يعني صفات أعمالهم من خير أو شر والناس فيه وجهان أحدهما: يجوز أن يكون المعني به رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-. والثاني: يجوز أن يكون المراد به سائر الناس.

قوله تعالىٰ: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} يعني جميع المشركين أي ضرب أعناقهم إن لم يسلموا إلا من كان ذا عهد وذمة {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} وفي المنّ هاهنا قولان أحدهما: أنه العفو والإطلاق كما من رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم علىٰ ثمامة بن أثال بعد أسره. والثاني: أنه العتق.

وأما الفداء ففيه قولان أحدهما: أن المفاداة علىٰ مال يؤخذ أو أسير يطلق كما فادىٰ رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- أسرىٰ بدر كل أسير بأربعة آلاف درهم وفادىٰ في بعض المواضع رجلاً برجلين. والثاني أنه البيع.

{حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} يعني أوزار كفرهم في الإسلام وأوزار الحرب أثقالها والوزر الثقل ومنه سمي الوزير لأنه يتحمل الأثقال، وأوزارها السلاح توضع إما بالهزيمة أو الموادعة قال الشاعر:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

وقيل حتىٰ تضع الحرب أوزارها يعني أوزار كفرهم بالإسلام والإمام فيمن أسره من دار الكفر بين أربعة أمور بين أن يقتل لقوله: {فَضَرْبَ الرِّقَابِ} أو يسترق أو يمنّ كما منّ علىٰ ثمامة أو يفادىٰ بمال أو أسرىٰ فإن أسلموا سقط القتل عنهم وفي الثلاثة الباقية علىٰ خيار {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ} يعني بغير قتال.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وقرئ: (قاتلوا) {سَيَهْدِيهِمْ} إلىٰ طريق الجنة {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ(٦)} يعني عرفها بما فيها من الكرامة والنعم وقيل معنىٰ عرفها أي طيبها بأنواع الملاذ مأخوذ من العرف وهي الرائحة الطيبة.

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} يعني إن

سورة محمد

تنصروا دين الله ونبيه ينصركم {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ(٧)} في نصره.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ} والتعس الانحطاط والعثار.

قوله تعالى: {...وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ} أي وكم من قرية قال لبيد:

وكأين رأيت من ملوك وسوقة ... ومفتاح قيد للأسير المكبل

وكم أهل قرية {هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} أي من أهلها {أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ(١٣)} أي أهلكناهم بعذابنا فلا مانع لهم منا وهذا وعيد.

قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} هو رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} [هود:١٧]، هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- {كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} وسوء العمل هو الكفر والشرك، واتبعوا أهواءهم نعت لمن زين له سوء عمله.

قوله تعالى: {...وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} وهم المنافقون لأنهم كانوا يحضرون مجلس رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- مع المؤمنين فيسمعون منه ما يقول فيعيه المؤمن ولا يعيه المنافق فإذا {خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي إذا خرجوا من عند رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قالوا لمن أوتي العلم وهو أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- {مَاذَا قَالَ ءَانِفًا} يعني قريبا.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} وهذه الآية في أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- والأئمة الراشدين من ولده {زَادَهُمْ هُدًى} على اهتدائهم لأنهم عملوا بما سمعوا وعملوا بما علموا {وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ(١٧)} أي ثواب ما عملوا.

قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} أي فجأة

{فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} أي دلائلها وعلاماتها {فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ(١٨)} أي كيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة.

قوله تعالى: {..وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ} كان المؤمنون إذا تأخر نزول القرآن اشتاقوا إليه وتمنوه ليعلموا أوامر الله عز وجل فيهم وتعبده لهم {فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ} يعني التي أحكمت بالحلال والحرام والأمر فيها بالجهاد {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} أي أن المنافقين إذا رأوا سورة فيها ذكر القتال قد نزلت على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نظروا إليه نظر المغشي غماً بها وجزعاً منها {فَأَوْلَى لَهُمْ(٢٠) طَاعَةٌ} يعني فأولى بهم طاعة {وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} من أن يجزعوا عند فرض الجهاد عليهم فالطاعة في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من ولده فيما أمره الله عز وجل وما نهى عنه {وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} هو الصدق {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ} جد الأمر في القتال {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ} يعني بأعمالهم {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ(٢١)} من نفاقهم.

قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} بالمعاصي وقطع الأرحام وهذه الآية نزلت في المنافقين.

قوله تعالى: {...إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى} وهذه الآية نزلت في المنافقين في كل من رفض الهداة من آل الرسول -عَلَيْه السَّلام- من بعدما بان لهم أنهم أهل الحق المأمور باتباعهم ونصرتهم وطاعتهم {الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ(٢٥)} أي زين لهم الخطايا وأملى لهم أي أمهلهم لذلك.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ

سورة محمد

الْأَمْرِ} وهو قول اليهود للمنافقين سنطيعكم في كتم ما علمنا من نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقول المنافقين لليهود: سنطيعكم في تخلفنا عن الجهاد مع محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ(٢٦)} أي ما أسر بعضهم إلى بعض من هذا القول.

{فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ} يعني قبض الأرواح عند الموت {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ} يعني يضربون وجوههم في القتال نصرة لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عند الطلب {وَأَدْبَارَهُمْ(٢٧)} عند الهرب.

قوله تعالى: {..أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} يعني شك ونفاق {أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ(٢٩)} أي أحقادهم وعداوتهم قال الشاعر:

قل لابن هند ما أردت بمنطق ... ساء الصديق وشرد الأضغانا

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} واللحن الذهاب بالكلام في غير جهته مأخوذ من اللحن في الإعراب وهو الذهاب به عن الصواب ومنه قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته)) أي أذهب بها في الجهات لقوته على تصريف الكلام.

وروينا في الأثر أنه لم يتكلم عند نزول هذه الآية عند رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- منافق إلا عرفه {وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ(٣٠)} أي يميزها صالحة كانت أم طالحة.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أي أطيعوا الله بتوحيده وامتثال أوامره، وأطيعوا الرسول بتصديقه {وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ(٣٣)} أي لا تحبطوا حسناتكم بالمعاصي.

{..وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ(٣٥)} أي لن ينقصكم أجور أعمالكم

شعراً:

إن تترني عن الأجارة شيئاً لا تفتني عن الصراط بحقي

{وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ(٣٦)} أي لا يسألكم لنفسه أموالكم {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا} والإحفاء هو الإلحاح في السؤال واشتقاقه من الحفاء وهو المشي بغير حذاء.

{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا} يعني عن طاعتي {يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} وهم الأنصار من اليمن {ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ(٣٨)} يعني في البخل والإنفاق في سبيل الله وفي المعصية وترك الطاعة.

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:

سورة الفتح مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١)} هو فتح مكة وقد كان وعده الله تعالى أنه عام الحديبية عند انكفائه منها وقيل الفتح ما كان من أمره بالحديبية وهو أنه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أصاب فيها ما لم يصب في غيرها بويع بيعة الرضوان وأطعموا بخيل خيبر وظهرت الروم على فارس تصديقاً لخبره وبلغ الهدي محله والحديبية بئر وفيها تمضمض رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وقد غارت فجاشت بالروي.

{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ} يعني لتستر بالفتح جميع ما أذنبوا عليك والذنب وإن كان في اللفظ مضافاً إليه فهو لغيره من قريش وسائر الكفار حين آذوه وأتعبوه {وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} يعني بالفتح الذي خضع به من استكبر وأطاع من تجبر {وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(٢)} روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه لما نزلت هذه الآية تلاها على أصحابه فقال قائلاً منهم: هنيئاً مرياً يا رسول الله قد بين الله تعالى لنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فأنزل الله تعالى: {...لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا(٥)}.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} والسكينة هي الصبر على أوامر الله تعالى والثقة بوعده {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} أي ليزدادوا ثقة بالنصر مع إيمانهم بالجزاء {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يحتمل وجهين أحدهما : أن يكون معناه : ولله ملك السماوات والأرض ترغيباً للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، والثاني

معناه ولله جنود السماوات والأرض إشعاراً للمؤمنين أن لهم في جهادهم أعواناً لهم على طاعة ربهم.

قوله تعالى: {...إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٨)} يعني شاهداً على أمتك بالبلاغ وبشيراً بالجنة لمن أطاع ونذيراً من النار لمن عصى.

قوله تعالى: {وَتُعَزِّرُوهُ} أي تجلوه وتنصروه {وَتُوَقِّرُوهُ} أي تعظموه {وَتُسَبِّحُوهُ} أي بالصلاة التي فيها التسبيح {بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٩)} أي غدواً وعشيا، وقد مضى الاستشهاد في الأصل.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} لأن بيعة نبيه في طاعة الله عز وجل وإنما سميت بيعة لأنها عقد على الطاعة تشبيهاً بعقد البيع ولأن المبايع كأنه باع نفسه بالجنة {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يعني قوة الله تعالى ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، ويجوز ويد الله تعالى يعني منّة الله في الهداية فوق أيديهم بالطاعة {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} والنكث نقض العهد والكفر بعد الإيمان {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(١٠)} يعني ثواباً جزيلا.

قوله تعالى: {...وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا(١٢)} أي هالكين قال حسان:

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد ... يهدي السبيل سبيل المعشر البور

قوله تعالى: {...يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} أي ما وعد الله عز وجل نبيه من الفتح والظفر حين ظنوا ظن السوء به أنه يهلك ولا يظفر.

قوله تعالى: {سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} قيل إنهم هوازن وغطفان بحنين وقيل إنهم الروم.

قوله تعالى: {...لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ} وكان السبب في هذه البيعة بيعة الرضوان تأخر من أرسله رسول الله -صلّى الله

عَلَيْه وآله- من أصحابه بمكة رسولاً إلىٰ كفار قريش يدعوهم إلىٰ الإسلام أبطأ وأرجفوا بقتله فبايع أصحابه وبايعوه علىٰ الصبر والجهاد، وقيل: كانت عدتهم ألفاً وأربعمائة، وكانت البيعة تحت الشجرة بالحديبية، وكانت الشجرة سمرة، وسميت بيعة الرضوان لنزول آية الرضىٰ فيهم والآية خصت من كان ظاهره وباطنه في الإيمان واحد لأن الرضىٰ وقع عنهم.

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} يعني من صدق النية لمن صدق {فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ} يعني الصبر وسكون النفس إلىٰ صدق الوعد {وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(١٨)} يعني فتح مكة.

قوله تعالىٰ: {..وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا} يعني مغانم خيبر {وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ} وهم أسد وغطفان الحليفان عليهم عيينة بن حصن ومالك بن عوف جاءوا لينصروا أهل خيبر فألقىٰ الله تعالىٰ في قلوبهم الرعب فانهزموا.

{وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا} يعني فتح مكة {قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا} أي أحاط علم الله بأنكم ستفتحونها.

قوله تعالىٰ: {..سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ} يعني عادته السالفة في نصر أوليائه ورسله علىٰ أعدائه ولن تغير عادة الله في نصرك علىٰ أعدائك وأعدائه.

قوله تعالىٰ: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} بالرعب {وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} بالنهي إلىٰ وقت القتال، وقيل: سبب نزول هذه الآية ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا علىٰ رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- وأصحابه من قبل البيعتين عند صلاة الفجر ليقتلوهم فأخذهم رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأعقبهم.

قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني قريشاً {وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يعني ومنعوكم عن الحرم عام الحديبية حين أحرم النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأصحابه بعمرة {وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا} يعني محبوساً {أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} يعني الحرم حيث ينحروا الهدي وكان سبعين بدنة {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ} يعني بمكة {لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ} بخيلكم وأرجلكم {فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني الغم والشدة. قوله تعالى: {لَوْ تَزَيَّلُوا} أي لو تميزوا.

قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} يعني قريشاً فحمية الجاهلية هي أنفتهم أن يقروا للرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بالرسالة والاستفتاح بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) على عادته بالفاتحة ومنعهم من دخول مكة {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} يعني الصبر الذي صبروا والإجابة إلى ما سألوا والصلح الذي عقدوا حتى عاد إليهم في مثل ذلك الشهر من السنة الثانية قاضياً لعمرته ظافراً بطلبته {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى} وهي قول: لا إله إلا الله لأنهم كانوا يتقون بها غضب الله {وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} أي أحق بمكة.

قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- رأى في المنام أنه دخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشاً بالحديبية ارتاب المنافقون حين قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((فما رأيت في هذا العام)) قال: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا} يعني فعلم أن دخولها إلى سنة ولم تعلموا {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا(٢٧)} يعني فتح خيبر، {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ} خرج هذا الكلام إلى آخر الآية مخرج الحكاية، وقوله: {لَا تَخَافُونَ} أي غير خائفين وليس لا للنهي.

سورة الفتح

قوله تعالى: {..سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} أي آثار صلواتهم وسجودهم يبدوا في وجوههم ونور يكسوها الله عز وجل {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} معناه أن كلا الأمرين مثل في التوراة والإنجيل {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ} والشطء شوك السنبل والعرب تسميه السفا والبهما والثاني أنه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان، والثالث: هو أنه قراخه الذي يخرج من جوانبه ومنه شاطئ النهر لجانبه {فَآزَرَهُ} يعني فعاونه فشد فراح الزرع أصول النبت وقواها {فَاسْتَغْلَظَ} يعني باجتماع الفراح مع الأصول {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} أي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقاً له {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} يعني بذلك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ومن آمن به وصدقه لأن ما أعجب المؤمنين من قوتهم كإعجاب الزراع بقوة زرعهم هو الذي غاظ المشركين منهم.

قال الإمام الناصر لدين الله:

سورة الحجرات مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي لا تكلموا بين يدي كلامه ولا تقدموه في شيء من أفعاله وقيل إن هذه الآية نزلت في من ذبحوا قبل أن يصلي النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فأمرهم بإعادة الذبح {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١)} يعني سميع لقولكم عليم بفعلكم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} قيل إن رجلين من الصحابة تماريا عنده صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فارتفعت أصواتهما فنزل ذلك فيهما {وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ} وإنما هذا الجهر هو المنع من دعائه باسمه أو كنيته كما يدعو بعضهم بعضاً وليكن دعاؤه بالنبوة والرسالة كما قال: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور:٦٣].

قوله تعالى: {..إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ} في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما: أن رجلاً جاء إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فناداه من وراء الحجرات: يا محمد إن مدحي زين وذمي زين فخرج رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال: ((ويلك ذلك الله عز وجل)) فأنزل الله هذه الآية.

والثاني: أن ناساً أتوا النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيئاً فنحن أسعد الناس باتباعه وإن يكن ملكاً نعش في حياته، فأتوا النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وهو في حجرته فنادوا يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إنهم كانوا تسعة نفر قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وسويد بن هشام وخالد بن مالك وعطاء بن حابس والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن

سورة الحجرات

حصن.

قوله تعالىٰ: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ} الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وسبب نزولها فيه أن رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بعث الوليد إلىٰ بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فأخبره أنهم ارتدوا عن الإسلام فبعث إليهم رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بعض أصحابه وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق الرسول حتىٰ أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم الرسول صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ورأىٰ صحة ما ذكر له فرجع الرسول -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فنزلت هذه الآية.

قوله تعالىٰ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} أي لأثمتم ويحتمل أن يكون المعنىٰ لنالتكم مشقة وشدة فإذا كانوا هم ورسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فيهم بهذه الصفة فأهل عصرنا هذا والله أسخف رأياً وأضعف عقولاً وأطيش أحلاماً فنسأل الله المعونة والمكافأة {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ} وإنما حببه بما جعل عليه من الثواب والمدح {وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ} أي بما دل من الشواهد علىٰ صحته وأبان من الآيات علىٰ سلامته {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} يعني بما وصف الله تعالىٰ من العقاب عليه والفسوق هو كل ما خرج به الإنسان عن طاعة ربه.

قوله تعالىٰ: {..وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} هذه الآية نزلت في فريقين من الأنصار جرىٰ بينهما أمر فأصلح النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- بينهم {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ} يعني بالتعدي

في القتال والعدول عن الصلح {حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ} أي إلى الصلح الذي أمر الله به عز وجل {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٩)} أي اعدلوا إن الله يحب العادلين في قولهم وفعلهم.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ} وفي هذه السخرية وجهان أحدهما: استهزاء والمعنى بالفقير إذا سأله. والثاني: استهزاء الفاسق المعلن بفسقه بالمسلم {عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} يعني عند الله تعالى، {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} ولا يلمز بعضكم بعضاً واللمز الطعن أي لا يطعن بعضكم على بعض {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} والنبز هو وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به وقيل: هذه الآية نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنيه ثقل فكان يدنو من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حتى يسمع حديثه فجاء ذات يوم وقد أخذ الناس مجالسهم فقال: تفسحوا، ففعلوا إلا رجلاً كان بين يدي رسول الله – صَلَّى الله عَلَيْه وآله– لم يفسح وقال: أصبت موضعاً فنبزه بلقب كان لأمه مكروهاً فنزلت هذه الآية، ومن النبز أن يعيّر الرجل بعد إسلامه بما سلف من شركه ويسميه بعد إسلامه باسم دينه قبل إسلامه؛ فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فغير مكروه.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ} يعني ظن السوء بالمسلم توهماً من غير أن يعلمه يقيناً {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} يعني إن ظن السوء إثم {وَلَا تَجَسَّسُوا} هو أن يتبع عثرات المؤمن ويبحث عما خفي حتى تظهر.

والفرق بين التجسس بالجيم والتحسس بالحاء أن التجسس بالجيم هو البحث ومنه سمي الجاسوس لأنه يبحث عن الأمور والتحسس بالحاء هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

سورة الحجرات

{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} والغيبة على ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى والإفك والبهتان فأما الغيبة فأن تقول في أخيك ما فيه والإفك أن تقول فيه ما بلغك، وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه، وسئل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم عن الغيبة فقال: ((أن تقول في أخيك ما فيه فإن كنت صادقاً فقد اغتبته وإن كنت كاذباً فقد بهته)).

قوله تعالى: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} أي كما يحرم أكل لحمه ميتاً فكذلك تحرم غيبته حياً.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} قيل إن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب قال الشاعر:

قبائل من شعوب ليس منهم ... كريم قد يعد ولا نجيب

وسموا شعوباً لأن القبائل تشعب منها {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} يعني أن الفضل والكرم بالأفعال لا بالأنساب.

قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} خوف السيف وذلك أنهم منوا على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقالوا: لم نقاتلك فقال الله عز وجل لنبيه {قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} خوف السيف لأنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم فلم يكونوا مؤمنين وتركوا القتال فصاروا مستسلمين لا مسلمين.

قوله تعالى: {لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم، ولا ينقصكم أجور أفعالكم قال الشاعر:

وليلة ذات ندى سريت ... ولم يلتنى عن سراها ليت

سورة ق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {ق} وهو اسم الجبل المحيط بالأرض {وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ(١)} الكريم ويجوز أن يكون بمعنى العظيم لقولهم: مجدت الإبل إذا عظمت من كلأ الربيع {وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ(١)} هو قسم أقسم الله تعالى بخالق (ق) وخالق القرآن المجيد.

{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} يعني محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(٢)} وإنما عجبوا حيث دعاهم إلى إله واحد وهو بشر مثلهم فأعلمهم بالبعث والنشور والثواب والعقاب.

قوله تعالى: {..قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} فيه وجهان أحدهما: من منهم. والثاني: ما تأكله الأرض من لحومهم وتبليه من عظامهم {وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ(٤)} أي علم جميع الأشياء لا يتغير ولا يتبدل.

قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} يعني بالقرآن {فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ(٥)} والمريج الملتبس المختلط الذي بان فساده قال أبو ذؤيب:

مرج الدين فاعتدت له   مسرف الحارك محبوك الكبد

قوله تعالى: {وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(٦)} أي من فتوق وانصداع وخروق.

قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} أي بسطناها {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٧)} أي حسن {تَبْصِرَةً} يعني تبصرة بصر بها عباده وبرهاناً دل به الخلق على عظمته وقدرته {وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(٨)} أي تذكرة والمنيب التائب الذي أخلص توبته.

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} يعني المطر لأنه يحيى به الحيوان والنبات {فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ} أي بساتين {وَحَبَّ الْحَصِيدِ(٩)} أي البر

والشعير وكل ما يحصد من الحبوب. {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} والباسقات الطوال شعراً:

يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزارة

أي طالت عليهم {لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(١٠)} النضيد المتراكم المنظوم {رِزْقًا لِلْعِبَادِ} يعني ما أنزله من السماء من ماء مبارك وما أخرجه من الأرض من نبات وحب الحصيد وطلع نضيد {وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ(١١)} جعل ذلك كله دليلاً على البعث والنشور من وجهين أحدهما: أن النشأة الأولى إذا خلقها من غير أصل كانت النشأة الثانية بإعادة ما له أصل أهون والثاني أنه لما شوهد من قدرته إعادة ما مات من زرع ونبات كان إعادة ما مات من العباد أولى للتكليف الموجب للجزاء.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ} أما الرس ففيه وجهان أحدهما أنه كل حفر في الأرض من قبر أو بئر. والثاني: أنه البئر الذي لم يطو بحجر ولا غيره، وأما أصحاب الرس فإنهم قتلوا أصحاب ياسين في دار لهم ودسوه {وَثَمُودُ(١٢)} وهم قوم صالح وكانوا عرباً بوادي القرى وما حولها وهو مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل قال النابغة:

واحكم بحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع واري الثمد

{وَعَادٌ} وهو اسم رجل من العماليق كثر ولده فصاروا قبائل وكانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف الأرمال وهم قوم هود {وَفِرْعَوْنُ} كانوا من أبناء مصر، وروينا أنه عاش ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لا

يرى ما يقذي عينه ودعاه موسى ثمانين سنة {وَإِخْوَانُ لُوطٍ(١٣)} يعني قوم لوط وأتباعه كانوا أربعة آلاف ألف، وروينا في الآثار أنه ما يقوم أحد يوم القيامة من الأنبياء إلا وقام معه من أمته ناس إلا لوط فإنه يقوم وحيداً.

{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} وهي الغيظة ذات الشجر الملتف ، وكان عامة شجرها الدوم وكان نبيهم شعيباً أرسل إلى أمتين من الناس أهل مدين وأصحاب الأيكة {وَقَوْمُ تُبَّعٍ} وتبع كان رجلاً من ملوك حمير وسمي تبعاً لكثرة تبعه قال الإمام الناصر لدين الله: إن تبع أسلم وكفر قومه فلذلك ذكر قومه ولم يذكره وهو الذي حير الحيرة وفتح سمرقند حتى أخربها وكان يكتب إذا كتب (بسم الله الذي تسمى وملك براً وبحراً وصحا وريحا) {كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ(١٤)} أي حق عليهم وعيد الله وعذابه وإنما ذكر الله سبحانه قصص هؤلاء لهذه الأمة ليعلم المكذبون منهم بالنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وبالأئمة من ولده أنهم كغيرهم من مكذبي الرسل إن أقاموا على التكذيب فلم يؤمنوا حتى أرشد الله منهم من أرشد وتبعهم رغباً ورهباً من تبع.

قوله تعالى: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ(١٥)} فيه تأويلان أحدهما: معناه أفعجزنا عن إهلاك الخلق الأول يعني من تقدم ذكره حين كذبوا بالرسل مع قوتهم وكثرتهم حتى تشكوا من إهلاكنا لكم مع ضعفكم إن كذبتم فيكون هذا خارجاً مخرج الوعيد.

والثاني: معناه أننا لم نعجز من إنشاء الأول فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد يعني البعث بعد الموت فيكون هذا خارجاً مخرج البرهان والدليل.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}

والوسوسة كثرة حديث النفس في خفاء مما لا يتحصل {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(١٦)} أي ونحن أعلم بما يوسوس به من نفسه من حبل وريده الذي هو من نفسه لأنه عرق يخالط القلب فعِلْم الله أقرب إليه من عِلْم القلب وهو الوريد وهذا الوريد وريدان في العنق أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال ويحتمل أن يكون المعنى ونحن أملك به من وريده الذي هو منه.

قوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(١٧)} يعني الملائكة الحفظة وهم أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل يتلقيان الأعمال من الحسنات والسيئات والقعيد الرصيد.

{..وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ(١٩)} وهو ما رآه من المعاينة من ظهور الحق، والحق هو الموت ذلك ما كنت منه تحيد أي يحيد من الحق فظهر له الحق عند المعاينة ومعنى تحيد تتنحى قال عدي:

ولقد قلت حين لم يك عنه ... لي ولا للرجال عنه محيد

{..وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ(٢١)} والمراد بالسائق والشهيد العمل لأنه يسوقه إلى الجنة والنار.

قوله تعالى: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} يعني الكافر العاصي كان في غفلة من عواقب أمره ومصائر كفره {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(٢٢)} يعني بما رأى من أهوال يوم القيامة وآياته التي يجن أن يشك معها في قدرة الله شاك فبصرك اليوم حديد أي علمك لا يزيله شك ولا شبهه.

قوله عز وجل: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ(٢٣)} يعني بقرينه

من الإنس وقيل: الملك هو القرين أي هو الذي وكلت به قد أظهرته {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ(٢٤)} والمأمور بألقيا كل كفار في النار ملكان ويجوز أن يكون واحداً أمر بلفظ الاثنين كما قال الشاعر:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعواني أحم عرضاً ممنعا

والعنيد المنحرف عن الطاعة المعاند.

{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ(٢٥)} والخير المال كله ومنعه أن ينفق في طاعة الله عز وجل وتحبس منه الزكاة المفروضة، والمريب الشاك في الله عز وجل.

قوله تعالىٰ: {...لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ} والاختصام هو تخاصم كل واحد مع قرينه الذي أغواه في الكفر {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ(٢٨)} والوعيد هو ما ذكره الله عز وجل في كتابه من عقاب أهل المعاصي ويجوز أن يكون الوعيد الرسول المعلم بالوعيد.

{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} يعني فيما وعدته من ثواب وأوعدته من عقاب {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(٢٩)} أي وما أنا بمعذب من لم يجترم ولا بزائد في عقاب مسيء ولا ناقص من ثواب محسن {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ(٣٠)} وإنما المراد بذلك تعظيم حالها وأنها تسمع من ألقي فيها وليس قول في الحقيقة ولكنها لو كانت ممن ينطق لقالت بهذا المقال كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض وقال قطني

{..هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)} والأواب هو الذي

لا يجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل، والحفيظ هو المحافظ على وصية الله عز وجل المطيع له في السر والجهر. {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} هو الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(٣٣)} والمنيب مخلص مقبل على الله تعالى بعمله.

قوله تعالى: {...فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ(٣٦)} أي ساروا فيها وعملوا طرقاً ومسالك هل من محيص: أي مهرب ومخلص.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} أي لمن كان له عقل لأن القلب محل العقل {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(٣٧)} أي ألقى السمع فيما غاب عنه وهو شهيد فيما عاينه بالحضور، والثاني: سمع من أنذر به من ثواب أو عقاب وهو شهيد على نفسه بما عمل من سيئة وحسنة.

قوله تعالى: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ(٣٨)} واللغوب التعب والنّصَب، شعراً:

إذا رقى الحي المطي اللغبا

نزلت هذه الآية في اليهود زعموا أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت فلذلك جعلوه يوم راحة.

قوله عز وجل: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} أمر الله نبيه بالصبر على ما يقولون من التكذيب به فيما جاء والوعيد له بالقتل.

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ(٣٩)} المراد به التسبيح في هذين الوقتين لأن قبل طلوع الشمس هو إقبال النهار وحين الغروب هو إدباره.

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} يعني صلاة التسبيح الذي في صلاة الليل

{وَأَدْبَارَ السُّجُودِ(٤٠)} يعني أعقاب الصلوات.

قوله تعالىٰ: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ(٤١)} يُسْمِعه الله عز وجل خلقه في يوم اجتماعهم عند بعثهم ممن يجمعهم الصوت والنداء من مكان قريب لأن الله قادر علىٰ جمعهم وإن بعدت ديارهم وأوطانهم وأماكنهم لأن ذلك البعد في مقدور الله عز وجل قريب.

{...نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} يعني من تصديق أو تكذيب {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} يعني مسلط متجبر عليهم تكرههم علىٰ الإيمان، شعراً:

وكنا إذا الجبار صعّر خده ... أقمنا له من صعره فيقوما

{فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ(٤٥)} الوعيد العقاب والوعد الثواب قال الشاعر:

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

سورة الذاريات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا(١)} يعني الرياح {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا(٢)} يعني السحب {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا(٣)} يعني السفن {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا(٤)} يعني الملائكة تنزل بما قسم الله عز وجل لخلقه من الفرائض والحدود والأحكام فجبريل هو صاحب الوحي، وميكائيل وكله الله عز وجل بالرحمة والمطر وعزرائيل وكله الله بقبض الأرواح.

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(٥)} أي إن يوم القيامة لكائن وما فيه من الثواب والعقاب لحاصل، الدين الجزاء ومنه قول لبيد:

قوم يدينون بالنوعين مثلهما   بالسوء سوءاً وبالإحسان إحسانا

قوله تعالى: {..وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ(٧)} والحبك الحسن والزينة، روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- شعراً:

كأنما جللها الحواك   لنفسه من وشيها حباك

أصله من حباك الحمام وهي الطرائق على جناحه.

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ(٨)} أي في أمر مختلف فمطيع وعاصي، ومؤمن وكافر {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(٩)} أي يصرف عنه من صرف.

قوله تعالى: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ(١٠)} أي لعن الكذابون والتخريص التكذيب {الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ(١١)} أي في غفلة ينهمكون وفي ضلالة يتمادون {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ(١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(١٣)} والدين الجزاء، ويفتنون معناه يعذبون قال الشاعر:

سورة الذاريات

كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون

{ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ} أي عذابكم.

قوله تعالى: {..ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ} يعني من الفرائض {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(١٦)} ثم استأنف فقال: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)} والهجوع النوم، شعرا:

أذلكم الوسمي أحدق روضة بليل وأحداق الأنام هجوع

والمراد بذلك أنهم كانوا يصلون صلاة الليل و(ما) صلة زائدة.

قوله تعالى: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨)} أي يستغفرون من ذنوبهم ويصلون في الأسحار وإنما سمي سحراً لاشتباهه بين الضياء والظلمة {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ} يعني حق الله عز وجل ثم ما ينزع الإنسان بعده ما أو يصل به رحماً أو يقري به ضيفاً أو يحمل به كلاًّ أو يعين به محروماً، وأما السائل فهو الذي يسأل الناس، والمحروم المجازف الذي لا يكاد تتيسر له معيشة مع كثرة طلبه.

قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(٢٠)} يعني عظات للمعتبرين من أهل الإسلام واليقين وآياتها ما خلق الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والأشجار.

قوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١)} يعني ما خلق الله من القدرة والاستطاعة والسمع والبصر والآلات التي تدرك بها المعارف والعلوم وتميز بين الحسن والقبيح والخير والشر.

قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ} يعني المطر.

قوله تعالى: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ(٢٣)} يعني ما عدد الله عليكم من آياته في هذه السورة، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه))، وكان قس بن ساعدة الإيادي ينبه بعقله على هذه العبر وهو في الجاهلية وقد اتعظ واعتبر؛ فروينا عن رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((رأيته على جمل بعكاظ وهو يقول: أيها الناس اسمعوا وعوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو قريب آت، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم نزلوا كما هم إلى نوم فناموا، إن في السماوات لخبراً وإن في الأرض لعبراً، سقف مرفوع، وليل موضوع، ونجوم تحور ثم تغور، أقسم قسٌّ بالله قسماً ما أثم أن لله تعالى ديناً هو أرضى من دين نحن عليه ثم تكلم بأبيات شعراً:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا ... أمر من الحدثان غابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ(٢٤)} قيل إنهم كانوا أربعة من الملائكة مع جبريل وإنما سموا مكرمين لأنهم عند الله معظمين.

قوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} لأن التحية بالسلام تقتضي سكوناً وأماناً قال الشاعر:

أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام سلامكم ظلم

سورة الذاريات

فأجابهم إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- بمثل سلامهم ثم قال: {قَوْمٌ مُنْكَرُونَ(٢٥)} لأنه رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم وقال قوم منكرون حيث لم يفهم، شعراً:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

قوله تعالى: {فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(٢٦)} واختاره إبراهيم تكرمة لهم وكان -عَلَيْه السَّلام- يخدم ضيفه بنفسه وكان يُسمى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لئلا يفوته أحد.

{...فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} يعني سارة والصرة الرنة والتأوه {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} أي لطمت وجهها تعجباً أنها تلد وهي عَجُوزٌ عَقِيمٌ(٢٩)}.

قوله تعالى: {...فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ} أي بجانبه، وقيل بقوته قال عنترة:

فما أوهى مراس الحرب ركني   ولكن ما تقدم من عهودي

قوله تعالى: {..وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(٤١)} قيل إن الريح العقيم هي الدبور وكل ريح لا تلقح ولا تنبت فهي الدبور، وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((نصرت بالصبا وخذلت عاد بالدبور)).

قوله تعالى: {إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(٤٢)} والرميم اليابس الهالك البالي قال الشاعر:

تركتنى حين كف الدهر عن بصري   وإذ بقيت لعظم الرمة البالي

قوله تعالىٰ: {...وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} أي بقوة {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ(٤٧)} أي موسعون الرزق بالمطر.

قوله تعالىٰ: {...وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(٥٥)} أي ذكر بالوعظ فإن الوعظ ينفع المؤمنين. {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)} أي للعبادة والأمر والنهي {مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ} أي ما أريد منهم أن يرزقوا عبادي ولا أستعين بهم في فضل ومعونة.

{..فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ} يعني عذاباً مثل عذاب أصحابهم والذَّنُوب الدلو الكبير قال الشاعر:

لنا ذَنُوب ولكم ذَنُوب فإن أبيتم فلنا القليب

سورة الطور مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالطُّورِ(١)} في اللغة هو الجبل الذي ينبت قال الشاعر:

لو مر بالطور بعض ناعقه ما أنبت الطور فوقه ورقة

والطور الذي أقسم الله تعالى به هو طور سيناء وقيل هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى. {وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ(٢)....وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(٤)} روينا عن آبائنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: البيت المعمور في السماء السابعة حيال الكعبة لو خرّ خرّ عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا.

{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ(٥)} هو السماء كذلك رويناه عن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ(٦)} والمسجور هو الموقد لأن البحار تصير يوم القيامة ناراً وجواب هذا القسم: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ(٧)} وروي أن جبير بن مطعم قدم المدينة ليفدي حليفاً له أسر يوم بدر فوجد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وهو في الصلاة يقرأ سورة الطور فجلس مستمعاً حتى بلغ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ(٧)} فأسلم جبير خوفاً من العذاب، وجعل يقول: ما كنت أظن أني أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب.

قوله عز وجل: {..يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا(٩)} أي تدور منه قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

قوله عز وجل: {...يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا(١٣)} أي

يدفعون دفعاً.

قوله تعالىٰ: {...فَاكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ} أي فرحين معجبين.

{..عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ} والسرر جمع سرير، والمصفوفة التي قد صفت بالوسائد والفرش {وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ(٢٠)} والعين الواسعات الأعين في صفاء ونقاء ولذلك قيل لبقر الوحش: عين قال زهير:

بها العِيْنُ والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وإنما سميت حور لنقائهن وبياضهن كما يقال دقيق حواري إذا كان نقياً.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ} هو أن يكون الأبناء مثل طاعة الآباء فيجمع الله بينهم في الجنة {وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} يعني ما نقصناهم وقد مر الاستشهاد فيه أي ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء، ويجوز أن يكون معنىٰ ما ألتناهم ظلمنا كما قال الشاعر:

أبلغ بني جعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا ألتاً ولا كذبا

{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ(٢١)} أي محتبس ومنه الرهن لاحتباسه بالحق، شعراً:

وما كنت أخشىٰ أن أكون رهينة لأحمر قبطي من القوم معتق

قوله تعالىٰ: {..يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا} أي يتعاطون ويتساقون وكل إناء مملوء من الشراب يقال له كأس والمنازعة كما قال الأخطل:

وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحضور ولا فيها بسأر

وإذا فرغ الإناء لم يسم كأساً {لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ(٢٣)} الباطل

سورة الطور

الخمر مأثمة.

قوله: {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ(٢٤)} وبلغنا أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- سئل فقيل: هذا الخدم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم؟ فقال: ((والذي نفسي بيده لفضل ما بينهم كفضل القمر على النجوم ليلة البدر)).

{...فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا}} يعني بالجنة والنعيم والتوفيق والهداية {وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ(٢٧)} فيه وجهان أحدهما أنه عذاب النار، والثاني: أنه وهج جهنم والسموم في كلام العرب لفح الشمس والحر وقد يستعمل في لفح البرد كقول الشاعر:

اليوم يوم بارد سمومه   من جزع اليوم فلا تلومه

قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ(٢٨)} البر اللطيف.

قوله تعالى: {..أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(٣٠)} قال ناس من الكفار: تربصوا بمحمد الموت يكفيكم كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان، وريب المنون هو حوادث الموت.

قوله تعالى: {...أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ(٣٧)} والمسيطرون المسلطون.

{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٣٨)}

وعنى بسلم المرتقا إلى السماء قال ابن مقبل:

لا يحوز المرء أحجار البلاد ولا   يناله في السما ذات السلاليم

{فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٣٨)} أي فليأت صاحبهم بحجة بينة.

قوله عز وجل: {...وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} والكسف

القطع من السماء والمركوم المتراكم ومعنى الآية أنهم لو رأوا سقط عليهم كسفاً من السماء عقاباً لهم لم يؤمنوا ولقالوا إنه سحاب مركوم بعضه على بعض.

{فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ(٤٥)} أي يموتون وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

{..وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ} وهذا العذاب هو الانتقام الذي ينتقم من أهل المعاصي في دار الدنيا وهو دون عذاب الآخرة.

قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} يعني فيما امتحنك به من مقاساة قومك فإنك بأعيننا فيه وجهان: أحدهما بعلمنا، والثاني: بمرأى منا.

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ(٤٨)} فيه وجهان أحدهما: سبح بحمد ربك حين تقوم من مجلسك ليكون خاتمة كلامك تسبيح الله تعالى. والثاني: أن يسبح إذا قام من نومه ليكون فاتحة عمله ذكر الله عز وجل.

قوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ(٤٩)} ومن الليل المراد به صلاة الليل وأدبار النجوم ركعتا الفجر.

سورة النجم مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هي أول سورة أعلنها النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بمكة.

قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)} معناه نجوم القرآن لأنه كان ينزل نجوماً أي آية بعد آية وسورة بعد سورة.

{..وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣)} أي ما ينطق عن هواه وشهوته {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ} يوحيه الله تعالى إلى جبريل ويوحيه جبريل إليه فهو ينطق عن أمر الله تعالى ويبلغ أوامره ونواهيه.

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥)} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام- {ذُو مِرَّةٍ} وفي المرة وجهان أحدهما: القوة والآخر: المنطق الحسن قال الشاعر:

وإني لذو مِرة مُرة إذا ... ركبت حالة حالها

{فَاسْتَوَى(٦)} يعني جبريل -عَلَيْه السَّلام- في مكانه على صورته التي خلقه الله عز وجل عليها لأنه كان يظهر قبل ذلك على صورة رجل ولم ير رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- جبريل على صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأله أن يراه على صورته، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد وذلك قوله: {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(٧)} والأفق الأعلى هو الذي تطلع منه آفاق الشمس قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨)} أي قرب ومنه قوله: {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} [البقرة:١٨٨]، أي تقربوها إليهم، شعراً:

أتيتك لا أدلي بقربى قريبة ... إليك ولكنى بجودك واثق

{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} أي قيد قوسين وقيل إنه ما بين الوتر وكبد القوس والمراد به التداني بين جبريل وبين النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

{..مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى(١١)} فيه قولان أحدهما: معناه ما أوهمه فؤاده روية ما هو بخلافه كتوهم السراب ماء فيصيره فؤاده يتوهم المحال كالكاذب له. والثاني: معناه ما أنكر قلبه ما رأته عينه والذي رآه هو جبريل -عَلَيْه السَّلام- رآه مرتين على صورته.

{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(١٢)} يعني تجادلونه في رؤيته {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣)} يعني جبريل مرة ثانية بعد أولى {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١٤)} وهو موضع ينتهي إليه علم الأنبياء والملائكة ولا يجاوزه لأن عندها جنة الخلد فالمجاوزة إليها تكون في الآخرة.

{..إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى(١٦)} يعني يغشى الملائكة. فإن قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ فالجواب: أن السدرة تختص بثلاثة أشياء ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية وظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلةالنية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى(١٧)} وزيغ البصر انحرافه وذهابه وطغيانه تجاوزه الحق {لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى(١٨)} لأنه رأى جبريل -عَلَيْه السَّلام- قد سد الأفق بأجنحته.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(١٩)} قرئ بتشديد اللات وتخفيفها فمن خففها فكأنه أراد صنماً بالطائف ذكر أن صاحبه كان يلت السويق على الحجر ثم مات فعكف أصحابه على قبره وصاروا يعبدون الحجر الذي كان يلت عليها شعراً:

سورة النجم

لا تنصر اللات إن الله مهلكها		وكيف ينصرهم من ليس ينتصر

والعزى قيل إنها شجرة يعلق عليها أنواع العهن يعبدها سليم وغطفان وهي سمرة وكانت ببطن نخلة أرسل إليها رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يوم فتح مكة من قطعها.

قوله تعالى: {....الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ} فكبائر الإثم هو الموجبات المحبطات لعمله كالشرك بالله والظلم وقتل النفس بغير حلها والصغائر مما دون ذلك مما تستهلكها الطاعات فإن أصروا على الصغائر جرت الصغائر مجرى الكبائر لقوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار))، والفواحش: جميع المعاصي {إِلَّا اللَّمَمَ} يعني ما ألموا به من المعاصي في الجاهلية والفواحش التي فعلوها فأحبط أحكامها الإيمان والإسلام عنهم به ودليل ذلك: ما روينا عن آبائنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه كان يقول:

إن يغفر اللهم يغفر جما		وأي عبداً لك لا ألما

يعني ما ألم بفعل قبيح قبل مبعثه ولا بعد مبعثه.

قوله تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} يعني أنشأ آدم -عَلَيْه السَّلام- قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: حدثني جدي أبو طالب محمد بن عيسى -رضي الله عنه- قال: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي مراضع فهلك منا من هلك فكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك فكنا فيمن بقي ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك فكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أنا للمعاصي

فما بعد هذا ننتظر.

{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} يعني لا تمادحوا ولا تجعلوا أفعالكم للرياء والسمعة {هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى(٣٢)} يعني قد علم الله كل نفس ما هي عليه وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى(٣٣)} وهذه الآية نزلت في العاص بن وائل السهمي كان يأتي النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يسمع ما يقوله ويتولى عنه ولا يعمل به {وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى(٣٤)} يعني أعطى من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع عن الإيمان والإسلام ومعنى أكدى : قطع.

قوله تعالى: {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى(٣٥)} أي علم الغيب فرأى أن ما سمعه باطل.

قوله تعالى: {..وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى(٣٧)} أي وفى بما أمر به من طاعته وتبليغ ما حمل من رسالته {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى(٣٨)} وقيل كان ما بين نوح وإبراهيم -عَلَيْه السَّلام- يؤخذ الابن بجريرة أبيه حتى جاء إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- ونهى عن ذلك وأن لا يؤخذ أحد إلا بجرمه وفي قوله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى(٣٧)} يجوز أن يكون وفاؤه بذبح ولده إسماعيل حين امتحن به.

{...وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى(٤٨)} أي أغنى بالمعيشة وأقنى بالمال وأقنى أصله من القنية وهي أصل المال.

قوله: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى(٤٩)} والشعرى نجم يضيء وراء الجوزاء يسمى مرزم الجوزاء ويقال له الوقاد كان يعبده حمير وخزاعة فطرتكم العشاء إلى سهيل والشعرى وطال في الإنا.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى(٥٠)} في عاد الأولى قولان

سورة النجم

أحدهما: أن عاد الأول عاد بن إرم وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وعاد الآخرة هم قوم هود. والثاني: أن عاد الأولى قوم هود والآخرة قوم حضرموت.

قوله تعالى: {...وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى(٥٣)} وهي مدائن قوم لوط أحتملها جبريل -عَلَيْه السَّلام- بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل سماء الدنيا سمعوا نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم كبا بها على وجهها ثم أتبعها بالحجارة كما قال تعالى: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤)} [الحجر].

قوله عز وجل: {...هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى(٥٦)} يعني أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنذر بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ(٥٧)} يعني قربت الساعة ودنت {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ(٥٨)} من يعلم وقتها ويكشف عن مجيئها {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ(٥٩)} يعني القرآن في نزوله من عند الله {وَتَضْحَكُونَ} استهزاء {وَلَا تَبْكُونَ(٦٠)} انزجاراً {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ(٦١)} روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: سامدون غير مصلين ولا منتظرين الصلاة.

سورة القمر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ} أي قربت ودنت قال الشاعر:

قد اقتربت لو كان في قرب دارها   جداء ولكن قد تضر وتنفع

روينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((قد اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا تزداد منهم إلا بعدا)) {وَانْشَقَّ الْقَمَرُ(١)} أي ينشق عند مجيء الساعة وأنه من علامات الآخرة.

{وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا} يعني إذا أبصروا آية نزلت على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ومعجزة ظهرت على يديه أعرضوا عنها وقالوا: {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(٢)} أي شديد وهو من إمرار الحبل وهو شدة فتله ويجوز أن يكون المستمر الدائم كما قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا ليال وأعصر   وليس على شيء قديم بمستمر

أي دائم.

قوله تعالى: {وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ(٣)} أي لكل شيء غاية ونهاية في وقوعه وحلوله {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ} يعني من القرآن {مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ(٤)} أي مانع من المعاصي وهو الوعيد. {فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ(٥)} فليس يمنعهم التحذير من التكذيب.

قوله تعالى: {...مُهْطِعِينَ} أي مسرعين ويحتمل أن يكون بمعنى ناظرين {يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ(٨)} يعني يوم القيامة.

قوله تعالى: {...فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)} والمنهمر

سورة القمر

المنصب المتدفق قال امرئ القيس:

راح تمر به الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

{فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢)} يعني ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدر فيه هلاك من كفر وسلامة من آمن.

{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ(١٣)} الألواح السفينة والدسر المسامير قال: دسرت في السفينة أي أوثقتها وشددتها {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} يعني بمرأى منا معكم.

{وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} أي انفجرت الأرض عيوناً ينبوع الماء منها.

{جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ(١٤)} يعني جزاء لكفرهم بالله تعالى وكفرهم وتكذيبهم بنوح -عَلَيْه السَّلام-. {وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ءَايَةً} أي تركنا الأرض آية {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(١٥)} أي متذكر مزدجر عن معاصي الله عز وجل.

{...إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} والصرصر الريح الباردة وقيل إنها التي يسمع لها صرير أي صوت قال الشاعر:

نالت تصرصر فوق المركب العالي

{...وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ} يعني سهلنا تلاوته وحفظه على أهل كل لسان حتى أنه لا يحفظ غيره من كتب الله عز وجل ولا يضبط سواه.

قوله تعالى: {..إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ(٢٤)} والضلال في هذا الموضع الهلاك والسعر جمع سعير وهي النار.

قوله تعالى: {بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ(٢٥)} والأشر البطر المتعدي إلى منزلة لا يستحقها.

قوله تعالىٰ: {..إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ} روينا أن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما نزل الحجر في مغزاة تبوك قال لأصحابه: ((أيها الناس لا تسألوا عن الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أنه يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها ويصدر من ذلك)) هو معنى قوله: {وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ(٢٨)}.

قوله تعالىٰ: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ(٢٩)} وصاحبهم الذي نادوه يعقرها قدار بن سالف قال الأفوه:

فإنه كقدار حين تابعه   علىٰ الغواية أقوام فقد بادوا

{فَتَعَاطَىٰ} أي تناولها بيده بعد ما كمن لها في أصل صخرة علىٰ طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فضرب عرقوبها فخرت ورغت ثم نحرها فأتاهم صالح فلما رأىٰ الناقة قد عقرت بكىٰ ثم قال: (انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله) وكان قدار أحمر أزرق.

قوله تعالىٰ: {فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١)} أراد الحضائر البالية إذا صارت هشيماً ومنه قول الشاعر:

أثرت عجاجة بدخان نار   يشب بقرقر بال هشيم

والمحتضر الذي تحضر به العرب حول مواشيها من السباع قال الشاعر:

ترىٰ حيث المطي بجانبيه   كأن عظامها خشب الهشيم

{...إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} والحاصب الحجارة التي رموا بها من السماء والحصباء هو الحصىٰ وصغار الحجار ولذلك تقول العرب لما تسفيه

سورة القمر

الرياح حاصباً قد مر الاستشهاد فيه {إِلَّا ءَالَ لُوطٍ} يعني من آمن به من ولده {نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا} وهو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط سواد آخر الليل ببياض أول النهار لأن في هذا الوقت تجمع ملائكة الليل وملائكة النهار.

قوله تعالىٰ: {..وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ} يعني ضيف لوط وهم الملائكة الذين نزلوا عليه في صورة البشر فراودوا لوطاً -عَلَيْه السَّلام- طلباً للفاحشة بهم {فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} والطمس هو محو الأثر ومنه طمس الكتاب إذا محي {فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٧)} وهو تقريع بما ناهم في الحالة من العناء.

قوله تعالىٰ: {...أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ} يعني ليس كفاركم خير من كفار من تقدم من الأمم الذين هلكوا فكيف تتقون {أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ(٤٣)} يعني في الكتب السالفة من الله عزوجل أنكم لا تهلكوا كما هلكوا ومنه قول الشاعر:

وترىٰ منها رسوماً قد عفت مثل لام الوحىٰ في خط الزبر

{أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ(٤٤)} يعني بالعدد والقوة فقد كان من هلك أكثر عدداً وأقوىٰ يداً.

قوله تعالىٰ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(٤٥)} يعني سيهزم جمع كفار قريش وذلك يوم بدر وهذه معجزة وعدهم الله بها فحققها وفي ذلك شعر حسان:

ولقد وليتم الدبر لنا حين سال الموت من رأس الجبل

{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ(٤٦)} يعني أمرّ الطعوم وسميت القيامة ساعة لسرعة الأمر فيها.

قوله تعالى: {...إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(٤٩)} أي بحكمة وتقدير قال الراجز:

وقدر المقدر الأقدار

{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ(٥٠)} يعني أن ما أردناه من صنع شيء أمرناه أي صنعناه مرة واحدة لا نحتاج إلى ثانية فيكون ذلك الشيء ما أمرنا له وصنعنا إياه {كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ(٥٠)} في سرعته.

{...وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ(٥٣)} يعني كل صغير من الأعمال وكبير مستطر أي معلوم محفوظ كالشيء المكتوب الذي إذا احتيج إليه نظر فيه.

قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤)} والنهر جمع الأنهار وهو ما وعد الله عز وجل المطيعين من خلقه ويحتمل أن يكون النهر المراد به الضياء والنور ويكون جمع نهار قال الشاعر:

لولا البريدان هلكنا بالضمر بريد ليل وبريد بالنهر

{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ} يعني في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم {عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(٥٥)} والمليك والملك واحد وهو الله عز وجل كما قال ابن الزبعرى:

أنا رسول المليك لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

والمقتدر يعني قادر.

سورة الرحمن عز وجل، مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {الرَّحْمَنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْءَانَ(٢)} أما الرحمن فهو اسم من أسماء الله تعالىٰ لا يجوز لأحد من الناس أن يستعملوه في أسمائهم أو ينتحلوه في صفاتهم، {عَلَّمَ الْقُرْءَانَ(٢)} أي علم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- حتى بلّغ جميع الناس وعلمهم.

{..عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(٤)} يعني ما فيه من الحلال والحرام والنسخ والأحكام والهداية إلىٰ أوامر الله عز وجل {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(٥)} والحسبان جمع حساب، ويجوز أن يكون مصدر حسابهما أن الزمان مقدر بهما وهو أن النهار يمتاز بالشمس والليل يمتاز بالقمر ولواستمر أحدهما لكان الزمان ليلاً كله أو نهاراً كله ولما عرف قدر الزمان.

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(٦)} والنجم النبات الذي نجم من الأرض وانبسط فيها وليس له ساق والشجر ما كان علىٰ ساق وقد ذكرنا كيف سجودهما وتسبيحهما فيما قد مضىٰ من التفسير {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا} علىٰ الأرض {وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(٧)} والميزان العدل قال حسان:

ويثرب تعلم أني لها ... إذا التبس الحق ميزانها

أي العدل {أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ(٨)} وطغيانه الجور فيه، وروينا أن أمير المؤمنين علياً -عَلَيْه السَّلام- أنه كان يقول: يا معاشر التجار وليتم أمرين كان بهما هلاك الناس من قبلكم المكيال والميزان.

{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ} والقسط العدل {وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ(٩)} أي لا تنقصوه {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ(١٠)} أي بسطها ووطأها للأنام وهم الناس ومنه قول بعض الشعراء في رسول الله

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم:

مبارك الوجه يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

وقال الراجز:

حيا الإله أبو الوليد وصحبه رب الأنام وخصه بسلام

{فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ(١١)} وهو الطلع المكمم الذي هو كمام الثمر {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ(١٢)} أما الحب فهو كل حب خرج من كمامه كالبر والشعير وأما العصف فهو تبن الزرع وفرقه الذي تعصفه الرياح والريحان هو الذي يشم لأن المشمومات غذاء الأرواح قال النمر بن تولب:

سلام الإله وريحانه وجنته وسماء درر

{فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٣)} والآلاء النعم وتقديره فبأي نعم ربكما تكذبان.

قوله تعالىٰ: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ(١٤)} والصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة أي صوت، ويحتمل أن يكون من الطين المتغير من قولك: صل اللحم إذا تغير {وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ(١٥)} والمارج هو الخلط الذي يعلو النار إذا وقدت من الأحمر والأخضر.

{..رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ(١٧)} فيه قولان أحدهما: أن المشرقين مشرق الشمس في الشتاء والصيف وكذلك المغربين والثاني: مشرق النجوم والشمس وكذلك مغاربها.

قوله تعالىٰ: {..مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(١٩)} والبحران البحر المالح

سورة الرحمن

والأنهار العذبة ومرجها إرسالها.

قوله تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ(٢٠)} أي لا يخلطان والبرزخ الحاجز بين الشيئين.

قوله تعالى: {..يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ(٢٢)} والمرجان كبار اللؤلؤ كذلك روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- وحكى لنا أن العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح فنسب إليهما كما نسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى وكذلك قيل أنه لا يخرج اللؤلؤ إلا في موضع يخرج يلتقي فيه العذب والملح.

قوله تعالى: {..وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ(٢٤)} أما الجواري فهي السفن واحدتها جارية وسميت جارية لأنها لا تجري في الماء إلا بإذن الله تعالى، والمنشآت المجريات وهي ما رفع قلبها وهي الشراع وقرئ المنشِآت بكسر الشين وهي الباديات كالأعلام أي كالجبال سميت بذلك لارتفاعها كارتفاع العلم قالت الخنساء:

كأنه علم في رأسه نار

{...يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أما من في السماوات فهم الملائكة يسألونه الرحمة والمنازل الرفيعة ولا يسألون الرزق وأهل الأرض يسألون الرزق والمغفرة {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ(٢٩)} أي أنه يجيب داعياً ويعطي سائلاً ويفك عانياً ويتوبُ على قوم ويغفر لقوم ويرفع قوماً ويضع آخرين على قدر ما يرى من مصالح خلقه.

قوله تعالى: {..سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ(٣١)} وهما الجن والإنس أي سنقصد إلى حسابكم ومجازاتكم على أعمالكم وهذا وعيد لأن الله تعالى

لا يشغله شأن عن شأن.

{..يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا} أي تخرجوا من جوانب {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} هرباً من الموت {لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ(٣٣)} يعني إلا بحجة ظاهرة.

قوله تعالىٰ: {..يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ} والشواظ النار قال الشاعر:

يهودي يظل يشب كيرا ... وينفخ دائباً لهب الشواظ

وقيل الشواظ هو ما ارتفع من لهبه ودخانه قال رؤبة:

إنلهم وقعتا إيقاظا ... ونار حرب تسعر الشواظا

والنحاس: دخان النار قال النابغة الجعدي:

يضيء كضوء سراج السليط ... لم يجعل الله فيه نحاسا

{فَلَا تَنْتَصِرَانِ(٣٥)} يعني الجن والإنس.

قوله تعالىٰ: {..فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ} يعني يوم القيامة {فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ(٣٧)} وأراد بالوردة تشبيهاً بالفرس الوارد لأنه يكون في الصيف أصفر وفي الشتاء أحمر وفي اشتداد البرد أغبر فشبه السماء يوم القيامة عند انشقاقها واختلاف ألوانها بالفرس الورد لاختلاف ألوانه، والدهان فإنما أراد بها صافية كلون الدهن خالصة.

قوله تعالىٰ: {..فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ(٣٩)} هذا موقف من المواقف في الآخرة يختم على أفواه القوم وتكلمه أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي موقف آخر يسألون فينطقون لقوله: {لَا

سورة الرحمن

يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ(٢٣)} [الأنبياء].

قوله تعالى: {...يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ(٤٤)} يعني بين الجحيم والحميم والشراب الحار الذي انتهى حماه ومنه قول النابغة الذبياني:

ويخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من نجيع الخوف آن

قوله تعالى: {..وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(٤٦)} يعني لمن خاف بأداء فرائض الله والاجتناب عما حرمه والمقام يوم القيامة إذا أزلفت الجنة وبرزت النار والجنتان جنة عدن وجنة النعيم {..ذَوَاتَا أَفْنَانٍ(٤٨)} أي ذواتا أغصان قال الشاعر:

ما هاج قلبك من هدير حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

قوله تعالى: {...مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} وهي أدون من الظهارة دل عليأن الطهارة فوق الاستبرق.

قوله تعالى: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ(٥٤)} أما الجنى فهو الثمر وروينا أن أمير المؤمنين علياً -عَلَيْه السَّلام- كان يتمثل بهذا البيت كل عشية إذا دخل بيت مال المسلمين وفرق ما فيه:

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

دان: أي دانية لا تبعد على قائم ولا قاعد ولا ترد أيديهم عنها لا بعد ولا شوك. {..فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} يعني قصر طرفهن على أزواجهن ولا يبغين بهم بدلاً {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ(٥٦)} أي لم يمسهن

بالنكاح إنسي ولا جني ولذلك قيل الحيض طمث قال الفرزدق:

دفعن لي لم يطمثن قبلي وهن أصح من بيض النعام

{...هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(٦٠)} أي هل جزاء الطاعة إلا الثواب. {..وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ(٦٢)} والجنتان الأولتان للسابقين إلى الطاعة والفضل والآخرتين للتابعين لأن المنازل ترفع في الجنة على قدر الأعمال والطاعات {..مُدْهَامَّتَانِ(٦٤)} يعني خضراوتان بالشجر.

قوله تعالى: {..فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ(٦٦)} أي جاريتين لا ينقطعان.

قوله تعالى: {...فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ(٧٠)} يعني الجوار المنشآت في الآخرة لأنهن خيرات صالحت مختارات الأخلاق حسان الوجوه.

{..حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ(٧٢)} يعني بهن مخدرات لا متعطلات ولا متشرفات وخيامهن بيوت من اللؤلؤ المجوف.

{...مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} والرفرف المجلس المكتنف ببسطه وفرشه وقيل الرفرف رياض الجنة وكلاهما جائز {وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ(٧٦)} وهو ألوان الفرش من أحمر وأخضر وأصفر.

سورة الواقعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١)} والمراد بها القيامة {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢)} أي لا يكذب بها أحد عند وقوعها ممن يكذب بها في دار الدنيا {خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(٣)} أي خفضت في النار أعداء الله ورفعت في الجنة أولياءه {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا(٤)} أي زلزلت ورجفت {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا(٥)} وأصله من البسبسة وهو السويق أو الدقيق يلتّ ويتخذ زاداً والمعنى أنها سالت سيلاً {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا(٦)} روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- أن الهباء المنبث هو رهج الغبار يسطع ثم يذهب وكذلك أعمال العصاة التي عملوها للخير لا ثواب لهم عليها تشبيهاً بالهباء الذي لا يحصل منه شيء.

{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً(٧)} أي أصنافاً ثلاثة ، وذلك قوله: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ(٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ(٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١)} فهؤلاء الأزواج الثلاثة فأما أصحاب الميمنة فهم أهل الجنة وإنما سموا بذلك لأن العرب تنسب إلى اليمين ما كان من فعل الخير فتقول: تيمنت بفلان في الخير وتشآمت به في الشر وأصحاب المشأمة هم أهل النار، والسابقون السابقون هم الأنبياء والأئمة -عليهم السلام- وإنما كرر لفظهم لأن المعنى والسابقون إلى الإيمان والإسلام السابقون إلى الجنة.

قوله تعالى: {..ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ(١٣)} أي جماعة ومنه قول الشاعر:

ولست ذليلاً في العشيرة كلها ... يحاول منها ثلة لا يسودها

ثلة من الأولين أي جماعة من السابقين الأولين {وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ(١٤)} أي جماعة من الآخرين أي وجماعة من اللاحقين

المسلمين القليل عددهم لأن من حق الإسلام مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كان قليلاً وإن كثروا بالنظر والمرأى.

{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ(١٥)} والسرر جمع سرير وسميت بذلك لأنها مجلس السرور والموضونة المنسوجة بالذهب لأن التوضين التشبيك والنسج، ومنه قول لبيد:

إن يفزعوا فسوابغ موضونة والبيض تبرق كالكواكب لامها

يعني يحتمل أن يكون بمعنى مظفورة ومنه وضين الناقة وهو البطان العريض المظفور من السيور.

قوله تعالى: {..يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ(١٧)} والمخلدون المسورون المفرطون قال الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أفاور الكثبان

ويحتمل معنى ثانياً وهو أن يكون المعنى الباقون على صغرهم ولا يموتون ولا يتغيرون قال امرئ القيس:

وهل ينقمن إلا خل مخلد وقليل هموم لا يبيت بأوجال

قوله تعالى: {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} والأكواب ما ليس لها عرى والأباريق ما لها عرى {وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(١٨)} والكأس الإناء الذي فيه الشراب والمعين الماء الجاري {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ(١٩)} أي لا يفترقون من قولك صدعت الشيء أي فرقته ولا ينزفون أي لا تنزف عقولهم فيسكرون.

{...لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا(٢٥)} أي الباطل والكذب

سورة الواقعة

{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا(٢٦)} يعني يتداعون بالسلم على حسن الآداب وكرم الأخلاق. {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} هم الذين دون السابقين المقربين في المنزلة.

قوله تعالى: {..فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ(٢٨)} والمخضود الذي لا شوك فيه {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ(٢٩)} الموز روينا عن آبائنا أن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- كان يقرأ (وطلع منضود) وهو طلع النخلة قال الشاعر:

غدا بسرها دليلها وقالا غداً تزين الطلح والجبالا

{...وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ(٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ(٣٣)} لا مقطوعة اللذة بالقيام والعدم ولا ممنوعة من اليد بشوكة أو بعد.

قوله تعالى: {..إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً(٣٥)} يعني الحور {فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(٣٦)} وهن العذارى {عُرُبًا أَتْرَابًا(٣٧)} العرب المتحننات على أزواجهن المتحببات إليهم واحدها عروب قال الشاعر:

وفي الحياء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

{أَتْرَابًا(٣٧)} أي أمثالاً وأشكالاً في الخلْق والأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد.

قوله تعالى: {...وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُوم(٤٣)} واليحموم الدخان وقيل هو نار سوداء {لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيم(٤٤)} أي لا بارد المدخل ولا كريم المنظر.

{..وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ(٤٦)} أي على الذنب العظيم.

قوله تعالى: {...فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(٥٥)} الهيام هو داء يحدث

عطشاً فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت قال قيس بن الملوح:

فقال به داء الهيام أصابه وقد علمت نفسي فكان دوايا

قوله تعالى: {...نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ} يعني سوينا في الموت بين المطيع والكافر.

قوله تعالى: {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ(٦٠)} أي بعاجزين في أن يسبقنا في فعلنا أحد {عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} أي نهلككم ونستخلف خلقاً غيركم {وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ(٦١)} أي في وقت لا تعلمون به.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ(٥٨)} يعني نطفة المني يقال أمني يمني ومنى يمني بمعنى واحد وسمي بذلك لإمنائه وهو إراقته ومنه سميت منى لأن الدماء تراق فيها.

{...لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} والحطام الهشيم المهلك الذي لا ينتفع به {فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(٦٥)} أي تعجبون {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ(٦٦)} أي لمعجبون قال الشاعر:

وثقت بأن الحفظ مني سجية وأن فؤادي مبتلى بك مغرم

وقد يكون المغرم بمعنى المولع ، قال الشاعر:

سلا عن تذكره بكتما وكان رهيناً بها مغرما

قوله تعالى: {...أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ(٧١)} أي تستخرجون بزندكم من شجر أو حجر أو حديد ومنه قول الشاعر:

فإن النار بالزندين تورى وإن الحرب يقدمها الكلام

سورة الواقعة

{ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ(٧٢)} يعني المحدثون {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً} أي تذكرة للنار الكبرى {وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ(٧٣)} أي إنما يقال للمسافرين المقوين إذا نزلوا القوى وهي الأرض القفر التي لا نبات فيها والنار هي منفعة الحاضر والمسافر ويقال قد أقوى الدار إذا خلت من أهلها وأقوى الرجل إذا ذهب ماله قال النابغة:

يقوي بها الركب حتى ما يكون لهم إلا الزناد وقدح القوم مقتبس

قوله تعالى: {..فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(٧٥)} وذلك أن الله أقسم في القرآن بمخلوقاته فكأنه أقسم بقدرته وعظمته لما بان في خلقه من ذلك ما لا يقدر عليه غيره و(لا) صلة زائدة وتقديره فأقسم بمواقع النجوم ومواقع النجوم أراد به نجوم القرآن من الله تعالى لأنه كان ينزل على الأوقات لأنه كان ينزل على الأوقات المختلفة.

{وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(٧٦)} يعني أن القرآن عظيم {إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ(٧٧)} عند الله عظيم النفع للناس {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨)} أي في حفظ علم محفوظ لا يتغير ولا يتبدل {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩)} يعني المطهرون من الأحداث.

{..أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ(٨١)} أي منافقون في التصديق به {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ(٨٢)} والرزق يعني الشكر وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- قرأ: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون).

قوله تعالى: {...فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ(٨٦)} أي غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين على أعمالكم ترجعون النفس بعد موتها.

{..فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٨٨)} يعني السابقين إلى أفعال الخير وطاعة الله عز وجل {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ(٨٩)} يعني روحاً من الغم وراحة من العمل لأنه ليس في الجنة غم ولا عمل، وكذلك الريحان فيه راحة للروح.

سورة الحديد مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} والتسبيح هو التنزيه لله تعالى عما أضافه إليه الجاحدون الملحدون والمراد بها في السماوات الملائكة وما فيهن من بديع خلق الله وما في الأرض يعني من حيوان وجماد، وقد ذكرنا في تفسير تسبيح الجماد والحيوان الذي هو غير مكلف ما أغنى عن الإعادة {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١)} العزيز في انتصاره الحكيم في تدبيره.

{..هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٣)} عنى بالأول أنه قبل كل شيء لقدمه والآخر أنه بعد كل شيء لبقائه، والظاهر أنه فوق كل شيء لعلوه ، والباطن أنه محيط العلم بكل شيء بقربه ويجوز أن يكون الظاهر بمعنى القاهر لما ظهر وبطن.

قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني من مطر وغيره {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من نبات وغيره {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} يعني من مطر وغيره {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} أي من الملائكة وغيرهم {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} حتى لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا أمر من أموركم.

قوله تعالى: {...وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} وهو الإنفاق في الجهاد وغيره من وجوه البر والخير، مستخلفين فيه أي معرضين.

قوله تعالى: {...وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي له السماوات والأرض وأنهما إليه ترجعان كرجوع الميراث إلى المستحق {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- لأنه الذي قاتل قبل الفتح يعني قبل فتح مكة وواسى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بنفسه وماله ومواقفه قبل الفتح مشهورة ومقاماته بعده مذكورة -صلوات الله عليه- وإنما كان القتال

والنفقة قبل الفتح أفضلهما مما بعد لأن الأشياء كانت قبل الفتح متضايقة والدار لم تكن واسعة والأنصار كانوا يومئذ أقلهم فصارت المواساة عند الضيق أفضل وأجزل ثواباً منها عند الفسحة.

قوله تعالى: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} بالجنان من أنفق من قبل الفتح وبعده.

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} والعرب تقول له عند فلان قرض خير أو شر إذا فعل به خيراً أو شراً ومنه قول الشاعر:

وتجزي سلامات ابن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وأزيد

والمراد في هذه الآية النفقة في الجهاد، روينا أن اليهود أتت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقالوا: يا محمد أفقير ربك يسأل عباده القرض فأنزل الله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران:١٨١].

قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} وهذا النور ضياء يعطيهم الله ثواباً لهم وتكرمة يتميز به المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي لأن الكافر إذا مشى يستدل بسواده وظلمته على كفره قال تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ(٤١)} [الرحمن].

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} أي نهتدي بكم إلى ما تهتدون {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ} أي ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله تعالى بين أيديكم نوراً {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} وهو أن بين الجنة والنار نوراً وحجاباً باطنة الجنة وظاهره النار وهو معنى قوله: {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ

سورة الحديد

الْعَذَابُ(١٣)} وقد ضرب الله ذلك بين أهل الجنة والنار وذلك من إنعام الله تعالى على أهل الجنة ليعلموا أن الذي قد أعطوا كان بحسن أفعالهم وانتقام من الكفار لأنهم إذا أبصروا أهل الجنة وما هم فيه من النعمة كان ذلك أشد عليهم منهم إذا لم يروا ولم ينصروا ففي اقتراب أهل الجنة من أهل النار من الحكمة ما ذكرناه.

{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزوا مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون {قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي بالمعاصي واتباع هوى نفوسكم في شهواتها وَتَرَبَّصْتُمْ بالنذير إليكم من الأنبياء والأئمة -عليهم السلام- {وَارْتَبْتُمْ} أي شككتم في أمر الله عز وجل {وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} يعني في الدنيا حيث أصررتم على الذنوب ولم تتوبوا وزعمتم أنه سيغفر لكم من الإنابة والتوبة {حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} أي الموت {وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(١٤)} أي النفس المتبوعة في هوائها.

قوله تعالى: {..أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} ومعنى ألم يأن ألم يحق قال الشاعر:

ألم يأن لي يا قلب أن نترك الجهلا ... وأن يحدث الشيب المنير لنا عقلا

وتخشع تلين قلوبهم لذكر الله وتذل من خشية الله، وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} وهذا مثل ضربه الله تعالى لإحياء الموتى، وروي أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم سئل كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ فقال -عَلَيْه السَّلام-: ((أما مررتم بوادي محلا ثم مررتم به خضراً يهتز؟)) قالوا: نعم قال: ((كذلك يحيي الله

الموتى)).

{..وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ} أي المؤمنون بتصديق الله ورسله {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} والشهداء عند ربهم كلام مستأنف وهم الأنبياء والأئمة –عليهم السلام– يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب.

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} لأن كل ما عدا الأعمال الصالحة فهو لهو ولعب.

قوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} أي إلى التوبة التي تؤدي إلى المغفرة.

قوله تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} وفضل الله الجنة التي عرضها كعرض السماوات والأرض.

قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٢٢)} فمصيبة الأرض الجدب والقحط والغلا وما في الأنفس الأمراض والقتل والموت إِلَّا فِي كِتَابٍ أي في علم محفوظ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أي من قبل أن نخلق الأنفس والأرض، ويحتمل وجهاً آخر يعني من قبل أن تخلق المصائب.

قوله تعالى: {لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} من العافية والدنيا التي لم تقدر لكم لإقضاء مصلحتكم {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ} من العوافي والنعم التي لا توجب الفرح بها لفنائها وقلة بقائها وليس أحد إلا يفرح ويحزن ولكن الثواب لمن جعل المصيبة صبراً والخير شكراً.

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} وهذه الآية نزلت في اليهود بخلوا بما في التوراة من صفة محمد –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– وأمروا الناس بكتمانه وهذه عامة فيمن كان عنده حق لله عز وجل فبخل به.

سورة الحديد

قوله تعالىٰ: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} يعني أظهرناه فأنزلناه، والثاني: أن يكون محمولاً علىٰ أن الماء ينزل من السماء فينعقد في الأرض جوهراً فيصير بالسبك حديداً فيه بأس شديد يعني أن سلاحه وإليه يكون الحرب التي هي بأس شديد {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} يعني ما يدفع عنهم درع الحديد من الأذىٰ ويوصلهم في البحر.

قوله تعالىٰ: {..وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا} يعني أحدثوها وقرئ: ورُهبانية بضم الراء لم تكتب عليهم وقد تكلفوها والرهبانية رفض النساء واتخاذ الصوامع واللحوق بالجبال ومعنىٰ ما جعل في قلوبهم من الرحمة والرأفة وذلك أنه جعلها في قلوبهم بالحكم والأمر بها والترغيب فيها والرهبانية التي ابتدعوها ما لم يأمرهم بها ولم يدعم إليها {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} يعني ما رعوها بتكذيبهم برسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وتبديلهم دينهم.

قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ} يعني يا أيها الذين آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ آمنوا بمحمد -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} يعني أجرين أجر الدنيا وأجر الآخرة {وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}.

قوله تعالىٰ: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} معناه لأن يعلم أهل الكتاب و(لا) صلة زائدة في كلام دخل عليه جحدان {أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} عز وجل يعني دين الله عز وجل.

سورة المجادلة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} هي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت وكان قد ظاهر من امرأته فأتت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- تستفتيه في ذلك {وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} فأنزل الله تعالىٰ قوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} وروينا أن أم سلمة زوج النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قالت: تبارك الله ما أوعى سمعه كل شيء، سمع قولة خولة ابنة ثعلبة وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول وهي تقول: يا رسول الله كَلّ شبابي، وانقطع ولدي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية.

والمحاورة مراجعة الكلام قال عنترة:

لو كان يعلم ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ} والظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي وكان ذلك في الجاهلية طلاقاً لا رجعة فيه ولا زوجية بعده فنسخه الله تعالىٰ بما استقر به عليه من وجوب الكفارة بالعود.

ثم قال: {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ} تكذيباً من الله عز وجل لقوله في المرأة: أنت عليّ كظهر أمي ، وقد يقع الظهار بغير لفظه كقول القائل: أنت علي كبطن أمي {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} يعني بمنكر القول الظهار وبالزور كذبهم في جعل الزوجات أمهات.

قوله تعالىٰ: {...إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي يخالفون أمره

ويعادون أولياءه {كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يعني أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم.

قوله تعالى: {...أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ} والنجوى الإسرار ومن ذلك قول جرير:

من النفر البيض الذين إذا انتجوا ... أقرت لنجواهم لؤي بن غالب

والمنهي عن النجوى هم المنافقون لأنهم كانوا يتناجون بما يسوء المسلمين وبوقيعهم في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} كانت اليهود إذا دخلوا على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قالوا له: السام عليك؛ فكان النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- يرد عليهم ويقول: ((وعليكم)) وقيل أن بعض الناس في مجلس رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقال: وعليكم السام والذام فقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إن الله لا يأمر بالفحش والتفحش)) وأرادوا -لعنهم الله- بالسام الموت وقيل إن اليهود كانوا إذا أراد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- جواب سلامهم هذا قالوا: لو كان نبياً استجيب له فينا قوله: وعليكم؛ يعني السام وهو الموت وليس بنا سامة ولا في أجسادنا فترة فأنزل الله: {لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٨)}.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} والمراد بالمجلس مجلس رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ومجالس الأئمة من ولده -عليهم السلام- فيجب على من حضرها وسبق إليها أن يفسحوا عليهم ويؤثروه به لأن الناس

كانوا إذا جلسوا في مجلس رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- شحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم {وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا} وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أطالوا ليكون كل واحد منهم هو الآخر عهداً به فأمرهم الله أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا ومعنى تفسحوا توسعوا، ومعنى انشزوا ارتفعوا وقوموا لأن القيام هو الارتفاع من الموضع {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ} يعني بإيمانه على من ليس بمنزلته في الإيمان {وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} والمراد الأئمة من ولد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- رفعهم الله تعالى في الدنيا والآخرة على كل شريف ومشروف والحمد لله على ذلك كثيراً وإنما أعلم الله تعالى خلقه بذلك ليعرفوا منازلهم ومراتبهم وأن لا يتقدموا عليهم في حال من الأحوال.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} وسبب ذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- حتى سبقوا بها عليه فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فلما قال ذلك ظن الناس وكفوا من المسألة فلم يناجيه إلا أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- قدم ديناراً فتصدق به ثم ناجى رسول الله فسأل عن عشر خصال ثم أنزل الرخصة: {ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} قال أمير المؤمنين: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وهذه إحدى فضائله -عَلَيْه السَّلام-.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} وهذه الآية نزلت في طلحة والزبير حين هما بمحالفة اليهود والنصارى يوم أحد رهبة من إدالتهم على المسلمين فأنزل الله تعالى فيهم ذلك.

قوله تعالى: {...اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} أي غلب واستولى عليهم

جزء قد سمع

في الدنيا {فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} وهو أوامره بالعمل بطاعته وزواجره عن النهي عن معصيته ومعنى أنساهم أي أغفلهم.

قوله تعالى: {...لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} يعني يحاربون من حارب الله وعاداه ونزولها فيمن ذكرناه قبل ذلك، {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} سمة تدل على أنهم من أهل الإيمان {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} يعني قواهم بجبريل -عَلَيْه السَّلام-.

سورة الحشر مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {..هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} بني النظير من ديارهم يعني منازلهم بالحجاز إلى أذرعات الشام وهو أعلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعير يحملون عليه ما استثقل إلا السلاح وكان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قد دعاهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه فكفوا يوم بدر لظهور المسلمين وأعانوا المشركين يوم أحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين وقتل رئيسهم كعب بن الأشرف ثم سار إليهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فحاربهم حتى أجلاهم لأول الحشر لأنهم أول من أجلي من اليهود وحشرهم جميعهم إلى أرض الشام.

{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا} يعني من ديارهم لقوتهم وامتناعهم {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} يعني بقتل رئيسهم كعب بن الأشرف {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} وذلك أنهم حسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل وخربها المسلمون من خارج حين أجلوهم عنها ويقرأ: يخربون ويخرّبون

بالتخفيف والتشديد.

{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ} يعني بالجلاء الإخراج من منازلهم {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} يعني بالقتل والسبي.

قوله تعالى: {..مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ(٥)} وذلك أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما نزل على حصون بني النضير وهي النويرة قطع المسلمون من نخيلهم ما قطعوا وأحرقوا منها ما أحرقوا وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالنويرة مستطير

واللينة النخلة وقيل هي كرام النخل ولما قطع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم نخلهم جاءت جماعة إليه من اليهود فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك تريد الصلاح فمن الصلاح قطع النخل وعقر الشجر فأنزل الله قوله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ(٥)} وإذن الله أمره بذلك والاستشهاد في اللينة قول الشاعر:

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام

وقال ذو الرمة:

طراق الحوا في واقع فوق لينة ندى ليلة في ريشة يترقرق

قوله تعالى: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} يعني ما رد الله على رسوله من أموال بني النضير {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} والإيجاف والإبضاع الإسراع في السير قال الشاعر:

جزء قد سمع

ألا رب ركب قد قطعت وجيفهم إليك ولولا أنت لم يوجف الركب

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} وذلك أن مال الفيء المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف بخيل ولا ركاب جعله الله تعالى لرسوله يضعه حيث يشاء لأنه واصل بتسليط الرسول عليهم لا بمحاربتهم وقهرهم وقتلهم فجعل ذلك طعمة للرسول ولمن قام مقامه من ولده -عَلَيْه السَّلام-.

قوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} يقال دولة بالضم ودَولة بالفتح فالدولة الظفر في الحرب والدُّولة بالضم الغنى بعد الفقر قال الشاعر:

ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحيانا دول

{وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} فاجتنبوه.

قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} والمراد بالمهاجرين من هاجر من وطنه من المسلمين إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في دار هجرته وهي المدينة خوفاً من أذى قومه ورغبة في نصرة نبيه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فهم المقدمون في الإسلام على من لم يكن له هجرة من المسلمين {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} يعني من عطاء الدنيا ورضواناً من ثواب الله تعالى وفضل الله تعالى المهاجرين لأنهم اختاروا الله ورسوله على ما كانت لهم من الأموال والأولاد حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب على بطنه بحجر ليقوم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيره.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ} قبل الهجرة إليهم {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} يعني يقبلونهم ويواسوهم بأموالهم ومساكنهم {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً} أي لا يبدون من أنفسهم مطمعاً {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} يعني يفضلوهم ويقدموهم على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر:

أنت الربيع إذا تكون خصاصة ... عاش السقيم بها وعاش المقتر

وفي إيثارهم وجهان أحدهما أنهم آثروا المهاجرين على أنفسهم بما حصل من فيء وغيره من الغنائم حتى قسمت في المهاجرين.

والثاني: أن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال لهم: ((إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد فخرجوا إليكم)) فقالوا: إن أموالنا بين قطائع فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إنهم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر)) فقالوا: يا رسول الله {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩)} هو أن يشح بإخراج حقوق الله تعالى من ماله ولا ينفقه في وجوه المبار.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} أي جاءوا بعد المهاجرين أمروا أن يستغفروا لمن سبقهم من إخوانهم المهاجرين والمسلمين {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(١٠)} والغل الغش والعداوة.

قوله تعالى: {...بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} وحرب بعضهم لبعض واختلاف قلوبهم حتى لم يتفقوا على أمر واحد وهذه الآية عامة في كل من عادا الحق وباينه أن يجعل الله حالهم كذلك {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ

جزء قد سمع

شَتَّى} يعني مختلفة متفرقة قال الشاعر:

إلى الله أشكو فرقة شقت العصا هي اليوم شتى وهي أمس جميع

قوله تعالى: {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} وهم كفار قريش يوم بدر، والثاني: أنهم بنو النضير الذين أجلوا عن الحجاز إلى الشام.

قوله تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ}..الآية، وقوله: {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ} في هاتين الآيتين إلى النار وقوله:: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} الشيطان من المسوغين في الكفر وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر في طاعته لرؤسائه في الكفر والضلالة وهو عام في كل من هذه صفته.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} قال الإمام الناصر لدين الله: يجب على كل مسلم أن يرعى سمعه إذا قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا فإنه خير يؤمن أو شر ينتهي عنه {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} يعني به يوم القيامة ولقربها جعلها بمنزلة الكائن غداً {وَاتَّقُوا اللَّهَ} وهذه التقوى الثانية تأكيد للتقوى الأولى.

قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} يعني نسوا الله بترك شكره على ما أولاهم وتعظيمه على ما أسداهم {فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ} أي لا يستوون لأن أصحاب الجنة من أوليائه وأهل النار من أعدائه وأهل الجنة في نعيمهم وأهل النار في عذاب أليم.

قوله تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} وهذا مثل ضربه الله للمكلفين من عباده أنه لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً فهو يقوم بحقه إن أطاع الله ويقدر على رده إن عصى لأنه موعود بالثواب وموعود بالعقاب.

قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} واسم الله الأعظم هو الله {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أي عالم السر والعلانية وما كان وما يكون من الحياة والموت والآجال والأرزاق {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ(٢٢)} قد مضى تفسيرهما.

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} والقدوس الطاهر قال الراجز:

قد علم القدوس رب القدس

{السَّلَامُ} أي أنه السالم من الآفات والعاهات والزوال والفناء بخلاف خلقه. والثاني: سمي بذلك لسلامة عباده من ظلمه {الْمُؤْمِنُ} لأنه قد أمن خلقه من ظلمه وعذابه من غير استحقاق و{الْمُهَيْمِنُ} من أسمائه أيضاً وهو الشاهد على خلقه بأعمالهم وعلى نفسه بثوابهم وعقابهم ويحتمل أن يكون بمعنى الأمين في جميع أفعاله {الْعَزِيزُ} فيه وجهان: العزيز في امتناعه وانتقامه، والثاني: الغالب الجبار العظيم الشأن في القدرة والسلطان {الْمُتَكَبِّرُ} عن الشبهات والمستحق لجميع الصفات و{الْبَارِئُ} هو المنشئ ومنه قول الشاعر:

براك الله حين براك عينا وفجر منك أنهاراً عذابا

جزء قد سمع

و{الْمُصَوِّرُ} لتصويره الخلق على مشيئته قال: {الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} في الأرحام ماء حتى يصير دماً {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} وجميع أسمائه حسنى لنفي القبائح من فعله وأنه لا يفعل إلا حسناً ولا يأمر إلا بحسن فلذلك صارت أسماؤه وصفاته حسنى.

سورة الممتحنة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}..الآية، وسبب نزولها أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لما أراد التوجه إلى مكة أظهر أنه يريد خيبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكة يعلمهم أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- خارجاً إليهم وأرسله مع امرأة يقال لها سارة مولاة لبني عبدالمطلب فأخبر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بذلك فأنفذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقال: ((اذهب إلى روضة أجاح فإنك ستلقى بها امرأة معها كتاب فخذه)) فأتى علي -عَلَيْه السَّلام- الموضع فوجدها ومعها الكتاب فأخذه منها وعاد فإذا هو كتاب حاطب؛ ثم أرسل إلى حاطب فقال له: ((ما حملك على ما صنعت؟)) فقال: يا رسول الله كنت أمرءاً ملصقاً إلى قريش وكان لي بها مال فكتبت إليهم بذلك ووالله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله فصدقه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وقال: ((لا تقولوا لحاطب إلا خيراً)) فنزلت هذه الآية: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:٢١]، أي عبرة حسنة.

{....أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} والذين معه المراد بهذه الآية حاطب أسوة حسنة أي عبرة حسنة في إبراهيم والذين معه من المؤمنين {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ} من الكفار {إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ} فتبرأوا منهم فهلا تبرأت يا حاطب من كفار أهل مكة ولم تفعل ما فعلته في مكاتبتهم وإعلامهم ثم قال: {كَفَرْنَا بِكُمْ} أي كفرنا بما آمنتم به من الأوثان وكذبنا بأفعالكم {وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} يعني تأسوا بإبراهيم في فعله واقتدوا به إلا في الاستغفار فلا تقتدوا به.

قوله تعالىٰ: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقولوا لو كانوا علىٰ حق ما عذبوا.

قوله تعالىٰ: {..عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} وهم أهل مكة حين أسلموا يوم الفتح فكانت هي المودة التي صارت بينهم وبين المسلمين.

قوله تعالىٰ: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} وهذه الآية نزلت في خزاعة كان لهم عهد فأمرهم الله أن يبروهم بالوفاء، حتىٰ نسخت بآية السيف {وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} أي تعدلوا فيهم.

قوله تعالىٰ: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- هادن قريشاً عام الحديبية فقالت قريش علىٰ أن ترد إلينا من جاءك منا ونرد عليك من جاءنا منك فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((علىٰ أن نرد عليكم من جاءنا منكم ولا تردوا علينا من جاءكم منا من اختار الكفر علىٰ الإيمان أبعده الله)) فعقد الهدنة -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بينه وبينهم علىٰ هذا إلىٰ أن جاءت منهم أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط وقيل إن زوجها جاء في طلبها فقال: يا محمد قد شرطت لنا رد النساء وطين الكتاب لم يجف بعد وهذه امرأتي فارددها علي فلما طلب المشركون رد من أسلم من النساء منع الله من ردهن بعد امتحان إيمانهن بقوله: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا

تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} ولم يشرط ردهن في العقد لفظاً وإنما أطلق العقد في رد من أسلم فكان ظاهر العموم واشتماله عليهن من الرجال فبين الله سبحانه خروجهن من العموم.

وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين أحدهما: أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم. والثاني: أنهن أرأف قلوباً وأسرع تقلباً منهم فأما المقيمة منهن على الشرك فمردودة عليهم وقد كان من أراد منهن إضرار زوجها قالت: سأهاجر إلى محمد فلذلك أمر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بامتحانهن وكان امتحانهن أن يقال لمن خرجت منهن: تالله لا خرجت من بغض زوج، تالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، تالله ما خرجت التماس دنيا، تالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ويقرأ عليهن.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٢)} فكان يبايعهن على ذلك فهذا معنى قوله: {فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} يعني بما في قلوبهن بعد امتحانهن.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ} يعني في الظاهر {فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} يعني أن المؤمنات محرمات على المشركين والمشركات والمرتدات محرمات على المسلمين.

ثم قال: {وَءَاتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا} يعني بالنفقة مهور من أسلم منهن إذا سأل ذلك أزواجهن ثم قال: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} يعني المؤمنات إذا أسلمن عن أزواج مشركين أباح نكاحهن للمسلمين إذا

انقضت عدتهن أو كن غير مدخول بهن {إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} مهورهن {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} أي تنكحوا المشركات ولا ترغبوا في مالهن وجمالهن {وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا} يعني أن المسلم إذا ارتدت زوجته إلى ذوي العهد من المشركين المذكورين أن يرجع عليهم بمهرها كما ذكرنا أن للمشرك أن يرجع بمهر زوجته إذا أسلمت فإن لم يكن بينهم عهد شرط فيه الرد فلا يرجع وللأئمة من ولد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن يعقدوا في أعصارهم على قدر مصالح الخلق من العقود والعهود والشروط ما كان لأبيهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في وقته.

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ} ومعنى هذا أن من فاتته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم ثم غنمهم المسلمون ردوا عليه مهرها من أموال غنائمهم وفيِّهم، ومعنى قوله: فعاقبتم أي أصبتم وغنمتم من أموالهم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} وذلك أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم لما دخل مكة عام الفتح بايعه الرجال وجاء النساء فأمر أميمة أخت خديجة بنت خويلد خالة فاطمة ابنة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أن تبايع النساء عنهن.

فإن قيل: فما معنى بيعته لهن ولسن من أهل الجهاد فتوجد عليهن البيعة؟

فالجواب: أن بيعته لهن تعريفاً لهن بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن لأنهن دخلن في شرع لم يعرفن حكمه فبينه لهن وكان أول ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً توحيداً له ومنعاً عن عبادة غيره

جزء قد سمع

{وَلَا يَسْرِقْنَ}.

ثم قال: {وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} يعني لا يلحقن أزواجهن غير أولادهن لأن المرأة كانت تلتقط ولداً فتلحقه بزوجها ولداً، ومعنى قوله: {يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ} ما أخذنه لقيطاً {وَأَرْجُلِهِنَّ} ما ولدنه من زنا {وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} والمعروف كل فعل كان لله فيه طاعة ولرسوله والمنكر كل فعل كان فيه معصية لله ولرسوله.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} والمغضوب عليهم هم جميع العصاة والمذنبين {قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ(١٣)} بعد المعاينة من ثواب الآخرة لأنهم قد تيقنوا العذاب.

سورة الصف مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢)} وهذه الآية نزلت في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله سارعنا إليه؛ فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه.

قوله تعالى: {..إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا} يعني مصطفين صفوفاً كالصلاة لأنهم إذا اصطفوا ملاصقين كان أثبت لهم وأمنع لعدوهم وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ(٤)} والمرصوص الملصق بعضه إلى بعض لأن ذلك في حكم البناء من تفرقه كذلك في الصفوف قال الشاعر:

وأسمر مصفوف بطين وجندل   له شرعات فوقهن نصاب

ويحتمل أن يكون المرصوص المبني بالرصاص، قال الراجز:

ما لقي البيض من الحرقوصي   بفتح باب المغلق المرصوص

قوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} والزيغ الميل ومعناه فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب، وهذه الآية عامة في كل من زاغ عن الهداية والرشد والطاعة.

{..وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ} وهذه الآية عامة في الكفار والمنافقين.

قوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} وهذه الآية عامة في كل من أبطل أحكام رب العالمين وكذب بالأئمة الطاهرين والهداة المهتدين وإنما ضرب الله تعالى ذلك مثلاً بالنور لمن أراد إطفاء نور الشمس بفمه فوجده مستحيلاً ممتنعاً كذلك من أراد إبطال نور الحق.

سورة الجمعة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {..هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ} يعني من العرب وإنما سمى العرب أميين لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كتاب.

فإن قيل: فما وجه الامتنان بأن بعث نبياً أمياً؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها: لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء به. والثاني: لمشاكلة حاله أحوالهم فيكون أقرب إلى موافقتهم. والثالث: لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعاه إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ} يعني القرآن {وَيُزَكِّيهِمْ} أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} القرآن {وَالْحِكْمَةَ} هي الفهم والفقه في الدين.

قوله تعالى: {وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} المراد به من جاء بعد

جزء قد سمع

من كان في عصر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأنهم لم يلحقوهم.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(٤)} والفضل النبوة والإمامة يؤتيهما من اختاره واصطفاه من خلقه.

{...قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} أي تفرون من الداء بالدواء فإنه ملاقيكم بانقضاء الأجل تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}..الآية فاسعوا إلى سماع موعظة الإمام وكان اسم الجمعة في الجاهلية عروبة وأول من سماه باسمه هذا كعب بن لؤي بن غالب لاجتماع قريش إلى كعب {وَذَرُوا الْبَيْعَ} منع الله تعالى منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها ووقت التحريم من وقت الزوال إلى الفراغ من الصلاة.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: وإن عقد في هذا الوقت المحرم بيعاً بطل لظاهر قوله تعالى في النهي عنه والنهي يقتضي فساد المنهي عنه {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٩)} يعني أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تفوت بخروج وقتها والبيع لا يفوت.

قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ} يعني أديت {فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} وروينا عن يحيى بن زيد -عَلَيْه السَّلام- أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فيقف على باب المسجد فيقول: اللهم قد أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} أي نعمة الله عز وجل موصولة بنعمة الآخرة.

قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} قيل إن رسول الله

-صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كان في الخطبة فأقبلت عير فأخذ الناس يهرعون إليها فلم يبق مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إلا ثلاثة رجال فنزلت هذه الآية، والذي قدم بالعير دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلا سعر وكان معه ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت ثم ضرب الربح ليؤذن الناس بقدومه وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا إليه وبقي مع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- العدد الذي ذكرنا.

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً} وهو المعروف من أموال التجارة {أَوْ لَهْوًا} أي لعباً، وقيل إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال: ((والذي نفسي بيده لو ابتدرتموها حتى لا يبقى معي أحداً لسال الوادي ناراً)) و{انْفَضُّوا} معناه تفرقوا، قال الشاعر:

انفض جمعهم عن كل ثائرة   تبقى وتدنس عرض الواجم النسم

{قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ} يعني ما عند الله من الثواب ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم {وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(١١)} أي خير من توجه العباد إليه في طلب الرزق.

سورة المنافقين مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: المنافق هو الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وهو اليوم شر منه على عهد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه {قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} أي نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لأن في كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر معين ومنه قول قيس بن ذريح:

جزء قد سمع

وأشهد عند الله أني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا

وسبب نزول هذه الآية ما روينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كان في غزاة ومعه عبدالله بن أبي سلول وكان عبدالله بن أبي سلول يصنع لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كل يوم طعاماً ومضى بعض أصحاب النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- من العرب فاستقى من زكي ماء في حوض عمله من أحجار فجاء رجل من أصحاب عبدالله بن أبي سلول بناقة ليسقيها من ذلك الماء فمنعه الأعرابي فاقتتلا فشجه الأعرابي فأتى الرجل إلى عبدالله ودمه يسيل على وجهه فحدثه فنافق فقال: ما لهم رد الله أمرهم إلى جعال وقال: لا تأتون محمداً بالطعام حتى يتفرق منه الأعراب؛ فسمع زيد بن أرقم كلامه وكان حدثاً فأخبر عمه فأتى عمه رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فحدثه فبعث إلى عبدالله بن أبي سلول فأتى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فحلف وقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما قلت من هذا شيئاً فصدقه فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١)} أي أن نفاق من نافقك مع علم الله بأنك رسوله لا يضرك وأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن المنافقين لكاذبون في أيمانهم.

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} والجنة الغطاء المانع من الأذى ومنه قول أعشى همدان:

إذا أنت لم ترضى لعرضك جُنّة من العار سار الذم كل مسير

وإنما جعلوا الأيمان جنة ليحقنوا بها دماءهم وأموالهم {فَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ} يعني عن الجهاد لتثبيطهم عن المسلمين وإرجافهم بهم وتميزهم عنهم قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: ما يخاف على الإسلام رجلين رجل قد استبان إيمانه ورجل قد استبان كفره لكنا نخاف عليه المنافق الذي يتعوذ بالإيمان من الكفر ويعمل بغيره.

قوله عز وجل: {..وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ} شبههم بالخشب لأنهم لا يسمعون الهدى ولا يقبلونه كما لا يسمعه الخشب المسندة {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} يسمعونها حتى لو سمع رجل بصاحبه أو صاح بما فيه أن العدو قد جاءهم وأن القتل قد حل بهم استأنف الله خطاب النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بقوله: {فَاحْذَرْهُمْ} أي احذر أن تثق بهم أو تميل إلى كلامهم {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} أي قتلهم الله ولعنهم {أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٤)} أي يؤفكون ويردون عن الرشد.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إذا نزل منزلاً يرتحل منه حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبدالله بن أبي سلول قال: {لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} فارتحل قبل أن ينزل آخر الناس وقيل لعبدالله بن أبي سلول: ائت النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم حتى يستغفر لك فلوى رأسه وهو معنى قوله: {لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} إشارة إليه وإلى أصحابه أي حركوها وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير وجهة المخاطبة ونظروا شزراً وإنما عملوا ذلك استهزاء وامتناعاً من ثقل ما دُعوا إليه.

قوله تعالى: {..هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} يعني عبدالله بن أبي سلول، وسببه أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بعد انكفائه من غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست نزل

على المريسيغ فتنازع عليه جعال وكان رجلاً مسلماً ورجلاً من غفار وكان من أصحاب عبدالله بن أبي سلول فلطمه جعال فغضب عبدالله بن أبي سلول وقال: يا معاشر الأوس والخزرج ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك ثم قال عبدالله بن أبي -لعنه الله-: أوطأنا هذا الرجل ديارنا وقاسمناهم أموالنا ولولاها لانفضوا عنه ما لهم رد الله أمرهم إلى جعال {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} وهذه الآية التي بعدها نزلت فيه.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} أي عن فرائض الله وحدوده كالجهاد وغيرها. {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ} يعني النفقة في الجهاد لأنها أفضل النفقات وأفضل الطاعات.

سورة التغابن مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {..هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} يعني فمنكم كافر وإن أقر أنه خلقه لأن الخلق من فعل الله والكفر ليس من فعله.

{خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} يعني بإحكام الصنعة وصحة التقدير {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} يعني في المنظر والتسوية وحسن التركيب وفي خلق الإنسان بديع من الحكمة وعجيب من الصنعة.

قوله تعالى: {...فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} يعني أن الكفار قالوا ذلك استصغاراً للبشر أن يكونوا رسلاً من الله إلى أمثالهم والبشر مأخوذ من ظهور البشرة وسمي الإنسان إنساناً للأنس به {فَكَفَرُوا} يعني بالرسل {وَتَوَلَّوْا} يعني عن البرهان {وَاسْتَغْنَى اللَّهُ} بما أظهر لهم من المعجز

والبرهان وأوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية {وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ(٦)} يعني أنه غني عن أعمالكم والحميد معناه ما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- أنه قال: الحميد المستحمد إلى خلقه بما ينعم عليهم به.

قوله تعالى: {...يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} يعني يوم القيامة {ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} وإنما سمي يوم القيامة يوم التغابن لأنه غبن أهل الجنة أهل النار، قال الشاعر:

لعمرك ما شيء يفوتك نيله بغبن ولكن في العقول التغابن

قوله تعالى: {..مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} يعني من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل إلا بإذن الله أي بعلم الله {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} يعني هو الذي إذا ابتلي صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظُلم غفر.

قوله تعالى: {...يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} يعني إن منهم من هو مخالف في الدين فصار لمخالفته في الدين عدواً فاحذروهم يعني احذروهم على دينكم {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٤)} وذلك من أسلم بمكة ومنعه أهله من الهجرة فهاجر قال: لئن رجعت لأفعلن بأهلي ولأصنعن ومنهم من قال: لا ينالون مني خيراً أبداً فلما كان عام الفتح أمروا بالصفح والعفو عن أهاليهم فنزلت هذه الآية فيهم.

قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} يعني بلاء ومحنة {وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(١٥)} وهو ثواب الجنة {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} أي جهدكم وثوابكم طاقتكم روينا أنه لما نزل قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} [آل عمران:١٠٢]، اشتد ذلك على القوم

جزء قد سمع

فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله عز وجل تخفيفاً عنهم: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} فنسخت الأولى {وَاسْمَعُوا} يعني لكتاب الله عز وجل إذا أنزل عليكم {وَأَطِيعُوا} يعني لرسوله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ولكل من قام مقامه من ولده فيما أمروكم ونهوكم عنه، ولما نزلت هذه الآية بويع رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه {وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ} وهو الإنفاق في سبيل الله {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٦)} يعني من أنفق في سبيل الله فقد وقي شح نفسه.

قوله تعالى: {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ} والقرض النفقة في الجهاد ووجه المضاعفة أن المكافأة في نفقة الجهاد الحسنة بسبعمائة أمثالها كما بينه في قوله: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} [البقرة:٢٦١].

{وَيَغْفِرْ لَكُمْ} يعني ذنوبكم بالتوبة والرجوع عنه {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ(١٧)} والشكور المجازي على الشكر بالإنعام والحليم الذي حلم عن تعجيل المؤاخذة بالذنوب.

سورة الطلاق مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} في طهر من غير جماع وهو طلاق السنة لأن من السنة أن تطلق في كل قرء تطليقة واحدة وإن طلقها على غير الترتيب جاز وكذلك الطلاق في طهر قد وقع فيه الطلاق جاز ولم يكن بطلاق السنة فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة والآيسة والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة.

{وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} يعني في المدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها قبل انقضاء عدتها الثلاث ، فإن انقضت عدتها وكان التطليق واحداً أو ثلاثاً رجع إليها بمهر مستأنف ونكاح جديد {وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} يعني في نسائكم المطلقات {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ} يعني في زمان عدتهن لوجوب السكنى {إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} حتى تخرجوهن من منازلهن {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} أي شروطه {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} أي من يخالف حدود الله فقد ظلم نفسه لأنه استحق بخلافه العذاب {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(١)} يعني رجعة قبل وقوع الطلاق.

قوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} يعني قاربن انقضاء عدتهن {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} عنى بالإمساك الرجعة والمعروف أن لا يقصد الإضرار بها في المراجعة تطويلاً لعدتها {أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} وهو أن لا يراجعها حتى تنقضي عدتها {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ} يعني على المراجعة في العدة فإن راجع من غير الشهادة صحت {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢)} أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، وهذه الآية نزلت في مالك الأشجعي وذلك أنه أسر ابنه عوف فأتى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فشكى ذلك إليه مع ضر أصابه فأمره أن يكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه ثم قدم عوف فقدم بباب أبيه يناديه وقد ملأ القباب إبلاً فلما رآه أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأخبره وسأله عن الإبل فقال: ((أصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك)) فنزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

جزء قد سمع

وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنة فيها ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها)).

{إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} يعني قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(٣)} يعني وقتاً وأجلاً.

قوله تعالى: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ} يعني إن شككتم في حكم عدتهن فلم تعلموا.. {فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} فعدتهن ثلاثة أشهر {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} وكانت عدة الحامل وضع حملها في الطلاق فأما في الوفاة فعدتها آخر الأجلين {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا(٤)} يعني يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا في توفيقه للطاعة.

قوله تعالى: {..أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ} يعني أن سكنيالزوجة مستحق على زوجها مدة نكاحها وفي عدة طلاقها رجعياً فأما البائن فلا تجب للزوجة به إلا النفقة والوجد الطاقة والسعة {وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ} يعني في تضييق النفقة عليهن إن كن في عدة طلاق أو عدة وفاة {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} وهذا في نفقة المطلقة الحامل واجبةلها في مدة حملها كان الطلاق بائناً أو رجعياً وإنما استحقاقها للنفقة إذا كان الطلاق بائناً لأجل الحمل.

{فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} هذا في المطلقة إذا أرضعت ولدها فلها على المطلق أجرة الرضاع لأن نفقته ورضاعه واجبة على أبيه دونها {وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} يعني أبوي الولد يتراضيان بينهما في رضاعه إذا وقعت الفرقة بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعتها للولد

{وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ} أي تضايقتم واختلفتم {فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى(٦)} واختلافهما نوعان أحدهما في الرضاع والثاني في الأجرة فإن اختلفا في الرضاع فإن دعيت إلى إرضاعه وامتنع الأب مكنت منه إجباراً وإن دعاها الأب إلى إرضاعه وامتنعت فإن كان يقبل ثدي غيرها لم تجبر على إرضاعه واسترضع له غيرها وإن كان لا يقبل ثدي غيرها أجبرت على إرضاعه بأجرة مثلها، وإن اختلفا في الأجرة فإن دعت ضرورة إلى أجرة مثلها وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أولى بأجرة المثل إذا لم يجد الأب متبرعاً، وإن دعا الأب إلى أجرة المثل وامتنعت الأم لتطلب شططاً فالأب أولى به فإن أعسر الأب بأجرتها أخذت جبراً برضاع ولدها.

قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا} يعني لا يكلف الله نفساً نفقة المرضع إلا بحسب المكنة والقدرة {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا(٧)} يعني بعد ضيق سعة وبعد عجز قدرة.

{...قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠) رَسُولًا} الذكر القرآن والرسول سيدنا محمد رسول الله وتقدير الكلام {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠)} وبعث إليكم {رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ} يعني القرآن.

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} يعني خلق الأرض مثلما خلق السماء سبعاً متطابقة {يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} أي بين السماء والأرض والمراد بالأمر الوحي الذي ينزل بأوامر الله عز وجل {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(١٢)} لأن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ومن العفو والانتقام أمكن وإن استوى على ذلك في مقدوره ومكنته.

جزء قد سمع

سورة التحريم مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} وسبب نزول هذه الآية أن مارية أم إبراهيم خلا بها رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- في بيت حفصة بنت عمر وقد كانت خرجت لزيارة أبيها فلما عادت وعلمت عتبت فحرمها رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأمرها أن لا تخبر بها أحداً من نسائه فأخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا يتظاهران علىٰ نساء رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فطلق رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- حفصة بعدما حرم مارية واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً وكان قد جعل في نفسه أن يحرمهن شهراً فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية واستحل بعد ذلك مارية ورجع إلىٰ سائر نسائه وإنما كان حرم مارية علىٰ نفسه بغير يمين فكان التحريم موجباً للكفارة اليمين فكفر عن ذلك -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله-.

قوله تعالىٰ: {..وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} والحديث الذي أسره هو ما ألقىٰ علىٰ حفصة بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو الإمام بعده والخليفة وأن أباها عمر وأبا بكر يتعاونان علىٰ إخراج الأمر من بين يديه ومن بين يدي ولده بالظلم {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ} أي نبأت حفصة عائشة فذاع الخبر {وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} أي ذكر تحريم مارية وأعرض عن بعض وهو تظلم أبويهما لصلاح عرفه صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالىٰ: {إِنْ تَتُوبَا إِلَىٰ اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} وهذا خطاب لحفصة وعائشة فيما كان منهما من الذنب في إفشاء سر رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- وإطلاع الناس عليه وصغت قلوبكما أي مالت قلوبكما عن

الحق في كتمان سر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} يعني تعاونا عليه أي على معصية رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} علي بن أبي طالب -عَلَيْه السَّلام- {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(٤)} يعني أعواناً للنبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قوله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} يعني أطوع لله ولرسوله منكن واكتم لأسراره {مُسْلِمَاتٍ} أي مخلصات ظاهرهن وباطنهن سواء في الإسلام {مُؤْمِنَاتٍ} يعني مصدقات {تَائِبَاتٍ} أي راجعات إلى أمر الرسول صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم تاركات لمحاب أنفسهن {عَابِدَاتٍ} لله تعالى {سَائِحَاتٍ} أي صائمات وإنما سمي الصائم سائح لأنه كالسائح في السفر بغير زاد ويحتمل أن يكون بمعنى مهاجرات {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا(٥)} أما الثيب فالمرأة التي قد تزوجت فأما البكر والعذراء فلأنها على أول حالتها التي خلقت بها وأراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون وأراد بالبكر مثل مريم ابنة عمران ولما نزلت هذه الآية في الطلاق جعل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه-.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: كل آية في القرآن أولها يا أيها الذين آمنوا ففي التوراة يا أيها المساكين ومعنى قوا أي اصرفوا عنها النار، وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عَلَيْه السَّلام- أنه قال: قوا أنفسكم بأفعالكم وأهليكم بالوصية والموعظة لهم وأمرهم بطاعة الله عز وجل وتعليمهم فروض الله عز وجل ويبين لهم الخير ويأمرهم به والشر وينهاهم عنه وذلك يحق على كل رجل في نفسه

جزء قد سمع

وولده وعبيده وإمائه {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} والحجارة من الكبريت فهي تزيد في وقود النار {عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} يعني غلاظ القلوب شداد الأجسام وهم الزبانية {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ} أي لا يخالفونه في أمر من زيادة أو نقصان {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(٦)} يعني وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} والنصوح أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً وتقرأ: توبة نصوح بضم النون أي نصح لأنفسكم.

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} أما جهاد الكفار بالسيف وكذلك حكم جهاد المنافقين إذا ظهر نفاقهم وقيل الواو بمعنى الباء أي جاهد الكفار بالمنافقين.

قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ}..إلى قوله: {فَخَانَتَاهُمَا} وخيانتهما إضمارهما للكفر وإظهارهما للإسلام وروينا أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون وإذا مر به أحد أخبرت الجبابرة به وخيانة امرأة لوط أنه إذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها أنه قد نزل بلوط ضيف لما كانوا عليه من إتيان الرجال وكان اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والغة {فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} فلم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما لما عصيا شيئاً من عذاب الله تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة دون الوسيلة وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه بامرأة نوح وامرأة لوط ليسليه فيما كان من حفصة وعائشة في إفشاء سره وإشاعة حديثه.

ثم ضرب له مثلاً في صالحات أزواجه كخديجة بنت خويلد أم الأئمة

والمؤمنين عليهم سلام رب العالمين ، وأم سلمة بنت أبي أمية -رضي الله عنها- بقوله: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ} هي آسية بنت مزاحم {إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} قيل إن فرعون اطلع على إيمان امرأته فخرج إلى الملأ فقال: ما تعلمون من آسية فأثنوا عليها فقال لهم: إنها تعبد رباً غيري قالوا: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشدوا يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)} فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها ووافق ذلك حضور فرعون -لعنه الله- فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك فقبض روحها إلى رحمة الله تعالى.

وقوله: {وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} عنى بالعمل الشرك {وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)} يعني أهل مصر.

{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} وهذا تنزيه لها مما نسبه إليها اليهود -لعنهم الله- من الفاحشة {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ} والكلمات عيسى -عَلَيْه السَّلام- والكتب هي الإنجيل {وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(١٢)} يعني من المطيعين في التصديق والهداية.

سورة الملك مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} وتبارك تفاعل من البركة بيده الملك أي ملك الدنيا والآخرة بما فيهما ويجوز أن يكون المراد بالملك النبوة والإمامة {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١)} من إنعام وانتقام.

قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} يعني الموت في الدنيا بعد الحياة والحياة في الآخرة لا موت بعدها، روينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إن الله تعالى أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء)) {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أي أورع عن محارم الله عز وجل وأحسن طاعة لله.

قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا} يعني مطابقة بعضهن فوق بعض {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} يعني من اختلاف ومنه قول الشاعر:

متفاوتات في الأعنة قطنا   حتى تفي عشية أثقالها

يعني المتفاوتات التي يفوت بعضها بعضاً قال الشاعر:

فليس بمدرك ما فات منها   بليت ولا بكيف ولا لو إني

{فَارْجِعِ الْبَصَرَ} يعني فانظر إلى السماء {هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(٣)} يعني من شقوق وخلل {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ} أي ثم انظر إلى السماء مرة بعد أخرى {يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ(٤)} أي يرجع إليك البصر خاسئاً لأنه لا يرى فطور فينفذ فيه وخاسياً أن منقطعاً كليلاً ويجوز أن يكون معناه مبعداً من قولك: خسأت الكلب إذا أبعدته والحسير

النادم قال الشاعر:

ما أنا اليوم على شيء مضى يأتيه القوم تولى تحسر

وقيل هو الكليل الذي ضعف ومنه قول الشاعر:

من مد طرفاً إلى فوق غايته ارتد خسئان منه الطرف قد حسرا

ويحتمل أن يكون المنقطع من الأعيان كما قال الشاعر:

والخيل شعث ما تزال جيادها حسراً تغادر بالطريق سجالها

قوله تعالى: {...إِذَا أُلْقُوا فِيهَا} يعني الكفار في جهنم {سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا} والشهيق يكون من الكفار عند إلقائهم في النار وقد مضى الكلام في تفسير الشهيق {وَهِيَ تَفُورُ(٧)} أي تغلي ومنه قول الشاعر:

تركتم قِدركم لا شيء فيها وقِدرُ القوم حامية تفور

{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} تتقطع غضباً من الله عز وجل على العصاة وانتقاماً منهم {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨)} النذير الرسل والأنبياء واحدهم نذير قال الشاعر:

وما كنا نرى من بعد موسى وعيسى أن يكون لنا نذير

{...فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ(١١)} وأراد بالسعير جهنم.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} والغيب إذا أراد به الخلوة إذا خلى بنفسه وذكر ذنبه استغفر الله {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ(١٢)} يعني ثواب الله عز وجل في الجنة.

قوله تعالىٰ: {...هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا} يعني مذللة سهلة، وروينا أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ فللسودان اثني عشر وللروم ثمانية ولفارس والعرب أربعة آلاف. {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} يعني في جبالها وطرقها {وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} أي مما أحله لكم {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(١٥)} أي البعث.

قوله تعالىٰ: {ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} يعني من أمره وعظمته في السماء {أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(١٦)} أي تدور وتجري قال الشاعر:

رمين فأقصدن القلوب ولو ترىٰ دماً مائراً إلا جرىٰ في الحيانم

قوله تعالىٰ: {...أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ}..الآية، وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ للهدىٰ والضلال ومعناه ليس من يمشي مكباً علىٰ وجهه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله كمن يمشي سوياً معتدلاً ناظراً بين يديه وعن يمينه وشماله والصراط هو طريق الهدىٰ فشبه الله سبحانه الكافر بالمكب علىٰ وجهه والذي يمشي سوياً هو المؤمن يهتدي بإيمانه ومعناه من يمشي في الضلالة أمن يمشي مهتدياً.

{..قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} يعني خلقكم {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٢٤)} أي تبعثون بعد الموت.

{...فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} أي قريباً وعياناً {سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني ظهر السوء في وجوههم سمة تدل علىٰ كفرهم لقوله تعالىٰ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران:١٠٦]، {وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ(٢٧)} أي تمترون وتختلفون.

قوله تعالى: {...قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا} أي ذاهباً لا تناله الدلاء {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ(٣٠)} أي ظاهر شاهد جار وقد مر الاستشهاد في المعين.

سورة ن مكية وبعضها مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قال الإمام الناصر لدين الله: سورة (ن) مكية من أولها إلى قوله: {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ(١٦)}، ومن ذلك إلى قوله: {أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣)} مدني ومن بعد ذلك إلى قوله: {يَكْتُبُونَ(٤٧)} مكي ومن ذلك إلى قوله: {الصَّالِحِينَ(٥٠)} مدني، وباقيها مكي.

قوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ} والنون الحوت وقد جاء بمعنى الدواة، والقلم معروف وهو قسم أقسم الله به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه {وَمَا يَسْطُرُونَ(١)} فيه تأويلان أحدهما: ما يعلمون. والثاني: ما يكتبون.

{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢)} كان المشركون يقولون لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إنه مجنون وبه شيطان فأنزل الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لقولهم.

{وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣)} أي مقطوع قال الشاعر:

ألا تكون كإسماعيل إن له ... رأياً أصيلاً وفضلاً غير ممنون

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤)} أي على طبع كريم {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ(٥)} أي فترى ويرون حين يبين الحق من الباطل {بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ(٦)} يعني المجنون وقد يكون المفتون بمعنى المعذب يقال: فتنت الذهب بالنار إذا أحميته ومنه قوله: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(١٣)} [الذاريات] أي يعذبون.

قوله تعالى: {...وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩)} أي تدهن دينك فيداهنون في أديانهم {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠)} والحلاف الكذاب والمهين الضعيف القلب، وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة – لعنه الله تعالى– وذلك أنه عرض على رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– مالاً وحلف أن يطيعه إن رجع عن دينه.

قوله تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١)} والهماز المغتاب، والمشاء هو الذي ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض ويسعى بالكذب قال الشاعر:

ومولى كبيت النمل لا خير عنده لمولاه إلا سعيه بنميم

قوله تعالى: {..عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)} يعني بعد مناع الخير والعتل القوي في كفره الجافي الشديد الخصومة بالباطل واشتقاقه من الذي يعتل الناس أي يجرهم إلى حبس أو عذاب ومنه قوله تعالى: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ} [الدخان:٤٧].

وروينا عن رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله– أنه قال: ((لا يدخل الجنة خواط ولا جعظري ولا العتل الزنيم)) فقال –صَلَّى الله عَلَيْه وآله–: ((الخواط الذي جمع ومنع ، والجعظري الفظ الغليظ والعتل الشديد الخصومة الرحيب الجوف المصح الأكول الشريب الواجد للطعام الظلوم للناس والزنيم ولد الزنا)) ويجوز أن يكون بمعنى الدعي كما قال الشاعر:

زنيم تداعته الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وقيل: هو الذي يعرف بالشر {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ(١٤)} وهو

الوليد بن المغيرة وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- أنه قال: المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة.

{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥)} يعني أحاديث الأولين وعنى بالآيات القرآن {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ(١٦)} والمراد به سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز به من بين الناس كما قال: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} [الرحمن:٤١].

قوله عز وجل: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} يعني بلونا أهل مكة بالجوع كرتين حتى عادت رماداً فضرب الله لهم مثلاً وشبههم بأصحاب الجنة {إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)} وهذه الجنة كانت حديقة باليمن بقرية يقال لها ضروان بينها وبين صنعاء اثني عشر ميلاً وكانت لشيخ من بني إسرائيل له بيوت فكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله ويتصدق بالباقي فجعل أولاده يلومونه ويقولون لئن ولينا لنفعلن وهو لا يعطيهم إلى أن مات فورثوها فقالوا: نحن أحق بها لكثرة عيالنا من الفقراء والمساكين وأقسموا ليصرمنها مصبحين أي حلفوا ليقطعوا ثمرها حتى يصبحوا {وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨)} حق المساكين ولا يقولون إن شاء الله.

{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ} أي أمر من أمر ربك ونوع من عذابه {وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)} أي ليلاً وقت النوم والطائف لا يكون إلا ليلاً {فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)} يعني كالرماد الأسود وقيل: كالليل المظلم، قال الشاعر:

علام تقول عاذلتي تلوم تؤرقني وما انكشف الصريم

وروينا عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أنه قال: ((إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد هيء له ثم تلا: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)} قد حرموا خير جنتهم بذنبهم)).

{فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١)} أي دعا بعضهم بعضاً عند الصباح {أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)} أي عازمين على صرم حرثكم هذا اليوم {فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)} أي يتشاورون بينهم {أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥)} أي على منع ويجوز على قصد قال الشاعر:

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الحية المعلة

أي يقصد قصد الحية المعلة معنى قادرين على جنتهم عند أنفسهم {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)} أي أنهم لما رأوا أرض الجنة لا نبات فيها ولا شجر قالوا إنا لضالون، أي قد أضللنا الطريق فأخطأنا طريق جنتنا، ثم استرجعوا فقالوا: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧)} أي حرمنا خير جنتنا.

{قَالَ أَوْسَطُهُمْ} يعني خيرهم وأعدلهم {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(٢٨)} أي لولا تستثنون عند قولكم لنصرمنها مصبحين.

قوله تعالى: {...يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} وهذا مثل يضرب عند شدة الهول وعظيم الروع فيقولون: كشفت الحرب عن ساقها إذا ظهرت أهوالها قال الراجز:

في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عراقها

وقد يستعمل في انكشاف الغطاء كما قال الشاعر:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من السر الصراح

{...فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} يعني بهذا القرآن {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(٤٤)} أي سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ومعنى الاستدراج هو ما روينا عن زيد بن علي عن آبائه -عليهم السلام- أنه قال: كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه. والاستدراج النقل من حال إلى حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد أخرى.

قوله تعالى: {...فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} يعني أن الله تعالى يعزي نبيه ويأمره بالصبر وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وهو يونس بن متى -عَلَيْه السَّلام- {إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨)} أما نداؤه -عَلَيْه السَّلام- فهو قوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧)} [الأنبياء]، والمكظوم المغموم المكروب {لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ} والنعمة قوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧)} [الأنبياء]، {لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ} أي لألقي في الفضاء {وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩)} يعني ملوم بعجلته في مغاضبته.

قوله تعالى: {..وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ} أي ليصرعونك {لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ} يعني القرآن {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ(٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٥٢)} أي شرف للعالمين كما قال: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف:٤٤]، وقد مضى الكلام في العالمين.

ج٢- جزء تبارك

سورة الحاقة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ(١) مَا الْحَاقَّةُ(٢)} والحاقة هي القيامة وإنما سميت بذلك لأنها أحقت لكل عامل عمله وفيها يستحق الجزاء وقوله: {مَا الْحَاقَّةُ(٢)} أراد تفخيم أمرها وتعظيم حالها.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه-: إن كل شيء في القرآن فيه (ما أدراك) فقد أدراه، وكل شيء قال: (ما يدريك) فهو ما يريد تعليمه.

{..كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ(٤)} أما ثمود فقوم صالح وكانت منازلهم الحجر فيما بين الحجاز والشام وكانوا عربا ذو خَلْق وبسطة، وأما القارعة فهي القيامة كالحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة.

{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ(٥)} والطاغية طغيانهم في عقر الناقة {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(٦)} وقد مر الكلام في تفسير الصرصر والعاتية القاهرة الغالبة {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ} يعني الرياح الدبور {سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} أولها غداة يوم الأربعاء حسوماً أي حسمتهم فلم تبق منهم أحداً وفي ذلك قال الشاعر:

من مؤمني قوم هود فأرسل دبوراً عقيماً قد أتت عليهم لوقت حسوما

قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(٧)} أي البالية التي قد خلت أجوافها من تقدم عهدها وبلغنا أن الريح كانت تدخل في أجوافهم وتخرج أحشاءهم من أدبارهم أعوذ بالله من أليم الانتقام فصاروا بذلك كالنخل الخاوية {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً(١٠)} أي شديدة.

قوله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ(١١)} فـ{طَغَى

الْمَاءُ} أي طمى وظهر حتى زاد على كل منتصب في الأرض أربعون ذراعاً {حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ(١١)} يعني سفينة نوح سميت بذلك لأنها جارية على الماء والمعنى حملنا آباءكم الذين أنتم من ذريتهم وقد يجوز أن يكون المعنى لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين فصاروا معهم وقد قال العباس بن عبدالمطلب في مدح النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-:

قبلها طبت في الظلال وفي مستنقع الماء حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بسوء أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين إذا الهم سرى وأهله الغرق

{لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} يعني سفينة نوح جعلها الله تذكرة وموعظة لهذه الأمة {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ(١٢)} وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((لما نزلت هذه الآية سألت الله عز وجل أن يجعلها أذن علي فجعلها)) فكان أمير المؤمنين يقول: ((ما سمعت من رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- شيئاً قط إلا حفظته)).

{...وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ(١٦)} يعني ضعيفة {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} والأرجاء نواحيها {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ(١٧)} صفوف من الملائكة والعرش العظمة والملك وحملهم لذلك بما بان فيهم من عظيم خلق الله وحسن تدبيره ومثل ذلك كما يقال: فلان حامل القرآن وحامل العلم وحامل الكل والغرم وإن كان حمل ما عددناه ووصفناه غير ممكن لأنها أعراض لا تحتمل ولا تنتقل فاستعير لها لفظ الحمل على المجاز والاتساع وكذلك لو قال قائل: فلان يحمل حكمة الله سبحانه وقدرته كان جائزاً أن فيه حكمته وقدرته.

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ(١٨)} يعني يوم القيامة لا

يخفى المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩)} والكتاب هو العمل الصالح يقود إلى طريق اليمين إلى الجنة وذلك طريق النجاة وضدها طريق الشمال لأنها إلى النار والتهلكة والعرب تقول للواحد: هاؤم اقرأوا وللاثنين هاؤما وللجمع هاؤهم والهاء في كتابيه ونظيرها موضوعة للمبالغة.

{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)} والظن هاهنا بمعنى العلم لأن المؤمن أحسن بربه الظن فأحسن العمل وإن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٢١)} بمعنى مرضية، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((تعيشون فلا تموتون أبداً وتصحون فلا تسقمون أبداً وتنعمون فلا ترون بؤساً أبدا وتشبون فلا تهرمون أبدا)).

قوله تعالى: {...وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(٢٥)} أي لم أطلع على عملي ولم أقف عليه لأنه كان مستوراً وافتضح {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦)} أي لم أناقش في العمل وحسابه {يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧)} أي موت لا حياة بعده {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨)} أي كثرة مالي في الدنيا لم ينفعني في الآخرة ولم يدفع عني أذية العقاب {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(٢٩)} أي ضلت حجتي ويحتمل أن يكون المعنى ما كان به في الدنيا مطاعاً متبوعاً وعزيزاً ممنوعاً.

{...فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ(٣٥)} والحميم القريب ومعناه أنه ليس له قريب ينفعه ولا يدفع عنه كما يفعل معه في الدنيا {وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ(٣٦)} وهو صديد أهل النار وغسالة أجوافهم.

قوله تعالى: {..فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ(٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ(٣٩)} وسبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة قال إن محمداً ساحر وقال أبو

جهل شاعر، وقال عقبة بن أبي معيط: كاهن فقال الله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ(٣٨)} من أمر الخلق {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ(٣٩)} من أمرهم {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(٤٠)} يعني القرآن والرسول هو جبريل وليس القرآن من قوله وإنما هو من قول الله وإبلاغ الرسول فاكتفى بفحواء الكلام عن ذكره.

قوله تعالى: {...وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(٤٤)} أي لو تكذب علينا بعض الأكاذيب حكاية عن كفار قريش أنهم قالوا ذلك في النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٤٥)} يعني لأخذنا منه قوته كلها قال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(٤٦)} أنهم أرادوا تلفه وقتله لأن الوتين إذا قطع مات صاحبه.

قوله تعالى: {..وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ(٤٩)} يعني بالرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ(٥٠)} يعني أن القرآن ليقين عند كل الخلق {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ(٥١)} إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ(٥٢)} أي نزهه بلسانك عن كل قبيح.

سورة سأل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ(١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ(٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ(٣)} يعني طلب طالب بعذاب واقع وهذا الطالب كان النضر بن الحارث وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر سأل ذلك في قوله: اللهم إن كان هذا هو

ج٢- جزء تبارك

الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، وإنما طلب تعجيل عذاب الآخرة في دار الدنيا فقتل يوم بدر أسيراً.

{مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ(٣)} يعني ذا النعم والفواضل ودرجات الخير {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} أي تصعد الملائكة إلى أمره وإلى مواضعهم ومقاماتهم المرتبة لهم، والروح عنى به جبريل -عَلَيْه السَّلام- وخص بالذكر تشريفاً {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ(٤)} يعني يوم القيامة لأن طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا وهو ضياء يستديم إلى أن يحاسب الخلق فيستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا(٥)} يعني صبر لا جزع فيه ولا بث ولا شكوى وفي أمره بالصبر وجهان أحدهما أمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وأنه ساحر وأنه شاعر. والثاني: أنه أمر بالصبر على كفرهم وهذا الحكم منسوخ لأنه ورد قبل فرض جهادهم.

قوله تعالى: {...يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ(٨)} وفي المهل تأويلان أحدهما: أنه ما ذاب من النحاس والرصاص والفضة. والثاني: هو رديء الريث {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ(٩)} وهو الصوف المصنوع.

قوله تعالى: {...وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ(١٣)} والفصيلة العشيرة {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى(١٥)} وهي اسم من أسماء النار وسميت بذلك لأنها تتلظى والتلظي هو اشتداد حرها {نَزَّاعَةً لِلشَّوَى(١٦)} والشوى الأطراف أطراف اليدين والرجلين ومنه قول الشاعر:

إذا نظرت عرفت الوجه منها ... وعينيها ولم تعرف شواقه

يعني أطرافها، والثاني: أنها جلدة الرأس ومنه قول الأعشى:

قالت قبيلة ماله　　　　قد حللت شيئاً سوأته

{تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى(١٧)} والمراد أن مصير من أدبر وتولى إليها وليس لها دعاء في الحقيقة ومنه قول الشاعر:

ولقد هبطت الواديين فوادياً　　　　يدعو الأنيس به الغضيض الأبكم

وعنى بالغضيض الأبكم الذئب وهو لا يدعو وإنما طينته نبه عليه فدعى إليه ومعنى أدبر وتولى أي أدبر عن الطاعة والإيمان وتولى عن الرسول والقرآن إلى الكفر والعصيان.

{..إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)} والهلوع هو الذي بين الله تفسيره فقال: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٢١)} يعني إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الشر لم يصبر وإذا استغنى منع حق الله وشح وإذا افتقر سأل وألح.

{إِلَّا الْمُصَلِّينَ(٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(٢٣)} يعني على مواقيت فروضها وإكثار التطوع منها.

{...وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٣٢)} فالأمانة ما ائتمنه الناس عليه أن يؤديه إليهم والعهود ما عاهد الناس عليه أن يفي به لهم.

قوله تعالى: {...فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ(٣٦)} أي مسرعين وقيل ناظرين تعجباً {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ(٣٧)} يعني متفرقين ومنه قول الراعي:

أخليفة الرحمن إن عشيرتي　　　　أمسى سوامهم إليك عزينا

وروينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم خرج على أصحابه وهم حلق فقال: ((ما لي أراكم عزين)) قال الشاعر:

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حلقاً عزينا

{...يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} يعني من القبور {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ(٤٣)} أي إلى أصنامهم يستبقون.

سورة نوح -عَلَيْه السَّلام- مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} وإنما سمي نوحاً لأنه كان يكثر النواح على نفسه في الدنيا وقيل بعث وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن ثلاثمائة سنة {أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١)} وهو ما نزل عليهم من العذاب بالطوفان فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى فيهم مجيباً وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه.

{...يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} و(من) صلة زائدة وتقديره يغفر لكم ذنوبكم ويجوز أن تكون (من) غير زائدة وتقدير الكلام يخرجكم من ذنوبكم {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي يمهلكم إلى أجل ضرب لكم إن آمنتم به واستغفرتموه من ذنوبكم {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ} يعني الأجل المحتوم لا يؤخر عن وقته {لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٤)} لعلمتم {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا(٥)} يعني دعوتهم إلى عبادتك ليلاً ونهاراً {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا(٦)} من طاعتك قال الإمام الناصر -صلوات الله عليه-: بلغنا أن الرجل كان يذهب بابنه إلى نوح -عَلَيْه السَّلام- فيقول لابنه: أحذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي

إليه وأنا مثلك فحذرني كما حذرتك {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ} ما تقدم من ذنوبهم وشركهم {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ} لئلا يسمعوا دعاءه ليويسوه من إجابة ما سمعوه {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} أي غطوا رؤوسهم وتنكروا لا يعرفهم {وَأَصَرُّوا} أي أقاموا على الكفر متعمدين ومختارين له {وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا(٧)} واستكبارهم هو كفرهم بالله وتكذيبهم بنوح -عَلَيْه السَّلام-.

{..ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا(٩)} يعني أظهرت وأخفيت وكل هذا من نوح -عَلَيْه السَّلام- مبالغة في الدعاء وتلطف في الاستدعاء {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠)} هذا ترغيب منه في التوبة، وروينا عن آبائنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الاستغفار منجاة للذنوب)).

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(١١)} يعني غيثاً متتابعاً وقيل إنهم قد كانوا قد أجدبوا أربعين سنة حتى أذهب الجدب أموالهم فقال ذلك ترغيباً في الإيمان {وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(١٢)} وقيل إن في تلك الأربعين التي أجدبوا فيها انقطع نساءهم عن الولد وعلم نبي الله أنهم أهل حرص على الدنيا فقال: هلموا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة.

{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(١٣)} أي لا تخشون له عقاباً وترجون منه ثواباً {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(١٤)} يعني طوراً نطفة وطوراً علقة ثم طوراً مضغة ثم طوراً عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر أنبت له الشعر وأكمل له الصورة.

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا(١٥)} يعني متطابقة بعضها فوق بعض {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} يعني جعل القمر معهن

نوراً لأهل الأرض {وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا(١٦)} أي مصباحاً لأهل الأرض يضيء {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)} يعني خلقكم من آدم وخلق آدم من الأرض {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} يعني أمواتاً في القبور {وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(١٨)} بالنشور والبعث.

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا(١٩)} أي مبسوطة {لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا(٢٠)} يعني طرقاً واسعة {قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} لبث نوح -عَلَيْه السَّلام- في قومه يدعوهم إلى الله عز وجل ألف سنة إلا خمسين عاماً {وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا(٢١)} يقرأ بضم الواو من الولد وفتحه فالولد بالضم الجماعة من الأولاد والولد بالفتح يكون واحد أو جماعة ومنه قول الربيع بن زياد:

فإن تك حربكم أمست عواناً فإني لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سوء أورثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها

{وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا(٢٢)} أي عظيماً والكبّار أكبر من الكبير وأشد مبالغة والمكر الكبار ما جعلوا لله من الصاحبة والولد. والثاني قول الكبر لأتباعهم، {لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا} وكانت هذه الأصنام يعبدونها قوم نوح فانقلبت عبادتها بعدهم إلى سائر العرب.

فأما ود فهو أول صنم معبود وسمي ود لودهم له وكانت تعبده كلب بدومة الجندل وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر، وأما يغوث فكان لقوم من مراد بالجوف من سبأ وقيل إنه كان من رصاص وكان يحملونه على جمل أجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فإذا

برك نزلوا وقالوا: قد رضي ربكم المنزل فيضربون عليه وينزلون حوله، وأما يعوق فكان لهمدان، وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير.

قوله تعالى: {..وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا(٢٦)} روينا أن نوحاً -عَلَيْه السَّلام- لما نزل عليه قوله: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ} [هود:٣٦]، دعا إلى الله تعالى عليهم بهذا الدعاء وقوله: ديارا، أحداً، وكل من سكن داراً فهو ديّار.

{..رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} يعني أباه وأمه وكانا مؤمنين {وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا(٢٨)} يعني هلاكا.

سورة الجن مكية

قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام-:...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} وذلك أن الله سبحانه بعث رسوله إلى الإنس والجن وهما الثقلان تكرمة وتخصيصاً فلهذا قال: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ} [الأحقاف:٢٩]، فقرأ رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عليهم القرآن فرجعوا إلى قومهم يبشرونهم وينذرونهم وكان عدد الجن الذي قرأ عليهم رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- تسعة والسورة التي قرأها هي إقرأ باسم ربك.

{..وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} أي عظمة ربنا وسلطانه وشأنه.. {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا(٤)} والسفيه الجاهل، والشطط الجور والكذب.

{..وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(٦)} كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قال: إني أعوذ بكبير هذا

الوادي، يعني من الجن فلما جاءهم الإسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وهذا معنى قوله: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(٦)} يعني إثماً وطغياناً وقيل سفهاً.

قوله تعالى: {...وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ} يعني أن مردة الجن يقعدون من السماء مقاعد يقولون إنا نسمع أخبار السماء ونأخذ من الملائكة علوم الوحي {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا(٩)} عنى بالشهاب شهاب القذف الذي يحرق به مردة الجن ممن يستمع الوحي، وأما الوحي فلم تكن الجن تقدر على سماعه {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا(١٠)} يعني أنهم لا يدرون هل بعث رسوله محمداً صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ليؤمنوا به فيكون ذلك منهم ولهم ثواباً أم ليكفروا به فيكون ذلك منهم شراً وعليهم عقاباً.

{وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ} يعني المؤمنون {وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ} يعني المشركون {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا(١١)} أي بالأهواء المتباينة والأديان المختلفة ومنه قول الراعي:

القابض الباسط الهادي بطاعته   في فتنة الناس إذ أهواءهم قددا

{..وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ} يعني القرآن حين سمعوه من رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- آمنوا به وصدقوه على رسالته وهذه من خصائص رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء {فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا(١٣)} والبخس النقصان والرهق العدوان يعني لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادة في سيئاته قال الأعشى:

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

وهو قوله حكاه الله عن الجن لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم.

وروينا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- كان جالساً ذات يوم إذ مر به رجل فقال لأصحابه: (أتعرفون هذا الرجل؟) قالوا: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: (هو سواد بن قارب رجل من أهل اليمن له شرف وذكر) فاستدعاه أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- وقال له: (أنت الذي سمعت الهاتف في نومك بظهور النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-؟) قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فضربني برجله ثم قال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعونا إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم فليس قدماها كأذنابها

قلت في النوم: دعني أنام فقد أمسيت ناعساً ولم أرفع بها قال رأساً؛ فلما كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فقلت: له دعني فقد أمسيت ناعساً ولم أرفع بما قال رأساً؛ فلما كان الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله فقال: قم يا سواد بن قارب اسمع مقالتي إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتجساسها   وشدها للعيس بحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   ما خير الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم   واسم بعينيك إلى رأسها

قال: فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام فرحلت ناقتي فأتيت المدينة فإذا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وأصحابه فقلت: اسمع مقالي يا رسول الله؛ قال: ((هات)) فأنشأت أقول:

أتاني نجي بين هدى ورقدة   ولم أك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة   أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيلي الإزار ووسطـ   ـني العريش الوجنا بين السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره   وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة   إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى   وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذي شفاعة   سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال: ففرح رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- به فرحاً شديداً حتى عرف ذلك الفرح في وجهه.

قوله تعالىٰ: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ} وهذا إخبار عن الجن فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، والقاسط الجائر لأنه عدل عن الحق والمقسط العادل ومثله الترب والمترب والترب الفقير والمترب الغني.

قوله تعالىٰ: {..وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} والمراد به الاستقامة علىٰ الطاعة والهدىٰ {لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا(١٦)} ينبت زروعهم ويكثر مالهم وفي الماء نعمة عظيمة لأن فيه حياة النفوس وخصب الزروع والغدق الواسع الكثير قال كثير:

وهبت لسعدىٰ ماءه ونباته ... كما كل ذي ود لمن ود واهب
لتروىٰ بها سعدىٰ فيروىٰ حميمها ... وتغدق أعداد لها ومشارب

{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} أي لنبتليهم فيه ونختبرهم {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا(١٧)} يعني العذاب الذي لا راحة فيه.

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} يعني أنها بيوت الله للصلاة {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(١٨)} أي لا تدعو معه غيره فإن اليهود والنصارىٰ في بيعهم وكنائسهم أضافوا إلىٰ عبادة الله عبادة غيره والسنة إذا دخل الإنسان المسجد أن يقول: لا إله إلا الله لا أدعو مع الله أحدا.

قوله تعالىٰ: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} يعني محمد صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قام إلىٰ الصلاة يدعو ربه فيها وقام أصحابه فيها خلفه مؤتمين فعجبت الجن من طواعية أصحابه له {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا(١٩)} يعني جماعة بعضها فوق بعض، ومنه: اللبد لاجتماع الصوف بعضه علىٰ بعض قال ذو الرمة:

ومتنها آجن قفر موارده ... حصن كواكبه عن عرمض لبد

والمراد لما اجتمع المشركون على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وتعاونوا عليه في شرك.

{..قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} أي لن يدفع عني أحد دون الله {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا(٢٢)} يعني ملجأ ولا نصيرا قال الشاعر:

يا لهف نفسي ولهف غير مجدية　　　عني وما من قضاء الله ملتحد

أي لا أملك لكم إلا ما أرسلت به إليكم من رسالات الله عز وجل.

{...عَالِمُ الْغَيْبِ} يعني ما غاب مما لم يرده {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} يعني ملكاً أو نبياً فإنه يطلعهما عليه {فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧)} والرصد الملائكة الحفظة {لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ} يعني ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد أبلغت ما أمرت بإبلاغه {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ} أي علماً {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا(٢٨)} يعني من خلقه لا يعزب عنه إحصاؤه وإن عزب على غيره.

سورة المزمل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١)} والمزمل الملتف في شيء قال امرؤ القيس:

كأن ثبيراً في عرانين وبله　　　كبير أناس في بجاد مزمل

ومعنى الكلام في هذا الموضع: يا أيها المزمل بالنبوة والقرآن أي الحامل لها والمخصوص بهما { قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(٢)} أي صل في الليل إلا قليلاً، وقد كان فرض عليه وعلى أمته قيام بالليل فقاموا حتى ورمت

أقدامهم حتى نسخ بآخر السورة وفي مدة فرضه إلى أن نسخ ستة أشهر المدة ما بين نزول أول المزمل وآخره سنة، وصلاة الليل عندنا مستحب وهي ثماني ركعات بأربع تسليمات لأن الرسول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كان يصليها بعد النسخ وإنما ورد النسخ بالتخفيف لأنهم يقومون الليل أكثره فلذلك قال: {إِلَّا قَلِيلًا} لأن قيام الليل كله غير ممكن واستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الشيء ما دون النصف وقيل القليل الثلث، وحد الليل ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر.

ثم قال: {نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} وكان ذلك تخفيفاً إن لم يكن زمان القيام محدوداً فقام الناس حتى ورمت أقدامهم.

وروينا أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قام في الليل فقال: ((أيها الناس أكلفوا من الأعمال ما لا تطيقونه فإن الله عز وجل لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه)) ثم نسخ ذلك بقوله: {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ}.

{وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا(٤)} أي بينه تبيينا {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(٥)} والقول الثقيل هو القرآن لأن العمل به في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه ثقيل على طباع الكافرين {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} ساعاته لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة {أَشَدُّ وَطْئًا} يعني مواطأة قولك لعلمك وموافقة قلبك لسمعك وبصرك ويحتمل أن يكون المعنى أشد نشاطاً لأنه في زمان راحتك {وَأَقْوَمُ قِيلًا(٦)} أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه في زمان التفهم والفراغ.

{إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا(٧)} يعني فراغاً طويلاً لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك.. {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨)} أي انقطع إليه في الإخلاص والعبادة {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ} يعني مشرق الشمس ومغربها.

قوله عز وجل: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا(١٠)} وهذا الهجر الجميل قبل نزول آية السيف ومعنى الجميل أي هجر ليس فيه جزع.

{..إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا} والأنكال الأغلال والقيود وسميت أنكالاً لأن الإنسان إذا رأى المعذب بها نكل عن فعل القبيح، وروينا في الخبر عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إن الله يحب النكل على النكل)) قيل يا رسول الله وما النكل؟ قال: ((الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب)) فمن ذلك سمي القيد نكلاً لقوته وكذلك الغل.

{..وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا(١٤)} والمهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه والكثيب مجتمع الرمل.

{..فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا(١٦)} يعني به شديداً مهلكاً قال الشاعر:

أكلت نبتك أكل الضب حتى ... وجدت مرارة الكلأ الوبيل

{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا(١٧)} يعني يوم القيامة والشيب جمع أشيب والأشيب الأشمط وهو الذي قد اختلط سواد شعره ببياضه قال الشاعر:

طربت وما بك من طرب ... وهل يطرب الرجل الأشيب

وإنما شيب الولدان من هول يوم القيامة {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} أي منشقة من عظمته وشدته {كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا(١٨)} أي بما وعد من ثواب وأوعد من عقاب مفعول لا خلف فيه.

{..وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} يعني يقدر ساعاتهما وتقديرهما لأعمال

عبادة.. {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ} وأقل ما يجزي من القراءة فاتحة الكتاب وثلاث آيات معها في الركعتين الأولتين من كل فريضة {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى} ذكر أسباب التخفيف فذكر منها المرض لأنه يعجز ثم قال: {وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} وهم الذين يتقلبون في معايشهم بالتجارة أو غيرها {وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني في طاعته وهم المجاهدون {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} وإنما أراد بإعادة قوله: فاقرأوا ما تيسر منه نسخ ما تقدمه في أول السورة من قيام الليل وجعل ما تيسر منه تطوعاً ونفلاً لأن الفرض لا يؤمر فيه بفعل ما تيسر منه {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وهي الخمس لوقتها {وَءَاتُوا الزَّكَاةَ} أي زكاة الأموال المفروضة {وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} والقرض هو النفقة في الجهاد لأنها أفضل النفقات وأكمل العبادات {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ} يعني من صدقة ونفقة في الجهاد {تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} أي تجدوا ثوابه عند الله {هُوَ خَيْرًا} مما أعطيتم.. {وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} يعني من ذنوبكم {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢٠)} يعني غفور لما كان قبل التوبة بها رحيم لكم بعدها.

سورة المدثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)} يعني يا أيها المتدثر بالنبوة وأثقالها {قُمْ فَأَنْذِرْ(٢)} قومك عذاب ربك {..وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤)} وفي المراد بالثياب أربعة تأويلات أحدها: العمل. والثاني: أن المراد بها القلب. والثالث: المراد بها النفس. والرابع: المراد بها الثياب الملبوسة على الظهر.

فمن تأول العمل قال: وعملك أصلح وذلك لما روينا عن رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-: ((يحشر المرء في ثوبيه الذي مات فيهما)) يعني

عمله الصالح والطالح. ومن ذهب إلى أنه القلب استدل بقول امرئ القيس:

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسل ثيابي عن ثيابك تنسلي

وإذا أريد بالثياب النفس ففيه وجهان أحدهما: طهِّر قلبك عن المعاصي والآثام. والثاني: وقلبك فطهر من الغدر واستشهد لهذا المعنى بقول الشاعر:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع

ومن تأول بالنفس فإنما أراد نفسك فطهر مما كنت تتفكر فيه وتحذر منه، من قول الوليد بن المغيرة. ومن أراد بها الثياب الملبوسة على الظهر فتأويله: فأنق ثيابك ومنه قول الشاعر:

ثياب بني عوف طهار نقية وأوجههم عند المشاهد غران

ويحتمل أن تكون طهارة الثياب تشميرها وتطهيرها أو غسل ما عليها من الأدران والأوساخ وهذه الوجوه التي ذكرناها شائعة جائزة في اللغة والعرف وهذا وإن كان خطاباً لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فالمراد به الأئمة من ولده وسائر الأمة بعدهم.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥)} والرجز هو الذنب والظلم ومنه قول رؤبة:

كم رامنا من ذي عديد مبرى حتى وقمنا كيده بالرجز

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ(٦)} يعني ولا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها

وترجو عليها ثوابها ومكافأتها في الدنيا {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ(٧)} على ما لقيت من الأذى والمكروه وهذه الآية منسوخة بآية السيف ويجوز أن يكون المعنى فاصبر على ما أمرك الله به من أداء الرسالة وتعليم الدين {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨)} والناقور القلب لأنه يجب إذا وعى الإنسان الحسنات.

{...ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(١١)} والمراد به الوليد بن المغيرة وإن كان كل الناس خلقوا مثل خلقه وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا(١٢)} وهو المال الذي لا ينقطع لا صيفاً ولا شتاء {وَبَنِينَ شُهُودًا(١٣)} وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ومعنى الشهود الحضور الذي لا يغيبون عنه وإذا ذكر ذكروا معه {وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا(١٤)} يعني مهدت الأمر بالمال والولد والرئاسة {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(١٥) كَلَّا} ثم يطمع أن أزيد من المال والولد كلا.

وروينا أنه لم يزل بعد نزول هذه الآية يرى النقصان في ماله وولده {إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا(١٦)} يعني القرآن ونبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والعنيد المعاند قال الحارثي:

إذا نزلت فاجعلاني وسطا ... إني كبير لا أريد العندا

والثاني: يعني المشاق المباعد ومنه قول الشاعر:

أرانا على حال يفرق بيننا ... نوى غربة إن الفراق عنود

{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(١٧)} وهو العذاب الذي لا راحة فيه وروينا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أن الصعود جبل في النار من نار يكلف الكافر أن يصعده فإذا وضع يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(١٨)} إن الوليد بن المغيرة قال:

لقد نظرت فيما قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو بالقلوب وما أشك أنه سحر ليس بشعر ثم قال: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(٢٠)} أي ثم لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة وأنه سحر.

{ثُمَّ نَظَرَ(٢١)} يعني الوليد بن المغيرة نظر إلى بني هاشم حين قال في النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم إنه ساحر ليعلم ما عندهم فيه {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(٢٢)} أما عبس فهو قبض ما بين عينيه وبسر يعني كلح وجهه ومنه قول توبة بن الحميّر:

وقد رابني منها صدود رايته   وإعراضها عن حاجتي ونشوزها

قوله تعالى: {ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(٢٣)} عن الطاعة {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(٢٤)} قال الوليد بن المغيرة ما هذا القرآن إلا سحر يأثره محمد عن غيره ويأخذ عمن تقدمه {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ(٢٥)} كذب -لعنه الله- حيث جعل القرآن من مقدور البشر ومن مقالتهم {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦)} وسقر من أسماء جهنم مأخوذ من سقرته الشمس إذا آلمت دماغه فسميت جهنم بذلك لشدة إيلامها {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨)} يعني لا تبقي من فيها حياً ولا تذره أي ميتاً، ويجوز لا تبقي أحداً من أهلها أن تناوله ولا تذره من العذاب {لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(٢٩)} معناه مغيّرة لألوانهم لأنهم تلفح وجوههم لفحة فتدعها أشد سواداً من الليل. والثاني: تحرق البشر حتى تلوح العظم. والثالث: أن بشرة أوجههم تلوح على النار. والرابع: أن اللوح شدة العطش، والمعنى أنها معطشة للبشر أي لأهلها قال الشاعر:

سقتني على لوح من الماء شربة سقاها بها الله الدهاق الغواديا

يعني باللَّوَح شدة العطش، والبشر جمع بِشْرة وهي جلدة الإنسان الظاهرة {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠)} وهؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية وعددهم هذا الذي ذكره الله تعالى وبلغنا أن رهطاً من اليهود سألوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية وكان الاقتصار عليها دون غيرها من الأعداد إخباراً عمن وكل بها وهذا العدد موافق لما نزلت به التوراة والإنجيل.

والذي ظهر لنا في هذا معنى خفي وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير من العدد لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف فالآحاد أقل الأعداد وأكثر الآحاد تسعة، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة فصارت التسعة عشر عدداً يجمع من الأعداد أكثر قليلها وأقل كثيرها فلذلك ما وقع عليه الاقتصار والله أعلم.

وروينا أن أبا جهل بن هشام قال عند نزول هذه الآية: أما يستطيع كل عشرة أن يأخذوا واحداً منهم،وقال أبو الأسود الجمحي عند نزول ذلك: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدافع عندكم بمنكبي الأيمن العشرة من الملائكة وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة يقوله مستهزئاً فقال الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}.

وروينا أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وصف أهل النار وخزنتها فقال: ((كأن أعين الخزنة البرق وكأن أفواههم الصياصي لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة على رقبته ويرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم)).

{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يعني ليتبينوا عدد الخزنة ويعلموا أن محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- نبي الله لما جاء به من موافقة عدد الخزنة {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا} بذلك.

قوله تعالى: {وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ(٣١)} يعني وما النار في دار الدنيا إلا تذكرة لنار الاخرة {كَلَّا وَالْقَمَرِ(٣٢)} والواو في القمر واو القسم أقسم الله به لأنه من خلقه والدال على حكمته فكأنه أقسم بعظمته {وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ(٣٣)} يعني إذ أقبل عند إدبار النهار {وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ(٣٤)} يعني أضاء وهذا قسم ثالث {إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ(٣٥)} والكبر هي العظائم من العقوبات والشدائد قال الراجز:

يا ابن المعلا نزلت إحدى الكبر ... داهية الدهر وصماء العبر

{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ(٣٦)} يعني أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- نذيراً للبشر حين قال: {قُمْ فَأَنْذِرْ(٢)} ويجوز أن تكون النار نذيراً للبشر لأن الله تعالى لم ينذر الخلائق بشيء أدهى منها {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ} يعني في الطاعة {أَوْ يَتَأَخَّرَ(٣٧)} عن المعصية {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(٣٨)} أي محتبسة بعملها من خير أو شر {إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ(٣٩)} وهم أهل الجنة.

قوله تعالى: {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ(٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦)} يعني كنا نكذب مع المكذبين.

{...فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ(٤٩)} يعني بالتذكرة القرآن {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ(٥٠)} أي مذعورة وهي بفتح الفاء ومن كسر الفاء أراد هاربة شعراً :

أمسك حمارك إنه مستنفر   في إثر أحمرة عمدن لعرب

{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ(٥١)} ومنه قول الفرزدق:

إلى هاديات صعاب الرؤوس   قساور والقسور الأصعب

{..بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً(٥٢)} يؤمرون فيها بالإيمان برسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وتؤمنوا أن لا تعذبوا.

{...هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(٥٦)} يعني أهل أن يتقى ولا يجعل معه إله غيره وأهل لمن اتقاه أن يغفر له وفيه وجه ثان ومعنى الكلام أن يتقى عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته.

سورة القيامة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ} وفي (لا) ثلاثة تأويلات أحدها: أنها صلة دخلت مجازاً ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة قال الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة   وكاد ضمير القلب لا يتقطع

أي يتقطع ولا صلة. والثاني: أنها دخلت توكيداً كقوله: لا والله، قال امرؤ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامري   لا يدعي القوم أني أفر

والثالث: أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث ثم ابتدأ القسم فقال: {أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ(١)} ليكون فرقاً بين اليمين المستأنفة واليمين التي تكون جحداً، وقرئ: لأقسم، وهذا على أن تكون اللام

وحدها دخلت على أقسم إثباتاً للقسم وتقديره: أقسم بيوم القيامة.

{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(٢)} هي التي لا صبر لها عن محن الدنيا وشدائدها فهي كثيرة اللوم فيها {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ(٣)} يعني فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ(٤)} أي نعيد مفاصله بالبعث خلقاً جديداً وفي (بلى) وجهان أحدهما: أنه تمام قوله لن نجمع عظامه، بلى نجمعها. والثاني: استئناف بعد تمام الأول بالتعجب {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ(٥)} يعني أنه يرتكب الآثام في طلب الدنيا لقوة أمله ولا يذكر الموت. والثاني: يحتمل أن يكون المعنى بل يريد أن يجحد الحق في يوم القيامة.

قوله عز وجل: {..فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ(٧)} أي شخص عند الموت قال الشاعر:

فنفسك فانفع ولا تبغني ... وداو الكلوم ولا تبرق

وهذه القراءة بفتح الراء وقد يجوز بكسر الراء ومعناه أن يغشى عينيه البرق يوم القيامة ومنه قول الأعشى:

وكنت أرى في وجه مية لمحة ... فأبرق مغشياً عليّ مكانيا

ويحتمل أن يكون بمعنى شق البصر كما قال الكلابي:

لما أتاني ابن عمرو داعياً ... أعطيته عيشاً مهناً فبرق

{وَخَسَفَ الْقَمَرُ(٨)} أي ذهب ضوؤه حتى كأن نوره وذهب في خسف من الأرض {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(٩)} يعني جمع بينهما في

ذهاب ضوئهما بالخسوف، ويجوز أن يكون المعنى أنه جمع بينهما في أن كورا جميعاً يوم القيامة {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(١٠)} أين المهرب قال الشاعر:

وأي كبش حاد عنها يفتضح أين المفر والكباش تنتطح

{كَلَّا لَا وَزَرَ(١١)} أي لا منجأ ولا ملجأ قال الشاعر:

لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر

{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ(١٢)} والمستقر المنتهى، ويحتمل أن يكون المستقر استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار {يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ(١٣)} يعني بما قدم من معصية وأخر من طاعة {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(١٤)} يعني أنه شاهد على نفسه بما تقوم به الحجة عليه كما قال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤)} [الإسراء]، والثاني: أن جوارحه شاهدة عليه بعمله كما قال: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٦٥)} [يس]، والثالث: أنه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه والهاء في بصيرة للمبالغة.

{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ(١٥)} معنى لو اعتذر يومئذ لم يقبل اعتذاره، ويحتمل أن يكون المعنى: ولو أرخى ستوره لأن المعذار في لغة اليمن من الستر قال الشاعر:

ولكنها ظنت بمنزل ساعة علينا ولطت دوننا بالمعاذر

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ} وسبب نزول

هذه الآية: أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- كان إذا نزل عليه الوحي بالقرآن حرك به لسانه ليذكره ولا ينساه وكان يناله منه شدة فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ(١٧)} يعني أن علينا أن نجمعه لك حتى نثبته في قلبك {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ(١٨)} يعني فإذا بيناه فاعمل بما فيه واتبع شرائعه وأحكامه {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(١٩)} يعني بيان ما فيه من أحكام حلال وحرام.

قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ(٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ(٢١)} يعني تحبون العمل للدنيا ولا تحبون العمل للآخرة.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢)} يعني حسنة مستبشرة ناعمة {إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣)} يعني إلى ثواب ربها منتظرة {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(٢٤)} أي متغيرة كالحة {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ(٢٥)} والظن هنا بمعنى اليقين والفاقرة هي خلودهم وهلاكهم في النار.

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ(٢٦)} يعني بلوغ الروح عند موته إلى التراقي وهي أعلى الصدر واحدتها ترقوة {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ(٢٧)} أي قال أهله من راق يرقيه بالرقاء وأسماء الله الحسنى لنبيه -عَلَيْه السَّلام- ومنه قول الشاعر:

هل للفتى من بنات الدهر من واقي   أم هل له من حمام الموت من راقي

ويحتمل أن يكون وجهاً ثانياً أنه قالت الملائكة من راق فيرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ(٢٨)} أي علم أنه مفارق الدنيا {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ(٢٩)} أي اتصلت الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء ولأنه اجتمع عليه أمران شديدان وهو أن الناس يجهزون

جسده والملائكة يجهزون روحه {إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ(٣٠)} أي المنطلق.

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ(٣١)} وهذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام -لعنه الله- يعني فلا صدق بكتاب الله وبرسوله ولا آمن بالمرسل {وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ(٣٢)} يعني كذب الرسل وتولى عن المرسل {ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ(٣٣)} يعني أبا جهل ذهب يتبختر وهو أن يكون مطاه والمطي الظهر وجاء النهي عن سيرة المطيطي وذلك أن يلقى الرجل يده مع اليد في مشيته.

{أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ(٣٤)} وروينا أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لقي أبا جهل -لعنه الله- ببطحاء مكة وهو يتبختر في مشيته فدفع في صدره وقال له: ((أولى لك فأولى)) فقال أبو جهل: إليك عني أتوعدني يا ابن أبي كبشة وما تستطيع أنت وربك الذي تزعم أنه أرسلك نبياً فنزلت فيه هذه الآية، وقوله: {أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ(٣٤)} يعني وليك الشر وهذا وعيد على وعيد قالت الخنساء:

هممت بنفسي بعض الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها
سأحمل نفسي على آلةٍ ... فإما عليها وإما لها

{..أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(٣٦)} يعني مهمل لا يفترض عليه عمل وملغى لا يؤمر ولا ينهى وغيب لا يحاسب ولا يثاب ولا يعاقب قال الشاعر:

فأقسم بالله جهد اليمين ... ما ترك الله شيئاً سدى

{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ(٣٧)} ومعنى تمنى تراق ومنه سميت

منى لإراقة الدماء فيها ويحتمل أن يكون بمعنى شيئاً يخلق ومنه قول يزيد بن عامر:

فاسلك طريقك بمشي غير مختشع حتى تلاقي ما منى لك الماني

{ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً} يعني أن كان بعد النطفة علقة {فَخَلَقَ فَسَوَّى(٣٨)} يعني خلق في الأرحام قبل الولادة وسوى بعدها عند استكمال القوة وتمام الحركة.

سورة الإنسان مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} معناه أتى على الإنسان والإنسان في هذا المكان عام لكل إنسان {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} والحين في هذا الموضع تسعة أشهر مدة حمل الإنسان في بطن أمه وأكثر مقامه أربع سنين {لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(١)} في الخلق والتصوير وإن كان شيئاً موجودا.

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ} عنى بالإنسان هنا كل إنسان من بني آدم، والنطفة ماء الرجل فإذا اختلط في الرحم بماء المرأة صار أمشاج، وفي الأمشاج أربعة تأويلات أحدها أنه الاختلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ومنه قول رؤبة بن العجاج:

يطرحن كل معجل مشاح لم يكس جلداً من دم أمشاج

والثاني: أن الأمشاج الألوان، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه)).

والثالث: أن الأمشاج الأطوار، وهو أن الخلق طوراً نطفة ثم طوراً علقة ثم طوراً مضغة ثم طوراً عظماً ثم يكسى العظم لحماً.

والرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة.

وقوله تعالى: {نَبْتَلِيهِ} أي نختبره ونكلفه وفيما نختبره وجهان أحدهما: نختبر بالخير والشر. والثاني: نختبر شكركم في السراء وصبركم في الضراء {فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(٢)} أي ذا سمع وذا بصر امتناناً بالنعمة عليه.

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} يعني بينا له سبيل الخير والشر والضلالة والهدى {إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا(٣)} يعني شاكراً لنعمه وإما كافراً لها وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشاكر والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفياً للمبالغة في الشكر وإثباتاً لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفى عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة.

قوله تعالى: {..إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا(٥)} والأبرار هم الذين أدوا حقوق الله عز وجل وأوفوا بالنذر وقوله: {يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ} يعني خمراً طعمه الزنجبيل وريحه الكافور، وقيل إن الكافور عين في الجنة {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} يعني أولياءه وهي التسنيم وهما شرف شراب أهل الجنة {يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ(٢٨)} [المطففين]، صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة بالخمر واللبن والعسل {يُفَجِّرُونَهَا} يعني يمزجونها بما شاءوا.

{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} يعني يوفون بما افترض الله عليهم من عبادته ويتمون ما عقدوه على أنفسهم في حق الله {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا(٧)} والمعنى ويخافون عذاب يوم كان شره مستطيراً أي قاسياً ممتداً {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨)} يعني على الحاجة إليه وشدة الرغبة فيه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، والأسير من أسرى

أهل الشرك إلىٰ أن ينظر في حاله.

وهذه الآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين -صلوات الله عليهم أجمعين- وفيهم نزل سائر السور.

{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} يعني أثنىٰ الله سبحانه عليهم لما علم من شأنهم في ذلك وأن يكونوا لفظوا به ليرغب فيه الراغبون {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا(٩)} جزاء بالفعال وشكراً بالمقال {إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(١٠)} والعبوس الذي يعبس فيه بالوجوه من أهواله وعظم أوجاله والقمطرير الشديد {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا(١١)} والنضرة في الوجه والسرور في القلوب والنضرة البياض في الوجه والنقاء والحسن والبهاء.

{..لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا(١٣)} وروينا أن الزمهرير القمر قال الشاعر:

وليلة ظلامها قد اعتكر   قطعتها والزمهرير ما زهر

ويجوز أن يكون البرد الشديد.

قوله تعالىٰ: {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا(١٤)} يعني أن يديهم لا يردها عنهم شوك ولا بعد.

قوله تعالىٰ: {وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ(١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ} أما الأكواب فقد مضىٰ تفسيرها قواريرا من فضة: يعني أنها قوارير من فضة في بياض الزجاج.

وروينا عن أسلافنا -عليهم السلام- قالوا: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة فلذلك كان قواريرها مثل الفضة {قَدَّرُوهَا

تَقْدِيرًا(١٦)} يعني على مقدار ريهم وكفايتهم لأنه ألذ وأشهى {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا(١٧)} يعني أنها تمزج بالزنجبيل وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذق اللسان ويهضم المأكول {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا(١٨)} والسلسبيل اسم لها وإنما سميت بذلك لأنها تسيل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقهم.

قوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} يعني صغاراً لا يكبرون وشباباً لا يهرمون، وقد يكون المخلد بمعنى المسوّر ومنه قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاور الكثبان

{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا(١٩)} يعني لصفاء ألوانهم وحسن منظرهم.

قوله تعالى: {..وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا(٢١)} يعني أنه لا سكر فيه ولا ذهاب عقل وإنما هو لذة للشاربين بخلاف شراب الدنيا الذي هو الخمر لأن خمر الدنيا نجسة رجسةمسكرة مذهبة للعقول والمعارف.

قوله تعالى: {...وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٢٥)} يعني في أول النهار وآخره ففي أوله صلاة الصبح وفي آخره صلاة الظهر والعصر {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ} يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة {وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا(٢٦)} يعني التطوع في الليل وأكثر التسبيح في القرآن هو بمعنى الصلاة.

قوله تعالى: {..نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} والأسر الخلق وقد يكون بمعنى المفاصل قال لبيد:

ساهم الوجه شديداً أسره مشرف الحارك محبوك الكفل

وقال ابن أحمر في وصف فرس:

يمشي بأوصدة شديد أسرها   سم السنابك لا يفي بالجد جد

سورة المرسلات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا(١)} يعني بها الملائكة المرسلة بالدعاء إلى المعروف والنهي عن المنكر {فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا(٢)} يعني بها الرياح العواصف {وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا(٣)} وهي السحب لأنها تنشر الأرض بالنبات {فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا(٤)} وهي الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى على رسله الفارقة بين الحلال والحرام والحق والباطل {فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا(٥)} يعني الملائكة تلقي إلى الرسل ما حملته من وحي أو قرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء {عُذْرًا أَوْ نُذْرًا(٦)} يعني عذراً من الله تعالى إلى عباده و{نُذْرًا(٦)} لهم من عذابه {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ(٧)} وهذا جواب ما تقدم من القسم لأن أول السورة قسماً أقسم الله به أن ما توعدون به على لسان الرسول وفي القرآن من البعث والجزاء لواقع بكم ونازل عليكم.

ثم بين وقت وقوعه فقال: {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ(٨)} أي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب {وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ(٩)} أي فتحت وشققت {وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ(١٠)} أي ذهبت وسويت بالأرض {وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ(١١)} يعني جمعت لآجالهم.

قوله تعالى: {...أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(٢٠)} يعني من ماء ضعيف ومني سائل {فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(٢١)} أي في رحم الأم لا

يؤذيه حر ولا برد {إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ(٢٢)} أي إلى يوم يولد {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ(٢٣)} يعني فملكنا فنعم المالكون ومن قرأ بالتشديد فالمراد فخلقنا ما خلقنا بالتقدير والإحكام.

قوله تعالى: {..أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا(٢٥)} يعني كناً وغطاء {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا(٢٦)} يعني أنها لجميع الناس أحياء على ظهورها وأمواتاً في بطونها، ويحتمل أن يكون التأويل أحياء بالنبات والعمارة وأمواتاً بالجفاف والخراب.

قوله تعالى: {...انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ(٣٠)} روينا أن شعبة تكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله فتحيط به {لَا ظَلِيلٍ} في دفع الأذى عنه {وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ(٣١)} واللهب ما يعلو أهل النار إذا اضطربت من أخضر وأصفر وأحمر {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ(٣٢)} والشرر ما تطاير من قطع النار والقصر واحد القصور المبنية وقرئ بفتح الصاد ومعناه الدواب {كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ(٣٣)} يعني قطع النحاس والجمالات جبال السفن العظام.

{...فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ(٣٩)} ومعناه فإن استطعتم أن تمتنعوا مني فامتنعوا.

قوله تعالى: {....وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ(٤٨)} أي صلوا لا يصلون وهذه الآية نزلت في ثقيف حين امتنعوا من الصلاة. {..فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ(٥٠)} يعني بأي كتاب بعد القرآن يوقنون.

سورة عم يتساءلون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١)} يعني عن أي شيء يتساءل المشركون؛ لأن قريشاً حين بعث رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- جعلت تختصم وتجادل في الذي دعا إليه.

{عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ(٢)} وهو القرآن {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ(٣)} يعني أنهم اختلفوا فيما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ(٤)} وهذا وعيد للكفار فالأول كلا سيعلمون ما سينالهم من العذاب والانتقام قبله في دار الدنيا {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ(٥)} ما ينالهم من العذاب في جهنم.

قوله تعالى: {...وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(٩)} يعني راحة ودعة ولذلك سموا يوم السبت سبتاً لأنهم كانوا يستريحون فيه من الأعمال {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا(١٠)} يعني سكناً وغشاءً يغطي كل شيء بسواده كما يغطي الثوب لابسه.

{...وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(١٣)} والسراج الشمس والوهاج المضيء المتلألئ {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(١٤)} والمعصرات السحب والثجاج الكثير المنصب {لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا(١٥)} الحب ما كان في كمام الزرع الذي يحصد والنبات والكلأ الذي يرعى، وروينا في بعض الآثار أن الحب اللؤلؤ والنبات كل ما ينبت على الأرض من شجر وغيره، وروينا عن أسلافنا -عليهم السلام- أن الله عز اسمه لم ينزل من السماء قطرة إلا أنبت بها في البحر لؤلؤة وفي البر عشبة {وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا(١٦)} وهي الأشجار الملتفة بالثمار ذات الألوان.

قوله تعالى: {...إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا(٢١)} أي راصدة لأهل الذنوب {لِلطَّاغِينَ مَآبًا(٢٢)} يعني مرجعاً ومنقلباً ومأوى ومنزلاً

{لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا(٢٣)} يعني كلما مضى حقب جاء حقب آخر كذلك إلى الأبد، والحقب ثمانون سنة وقيل إنها أربعون سنة {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا(٢٤)} يعني برد الماء وبرد الهواء، وقيل البرد بمعنى النوم قال الكندي:

بردت مراسفها علي فصدني عنها وعن وجناتها البرد

عنى به النوم. {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا(٢٥)} والحميم الحار الذي يحرق، والغساق هو صديد أهل النار وقيحهم الذي يخرج من أبدانهم.. {وِفَاقًا(٢٦)} أي الجزاء موافق لسوء العمل.

{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا(٢٧)} يعني أنهم لم يكونوا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا(٢٨)} يعني بآيات القرآن وكذلك يعني تكذيب بعضهم لبعض.

{...إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١)} يعني مخلصاً لأنهم خلصوا من النار بالجنة ومن العذاب بالرحمة.

قوله تعالى: {..وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا(٣٣)} والكواعب النواهد العذارى الأتراب الأقران والأمثال {وَكَأْسًا دِهَاقًا(٣٤)} أي مملوءة قال الشاعر:

أتانا عامر يبغي قرانا فأترعنا له كأساً دهاقا

وقيل إنها الصافية قال الشاعر:

لأنت إلى الفؤاد أجد قرناً من الصادي إلى كأس دهاقا

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا(٣٥)} يعني باطل الخمر ومآثمها وقوله فيها يعني في الجنة.. {عَطَاءً حِسَابًا(٣٦)} يعني كافياً كثيراً لأن

سورة الكهف

الحسنة بعشرة أمثالها من الحسنات.

{..يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} المراد بالروح جبريل -عَلَيْه السَّلام- والملائكة تصطف معه {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} لا يتكلمون إلا من بعد الأمر لهم بالكلام {وَقَالَ صَوَابًا(٣٨)} أي حقاً.

{ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ} يعني يوم القيامة {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا(٣٩)} يعني سبيلاً ومرجعاً إليه {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا} يعني عذاب الدنيا لأنه أقرب العذاب ويجوز أن يكون عذاب الآخرة لأنه آت وكل آت قريب.. {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا(٤٠)} وهذا من التمني الكاذب كما قال الشاعر:

ألا ياليتني والمرء فوت وما يغني عن الحدثان ليت

لأن الكافر يتمنى أن يكون جماداً لا ثواب له ولا عقاب له فكان تمنيه محالاً.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} نزل ذلك في سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ونزل قوله: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا(٤٠)} في أخيه الأسود بن عبد الأسد.

سورة النازعات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا(١)} فهن السحب ويجوز أن تكون النجوم التي تنزع من أفق إلى أفق ومن مشرق إلى مغرب ومعنى قوله غرقاً أي إبعاداً يقال: أغرق في النزع إذا أبعد فيه {وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا(٢)} يعني الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين كما ينشط العقال، ويحتمل أن يكون الناشطات الوحش لأنها تنشط من بلد إلى

بلد كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد قال الشاعر:

أمست همومي تنشط المناشطا الشام لي طوراً وطوراً واسطا

{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا(٣)} عنى بها النجوم ويحتمل أن تكون الخيل كما قال امرؤ القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غباراً بالكديد المركل

{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا(٤)} يعني الخيل {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(٥)} يعني الملائكة تأتي بتدبير ما أمرت به وأداء ما أرسلت فيه.

ومن أول السورة إلى هذا المكان قسم أقسم الله تعالى به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه لأن خلقه من قدرته وعظمته فكأنه أقسم بعظمته وجواب القسم يجوز أن يكون محذوفاً، وتقدير الكلام: لتبعثن ولتحاسبن فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره ويجوز أن يكون الجواب: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى(٢٦)}.

{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ(٧)} فالراجفة هي التي ترجف الأرض أي تزلزلها والرادفة التي إذا دكت دكة واحدة {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(٨)} من الوجيف وهو الخوف {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ(٩)} أي ذليلة {يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ(١٠)} وهي الأرض المحفورة، ويحتمل أن يكون من قولهم رجع فلان إلى حافرته إذا رجع من حيث جاء قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل وطيش

{أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً(١١)} أي عفنة ويجوز أن يكون خالية مجوفة

سورة الكهف

تدخلها الرياح فتنخر أي تصوت {قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ(١٢)} يعني لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرن بدخول النار فكأنها رجعة خسران ونقصان {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ(١٣)} يعني بها إعادة هذه الأرواح في الأجسام فإذا هم قيام ينظرون.

{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ(١٤)} والساهرة وجه الأرض والعرب تسمي وجه الأرض ساهر لأن فيه نوم الحيوان وسهره ومنه قول أمية بن الصلت:

وفيها سيد ساهر وبحر ... وما فاهوا به أبداً مقيم

وقال أخو تيم:

يوم ذي قار ... أقدم محاج أيها الأساورة

فلا يهولنك رجل بادره ... فإنما قصدك ترك الساهرة

ثم يعود بعدها في الحافرة ... من بعدما كنت عظاماً ناخرة

قوله تعالى: {..إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦)} وهو الوادي بأرض فلسطين والمقدس المبارك المطهر وسمي طوى لأنه مر به ليلاً فطواه.

قوله تعالى: {..فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى(١٨)} أي تعمل خيراً.

{..الْآيَةَ الْكُبْرَى(٢٠)} يعني عصاه ويده.

قوله تعالى: {...فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى(٢٥)} يعني عقوبة الدنيا والآخرة لأن الله سبحانه عذبه في الدنيا بالغرق ويصير في الآخرة في النار، وروينا أن الأولى قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص:٣٨]، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى(٢٤)} وكان بينهما

أربعين سنة.

قوله تعالىٰ: {...وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا(٢٩)} معناه أظلم ليلها وأضاء نهارها، وأضاف الليل والنهار إلىٰ السماء لأن منها الظلمة والضياء وفيها دوران الشمس والقمر، وأخرج ضحاها يعني الشمس وشاهد الغطش أنه الظلمة قال الأعشىٰ:

عقرت لهم ناقتي موهباً وغامرهم مدلهم غطش

يعني يغامرهم لأنه غمر كل شيء بسواده {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا(٣٠)} في قوله بعد ذلك وجهان أحدهما: أنه بمعنىٰ مع وتقدير الكلام والأرض مع ذلك دحاها لأنها مخلوقة قبل السماء والثاني: أن بعد مستعملة علىٰ حقيقتها لأنه تعالىٰ خلق الأرض من قبل السماء ثم دحىٰ الأرض من بعد السماء ودحاها بسطها ويقال بمعنىٰ سوّاها ومنه قول زيد بن عمرو:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالا
فلما استوت شدها ربها بصنع وأرسىٰ عليها الجبالا

{...فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ(٣٤)} وهي الساعة طمت علىٰ كل داهية والساعة أدهىٰ وأمر، وروينا أن الطامة الكبرىٰ إذا سيق أهل الجنة إلىٰ الجنة وأهل النار إلىٰ النار وفي الطامة في اللغة ثلاثة أوجه أحدها: الغاشية. والثانية: الغامرة. والثالثة: الهائلة.

{...وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} أي خافه عند مواقعة الذنب فيقلع عنه {وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ(٤٠)} أي زجرها عن المعاصي والمحارم {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ(٤١)} أي المنزل {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ

مُرْسَاهَا(٤٢)} يسأل مشركو مكة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- متى تكون الساعة استهزاء فأنزل الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(٤٢)} أي منتهاها ووقتها التي تقع فيه.

قوله تعالى: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا(٤٣)} يعني فيم يسألك يا محمد عنها وأنت لا تعلمها {إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا(٤٤)} علم الساعة {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا(٤٥)} يعني بالمنذر رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والهاء في يخشاها غاية إلى يوم القيامة {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا(٤٦)}.

سورة عبس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى(١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى(٢)} هو ابن أم مكتوم وهو عبدالله بن زائدة من بني فهر وكان ضريراً أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم يستقرئه وكان عنده أبو جهل بن هشام فعبس أبو جهل حين رأى الأعمى، وعبس: أي قطب وأعرض.

{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى(٣)} يعني يتعبد بالأعمال الصالحة، أو يتفقه في الدين {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى(٤)}.

{...كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(١١)} يعني هذه السورة وجميع القرآن تذكرة.

{..فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣)} يعني في صدور ملائكة مكرمة عند الله، وشبهت صدورهم بالصحف لاشتمالها على ما فيها كاشتمال الصحيفة على ما في مضمونها {مَرْفُوعَةٍ} يعني في السماء ويحتمل أن تكون مرفوعة القدر والذكر {مُطَهَّرَةٍ(١٤)} يعني قد طهرت من المعاصي والأدناس {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥)} يعني عند نزولها وأدائها وهم الملائكة لأنهم السفرة بين الله

وبين رسله بالوحي يقال: سفر بين القوم، إذا بلغ صلاحاً قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي   وما أمشي بغش إن مشيت

{كِرَامٍ بَرَرَةٍ(١٦)} يعني كرام عند الله ويجوز أنهم كرام عن المعاصي فهم يرفعون عنها ألسنتهم والبررة المطيعون.

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ(١٧)} يعني لعن وهذه الآية نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال كفرت برب (والنجم إذا هوى) فقال رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((اللهم سلط عليه كلبك)) فأخذه الأسد في طريق الشام، وما أكفره أي ما أشد كفره.

قوله تعالى: {...ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ(٢١)} أي جعل له من يقبره فيواريه {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ(٢٢)} يعني أحياه قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا   يا عجباً للميت الناشر

{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ(٢٣)} يعني الكافر أنه لم يعمل ما أمره من الطاعة والإيمان وأتى بالتكذيب والعصيان.

قال الإمام الناصر لدين الله -صلوات الله عليه- بعد أن ذكر زواجر القرآن استأنف ضرباً من المثل لأهل الإيمان ليزدادوا اعتباراً ونظراً واستبصاراً فقال: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(٢٤)} يعني طعامه الذي يأكله وتحيا به نفسه، ويقوم به جسمه من أي شيء كان ثم كيف صار بعد حفظ الحياة ونمو الجسد {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(٢٥)} يعني به المطر {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(٢٦)} يعني بالنبات {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا(٢٨)} وهو القضب وإنما سمي بذلك لأنه يقضب بعد ظهوره {وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا(٣٠)} والغلب الشجر الطوال

الغلاظ والأغلب الطويل الرقبة قال الشاعر:

غوى فأثار أغلب دارميا فويل ابن المراغة ما استثار

{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(٣١)} والأب التين قال الشاعر:

فما لهم مرتع للسوام والأب عندهم بقدر

{..فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣)} وهي اسم من أسماء القيامة وأصلها من الاستماع إلى الشيء لأن الناس يكبر سمعهم لفرط ما ينالهم من الأوجال قال الشاعر:

يصخ للبناة سمعه إصاخة الناشد للمنشد

{...تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ(٤١)} أي تغشاها ذلة وسواد، والقترة ما ارتفعت إلى السماء والغبرة ما انحطت إلى الأرض.

سورة التكوير مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١)} يعني ذهب ضوؤها فأظلمت {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ(٢)} أي تغيرت قال الشاعر:

حزنان قضى فانكدر تقضي البازي إذا البازي كسر

وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها. {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(٣)} أي سويت بالأرض {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(٤)} والعشار جمع عشراء وهي الناقة لحملها عشرة أشهر وهي أنفس أموالهم قال

الشاعر:

هو الواهب المائة المطصفاه إما مخاضاً وإما عشارا

فتعطل لاشتغالهم بأنفسهم من شدة الخوف وعطلت يعني أهملت {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ(٥)} أي جمعت لأعواضها التي تستحق بذبحها وركوبها والحمل عليها لأن الله سبحانه لما أباح لنا منها ما أباح وجب عليه أن يعيضها عما لحقها من الآلام بذلك ليكون فعل ذلك عدلاً فيكون عوضها إنعاماً منه وفضلاً.

{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(٦)} أي أوقدت فاشتعلت ناراً لأن البحار تصير يوم القيامة ناراً وروينا ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه-.

قوله تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ(٧)} يعني بمن عمل مثل عملها فعامل الخير يعامل الخير إلى الجنة وعامل الشر يعامل الشر إلى النار وكل غاو ضال يقرن بمن أغواه وأضله {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨)} والموؤدة المدفونة حية وقد كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له ابنة دفنها حية ومنه قوله تعالى: {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا} [البقرة:٢٥٥]، أي لا يثقله قال الشاعر:

وموؤدة مقبورة في مغارة تأمها موؤدة لم توسد

وتقرأ: سئلت بضم السين على أنها تكون هي المسئولة فتقول: لا ذنب لي فيكون ذلك الكلام منها أبلغ في الحجة على قاتلها، وتقرأ سألت قاتلها لم قتلت فلا يكون له عذر وكان الواحد منهم يغذوا كلبه ويقتل ابنته فأبى الله سبحانه ذلك.

سورة الكهف

{..وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(١٠)} يعني إذا ظهرت الأعمال من خير وشر فعبر عن إحصاء الله تعالى لأعمالهم الحسنات والسيئات بعبارة من يحصي الشيء عن صحيفة كتبها {وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ(١١)} أي كشفت وطويت كما قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} [الأنبياء:١٠٤].

{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ(١٢)} أي أوقدت وأحميت {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(١٣)} أي قربت وإلى هاتين يصير الصائرون لقوله تعالى: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ(٧)} [الشورى].

{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ(١٤)} أي عملت من خير وشر وهذا جواب: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١)}.

{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(١٥)} يعني النجوم الجارية في الأفلاك والخنوس الاستتار {الْجَوَارِ الْكُنَّسِ(١٦)} وسميت جواري لجريانها في الأفلاك والكنس الغيّب وهو مأخوذ من الكِناس وهو كناس الوحش الذي يختفي فيه {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ(١٧)} ولى قال الشاعر:

حتى إذا ما صبحها تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وأصل العس والامتلاء وقيل للقدح الكبير عس فانطلق على إقبال الليل لابتداء املائه وانطلاق ظلامه لاستكمال امتلائه {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ(١٨)} وهو طلوع الفجر وكذلك رويناه عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-.

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩)} وهذا جواب القسم، والرسول جبريل -عَلَيْه السَّلام- وإنما القرآن من قول الله تعالى ثم هو من تبليغ

الرسول وسمي قوله مجازاً.

{..مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١)} مطاع في السماء أمين عند الله تعالى {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ(٢٢)} يعني بالصاحب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ(٢٣)} يعني رأى جبريل -عَلَيْه السَّلام- {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ(٢٤)} أي ليس على ما غاب من أعين الناظرين بمتهم لأن سره موافق لعلانيته وباطنه مطابق لظاهره، ويقرأ بالضاد ومعناه ليس ببخيل عن إفشاء الأحكام التي كانت عنه غائبة بل يشيعها وينشرها ويسطرها {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(٢٥)} يعني به شاعر أو ساحر {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(٢٦)} أي كيف تعدلون عن طاعته بمعصيته وتذرون طريق الهداية والرشاد إلى الغي والعناد.

سورة الإنفطار مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ(١)} أي انشقت {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ(٢)} أي تساقطت {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ(٣)} فصارت بحراً واحداً {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ(٤)} أي أخرج مَنْ فيها من الموتى.

{..يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(٦)} والإنسان مخاطب به كل إنسان تمادى في جهله وأصر على باطله {الَّذِي خَلَقَكَ} يعني خلقك من ماء مهين {فَسَوَّاكَ} يعني سوى أعضاءك {فَعَدَلَكَ(٧)} أي عدل خلقك فاليد مثل اليد والرجل مثل الرجل والعين مثل العين {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(٨)} يعني من قبيح وحسن وأسود وأحمر وطويل وقصير وذكر وأنثى.

وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال لبعض أصحابه : ((ما ولد لك؟)) فقال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلاماً وإما

جارية ، فقال له : ((ومن يشبه؟)) فقال له : يا رسول الله وما عسى أن يشبه يشبه أباه وأمه ، فقال له : ((لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم -عَلَيْه السَّلام- أما قرأت قول الله : {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(٨)} .

{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ(٩)} والدين الجزاء والحساب في أصل اللغة ويجوز أن يكون تكذيبهم بالدين الذي جاء به سيدنا رسول الله {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠)} يعني الملائكة التي تحفظ أعمال الخير والشر فأما حفظة الخير فعن الأيمان، وأما حفظة الشر فعن الشمائل {كِرَامًا كَاتِبِينَ(١١)} يعني كراماً على الله تعالى كاتبين يعني عالمين بالأعمال كعلم من كتب الشيء فأثبته.

سورة التطفيف مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قال الإمام الناصر لدين الله -عَلَيْه السَّلام- : روينا أن أهل المدينة كانوا أخبث كيلاً حتى نزل قوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(١)} فأحسنوا بعدها الكيل والوزن، والويل كلمة تستعمل في النداء بالحساب والهلاك ويستعمله العرب في الحرب والسلب والمطففين مأخوذ من الطفيف وهو القليل والمطفف هو المقلّل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن. {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢)} أي من الناس {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ(٣)} يعني إذا كالوا لهم فحذفت هذه اللام لما في الكلام من الدلالة عليها ويخسرون ينقصون يأخذون زائداً ويعطون ناقصاً.

{...يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦)} يعني يقومون من قبورهم وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم

قال لبشير الغفاري: ((كيف أنت صانع في يوم يقوم فيه الناس مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين لا يأتيهم فيه خير ولا يؤمرون فيه بأمر؟)) قال بشير: المستعان الله عز وجل.

قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ(٧)} وهو السجن فعّيل سجينه وفيه مبالغة.. {كِتَابٌ مَرْقُومٌ(٩)} أي علم لا يخالطه شك ولا ظن لأن كتاب العمل إذا كان في سجن فصاحبه معه.

قوله تعالى: {...كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(١٤)} أي طبع على قلوبهم بما أصروا عليه من الكبر قال الشاعر:

وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران وانجلا

قوله تعالى: {...كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ(١٨)} والأبرار المطيعون لله عز وجل النصحاء لخلقه فأعمالهم في عليين وهو أرفع الأمكنة وأعلى الدرجات في الجنة.

قوله تعالى: {...تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(٢٤)} وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- أن أهل الجنة يتوضون من أنهارها ويغتسلون فكلما ازدادوا اغتسالاً واستعمالاً ازدادوا نضرة وحسناً {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ} والرحيق الخمر قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم بردأ يصفق بالرحيق السلسل

وحكي لنا أن الرحيق هي الخالصة من الغش ومن سائر معائب الخمر ومساوئه {مَخْتُومٍ(٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ} لأنه يمزج بالكافور ويختم بالمسك {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ(٢٦)} أي فليعمل العاملون

سورة الكهف

{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ(٢٧)} والتسنيم عين ماء تجري من أعلى الجنة واشتقاقها من سنام البعير لعلوه وارتفاعه.

{...وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ(٣١)} يعني لاهين ناعمين.

قوله تعالى: {...هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)} وهذا سؤال المؤمنين عن الكفار حين فارقوهم أي هل أثيب الكفار على أفعالهم.

سورة انشقت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ(١)} وانشقاق السماء من أشراط الساعة روينا عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- أن انشقاقها يكون من قبل المجرة وجوابه محذوف وتقديره إذا السماء أنشقت رأى الإنسان ما قدم لنفسه من خير أو شر.

قوله تعالى: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ(٢)} أي سمعت لربها في أمره لها بالانشقاق فجرت مجرى المطيع السامع، وروينا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((ما إذن الله لنبي كإذنه لنبي يقرأ القرآن)) والإذن الاستماع شعراً:

صم إذا ذكروا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وحقت أي حق لها أن تفعل ذلك ومنه قول كثير:

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحباً ... وحقت لنا العتبى لدينا وجلت

{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ(٣)} أي سويت بذلك الجبال وبسطت روينا عن آبائنا عن علي بن الحسين -عليهم السلام- أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه

وآله- قال: ((إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه)). {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا} من الموتى {وَتَخَلَّتْ(٤)} منهم إليه.

قوله تعالى: {..يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا} أي إنك ساع إلى ربك سعياً حتى تلاقي ربك قال الشاعر:

وما الدهر إلا ناديان فمنهما أموت ومنها ابتغ العيش أكتع

أي يسعى ويحتمل أن يكون عامل لربك عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً قال الشاعر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت أكدح للحياة فأنصب

أي أعمل للحياة.

قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧)} روينا عن آبائنا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((يعرض الناس ثلاث عرضات فأما عرضان فجدال ومعاذير، والثالث تطير الكتب في الأيدي فبين أخذ كتابه بيمينه وبين أخذ كتابه بشماله)) وعنى بالكتب الأعمال فالصالحات تقود يميناً إلى الجنة والطالحات تقود شمالاً إلى النار والحساب اليسير هو المجاز على الحسنات والتجاوز عن الصغائر.

{..وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا(٩)} يعني أهلهم الذين أعدهم الله له في الجنة.

{...إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ(١٤)} أي أن لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب ويثاب ويعاقب يقال: حار يحور إذا رجع ومنه الحديث المروي عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((نعوذ بالله من الحور بعد الكور))

يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة قال الشاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه يحور رماداً بعد أن كان ساطع

{..فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ(١٦)} هو الحمرة {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ(١٧)}
أي جمع قال الشاعر:

إن لنا قلائصاً نثانقاً مستوسقات لم يجدن سائقا

وقد يكون وسق بمعنى عمل قال:

ويوماً ترانا صالحين وتارة يقوم بنا كالواسق المتلبث

أي كالعامل {وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(١٨)} أي استدار {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ(١٩)} يعني حالاً بعد حال فطيماً بعد رضيع وشيخاً بعد شباب قال الشاعر:

كذلك المرء إن ينسى له أجل يركب على طبق من بعده طبق

ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر، وفقر بعد غنى، وسقماً بعد صحة وصحة بعد سقم.

قوله تعالى: {...وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ(٢٣)} أي بما يسرون في قلوبهم.. {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٢٥)} أي غير مقطوع ولا مكدر بالمن والأذى.

سورة البروج مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ(١)}

هو قسم أقسم الله به والبروج فهي بروج السماء وهي اثني عشر برجاً {..وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ(٣)} والشاهد هو سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والمشهود يوم القيامة كذا روينا عن آبائنا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-.

{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ(٤)} وهذا جواب القسم والأخدود الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع فيه والمخدة لأن الخد يوضع عليها وهذه حفائر شقت في الأرض وأوقدت ناراً وألقي فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر والمؤمنون كانوا من اليمن وحكي أن النار صعدت إليهم وهم شهود عليها فأحرقتهم.

{...وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ(٧)} يعني أصحاب الأخدود شهود على ما فعلوا بالمؤمنين.

{...إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ(١٣)} يعني يخلق ثم يبعث.

{...بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ(٢١)} أي كريم {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ(٢٢)} أي علمه محفوظ عند الله فلا يقدر أحد على تغييره.

سورة الطارق مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ(١)} وهما قسمان والسماء قسم والطارق قسم آخر، والطارق النجم وقد بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ(٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ(٣)} ومنه قول هند ابنة عتبة:

نحن بنات طارق

تقول بنات النجم افتخاراً بشرفها، وإنما سمي النجم طارقاً لاختصاصه بالليل والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقاً، قال الشاعر:

ألا طرقت من بعد ما هجعوا هند

وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة. والثاقب: المضيء المتوهج.

{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ(٤)} و(ما) التي بعد اللام زائدة وتقديره إن كل نفس عليها حافظ وأراد بالحافظ الشاهد من الملائكة بما يفعله من خير وشر.

قوله تعالى: {...يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(٧)} يعني من بين أصلاب الرجال وترائب النساء والترائب موضع القلادة من الصدر قال الشاعر:

والزعفران على ترائبها شرقا به اللباب والنحر

{..يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ(٩)} أي تظهر وهو كل ما استسر به الإنسان من خير وشر وإيمان وكفر كما قال الأحوص:

ستبلى لكم في موضع السر والحشا سريرة ودٍّ يوم تبلى السرائر

{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ(١٠)} يعني قوة في بدنه ولا ناصر من غيره {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(١١)} والرجع المطر لأنه يرجع في الغالب عند الحاجة إليه {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ(١٢)} والصدع النبات لأن الأرض تنصدع عنه {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ(١٣)} يعني به القرآن ومعنى الفصل ما رويناه عن أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- عن سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((كتاب الله فيه خبر ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله،

ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله)).

{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ(١٤)} يعني اللعب الباطل هو الجد والحق {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا(١٥)} والكيد هو اجتماع أهل مكة في دار الندوة على المكر برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كما قال الله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال:٣٠]. {وَأَكِيدُ كَيْدًا(١٦)} يعني به الإنتقام منهم في الآخرة بالنار وفي الدنيا بالسيف.

{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(١٧)} وهذه الآية منسوخة بآية السيف والرويد الانتظار كما قال الشاعر:

رويدك حتى تنظري عم تنجلي ... عناية هذا العارض المتألق

فقتلوا بالسيف يوم بدر.

سورة الأعلى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى(١)} وتسبيحه تنزيهه عن أن يسمى به أحد غيره، وروينا عن آبائنا، عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه لما نزلت هذه قال لأصحابه: ((اجعلوها في سجودكم)) فكان أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- يقول في سجوده: (سبحان الله الأعلى وبحمده).

{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(٢)} يعني خلقهم خلقاً كاملاً وسوى بأن جعل لكل جارحة مثلاً ويحتمل أن يكون المعنى بإنعامه وسوَّى بينهم في أحكامه {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى(٣)} يعني قدر أرزاقهم وأقواتهم وهداهم إلى معايشهم إن كانوا إنساً وإلى مراعيها إن كانت وحشاً {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى(٤)} يعني به النبات لأن البهائم ترعاه قال الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمر الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

سورة الكهف

{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى(٥)} والغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيماً تذروه الرياح، والأحوى الأسود قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوّةٌ لعس وفي اللثات على أنيابها شنب

والغثاء في اللغة ما احتمله السيل فشبّه ما تذروه الرياح به وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نظارتها {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى(٦)} كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- إذا نزل عليه جبريل يقرأه خيفة أن ينساه فأنزل الله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى(٦)}.

{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} من أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرأوه {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى(٧)} والجهر هوما قد أظهره وما يخفى ما قد أسره {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى(٨)} وهو الخير كله في الدنيا والآخرة {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى(٩)} يعني ذكر بالله عز وجل و(إن) بمعنى (ما) والمراد ما نفعت الذكرى وليست إن للشرط الذكرى مع الأحوال كلها نافعة {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى(١٠)} يعني من يخشى الله وقد يتذكر من يرجوه غير أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخاشي دون الراجي.

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى(١١)} الذي يتجنب التذكرة هو الكافر وقد صار لكفره شقياً {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى(١٢)} والنار الكبرى هي التي في أسفل الدركات {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا(١٣)} يعني أنه معذب لا يستريح بالموت ولا ينتفع بالحياة كما قال الشاعر:

ألا ما لنفسي لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم

قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى(١٤)} أي فعل فعلاً زكياً وعمل عملاً نامياً، ويحتمل أن يكون تزكى بمعنى أخرج الزكوات {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ} هو أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ليكون استيفاؤه لها وخضوعه فيها بحسب خوفه ورجائه ويكبر عند إحرامه بالصلاة ويذكر اسم ربه لأنه لا ينعقد إلا به {فَصَلَّى(١٥)} أي صلى الصلوات الخمس.

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(١٦)} يعني بها الكفار والتقدير بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(١٧)} يعني أن الآخرة خير للمؤمنين وأبقى الجزاء فيها {إِنَّ هَذَا} يعني أن ما قصه الله تعالى في هذه السورة {لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(١٨)} قال الإمام الناصر لدين الله: إن جميع ما أنزل الله على أنبيائه -عليهم السلام- مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب منها خمس وثلاثون صحيفة على شيث بن آدم،وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على نبينا محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-.

سورة الغاشية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(١)} والغاشية فيها تأويلان أحدهما أن تكون بمعنى القيامة لأنها تغشى الناس بالأهوال والأوجال. والثاني: أنها النار لأنها تغشى وجوه الكفار وتلفح ومعنى هل بمعنى قد.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢)} والمراد بها وجوه أهل المعاصي كلها من المشركين وسائر العصاة المذنبين وعنى بيومئذ يوم القيامة وخاشعة يعني

سورة الكهف

ذليلة تخشع في النار نعوذ بالله من عذاب النار فلا ينفعها. {عَامِلَةٌ} بالمعاصي {نَاصِبَةٌ(٣)} يعني تعبة فيها ويجوز أن تكون ناصبة في النار.

{..تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ(٥)} يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(٦)} والضريع شجرة تسميها قريش الشبرق كثيرة الشوك فإذا يبس في الصيف فهو ضريع قال الشاعر:

دع الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعاً نازعته المخائض

وكيف يسمن من أكله الشوك؟!

{..لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً(١١)} يعني لغواً من الكلام وفيه منتهى الوزر والآثام {..فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(١٣)} والسرر جمع سرير وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة تأويلان أحدهما: أنها مرفوعة في أنفسهم لجلالتها. والثاني: أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها وفي معنى ارتفاعها وجهان أحدهما: ليلتذ أهلها بالارتفاع. والثاني: ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أعطوه من ملك وأوتوه من نعيم.

قوله تعالى: {..وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(١٥)} يعني الوسائد أحدها نمرقة وقيل إنها المرافق شعر:

وريم أحم المقلتين محبب زرابيه مبثوثة ونمارقه

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(١٦)} يعني بها البسط النفيسة الفاخرة المبثوثة المبسوطة.

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧)} ليستدلوا بما فيها من العبر على وحدانيته وبعلو قدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم،

والإبل في هذا المقام السحاب.

{...لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(٢٢)} أي بجبار مسلط أي تكرههم على الإيمان وهذه منسوخة بآية السيف {إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(٢٣)} فلست له بمذكر لأنه لا يقبل تذكيرك ولا يسمع تحذيرك {فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(٢٤)} يعني به عذاب جهنم {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(٢٥)} يعني مرجعهم إلى جهنم {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(٢٦)} يعني جزاء أعمالهم.

سورة الفجر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(٢)} أقسم الله تعالى به وهو انفجار الصبح من أفق المشرق وهما فجران فالأول: منهما مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور ثم يعقب بظلام يتخلله ويسمى هذا الفجر الكاذب لأنه كذبك عن الصبح وهو من جملة الليل ولا تأثير له في صلاة ولا صيام.

وأما الثاني: فمستطيل النور منتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم. ووقع القسم على فجر الصبح الذي هو بدء النهار في كل يوم كذا رويناه عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-.

{وَلَيَالٍ عَشْرٍ(٢)} قسم آخر روينا عن آبائنا عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّمَ أنها عشر الأضحى. {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(٣)} يعني الخلق كله لأن لكل فرد منه زوجاً، ويجوز أن يكون الشفع والوتر الصلاة لأن منها ما هو شفع ومنها ما هو وتر.

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(٤)} وهذا قَسَم رابع والمراد به ليلة المزدلفة ويسري يسير {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ(٥)} ي عقل والحجر المنع ومنه سمي الحَجَر لامتناعه بصلابته، وسميت الحُجْرَة لامتناع من فيها بها

سورة الكهف

وحَجْر الولي لأنه المنع من التصرف في المال إما لسفه أو لصغر، و(هل) في هذا المكان بمعنى (إن) يعني إن في ذلك قسم لذي حجر.

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(٧)} وإرم اسم القرية التي كانوا بها وذات العماد أراد بها البناء الرصين المحكم بالعماد، وروينا عنه كلاماً أنه قال: أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد وشددت بذراعي بطن واد وأنا الذي كنزت كنزاً على سبعة أذرع لا يخرجه إلا رجل من ذرية محمد الهاد.

{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(٨)} يعني مثل قوم عاد لطولهم وشدتهم {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(٩)} يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتاً قال الله تعالى: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ(١٤٩)} [الشعراء]، شعراً:

هم ضربوا في كل صماء صخرة ... بأيد عظيمات شداد السواعد

وقال آخر:

ولا رأيت قلوصاً بعدما حملت ... ستين وسقاً ولا جابت به بلدا

وأما الوادي فهو وادي القرى، وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- مر بوادي القرى في غزوة تبوك وهو على فرس أشقر فقال: ((أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون)).

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(١٠)} والمراد بالأوتاد جنوده وعساكره وقيل إنه كان يعذب الناس بالأوتاد يتدهم في أيديهم وأرجلهم.

{...فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ(١٣)} أي سلط عليهم مثل العذاب بالسوط.

{...وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(١٩)} والتراث الميراث واللم الجمع يقال: لممت الطعام لما إذا أكلته جمعاً {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(٢٠)} والجم الكثير قال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((إن تغفر اللهم تغفر جماً)).

{...يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(٢٣)} في الآخرة وإنما تنفع في الدنيا {يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(٢٤)} يعني قدمت من حياتي في الأعمال الصالحة لبقائي في الآخرة .

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ(٢٦)} أي لا يعذب مثل عذاب الذي يقول {يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} وهذا قول الكفار أهل المعاصي.

{...يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧) ارْجِعِي} عنى بها نفس المؤمن لأنها آمنة مطمئنة إلى ما لها عند الله من الكرامة والثواب {إِلَى رَبِّكِ} أي إلى ثواب ربك ونعمته {رَاضِيَةً} أي بثوابها التي قد أعطاها الله {مَرْضِيَّةً(٢٨)} يعني قد رضي عملها {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩)} يعني الصالحين من عباده {وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠)} عنى بها جنة الخلد.

سورة البلد مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ(١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ(٢)} أي حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتل أو غيره ويوم دخول مكة يوم الفتح والبلد مكة {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ(٣)} يعني آدم -عَلَيْه السَّلام- {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ(٤)} فيه تأويلان أحدهما من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة يتكبد في الخلق مأخوذ من كبد الدم وهو غلظه ومنه أخذ اسم الكبد لأنه دم قد غلظ، والثاني: في شدة لأنها حملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته كرهاً ثم بعد ذلك يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ومنه قول لبيد:

سورة الكهف

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ(٥)} يعني أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه الله جل وعلا أن يبعثه بعد الموت {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا(٦)} يعني كثيراً مجتمعاً بعضه على بعض ومنه سمي اللبد لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض وهذا القائل أبو الأسود بن الجمحي أنفق مالاً كثيراً في عداوة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم والصد عن سبيل الله {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ(٧)} من الناس فيما أنفقه حتى يكذب فيما أنفقه.

قوله تعالى: {...وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ(١٠)} يعني سبيل الخير وسبيل الشر وطريق الهدى والضلال، والنجد الطريق المرتفعة {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(١١)} والمراد بالعقبة طريق النجاة {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(١٢)} وهذا خطاب للنبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- ليعلمه اقتحام العقبة {فَكُّ رَقَبَةٍ(١٣)} عنى بها من الرق وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبته وسمى عتقها فكاً كفك الأسير من النار قال حسان بن ثابت:

كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

ثم قال: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(١٤)} أي مجاعة لقحط أو غلاء {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ(١٥)} يعني ذا قرابة {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ(١٦)} هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره.

قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يعني أنه لا يقتحم العقبة من

فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة حتى يكون من {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(١٧)} أي بالتراحم فيما بينهم فرحموا الناس كلهم {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ(١٨)} يعني أصحاب الجنة.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ(١٩)} يعني القرآن وسائر ما أتى به على لسان نبيه من البيان والمعجزات والدلائل والحجج {هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ(١٩)} يعني أهل جهنم {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ(٢٠)} والموصدة المطبقة.

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(١)} وهذان قَسَمان قَسَمٌ بالشمس وقسم بضحاها، وضحاها إشراقها وضوءها {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا(٢)} أي اتبعها وفي اتباعها ثلاثة تأويلات أحدها: من أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس ترى القمر عند سقوطها. والثاني: الخامس عشر من الشهر تطلع القمر مع غروب الشمس. والثالث: في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف كان أمامها وهي وراءه.

{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا(٣)} يعني أظهرها وأضاء النهار بها قال قيس بن خطيم:

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا(٤)} أي سترها بظلمته قالت الخنساء:

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها   وتارة أتغشى فضل أطمار

سورة الكهف

قوله تعالى: {..وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(٦)} أي وما بسطها {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)} المراد بها كل نفس أي سوى خلقها وعدّل تركيبها {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)} يعني ألهمها الخير والشر والنفع والضر والطاعة والمعصية.

وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن زين العابدين أنه كان يقول إذا مر على هذه الآية: اللهم ألهم نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وأنت خير من زكاها. على هذا وقع القسم يعني قد أفلح من زكى الله نفسه بطاعته وعمل صالح الأعمال، وزكاها طهرها وأصلحها.

{..وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠)} يعني أخفاها وأخملها بالبخل ويحتمل أن يكون المعنى دسستها في معصية الله {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا(١١)} يعني طغيانها ومعصيتها.

{...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ} يعني دمر عليهم {فَسَوَّاهَا(١٤)} يعني في الهلاك {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا(١٥)} يعني عقبى ما صنع بهم.

سورة الليل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(١)} أي إذا غطى كل شيء وستره {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(٢)} أي ظهر وأضاء {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(٣)} عنى به كل ذكر وأنثى من أنسي وبهيمة {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(٤)} أي مختلف فمنكم مؤمن ومنكم كافر وبر وفاجر ومطيع وعاص.

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)} أي أعطى ما وجب عليه من حقوق الله سبحانه واتقى أي اتقى محارم الله عز وجل التي نهى عنها {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦)} يعني بتوحيد الله عز وجل وسائر ما أوجبه على خلقه من

عبادته وطاعته {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧)} يعني الخير في الدنيا والثواب في الآخرة يوم القيامة.

{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨)} بخل بما عليه من حقوق الله واستغنى بماله وهذه الآية في أميةوأبي بن خلف {..فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)} وروينا عن آبائنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وجنبها ملكان يناديان يسمعهما الخلائق كلهم إلا الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا غربت شمسه إلا وملكان يناديان يسمعهما الخلائق كلهم إلا الثقلين: اللهم اعط منفقا خلفاً واعط ممسكاً تلفا ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥)}..الآية)).

{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى(١١)} أي في النار {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(١٢)} أي تبيين سبيل الهدى والضلالة {وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(١٣)} يعني ثواب الدنيا والآخرة {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى(١٤)} أي توهج وأنشد أبونا أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-:

كأن الملح خالطه إذا ما ... تلظى كالعقيقة في الظلام

يعني إلا الأشقى {..الَّذِي كَذَّبَ} بكتاب الله {وَتَوَلَّى(١٦)} عن طاعة الله.

{...وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(١٩)} المراد وما لأحد عند الله من نعمة يجازيه بها {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى(٢٠)} يعني إلا أن يفعلها ابتغاء وجه الله فيستحق الجزاء {وَلَسَوْفَ يَرْضَى(٢١)} أي يرضيه ما أعطاه لسعيه.

سورة الضحى مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالضُّحَى(١)} وهو قسم كما قد مر ذكره وهو ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس وقيل إنه صدر النهار {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢)} أي سكن من قولهم قد سجى البحر إذا سكن قال الراجز:

يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل مد النساج

{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)} روينا أن جبريل -عَلَيْه السَّلام- أبطأ على النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فجزع من ذلك جزعاً شديداً فقالت عائشة: إني أرى ربك قد قلاك مما أرى من جزعك فنزلت: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)} يعني ما قطع الوحي عنك توديعاً لك وما قلى أي أبغضك قال الأخطل:

المهديات لمن هوين مسرة والمحسنات لمن قلين مقالا

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى(٤)} يعني ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا.

{..أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(٦)} واليتيم بموت الأب وقد كان رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقد أبويه معاً وهو صغير فكفله جده عبدالمطلب ثم مات جده فكفله عمه أبو طالب. فآوى أي فجعل لك مالاً لتربيتك والقيام بأمرك وهو أبو طالب بعد موت عبدالله وعبدالمطلب {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى(٧)} أي محباً للهداية فهداك إليها فالضلال المحبة لقوله: {إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ(٩٥)} [يوسف]، أي في محبتك قال الشاعر:

هذا الضلال أشاب مني المفرقا والعارضين ولم أكن متحققا
عجباً لعزة في اختيار قطيعتي بعد الضلال فحبلها قد أخلقا

وروينا عن آبائنا عن الحسن بن علي -صلوات الله عليهم- أنه قرأ: (ووجدك ضال فهدي) أي ووجدك الضال فاهتدى بك ويحتمل أن يكون التأويل ووجدك غير عارف بالحق فهداك إليه {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى(٨)} والعائل الفقير قال الشاعر:

الله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

وقال آخر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

أي متى يفتقر. {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩)} أي فلا تحتقره ولا تمنعه حقه من الشفقة والرأفة روينا في الآثار أن رجلاً شكا إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- قسوة قلبه فقال له: ((إذا أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين)). {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(١٠)} بالغلظة والجفا وأجبه برفق ولين {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(١١)} النعمة المراد بها النبوة والإمامة.

سورة ألم نشرح مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١)} وهذا تقرير من الله تعالى لرسوله عند انشراح صدره لما حمله من نبوته ومعنى نشرح نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته ومنه تشريح اللحم وهو تفريقه وانشراح صدره بما خصه الله به من الحكم والعلم واليقين وبمعرفته أحكام الدين والثقة بما عند الله له من الدرجات العالية والمراتب السامية.

{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(٢)} والوزر الثقل يعني حططنا عنك العبادة التي كانت في عصر موسى -عَلَيْه السَّلام- من قتل النفوس وقطع الجوارح وجدع الأنف {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ(٣)} أي أثقل ظهرك كما ينقض البعير من حمل الثقل حتى يصير نقضاً أو مهزولا وتقدير الكلام: ووضعنا عنك وزرك الذي ينقض ظهرك.

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤)} بالنبوة وباقتران اسمه مع اسم الله تعالى في النداء {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥)} يعني مع الشدة رخاء ومع الضيق سعة ومع الحزونة سهولة.

قال الإمام -عَلَيْه السَّلام-: لو كان العسر في جحر أملط لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين وإنما كان العسر في الموضعين واحداً وليس باثنين لدخول الألف واللام على العسر وحذفهما في اليسر.

{..فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ(٧)} يعني فإذا فرغت من مجاهدة أعداء الله فانصب لعبادة ربك وأجهد نفسك في طاعته {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(٨)} في دعائك إليه وإخلاص نيتك.

سورة التين مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(١)} وهما جبلان بالشام أحدهما ينبت التين ولآخر ينبت الزيتون {وَطُورِ سِينِينَ(٢)} وهو الجبل الذي سمع عليه موسى كلام الله تعالى، والسينين الحسن البهي لأن اشتقاقه من السنا وهو البهاء والرفعة، {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ(٣)} يعني مكة وحرمها والأمين الآمن من قتل أو سبي وكانت الجاهلية أمنت من مغازي العرب وأن يسبى فيه أحد أو يسفك فيه دماً.

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ(٤)} أي أعدل بنية وأقوم

تركيب وأقوم جملة {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)} إذا عصاه بعدما خلقه وسواه فمصيره إلى أسفل السافلين في النار {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٦)} أي مقطوع {فَمَا يُكَذِّبُكَ} أيها الإنسان {بَعْدُ} هذه الحجج {بِالدِّينِ(٧)} أي بحكم الله تعالى وجزائه قال الشاعر:

دنا تميماً كما كانت أوائلنا ... دانت أوائلهم في سالف الزمن

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ(٨)} صنعاً وتدبيراً وقضاء بالعدل وتقديراً، وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- كان إذا قرأ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ(٨)} قال: وأنا على ذلك من الشاهدين.

سورة إقرأ مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} روينا أن جبريل لما نزل بقوله تعالى اقْرَأْ قال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((ما أقرأ؟)) قال له: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)} وهي أول سورة نزلت على رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- بمكة {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} والإنسان أراد به جنس الناس {مِنْ عَلَقٍ(٢)} يعني بعد النطفة والعلق جمع علقة وهي قطعة من دم رطب وسميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما أتت عليه وإذا جفت لم تكن علقة شعراً:

تركناه يخر على يديه ... يمج عليهما علق الوتين

{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣)} أي الكريم ومن كرمه توسيعه على الكافر بعد عصيانه استدراجاً له {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤)} أي علم الكاتب الكتابة بالقلم {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)} من العلوم والحكم وسائر

سورة الكهف

الصنائع والمنافع علم الأنبياء والأنبياء علموا أممهم فضلاً من الله ونعمة وإحساناً ورحمة.

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى(٦)} ومعنى كلا رد وتكذيب، ومعنى يطغى يتجاوز قدره أشراً وبطراً ومنه قوله: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ} [الحاقة:١١]، أي تجاوز وأفرط {أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(٧)} يعني بماله وهذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى(٨)} أي المرجع في القيامة {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى(١٠)} هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام لأن أبا جهل -لعنه الله- قال: واللات والعزى لئن رأيت محمداً -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- يصلي بين أظهركم لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ثم أتى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- وهو يصلي ليطأ على رقبته فما دنى منه إلا وهو ينكص على عقبيه فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهواء وأجنحة فقال -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة -عليهم السلام- عضواً عضوا)).

{أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى(١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى(١٢)} هذا هو رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أمر بالتقوى في طاعة ربه وكان على الهدى في نفسه {أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٣)} يعني أبا جهل كذب وتولى عن طاعة الله وطاعة رسوله {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى(١٤)} أي يعلم علمه ويسمع.

قوله تعالى: {كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ} يعني أبا جهل {لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ(١٥)} أي لنأخذن ويجوز أن يكون المعنى فيه تشويه الوجه وتشويه الخلقة والسفعة السواد مأخوذ من قوله: سفعته النار والشمس إذا

غيرت وجهه إلى حال تشويه شعراً:

أتاني سفعاً في معرس مرحل ... وياتي كجذم الحوص لم ينثلم

والناصية شَعَر مقدم الرأس، وقد يعبر بها عن جملة الإنسان الشر فيقال: ناصية مباركة {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ(١٦)} يعني ناصية أبي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ(١٧)} أي فليدع أهل ناديه من عشير أو نصير والنادي مجلس القوم ومتحدثهم {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ(١٨)} وهم الملائكة من خزنة جهنم وهم من أعظم الملائكة خلقاً وأشدهم بطشاً والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه شعراً:

مطاعيم في القصوى مطاعيم في الوغى ... زبانية غلب عظام حلومها

{كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ(١٩)} يعني لا تطع أبا جهل وهو نهي وتحذير واسجد واقترب يعني اسجد لله تعالى يا محمد واقترب إليه لأن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد مخلصاً.

سورة القدْر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١)} يعني القرآن أنزله الله في الليلة المعروفة بالقدر وهي في العشر الأواخر من رمضان وهي في وتر العشر من أحد وعشرين إلى ثلاث وعشرين إلى خمس وعشرين إلى سبع وعشرين وإنما سميت ليلة القدر لعظم قدرها وجلالة خطرها ويقال من علامتها أن تصبح الشمس لا شعاع لها.

{..خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٣)} ليس فيها ليلة قدر، و{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} يعني تنزل إلى سماء الدنيا، والروح عنى به جبريل -عَلَيْه

السَّلام- يستغفرون لصالحي عباد الله والمطيعين من خلقه إلىٰ طلوع الفجر ويبشر بعضهم بعضاً بسلامة المؤمنين من عذاب رب العالمين .

سورة لم يكن مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} عن سيدنا رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من اليهود والنصارىٰ الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب وغيرهم الذين ليس لهم كتاب {مُنْفَكِّينَ} أي لم يزالوا مقيمين علىٰ الشرك والشك والريبة {حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ(١)} والرسل ولم يختلفوا أن الله سبحانه سيبعث إليهم رسولاً حتىٰ بعث محمداً -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- واختلفوا وافترقوا فمنهم من آمن به ومنهم من كفر والبينة بيان الحق وظهور الحجج.

{رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً(٢)} والصحف المطهرة أراد بها القرآن والمطهرة التي تطهرت من الشرك {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ(٣)} يعني كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ(٤)} يعني لم يتفرق أهل هذه الكتب إلا من بعد ما ظهرت الحجة عليهم علىٰ يدي رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} يعني مقرين له بالعبادة ولا يريدون بها سواه {حُنَفَاءَ} يعني المؤمنين بالرسل المستقيمين علىٰ طريقة الإسلام، شعراً:

أخليفة الرحمن إنا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

{وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(٥)} أي دين الأمة المستقيمة.

سورة الزلزلة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١)} وهذا وعيد من الله وتهديد لمن لا يؤمن بالبعث لأنها من أشراط الساعة، والزلزلة شدة الحركة مكرر من زل يزل والمعنى إذا تحركت الأرض حركتها.

{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢)} يعني ما فيها من الموتى {وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا(٣)} والمراد بالإنسان جنس الناس {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤)} بما أخرجت من أثقالها وليس ثم حديث في الحقيقة سوى إخراج ما في بطنها من الموتى {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(٥)} يعني أمرها بإخراج ما فيها فأطاعت فجرى مجرى من يفعل ويطيع إذا أمر بشيء فعله كما قال الشاعر:

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

وإن لم يكن هناك وحي في الحقيقة سوى الأمر والإرادة {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا} يعني يصدرون يوم القيامة من مواقفهم أشتاتاً مختلفين على قدر أعمالهم فبعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار {لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ(٦)} أي ثواب أعمالهم يوم القيامة {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} وقد مر تفسير المثقال.

سورة العاديات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا(١)} والعاديات الخيل في الجهاد وإنما سميت العاديات اشتقاقاً لها من العدو وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي والضبح شدة النفس عند العدو.

{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا(٢)} يعني الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا(٣)} الخيل غارت على العدو وقت

الصباح {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا(٤)} النقع الغبار قال حسان:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كذاء

{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا(٥)} وهو جمع العدد حين يلتقي الزحف {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ(٦)} أي لكفور الجحود الذي يذكر النقم وينسى النعم وسميت كندة لأنها جحدت أباها {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ(٧)} يعني الله سبحانه وتعالى شهيد على كفر الكافر {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٨)} والخير المال وزينة الدنيا وشدة حبه تدعوه إلى منع ما فيه من حقوق الله سبحانه وتعالى {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ(٩)} أي أخرج ما فيها من الأموات {وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ(١٠)} يعني ما سها فيها {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ(١١)} أي عليم بأحوالهم من خير أو شر.

سورة القارعة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {الْقَارِعَةُ(١)} هي القيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب الناس بهولها، وقد تسمى كل داهية قارعة كما قال تعالى: {تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} [الرعد:٣١]، قال الشاعر:

متى نقرع بمروتكم نسؤكم ولم توقد لنا في الغدر نار

قوله تعالى: {مَا الْقَارِعَةُ(٢)} تعظيماً لذكرها كما قال: {الْحَاقَّةُ(١) مَا الْحَاقَّةُ(٢)}.

{..يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ(٤)} وفي الفراش في اللغة قولان أحدهما: الهمج الطائر من بعوض وغيره من الجراد. والثاني: أنه طير

يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب، والمبثوث المتفرق المبسوط.

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ(٥)} والعهن الصوف المندوف ذو الألوان وإنما شبه الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش وشبهت الجبال بالعهن المنفوش لخفته وضعفه فكذلك تكون الجبال يوم القيامة في خفتها وذهابها.

{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦)} وهو الحسنات وصالحات الأعمال وكذلك قيل: اللسان وزن الإنسان، شعراً:

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه

أي قدره وقيمته {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧)} أي في عيشة مرضية {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨)} أي حسناته {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩)} أي مرجع أمره إلى النار وسميت أماً للرجوع إليها كرجوع الولد إلى الأم، ويجوز أن يكون المراد به أم رأسه تهوي في نار جهنم.

سورة التكاثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(١)} يعني ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(٢)} يعني حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زواراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣) هذا وعيد وتهديد وتكرار على وجه التأكيد والتغليظ ومعناه كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما أوعدكم به صدق.

{..كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(٥)} ومعنى كلا في هذا المكان حقاً ما تعلمون يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(٦)} وهذا خطاب للعصاة والكفار الذين وجبت لهم النار {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

الْيَقِينِ(٧)} أي المشاهدة والعيان ليكون العلم بها ضرورياً {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ(٨)} وهو ما أنعم الله به على خلقه من إكمال الآلات وإعطاء الاستطاعات وما ركب في الإنسان من الحواس المنتفعة بالملاذ والمشتهيات على ما روينا عن آبائنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قرأ: (({ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ(٨)} شبع البطون وبارد الماء وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم)).

سورة العصر مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ(١)} قسم أقسم الله به وفيه تأويلان أحدهما أنه الدهر، والثاني أنه العشاء ما بين زوال الشمس وغروبها، شعراً:

يروح بنا عمرو وقد قصر العصر ... وفي الروحة الأولى المثوبة والأجر

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)} يعني بالإنسان جنس الناس على ما شرحناه، والخسر النقصان والهلاك {إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يعني آمنوا بتوحيد الله وأطاعوه في الذي أمرهم به من الأعمال الصالحات.. {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)} على طاعة الله عز وجل والقيام بما افترضه عليهم.

سورة الهمزة مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(١)} فالهمزة المغتاب واللمزة الغياب ومنه قول زياد الأعجم:

يدلي بودي إذا لاقيته كذبا ... وإن أُغيَّب فأنت الهامز اللمزه

وقيل الهمزة: الذي يعيب الناس جهراً بيد أو لسان، واللمزة: الذي يعيبهم سراً بعين أو حاجب قال العجاج:

في ظل عصري باطل ولمزه

وهذه الآية نزلت في أبيّ بن خلف {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ(٢)} يعني أحصى عدده {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(٣)} يعني يزيد في عمره ويمنعه من الموت {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ(٤)} يعني لينبذن الكافر في الحطمة والحطمة النار لأنها تحطم ما ألقي فيها ومنه قول الراجز:

إنا حطمنا بالقضيب مصعبا ثم كسرنا أنفه ليغضبا

{...الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ(٧)} روينا عن سيدنا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم لأنها لو أحرقت أفئدتهم لما تألموا بها)).

{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ(٨)} يعني مطبقة مغلقة يقولون: أصد الباب أي أغلقه ومنه قول عبدالله بن قيس الرقيان:

إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقاً موصداً عليه الحجاب

{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ(٩)} ويجوز أن يكون المعنى في العمد الممدة الأغلال في أعناقهم والقيود في أرجلهم.

سورة الفيل مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(١)} معناه ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؛ لأن رسول الله لم يرهم لأنه ولد عام الفيل.

وسبب الفيل أن قوماً من أهل مكة هدموا بيعة النصارى بنجران وسلبوها وكان أبرهة بن الصباح الحبشي والياً على اليمن من قبل النجاشي ويكنى أبا يكشوم فقصد الحرم بعسكر وفيل يديل منهم ويهدم الكعبة فجاء من طريق منى فكان الفيل إذا بُعِث إلى الحرم أحجم وإذا عدل عنه أقدم فوقف بالمغمس حتى كان من أصحاب الفيل ما كان فقال عبدالمطلب:

إن آيات ربنا باقيات لا يماري بهن إلا كفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يغوي كأنه معقور

{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(٢)} لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي وكيد الكعبة بالتخريب والهدم.

وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن عبدالمطلب أخذ حلقة الكعبة عند مجيئهم وقال:

يا رب لا نرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا فناكا

ثم إن عبدالمطلب أنفذ ابنه عبدالله على فرس له سريع ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون جميعاً فرجع يركض كاشفاً عن فخذه فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب ما كشف فخذه إلا بشيراً أو نذيراً فلما دنى من ديارهم بحيث يسمعهم الصوت قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعاً ؛ فخرج عبدالمطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم فكانت أول أموال بني عبدالمطلب فقال عبدالمطلب:

أنت منعت الجيش والأفيالا   وقد رعوا بمكة الأجمالا
وقد خشينا منهم القتالا   وكل أمر منهم مفضالا

شكراً وحمداً لك ذا الجلالا

{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٣) تَرْمِيهِمْ} وروينا أن طيراً سوداً في مناقيرها وأرجلها الحجارة ترميهم بها وأن تلك الطير لم تر قبل ولا بعد وفي الأبابيل تأويلان أحدهما المتفرقة، شعراً:

إن سلولاً عراك الموت عادتها   لولا سلولا لمستني الأبابيلا

أي متفرقين، والثاني: أن الأبابيل جمع بعد جمع، شعراً:

وأبابيل من خيول عليها   كأسود الاني تحت العوالي

ويقال إن واحد الأبابيل أبالة وقد قيل أبول وأبيل. {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(٤)} والسجيل الشديد قال الشاعر:

وفتية يضربون البيض عن عرض   ضرباً تواصب به الأبطال سجيلا

والحجر كان فوق العدسة ودون الحمصة ولا يقع في رأس إلا خرج من أسفله ولا على جانب من خده إلا خرج من الجانب الآخر فهلكوا جميعاً ولم يسلم منهم إلا رجل واحد من كندة[1] فقال:

---

[1]- هذه رواية أبي الفتح -عَلَيْهِ السَّلام- أن الرجل من كندة وأن هذا الشعر له وأما رواية الإمام محمد بن المطهر -عليهم السلام- في عقود العقيان فالرجل من خثعم يسمى نفيل بن حبيب وروى شعره بخلاف هذه الرواية وهو:

=

فإنك لو رأيت ولن ترانا لدى جنب المغمس ما لقينا
حسبت الله أن قد بث طيراً وظل سحابة مرت علينا
وباتت كلهم تدعو لحق كأن علي للحبشان دينا

{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٥)} والعصف هو ورق الزرع المأكول الذي قد أكلته الدود. قال الإمام: الذي جعله الله بأصحاب الفيل معجزة وآية ونحن نقول إنها لم تكن إلا تمهيداً وتوطيداً لنبوة سيدنا محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- لأنه ولد في عامه[1]، وقد يجوز أن تتقدم تأسيسات نبوات الأنبياء على مواليدهم.

سورة قريش مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلَافِهِمْ} والإيلاف مأخوذ من ألف يألف وهو العادة المألوفة يعني به لإيلاف الله تعالى لهم لأنه آلفهم إيلافاً، وفي الـ(لام) التي في لإيلاف تأويلان أحدهما: أنها صلة ترجع إلى السورة المتقدمة من قولهم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(١)}..إلى أن قال: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٥)} لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١)} فصار معناه أن ما فعله

ألا حييت عنايا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينا لو رأيت ولن تراه لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا أحمدتني وحمدت أمري ولم تعمد على ما فات بينا
فكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للأحبوش دينا

[1]- وفي رواية غيره قد كان ولد ذكره المرتضى محمد بن يحيى وغيره من أهل السير.

بأصحاب الفيل لأجل إيلاف قريش وجمعها.

والثاني: أنها صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(٤)} فيكون معناه: ولنعمتي على قريش فليعبدوا رب هذا البيت وقريش فهم بنو النضر بن كنانة وكانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، قال الشاعر:

أبونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وفي تسميتهم بقريش أربعة أوجه: أحدها: لتجمعهم بعد التفرق والتقريش التجمع، شعراً:

أخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم

والثاني: أنهم كانوا تجاراً يأكلون من مكاسبهم والقرش التكسب.

والثالث: أنهم كانوا يعيشون الحاح عند الخلة فيشدون حلته والقرش النبش؛ قال الشاعر:

الشامت المقرش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء

والرابع: أن قريشاً اسم دابة في البحر من أقوى دوابه وسميت بها قريش لقوتهم قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك يوما لذي جناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشا
ولهم آخر الزمان نبى يكثر القتل فيهم والخشوشا

قوله تعالىٰ: {إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢)} كانت لقريش في كل سنة رحلتان، والرحلة السفر لما يعاني فيها من الرحيل والنزول فرحلة الشتاء إلىٰ تهائم اليمن ومواضع الدفء، ورحلة الصيف إلىٰ الشام لأنها بلاد باردة.

فإن قيل: فما المعنىٰ بتذكيرهم برحلة الشتاء والصيف؟ فالجواب: أنهم كانوا آمنين في سفرهم من العرب لأنهم أهل الحرم فذكرهم الله تعالىٰ بهذه النعمة لضربهم في الأرض آمنين مع خوف غيرهم ومع ذلك يتكسبون ويوسعون ويطعمون كما قال الشاعر:

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذو العهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلاف

فذكرهم الله بهذه النعمة {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(٣)} بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق {وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(٤)} من خوف أن يقتلوهم أو يقاتلوهم أو يغزوهم لحرمة الحرم لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- حيث يقول: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا} [البقرة:١٢٦]، فأمرهم الله بعبادته حيث ذكرهم بنعمته.

سورة أرأيت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ(١)} والدين الجزاء والحكم، وهذه الآية نزلت في العاص بن وائل السهمي {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ(٢)} معناه يدفع اليتيم دفعاً شديداً ومنه قوله تعالىٰ: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا(١٣)} [الطور]، أي

يدفعون إليها دفعاً. يدفعه عن حقه ويمنعه عن ماله ظلماً له طمعاً فيه أو يدفعه إبعاداً له وزجراً إذا احتاج وسأل.

{وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ(٣)} أي لا يفعله ولا يأمر به وليس عام على من تركه عجزاً ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم بأن يقولوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه فنزلت الآية فيهم وتوجه الذم إليهم.

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤)} يعني المنافق الذي إن صلاها لم يرج ثوابها، وإن تركها لم يخش عقابها وهم عنها ساهون لاهون، وليس من السهو الذي يقع في الصلاة الصحيحة {..الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ(٦)} وإنما يريد بها النفاق والرياء إذا حضروا مع الناس صلوا وإذا غابوا تركوها ولم يصلوا كذلك روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام-، وروينا عن سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((من عمل عملاً لغيري فقد أشرك بي وإنما أعني الشركاء عن المشركين)) {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ(٧)} والماعون الزكاة كذلك روينا عن أمير المؤمنين علي -عَلَيْه السَّلام- قال الراعي:

أخليفة الرحمن إنا معشر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

عرب نرى لله في أموالنا ... حق الزكاة مُنزّلاً تنزيلا

قوم على الإسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التنزيلا

وقد ورد الماعون في كلام العرب على وجوه فمنها: المال، بلسان قريش، ومنه المعروف ومنه الماء المعين قال الشاعر:

بأجود منه بماعونه ... إذ ما سماؤهم لم تغِم

ومنه الماعون الذي يتعاوره الناس مثل الدلو والقدر والفأس، ومنه المستقل من منافع الأموال مأخوذ من المعن.

سورة الكوثر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)} هو الخير الكثير قال الشاعر:

وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا خطاب لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والذي أعطيه النبوة والملك العظيم {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢)} يعني به الصلاة المكتوبة وانحر أضحيتك وهديك {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣)} الشاني هو العدو المبغض والأبتر الفرد الوحيد، وكانت قريش تقول لمن مات ذكور ولده قد بتر فلما مات لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة -صلوات الله عليهم- قالوا: قد بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده فجعل الله الإمامة وأحكام النبوة والملك في بني ابنته فاطمة إلى يوم القيامة فهم الهداة القادة، والأدلة السادة، لا يمضي حجة إلا خلفته الأخرى، إحساناً من الله إلى نبيه وامتنانا على صفيه، حين عيره الكفار بانقطاع نسله، وخروج الأمر من أصله، فخيب الله ظنونهم، وكشف بقوله العلي مكنونهم حيث قال: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ(٣)} فجعل الله البتر وانقطاع الذكر وخمول الأمر فيمن شنأه وعاداه،وجعل لرسوله كلمة الحق وعترة الصدق ؛ فالحمد لله الذي شرفنا برسوله، وخصنا بتنزيله، واستودعنا محكم تأويله، وعصمنا من تحريفه وتحويله. والآية نزلت في العاص بن وائل السهمي وفي ولده عمرو -لعنهم الله وأخزاهم-.

سورة الكافرون مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١)}

وسبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فقالوا: هلم يا محمد فلتعبد ما نعبد ولنعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان الذي جئت به خيراً مما كنا قد اشتركنا فيه وأخذنا بحظنا فيه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك كنت قد شركتنا وأخذت بحظك منه ؛ فأنزل الله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)} فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلواً لأنها نزلت جواباً وإعناتاً للكافرين.

معنى قوله: {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)} يعني من الأوثان {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣)} يعني الله تعالى وحده لا شريك له {وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥)}.

فإن قيل: فما فائدة هذا التكرار؟ قيل: فيه وجهان أحدهما: أن قوله في الأول: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣) في الحال، وقوله في الثاني يعني المستقبل. والثاني: إخبار عنه وعنهم في الماضي فلم يكن ذلك تكراراً لاختلاف مقصودهما.

فإن قيل: فلم قال: وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥) ولم يقل من أعبد؟ قيل له: لأنه مقابل لقوله: وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(٤) وهي أصنام وأوثان لا يصلح فيها إلا ما دون من فحمل الثاني على الأول لتقابل الكلام ولا يتنافى.

{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)} أي لكم جزاء أعمالكم ولي جزاء عملي لأن عملهم الكفر وعمله الإيمان فكفاني بجزاء عملي ثواباً وكفاكم بجزاء عملكم عقاباً.

سورة النصر مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(١)} ونصر الله هو نصر رسوله على قريش وسائر من قاتله من الكفار وكانت عاقبة النصر له -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- والفتح يحتمل وجهين أحدهما: فتح مكة، والثاني: فتح مدائن أهل الشرك وقصورهم {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا(٢)} والمراد جميع الناس من سائر الأمم دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً والأفواج الزمر.

وروينا عن آبائنا -عليهم السلام-، عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إن الناس قد دخلوا في دين الله أفواجاً وسيخرجون منها أفواجاً)).

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} وفي أمره بالتسبيح وفي الاستغفار وجهان أحدهما: ليكون ذلك منه شكراً لله تعالى على نعمه عنده لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر، والثاني: أنه نعيت إليه نفسه ليجتهد في عمله في وداعه للدنيا -صلوات الله عليه- ولم يلبث بعدها إلا سنتين مستديماً للتسبيح والاستغفار كما أمر ربه تعالى.

سورة تبت مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: روينا في سبب نزول هذه السورة في أبي لهب قولان أحدهما أن أبا لهب أتى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فقال: ما أعطى إذا آمنت بك يا محمد؟ قال: ((كما يعطى المسلمون)) قال: ما لي عليهم فضل؟ قال: ((وأي شيء تبتغي؟)) قال: تباً لهذا من دين وأن أكون أنا وهؤلاء سواء فأنزل الله فيه: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١)}.

والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(٢١٤)}

[الشعراء]، أتى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- الصفا فصعد عليه ثم نادى بأصحابه فاجتمع إليه فقال: ((أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟)) قالوا: نعم، قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) فقال أبو لهب: تباً لكم سائر اليوم أما دعوتمونا إلا لهذا؛ فأنزل الله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١)} أي خابت وخسرت قال الشاعر:

يواعدني قومي يبتغون مهجتي لحارثة تباً لهم بعدها تبا

أي خسرتا وقوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١)} أي عمله ومنه قوله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ} [الحج:١٠]، أي بما قدمت، والعرب تنسب الفعل إلى اليدين وتريد بهما صاحبهما وعمله ونسب الفعل إلى اليدين دون سائر الجوارح لأن أكثر ما يقع الفعل بهما.

وفي ذكر الله سبحانه له بكنيته دون اسمه ثلاثة أوجه أحدها: لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه. والثاني: كان مسمى بصنم كان لهم قيل إنه عبد العزى فعدل عنه. والثالث: أن الاسم أشرف من الكنية لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره والإشارة إليه بنفسه ولذلك دعا الله أنبياءه -عليهم السلام- بأسمائهم.

و{وَتَبَّ} الثانية تأكيداً للأولة ويحتمل أن يكون التأكيد على غير التأكيد: وقد تب.

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(٢)} يعني في منع النار والعقاب عنه يوم القيامة لا يغنيه ماله وولده وما كسب المراد به البنون لما روينا عن آبائنا -عليهم السلام- عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((أولادكم من كسبكم)).

سورة الكهف

{سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ(٣)} وهذا وعيد من الله سبحانه يحق عليه بكفره وتحقيقاً بأنه سيموت علىٰ ضلاله وكفره فكان خبره صدقاً ووعيده حقاً {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(٤)} وروينا أنها كانت تحطب الشوك وتخبطه وتلقيه في طريق رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- ليلاً {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ(٥)} الجيد للعنق الخشن من ليف المقل شعراً:

أعوذ بالله من ليل يقربني | إلىٰ مضاجعة كالدلك بالمسد

وقال آخر:

ومسد أمر من أبارق | ليس بإثبات ولا حقائق

وامرأة أبي لهب -لعنها الله- أم جميل ابنة حرب بن أمية، وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أنها لما نزلت هذه السورة في أبي لهب وامرأته أقبلت امرأته ولها ولولة تريد النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- وهي تقول -لعنها الله-:

مذمماً أبينا | ودينه قلينا

وأمره عصينا

ورسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في المسجد ومعه بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله قد أقبلت وإنا نخاف أن تراك فقال: ((وأنا لن تراني وقرأ قرآناً اعتصم بالله كما قال تعالىٰ)) فأقبلت علىٰ الجماعة ولم تر رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- فقالت لهم: إني أخبرت أن صاحبكم هجاني ؛ قالوا لها: لا ورب هذاالبيت ما هجاك فولت وعثرت في مرطها فقالت: تعس

مذهم، عليها لعائن الله تترا، وصلوات الله على نبي الرحمة والصابر لله حتى كملت عليه النعمة وحقت على الأمة الكلمة ونزلت بمستحق العذاب النقمة، وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

سورة الإخلاص مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١)} وسبب نزول هذه السورة أن اليهود قالوا: عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقالت الصابئون: نحن نعبد الملائكة من دون الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر من دون الله، وقال أهل الأوثان: نحن نعبد الأوثان من دون الله ؛ فأنزل الله تعالى في ذلك إبطالاً لقولهم وإضلالاً لفعلهم فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١)} أي المفرد الذي لا شبيه له من المخلوقات ولا مثل له من جميع المخترعات {اللَّهُ الصَّمَدُ(٢)} والصمد الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، شعراً:

ألا أبكر الناعي يخبر بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

ويكون الصمد بمعنى السيد كما قال الشاعر:

علوته بحسامي ثم قلت له ... خذها إليك فأنت السيد الصمد

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)} وإنما انتفت منه هذه الصفة بأن يكون والداً ومولوداً لأمرين أحدهما: أن هذه الولادة من صفات الأجسام، وقد دل الدليل أن الله تعالى ليس بجسم كما بينا في كتاب المرشد في التوحيد. والثاني: فلو ولد أو ولد لصار ذا مثل وقد بينا أنه لا يماثله شيء من خلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقد استقصينا ذلك في كتاب المرشد لأن هذا الكتاب مقصور على التفسير واستقصاء مسائل التوحيد في

كتبه.

قوله تعالىٰ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)} من مماثل ومعادل وصاحبة وولد.

سورة الفلق مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالىٰ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(١)} والفلق الصبح، شعراً:

يا ليلة لو أبتها بت مرتفقا　　　أرعىٰ النجوم إلىٰ أن نوّر الفلق

وأصل الفلق الشق العظيم الواسع وقيل للصبح فلق لفلق الظلام عنه كما قيل له فجر لانفجار الضوء منه {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ(٢)} في الدنيا والآخرة {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ(٣)} والغاسق الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها وينبعث أهل الشر علىٰ العيب والفساد وأهل الفسق الجريان بالضرر مأخوذ من قولك: غسقت القرحة إذا جرىٰ صديدها والغساق صديد أهل النار لجريانه بالعذاب وغسقت عينه إذا جرىٰ دمعها بالضرر، وقد روي الغاسق هو القمر غير أن ما وردت به اللغة قد ذكرناه.

{إِذَا وَقَبَ(٣)} معناه دخل {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ(٤)} والمراد به السواحر وسحرهنّ إيهام الأذىٰ وتخييل الأذىٰ من غير أن يكون له تأثير في الأذىٰ والمرض الاستشعار ربما أخرب علىٰ ما شرحناه في سورة البقرة.

وروينا عن سيدنا رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء فقد

وكل إليه)) يعني من نفث وهو يريد به السحر كان حكمه كما ذكر صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأما من نفث وهو يريد به الاستشفاء فليس بداخل في السحر.

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(٥)} أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها وهو منهي عنه والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل والحسد شر مذموم والمنافسة رغبة مباحة في صالح الأعمال، وأما تنافس في منافسة الدنيا فلا.

وقال سيدنا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((المؤمن يعبد والمنافق يحسد)) وإنما أمرنا بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد لأنه ربما حمله فرده الحسد على إيقاع بالشر بالمحسود فأول من حسد قابيل أخاه هابيل حتى قتله نعوذ بالله من شر ما استعذنا من شره.

سورة الناس هي مثل الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١)} وإنما قال برب الناس وإن كان رباً لجميع الخلق كلهم لأمرين أحدهما: لأن في الناس معظمين من الأنبياء والرسل والأئمة -عليهم السلام- فأتى بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا. والثاني: أنه أمر بالاستعاذة من شر أبالسة الناس وشاطينهم لأن أبالسة الجن لا ضر منهم على الإنس فأعلم بذكرهم أنه يعيذهم من شر الناس الذي هو خير لهم ملك ورب. {...مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(٤)} وفي الوسواس الخناس وجهان أحدهما: أن الخناس المختفي المستأخر لأن الخنوس الاستئخار فعلى هذا فيه تأويلان أحدهما: أن يكون الخناس الهوى والشهوة اللذان يدعوان إلى الباطل ويصدان عن الحق. والثاني: الخناس من شياطين الإنس الذي يأمر بالضلالة وينهى عن طريق الهداية وكل ذلك قد أمر بالاستعاذة منه لأن

سورة الكهف

النبي -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- ذكر المهلكات وذكر منها هوىً مُتّبع هو الذي يقود إلىٰ النار فأمر بالاستعاذة منه، وكذلك الوسواس وسواس الإنسان من نفسه الذي يحدث به نفسه. وروينا عن رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أنه قال: ((إن الله تجاوز لأمتي ما وسوست به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به)). والثاني: الوسواس من شياطين الإنس الذي يغوي ويضل ويدعو إلىٰ المعصية وينهىٰ عن الطاعة وأصل الوسوسة الصوت الخفي قال الأعشىٰ:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق رجل

ومنه سمي الموسوس إذا غلبت عليه المرأة. {..مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(٦)} يعني بالجنة ما اجتن في النفس من الشهوة والهوىٰ يقال: جننت الشيء إذا سترته وسميت الجنة جنة لأنها تستر من السلاح والناس يعني من شياطين الناس علىٰ ما ذكرنا. وروينا عن آبائنا -عليهم السلام- أن سيدنا رسول الله -صَلَّىٰ الله عَلَيْه وآله- كان يعوّذ الحسن والحسين -عليهم السلام- فيقول: ((أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)) ونحن نستعيذ بالله مما عوّذه ونستمده جميل ما عوّذ، وفقنا الله وقارئه لتدبّر ما فيه وتفهّم معانيه، فبه توفيقنا وعليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولىٰ ونعم النصير.

تمّ تفسير البرهان بحمد الله العزيز المنّان، فله الحمد علىٰ كل حال ونصلي ونسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله خير آل. وكان الفراغ منه صبح يوم الأحد ثامن وعشرين شهر جمادىٰ الأولىٰ من سنة ستين وألف من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم.

المحتويات

ــــــــــــــ ١

[ديباجة الكتاب] ٢
[ذكر أسماء الله سبحانه وتعالى لكتابه] ٦
[ذكر معنى القرآن] ٧
[ذكر معنى الفرقان] ٨
[ذكر معنى الكتاب]... ٨
[ذكر معنى الذكر] ٨
[ذكر معنى التوراة] ٨
[ذكر معنى الزبور] ٩
[ذكر معنى الإنجيل] ٩
[ذكر معنى المئين] ٩
[ذكر معنى المثاني] ٩
[ذكر معنى المفصل]... ١٠
[بيان اللغة في كلمة سورة].. ١٠
[ذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم] ١١
[تفسير سورة فاتحة الكتاب] ١٤
[ذكر أسماء فاتحة الكتاب وبيان سبب التسمية] ١٤
[ذكر أقوال الناس في البسملة]..................................... ١٥
[الدليل على أن البسملة آية من فاتحة الكتاب ومن أول كل سورة أثبتت فيها]... ١٥
[تفسير سورة البقرة] ٢٤
سورة آل عمران مائتا آية وهي مدنية ١٣٣
[سورة النساء]... ١٦٢
[سورة المائدة] ٢٠٢

سورة الكهف

[سورة الأنعام] ٢٣٥
سورة الأعراف مكية كلها ٢٧١
سورة الأنفال وهي كلها مدنية ٢٩٨
سورة براءة **مدنية** ٣١٣
سورة يونس عَلَيْه السَّلام.. ٣٤١
سورة هود ٣٥٢
سورة يوسف -عَلَيْه السَّلام- كلها مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية.. ٣٧٠
سورة الرعد مدنية ٤٠٢
سورة إبراهيم -عَلَيْه السَّلام- مكية ٤١٢
سورة الحجر مكية ٤٢١
سورة النحل.. ٤٣٢
سورة بني إسرائيل.. ٤٤٥
سورة الكهف.. ٤٦٣
________ ٤٨٠
تحقيق ٤٨٠
منشورات ٤٨٠
سورة مريم -عَلَيْها السَّلام- مكية.. ٤٨٢
سورة طه مكية ٤٩٠
سورة الأنبياء ٥٠٠
سورة الحج.. ٥١٥
سورة المؤمنين مكية ٥٢٧
سورة النور مكية.. ٥٣٣
سورة الفرقان ٥٥٥

سورة الشعراء مكية كلها ٥٦٦
سورة النمل مكية..٥٧٤
سورة القصص ٥٨٧
[سورة العنكبوت]..٦٠٢
سورة الروم مكية بالاتفاق ٦٠٩
سورة لقمان -عَلَيْه السَّلام- مكية ٦٢٠
سورة السجدة مكية...٦٢٨
سورة الأحزاب مدنية...٦٣٤
سورة سبأ مكية ٦٥٥
سورة فاطر مكية...٦٦٦
سورة يس مكية...٦٧٢
سورة الصافات مكية ٦٨٤
سورة ص مكية..٦٩٣
سورة الزمر مكية...٦٩٩
سورة المؤمن [غافر]مكية..٧٠٣
سورة السجدة ٧٠٥
سورة حم عسق [الشورى] ٧٠٧
سورة الزخرف..٧١٠
سورة الدخان..٧١٥
سورة الجاثية...٧١٧
سورة الأحقاف..٧١٩
سورة محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم..............................٧٢٣
سورة الفتح مدنية..٧٢٩
سورة الحجرات مدنية ٧٣٤
سورة ق مكية...٧٣٩
سورة الذاريات مكية...٧٤٦

سورة الكهف

سورة الطور مكية ٧٥١
سورة النجم مكية ٧٥٥
سورة القمر مكية ٧٦٠
سورة الرحمن عز وجل، مكية ٧٦٥
سورة الواقعة مكية ٧٧١
سورة الحديد مدنية ٧٧٧
سورة المجادلة مدنية ٧٨٢
سورة الحشر مدنية ٧٨٥
سورة الممتحنة مدنية ٧٩١
سورة الصف مدنية ٧٩٥
سورة الجمعة مدنية ٧٩٦
سورة المنافقين مدنية ٧٩٨
سورة التغابن مدنية ٨٠١
سورة الطلاق مدنية ٨٠٣
سورة التحريم مدنية ٨٠٧
سورة الملك مكية ٨١١
سورة ن مكية وبعضها مدنية ٨١٤
سورة الحاقة مكية ٨١٩
سورة سأل مكية ٨٢٢
سورة نوح -عَلَيْه السَّلام- مكية ٨٢٥
سورة الجن مكية ٨٢٨
سورة المزمل مكية ٨٣٣
سورة المدثر مكية ٨٣٦
سورة القيامة مكية ٨٤٢
سورة الإنسان مدنية ٨٤٧

سورة المرسلات مكية.......................................٨٥١
سورة عم يتساءلون مكية ٨٥٣
سورة النازعات مكية.......................................٨٥٥
سورة عبس مكية...٨٥٩
سورة التكوير مكية ٨٦١
سورة الإنفطار مكية.......................................٨٦٤
سورة التطفيف **مكية**.......................................٨٦٥
سورة انشقت مكية ٨٦٧
سورة البروج مكية ٨٦٩
سورة الطارق مكية...٨٧٠
سورة الأعلى مكية..٨٧٢
سورة الغاشية مكية ٨٧٤
سورة الفجر مكية ٨٧٦
سورة البلد مكية ٨٧٨
سورة الشمس ٨٨٠
سورة الليل مكية..٨٨١
سورة الضحى مكية...٨٨٣
سورة ألم نشرح مكية.......................................٨٨٤
سورة التين مكية ٨٨٥
سورة إقرأ مكية ٨٨٦
سورة القدْر مكية ٨٨٨
سورة لم يكن مدنية ٨٨٩
سورة الزلزلة مكية ٨٩٠
سورة العاديات مكية..٨٩٠
سورة القارعة مكية ٨٩١

سورة الكهف

سورة التكاثر مكية ٨٩٢
سورة العصر مدنية..٨٩٣
سورة الهمزة مكية ٨٩٣
سورة الفيل مكية ٨٩٤
سورة قريش مكية...٨٩٧
سورة أرأيت مكية...٨٩٩
سورة الكوثر مكية ٩٠١
سورة الكافرون مكية ٩٠١
سورة النصر مدنية ٩٠٣
سورة تبت مكية ٩٠٣
سورة الإخلاص مكية ٩٠٦
سورة الفلق مدنية ٩٠٧
سورة الناس هي مثل الفلق ٩٠٨